

حيدرآباد سنڌي ڪتابچو

في
عصو القريش الزاهرة

القريش هي ، عصو القريش

باليق

احمد زكي صوف

المكتبة الاهلية
مكتبة

جوهرة رسائل العرب

في
عصور العرب الزاهرة

الجزء الرابع

السطر الثاني من رسائل

العصر العباسي الأول

وهو يحوي رسائل العباسيين من أول خلافة المعتصم إلى استيلاء بني بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ

تأليف

أحمد زكي صفوت

وكيل كلية دار العلوم جامعة القاهرة سابقا

المكتبة العلمية
بيروت - لبنان

مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمداً لك ربى على ما أوليتنى من سابق نعمك، وأبليتنى من بالغ توفيقك، وصلاة وسلاماً على رسولك الأمين، سيدنا ومولانا محمد صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه الهداة الأعلام.

وبعد : فهانذا أصدر الجزء الرابع من « جوهرة رسائل العرب » حاوياً الشطر الثانى من رسائل العباسيين فى العصر العباسى الأول - من أول خلافة المعتمد إلى استيلاء بنى بويه على بغداد سنة ٣٣٤ هـ - وقد بقيت من هذه الجوهرة حلقة خامسة هى « رسائل الأندلسيين » أرجو أن يوفقنى المولى القدير إن شاء الله إلى إنجازها، كما وفقنى إلى إنجاز إخوتها الأربع، ومن قبل ما وفقنى إلى إصدار « جوهرة خطب العرب » فى حلقاتها الثلاث، فله أوفر الحمد وأوفاه .

وقد سلختُ حتى الآن فى تأليف هاتين الجهرتين سبع سنين دأباً - ثلاثاً فى جوهرة الخطب، وأربعاً فى الأخرى - قطعت فيها أشواطهما السبعة، مثابراً على العمل فىهما صيف شتاء، سحابة النهار أجمع وقطعا من الليل فى بعض الأحيان، وإهباً لهما كل أوقات فراغى من عملى الدراسى - عدا ما أخرجته فى هذه الفترة من مؤلفات أخر^(١) - دون أن أنيل نفسى حظها من الجلم والراحة، والآن - بعد أن كدتها

(١) وهى: ترجمة الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وكتاب الكامل فى النحو والصرف، فى أربعة أجزاء لطلبة دار العلوم، وكتاب علم البيان، وكتاب علم المعانى، وتاريخ الخطابة فى الجاهلية والإسلام، وتاريخ الجدل والناظرة، وهذه الكتب الثلاثة الأخيرة بالاشتراك مع بعض حضرات الزملاء.

ذلك الإيجاف ، الذي كاد يُشرف بها على البُهر والإعجاف - أراها ظمئة ظمًا مُلجًا
إلى فترة راحة قصيرة ، تستجم فيها وتستروح ، حتى تُتوب إلى الميدان فتتية النشاط ،
قوية الرّكض ، فتقطع الشوط الأخير في غير ضجّر ولا ملالة ، وإلى القراء الكرام
معذرتي في هذا التريث ، وإلى الملتقى القريب ، إن شاء الله .

وإني لأحتمل في سبيل ذلك العمل الشاقّ المضى ما ألقاه فيه من جهد ولُغوب ،
بصدر رحيب ، وعين قريرة ، وليس لي من ورائه مطمع إلا أن يذكر اسمي في عداد
من نصبوا أنفسهم لخدمة هذه اللغة العربية الشريفة ، ففازوا على تعاقب الأجيال بطيب
الذكرى ، وخالد الأثر ، سددنا الله وإياكم إلى طريق الخير والصلاح ، وكتب لنا
سعادة الدنيا والأخرى ، إنه المغمم المتفضل المحمود .

أحمد زكي صفوت

وحرر بالقاهرة في { جادى الآخرة سنة ١٣٥٧ هـ
أغسطس سنة ١٩٣٦ م

الباب الخامس

الرسائل

في

العصر العباسي الأول أيضاً

١ - كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر

وروى صاحب زهر الآداب قال :

وكتب المعتصم ، حين صارت له الخلافة سنة ٢١٨ هـ ، إلى عبد الله بن طاهر :
« عافانا الله وإياك ، قد كانت في قابي منك هفواتٌ غفرها الاقتدارُ ، وبقيتُ
حزّازاتٍ^(١) أخاف منها عليك : عند نظري إليك ، فإن أتاكَ ألفُ كتابٍ أسْتَقْدِمُكَ
فيه فلا تَقْدَمْ ، وحَسْبُكَ معرفةٌ بما أنا مُنْطَوٍ لك عليه ، إطلاعي إياك على ما في
ضميري منك . والسلام . » (زهر الآداب ٣ : ٩١)

(١) المزازة : وجم في القلب ، من غيظ ونحوه .

٢ - كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر

وروى صاحب العقد الفريد قال :

كتب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر :

« أَعَزِّزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَاكَ عَلِيًّا
فَوَدِدْتُ أَنِّي مَالِكٌ لِسَلَامَتِي
فَتَكُونُ تَبَعِي سَالِمًا بِسَلَامَتِي
هَذَا أَخٌ لَكَ يَشْتَكِي مَا تَشْتَكِي
أَوْ أَنْ يَكُونَ بِكَ السَّقَامُ نَزِيلًا
فَأَعِيرَهَا لَكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
وَأَكُونَ مِمَّا قَدْ عَرَاكَ بِدِيلًا
وَكَذَا الْخَلِيلُ إِذَا أَحَبَّ خَلِيلًا »^(١)

(العقد الفريد ١ : ٢٣٠)

٣ - كتاب المعتصم إلى الآفاق عند القبض على بابك الحرمي

وهذه نسخة كتاب كتب بها عن المعتصم ، إلى ملوك الآفاق من المسلمين ، عند

قبض الأفشين حيدر بن كاوس على بابك الحرمي^(٢) ، وهي :

« أما بعد ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لدينه ، والعصمة لأوليائه ، والعز لمن
نصره ، والفلاح^(٣) لمن أطاعه ، والحق لمن عرف حقه ، وجعل دائرة السوء على من
عصاه وصدف عنه^(٤) ، ورغب عن ربوبيته ، وابتغى إلها غيره ، لا إله إلا هو وحده
لا شريك له ، يحمده أمير المؤمنين حمدًا من لا يعبد غيره ، ولا يتوكل إلا عليه ،
ولا يفوض أمره إلا إليه ، ولا يرجو الخير إلا من عنده ، والمزيد إلا من سعة فضله ،

(١) أقول : الظاهر أن المعتصم كتب إليه هذا الكتاب ، قبل أن يلي الخلافة .

(٢) قدمنا لك في الجزء الثالث ما كان من أمر بابك الحرمي في خلافة الأُمون (انظر ص ٤٤٤) فلما ولي

المعتصم الخلافة وجه لحربه سنة ٢٢٠ الأفشين التركي - وكان من أجل قواده - ونشبت بينه وبينه وقعات
وحروب ، كانت خائمتها أن فتحت البذ - مدينة بابك - ودخلها المسلمون واستباحوها ، وأسر الأفشين

بابك ، وقدم به على المعتصم بسر من رأى ، فقتل وصلب بها سنة ٢٢٣ هـ .

(٣) الفلاح : الظفر والفوز .

(٤) صدف عنه كضرب : أعرض .

ولا يستعين في أحواله كلها إلا به ، ويسأله أن يصلي على عبدِ رسوله وصفوته من عباده ، الذي ارتضاه لنبوته ، وابتعثه بوحيه ، واختصه بكرامته ، فأرسله بالحق شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسيراً جاعلاً ، والحمد لله الذي أتوجه لأمر المؤمنين بصنعه ، فبسر له أمره ، وصدق له ظنه ، وأنجح له طلبته ، وأنفذ له حيلته ، وبلغ له محبته ، وأدرك المسلمون بثأرم على يده ، وقتل عدوهم ، وأسكن روعتهم^(۱) ، ورجم فاقمهم ، وآانس وحشتهم ، فأصبغوا آمينين مطمئين مقيمين في ديارهم ، متمكنين في أوطانهم ، بعد القتل والخوف والتشريد وطول العناء ، وتتابع البلاء ، منّا من الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصّه به ، وصنعا له فيما وفقه لطلبه ، وكرامة زادها فيما أجرى على يده ، فالحمد لله كثيرا كما هو أهله ، ونرغب إلى الله في تمام نعمه ، وداوم صنعه ، وسعة ما عنده بمنّه ولطفه .

ولا يعلم أمير المؤمنين - مع كثرة أعداء المسلمين ، وتكثفهم^(۲) إياه من أقطاره ، والضغائن التي في قلوبهم على أهله ، وما يترصدونه من العداوة ، وينظرون عاينه من المكابدة ، إذ كان هو الظاهر عليهم^(۳) ، والآخذ منهم - عدواً كان أعظم بليّة ، ولا أجل خطباً ، ولا أشدّ كلباً^(۴) ، ولا أبغ مكابدة ، ولا أرمى بمكروه ، من هؤلاء الكفرة الذين يغزؤم المسلمون ، فيستعلون عليهم ، ويضعون أيديهم حيث شاءوا منهم ، ولا يقبلون لهم صلحاً ، ولا يميلون معهم إلى موادعة ، وإن كان لهم - على طول الأيام ، وتصرف الحالات ، وبعض مالا يزال يكون من فئات ولاة الثغور - أدنى دولة من دولات الظفر ، وخلسة من خلس الحرب ، كان بما لهم من خوف العاقبة في ذلك منفصاً لما تعجلوا من سروره ، وما يتوقعون من الدوار بعد ، مكدرًا لما وصل إليهم من فرحة .

(۲) تكثفوه : أحاطوا به .

(۱) أي قزعهم .

(۳) من كلب الزمان والشتاء كفرح : أي اشتد .

(۴) أي الغالب لهم .

فَأَمَّا اللَّعِينُ بَابِكَ وَكَفَرْتُهُ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَغْزُونَ أَكْثَرَ مِمَّا يُغْزَوْنَ ، وَيُنَالُونَ
أَكْثَرَ مِمَّا يُنَالُ مِنْهُمْ ، وَمِنْهُمْ الْمُنْجَرِفُونَ عَنِ الْمَوَادِعَةِ ، الْمُتَوَحِّشُونَ عَنِ الْمِرَاسَلَةِ ،
وَمَنْ أُدِيلُوا^(١) مِنْ تَتَابُعِ الدُّوَلِ ، وَلَمْ يَخَافُوا عَاقِبَةَ تَدْرِكِهِمْ ، وَلَا دَائِرَةَ^(٢) تَدْوِيرِ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ مِمَّا وَطَأَ ذَلِكَ وَمَكَّنَهُ لَهُمْ ، أَنَّهُمْ قَوْمٌ ابْتَدَعُوا أَمْرَهُمْ عَلَى حَالِ تَشَاغُلِ السُّلْطَانِ ،
وَتَتَابُعِ مِنَ الْفِتَنِ ، وَاضْطِرَابِ مِنَ الْحَبْلِ ، فَاسْتَقْبَلُوا أَمْرَهُمْ بِعِزَّةٍ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ،
وَضَعْفِ وَاسْتِثَارَةٍ مِنْ بَارَاهِمِ ، فَأَجَلَوْا مَنْ حَوْلَهُمْ لِتَخْلُصِ الْبِلَادِ لَهُمْ ، ثُمَّ أَخْرَبُوا
الْبِلَادَ لِيَعِزَّ مُطْلَبُهُمْ ، وَتَشْتَدَّ الْمُؤْنَةُ ، وَتَعْظُمَ السَّكُفَةُ ، وَيَقْوُوا فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ، فَلَمْ
يَتَوَافَ إِلَيْهِمْ قُوَادُ السُّلْطَانِ إِلَّا وَقَدْ تَوَافَتْ إِلَيْهِمُ الْقُوَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاسْتَفْحَلَ
أَمْرَهُمْ ، وَعَظُمَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَاشْتَدَّتْ ضُرُورَاتُهُمْ ، وَاسْتَجْمَعَ لَهُمْ كَيْدُهُمْ ، وَكَثُرَ
عَدَدُهُمْ وَاعْتَدَادُهُمْ ، وَتَمَكَّنَتْ الْهَيْبَةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْهُمْ ، وَتَحَقَّقَ فِي نَفْسِهِمْ أَنَّ
كُلَّ مَا يَعِدُّهُمُ الْكَافِرُ وَيُمْنِيهِمْ أَخْذٌ بِالْيَدِ ، وَكَانَ الَّذِي بَقِيَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ كَالَّذِي مَضَى
وَبَدُونَ هَذَا مَا يُخْتَدَعُ الْأَرِيبُ ، وَيُسْتَنْزَلُ الْعَاقِلُ ، وَيُعْتَقَلُ الْفَطِنُ ، فَكَيْفَ يَمُنُّ
لَا فِكْرَةَ لَهُ وَلَا رُويَةَ عِنْدَهُ !

هذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حسد أهل النعم، ومنافستهم على ما في أيديهم،
وتقطُّعهم حَسَرَاتٍ فِي إِثْرِ مَا خُصُّوا بِهِ ، وَأَنَّهِمْ إِنْ لَا يَكُونُوا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَحَقَّ
بِذَلِكَ ، فَإِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ .

ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تُفْضِيَ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ ، مَا دَا عُنُقَهُ ، مُوجِّهًا هَمَّتَهُ ، إِلَى
أَنْ يُوَلِّيَهُ اللَّهُ أَمْرَ هَوْلَاءِ الْكُفْرَةِ ، وَيَمْلِكُهُ حَرْبِهِمْ ، وَيَجْعَلَهُ الْمَقَارِعَ^(٣) لَهُمْ عَنْ
دِينِهِ ، وَالْمَفَاجِزَ لَهُمْ عَنْ حَقِّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَأْتُوا^(٤) فِي ذَلِكَ حِرْصًا وَطَلَبًا وَاحْتِيَالًا ،
فَكَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَأْتِي ذَلِكَ لِضَنْنِهِ بِهِ ، وَصِيَانَتِهِ بِقُرْبِهِ ،

(١) الإدالة : الغاية ، أداله الله من عدوه .

(٢) الدائرة : الهزيمة .

(٣) المقارعة : المناصلة .

(٤) ألا ، يَأُو : قصر .

مع الأمر الذي أعدّه الله له وآثره به ، ورأى أن شيئاً لا يفي بقوام الدين ،
وصلاح الأمر .

فلما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته ، وأطلق الأمر في يده لم يكن شيء
أحب إليه ، ولا أخذ بقلبه ، من المعاجلة للكافر وكفرته ، فأعزّه الله ، وأعانه الله ،
فله الحمد على ذلك وتيسيره ، فأعدّ من أمواله أخطرها ، ومن قواد جيشه أعلمهم
بالحرب ، وأنهم بالمعضلات ، ومن أوليائه وأبناء دعوته ودعوة آباءه - صلوات الله
عليهم - أحسنهم طاعة ، وأشدّهم نكابة ، وأكثرهم عدّة ، ثم أتبع الأموال
بالأموال ، والرجال بالرجال ، من خاصّة مواليه وعدّد غلمانه ، وقبل ذلك
ما أتكل عليه من صنّع الله جل وعز ، ووجه إليه من رعيته . فكيف رأى
الكافر اللعين وأصحابه الملائع ؟ ألم يكذب الله ظنونهم ، ويشف صدور
أوليائه منهم ؟ يقتلونهم كيف شاءوا في كل موطن ومعتك ، مادامت عند
أنفسهم مقاومة .

فلما ذأوا وقتلوا ، وكرهوا الموت ، صاروا لا يتراءون إلا في رؤوس الجبال ،
ومضايق الطرُق ، وخلف الأودية ، ومن وراء الأنهار ، وحيث لا تنالهم الخيل ،
حصناً للطاولة ، وانتظاراً للدوائر ، فكادهم الله عند ذلك ، وهو خير الكائدين ،
واستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنه معتصمين فيه عند أنفسهم ، فجعلوا اعتصامهم
لحين^(۱) لهم ، وصنّع لأوليائه ، وإحاطة منه به تبارك وتعالى ، فجمعهم وحصرهم
لكيلا تبقى منهم بقية ، ولا ترجى لهم عاقبة ، ولا يكون الدين إلا لله ، ولا
العاقبة إلا لأوليائه ، ولا للتعس والتعس إلا لمن خذله .

فلما حصرهم الله ، وحبسهم عليهم ، ودانتهم^(۲) مصارعهم ، سلطهم الله
عليهم كيدي واحدة ، يختطفونهم بسيوفهم ، وينتظمونهم^(۳) برماحهم ، فلا يجدون

(۱) الحين : الهلاك . (۲) دانتهم : أي قارتهم . (۳) انتظمه بالرمح : أخذه .

مَلَجًا وَلَا مَهْرَبًا ، ثُمَّ أَمَكَّهُمْ مِنْ أَهْلِيهِمْ ، وَأَوْلَادِهِمْ ، وَنَسَائِهِمْ ، وَحُرْمِهِمْ ،
وَصَيَّرُوا الدَّارَ دَارَهُمْ ، وَالْمَجْلَةَ مَجْلَتَهُمْ ، وَالْأَمْوَالَ قَسَمًا بَيْنَهُمْ ، وَالْأَهْلَ إِمَاءً
وَعَبِيدًا ، وَفَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ مَا فَعَلَ بِهِمْ زُؤْلَاءٌ وَأَعْطَاهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالثَّوَابِ ، وَمَا أَعَدَّ
لَأَوْلَادِكَ مِنَ الْخِزْيِ وَالْعِتَابِ ، وَصَارَ الْكَافِرَ بَابِكَ لَا فَيْمَنَ قُتِلَ ، فَسَلِمَ مِنْ ذُلِّ الْغَلَبَةِ
وَلَا فَيْمَنَ نَجَا ، فَمَا يَنْ فِي الْحَيَاةِ بَعْضَ الْعِوَاضِ ، وَلَا فَيْمَنَ أُصِيبَ ، فَيَسْتَفِئِلَ بِنَفْسِهِ عَنِ
الْمُصِيبَةِ بِمَا سِوَاهِ ، لَكِنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى أَطْلَقَهُ وَسَدَّ مَذَاهِبَهُ ، وَتَرَكَ مُتَلَدِّدًا^(١) بَيْنَ
الذَّلِّ وَالْخَوْفِ ، وَالْفُصَّةِ وَالْحُسْرَةِ ، حَتَّى إِذَا ذَاقَ طَعْمَ ذَلِكَ كُلِّهِ وَفَهِمَهُ ، وَعَرَفَ مَوْجِعَ
الْمُصِيبَةِ ، وَظَنَّ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ مِنَ النِّجَاةِ ، فَضَرَبَ اللَّهُ وَجْهَهُ ، وَأَعْمَى بَصَرَهُ ،
وَسَدَّ سَبِيلَهُ ، وَأَخَذَ بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ ، وَحَازَهُ إِلَى مَنْ لَا يَرِيقُ لَهُ ، وَلَا يَرْتِي لِمَصْرَعِهِ . فَاثْمَثَلْ
مَا أَمَرَ بِهِ الْأَفْشِينَ « حَيْدَرُ بْنُ كَاوَسٍ »^(٢) مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَمْرِهِ ، فَبَثَّ لَهُ الْحَبَائِلَ ،
وَوَضَعَ عَلَيْهِ الْأَرْصَادَ ، وَنَصَبَ لَهُ الْأَشْرَاكَ ، حَتَّى أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِهِ أَسِيرًا ذَلِيلًا مُوثَقًا فِي الْحَدِيدِ ،
يَرَاهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ مَنْ كَانَ يَرَاهُ رَبًّا ، وَيَرَى الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهَا سَتَكُونُ لَهُ .
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَزَّ دِينَهُ ، وَأَظْهَرَ حُجَّتَهُ . وَنَصَرَ أَوْلِيَاءَهُ ، وَأَهْلَكَ أَعْدَاءَهُ ،
حَدًّا يُقْضَى بِهِ الْحَقُّ ، وَتَمَّتْ بِهِ النُّعْمَةُ ، وَتَتَّصِلُ بِهِ الزِّيَادَةُ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَحَ عَلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَحَقَّقَ ظَنَّهُ ، وَأَنْجَحَ سَعْيَهُ ، وَحَازَ لَهُ أَجْرَ هَذَا الْفَتْحِ وَذُخْرَهُ وَشَرَفَهُ ،
وَجَعَلَهُ خَالصًا لِتَمَامِهِ وَكَمَالِهِ ، بِأَكْمَلِ الصَّنُوعِ وَأَحْسَنِ الْكِفَايَةِ ، وَلَمْ يَرِ بُوْثَسًا فِيهِ مَا يُقْذَى
عَيْنَهُ ، وَلَا خَلَا مِنْ سُرُورِ يَرَاهُ ، وَبَشَارَةٍ تَتَجَدَّدُ لَهُ عَنْهُ ، فَمَا يَدْرِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
مَا مُتَّعَ فِيهِ مِنَ الْأَمَلِ ، أَوْ مَا خَتَمَ لَهُ مِنَ الظَّفَرِ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْلًا ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ آخِرًا ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَطَايَاهِ الَّتِي لَا تُحْصَى ، وَنِعَمِهِ الَّتِي لَا تُدْنَسَى ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .
(صَبْحُ الْأَعْشَى ٦ : ٤٠٠)

(١) تلدد : تلفت يمينًا وشمالًا ؟ وتغير متبدا ، وتلبث .

(٢) هكذا في تاريخ الطبري (١٠ : ٣٠٧) وفي زهر الآداب (١ : ٣٢٤) وفي صبح

الأعشى « حيدر بن كاوس » الطاء .

۴ - كتاب المعتصم إلى ملك الروم

وكتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يتهدده فيه ويتوعده ، فأمر بجوابه ،
فلما قرئت الأجوبة عليه لم يَرْضَها ، وقال لبعض الكتاب اكتب ، وأملى عليه :
« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعد ، فقد قرأت كتابك ، وفهمت خطابك ،
والجواب ما ترى لا ماسمع ، وسيعلم الكافرُ لِمَنْ هُجِيَ الدَّارِ .
(زهر الآداب ۳ : ۹۲ ، وصبح الأعشى ۱ : ۱۹۲ ، ونهاية الأرب ۷ : ۲۶۱ ،
وأدب الكتاب ص ۲۳۵)

۵ - كتاب إبراهيم بن المهدي إلى المعتصم

وشخصَ المعتصمَ غازياً إلى بلاد الروم سنة ۲۲۳ هـ ، بعد قتل بابك ، ففتح
عمورية^(۱) ، وكتب إليه إبراهيم بن المهدي يهنئه ، بخروجه عن أرض الروم ، بعد
فتح عمورية :

« الحمد لله الذي كتمَّ لأُمير المؤمنين غزوتَه ، فأذلَّ بها رقابَ المشركين ، وشفى بها
صدور قومٍ مُؤمنين ، ثم سَهَّلَ اللهُ له الأوبةَ سائِلاً غانماً ، (وكذا وكذا) وإيَّامُهُ
ما كتبه اللهُ له مما أحصاه فلا ينسأه ، إِيَّافَهُ به موقفاً يرضاه ، فإنه عز وجل يقول :
« إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ،

(۱) عمورية : بلد من بلاد الروم ، فتحه المعتصم سنة ۲۲۳ هـ ، وكان المنجمون قالوا له : إنا نجد
في كتبنا أن مدينتنا لا تفتح إلا في وقت إدراك التين والعنب ، وبيننا وبين ذلك الوقت أشهر ، ويمنعك
من المقام البرد والثلج ، فأبى أن ينصرف وأكب عليها حتى فتحها ، فأبطل ما قالوا ، وفي ذلك يقول
أبو تمام في مطلع يائته المشهورة مهنتاً له :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحدين الجد واللاعب
وفيها يقول :

يايوم وقعة عمورية انصرفت
عنك المنى حفلا معسولة الحلب

وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ .

فَطَوَى اللَّهُ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَازِحَ^(١) الْبَعْدَ بَرًّا وَبَحْرًا ، وَوَقَاهُ وَصَبَّ السَّفَرَ سَهْلًا
وَوَعْرًا ، وَحَاطَهُ بِحِرَاسَتِهِ كَالثَّانِ^(٢) ، وَدَافَعُ عَنْهُ بِحِفْظِهِ رَاعِيًا ، حَتَّى يُؤَدِّيَهُ إِلَى الْحَلِّ
مِنْ دَارِهِ ، وَالْوَطَنِ مِنْ قَرَارِهِ ، وَجَزَاهُ عَنِ الْإِسْلَامِ خَاصَّةً . وَعَنْ رِعْيَتِهِ كَافَّةً ،
بِتَخْيِيرِهِ مُسْتَخْلَفًا عَلَيْهِمْ ، وَقَائِمًا مَقَامَهُ فِيهِمْ : هَرُونَ^(٣) ابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ
اسْتَخْلَفَهُ رَفِيقًا شَفِيقًا ، حَلِيًّا وَقُورًا ، بِقِظَانٍ سَاكِنًا ، لَمْ يُشَدِّبْ^(٤) عَلَيْهِ أَمْرًا ، وَلَمْ
يَنْتَشِرْ عَلَيْهِ طَرَفٌ ، وَلَمْ يَضَعْ مَعَهُ سَبِيلًا ، وَلَمْ يُسَخِّطْ وَلِيًّا مُكَانِفًا ، وَلَا عَدُوًّا مُخَالِفًا ،
بِلا سَيْفٍ أَشْرَعَهُ ، وَلَا سُورٍ أَقْرَعَ بِهِ^(٥) ، فَمَثَلُ جَزَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَخْيِيرِهِ إِيَّاهُ ،
فَجَزَاءُ اللَّهِ عَلَى مَا حَفِظَ مِنْ وَصَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدٍ مَقَامَهُ ، إِنَّهُ مَجِيبُ الدَّاعِي .
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٩٨)

٦ - كتابه إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي

وأهدى إبراهيم بن المهدي ، إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(٦) ، جراب مباح ،
وجراب أشنان^(٧) ، وكتب إليه :

« لولا أن القلّة قصّرت عن بلوغ الهمة ، لأتعبت السابطين إلى برّك ، ولكن
البضاعة قعدت بالهمة ، وكرهت أن تطوى صحيفة البرّ ، وليس لي فيها ذكرك ، فبعثتُ

(١) النازح : البعيد . (٢) كالثا : أي حارسا حافظا .

(٣) هرون : هو الملقب بالوائق بالله ، وقد ولي الخلافة بعد أبيه سنة ٢٢٧ وتوفي سنة ٢٣٢ هـ .

(٤) التشذيب : التفريق ، والطرف بالتحريك : الناحية .

(٥) أشرع نحوه الرمح والسيف وشرعهما كنع : أقبلهما إياه وسددهما له ، وأقرع الدابة بلجامها
وقرعهما كنع : كفها به وكبجها .

(٦) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، الملقب المشهور ، المتوفى سنة ٢٣٥ ، وقد أورد صاحب الأغاني ،

كثيرا جدا من أخباره فارجم إليها فيه .

(٧) الأشنان بالضم والكسر : نبات حمض (والحض من النبات - كشمس - كل نبت مالح أو

حامض يقوم على سوق ولا أصل له) تغسل به الأيدي على أثر الطعام ، معرب ، وعربيه حرص كعنق

نظار لسان العرب مادة أشن وحرص ، وشفاء الغليل ص ١١ .

عابتداً به لِيُمنه وَبَرَ كته ، والمختوم به لطيبه ونظافته ، وأما ماسوى ذلك ، فالمعبرُ
عنا فيه كتابُ الله تعالى ، إذ يقول : « لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى
الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ ، إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ
مِنْ سَبِيلٍ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (١) .
(العقد الفريد ٣ : ٣٠٨)

٧ - رواية أخرى

وفي رواية أخرى ، أن يحيى بن خالد بن برمك ، عزم على خِتَانِ ولده ، فأهدى
إليه وجوه الدولة كلُّ منهم بحسب حاله وقدرته ، فصنع بعض المتجملين العاجزين
خربطين^(٢) ، وملاً إحداهما ملحاً مطيباً ، والأخرى سَعْدًا^(٣) معطراً ، وكتب معهما
رقعة فيها :

« لو تَمَّتْ الإرادة ، لأَسَعَفَتِ العادة ، ولو ساعدت القدرة على بلوغ النعمة ،
لَتَقَدَّمَتْ للسابقين إلى خدمتك ، وأتعبتُ المجتهدين في كرامتك ، لكن قعدتُ بي
القدرة عن مساواة أهل النعمة ، وقصرتُ بي الجِدَّةُ^(٤) عن مباحاة أهل المَكِنَّةِ^(٥) ،
وخشيتُ أن تطوى صحيفة البرِّ ، وليس لي فيها ذِكْرٌ ، فأنفذتُ المَفْتَحَ بِيَمِينِهِ
وبركته ، وهو الملح ، والمختَمُ بطيبه ونظافته وهو السعد ، باسطقاً يد المَعذِرَةِ ، صابراً
على ألم التقصير ، متجرعاً غُصَصَ الاقتصار على اليسير ، والقائمُ بعذرى في ذلك :
« لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ »

(١) وقارواية الصولى ، في كتاب الأوراق ٢ : ٣٠ « عن إسحق قال : طهرت بعض ولدى ،
فكتب لي إبراهيم بن المهدي : « لولا أن البضاعة قصرت عن الهوى ، لأتعبت السابقين إلى برك »
وحسبك أن تطوى صحيفة البرِّ : وليس لي فيها برة ، وقد بعثت إليك ما ابتدأ به لِيمنه ، والمختوم به
لطيبه ورائحته ، جراب ملح ، وجراب أشنان » .

(٢) الخريطة وعاء من آدم وغيره .

(٣) السعد . نبت طيب الريح .

(٤) الجِدَّةُ : الفنى . (٥) المَكِنَّةُ : القوة والشدة .

والخادم ضارِعٌ في الامتنان عليه بقبول خدمته ومعذرتة ، والإحسانِ إليه ، بالإعراض
عن جرائته ، والرأى أَسْمَى .

ثم دخل دار يحيى ، ووضع الخريطتين والرقعة بين يديه ، فلما قرأ الرقعة
أمر أن تُفَرَّغَا وتَمَلَّأَا إحداهما دنائير والأخرى دراهم .
(غرر الحقائق الواضحة ص ٤٤٨)

٨ - كتابه إلى صديق له

وكتب إبراهيم بن المهدي إلى صديق له :

« لو كانت التُّحفة على حَسَبِ ما يوجبُه حَقُّكَ ، لأَجْحَفَ بِنَا أَدْنَى حَقُوقِكَ ،
ولكنه على قدر ما يُخْرِجُ الوَحْشَةَ وَيُوجِبُ الأُنْسَ ، وقد بعثتُ بكذا وكذا » .
(العقد الفريد ٣ : ٣٠٩)

٩ - كتاب له

« وصل كتابك السَّارُّ المُوْنِسُ ، فكان أسْرَ طَالِعٍ إِلَيَّ ، وأحسَنَه مَوْقِعاً مِنِّي ،
إذ كنت أستعِلُّ بِعُلُوكَ ، وأرى نِعْمَتَكَ تَنحَطُّ إِلَيَّ ، ويتَّصَلُ بِي ما يتَّصَلُ بالأُذُنِينِ
من لِحْمَتِكَ^(١) ، وَحَمَلَةَ شِكْرِكَ ، وَمَظَانَ مَعْرُوفِكَ ، والمقيمين على تأمليك ، فلا
أعدَمَنِي اللهُ ما أَسْتَجِنِي [مِنْكَ]^(٢) ، ولا أزالَ عَنِّي ظِلَّكَ ، ولا أفقدَنِي شَخْصَكَ » .
(الأوراق للصوى ٢ : ٣٧)

(١) اللحمة : القرابة .

(٢) استجنى : طلب الجنى ، والمعنى ما أطلبه وآمله منك ، وكلمة « منك » ليست في الأصل ،
والمقام يقتضيه .

١٠ - كتاب له

كتبتُ إليك ونحن في عافية مجددة ، والحمد لله المتطوّل بالنعمة ، المرجوُّ للزَّيد ،
ولست وإن باعدتكَ الدارُ مني ، ونأى بك الزمنُ عنا ، بقصبي القلب عن برك
بالذكر والعناية ، ولا اللسان بالدعاء والمسألة ، ولا النية في الإخلاص والمحبة لإحياء
العهد بالكتابة ، وتجديد الوصلة بالمراسلة ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
« التواصُلُ بين الناس في الحضر التزاوُر ، وفي السفر التكاثُب » .

(الأوراق للصولي ٢ : ٣٧)

١١ - كتاب له في التشوق

« أما بعد ، فإنني منذُ فارقتك ، وغاب عني شخصُك ، وبعدَ مني قُرْبُك ،
أجدُ من نفسي مُنازعاً إليك ، وأملًا واقفًا عليك ، وشوقًا مُزعجًا إلى قربك ،
والأخذِ بالحظِّ منك ، وإن عدّاني عن مشاهدتك باللقاء ، أو بكتابٍ ، تقصيرٌ
مَشُوبٌ بهذر ، وأنا أسأل الله راغبًا إليه أن يجمعنا في دوامٍ من نعمته ، وظلِّ
من كرامته ، وكفاية من حِراسته » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٩٥)

١٢ - كتاب له

وله في ترك وداعٍ عند فراق :

« أما بعد ، فإن الله عزَّ وجل قد جعل لنا من الأُنس بمودّتك ، والسرورِ
بمكائتك ، ما لو وصفناه فأطنبنا ، لجاوز^(١) ذلك ما نطوى عليه ، وقد تركت من
توديعك عند شخوصي عن البلد الذي يجمعنا ، ما لولا حسنُ ظني بك ، لو وقع مني

(١) في الأصل «لنادر» وهو تحريف .

بأعظمِ مواقعِ المساءِ والغيظِ على نفسي ، وأنتَ مَنْ أَعُدُّهُ سرورى وأُنْسِي ، وأهْوَى
مشاهدةَ غُدُوِّى وَرَوَاحِيِى إليه ، ولَقَلَّ ما أَعْلَمُ أَنه ما اسْتَمَّ لى سرورٌ بعدك ، أو نزل
بأحدٍ ما نَزَلَ بى من الشوقِ إليك ، أو حَلَّ مِنى أحدٌ بمثلِ مكانك ، أو استصفت
لذةً أو راحةً إلا معك وفي قُرْبِكَ . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٩٥)

١٣ - كتاب له

وكتب^(١) إبراهيم بن المهدي :
« كتابى إليك كتابٌ مُخْبِرٌ وسائِلٌ ؛ فأما الإخبارُ ، فمن تصرُّفِ الخطوبِ ،
على ما يوجب العذرَ عند صدقِ العزيزِ علىَّ ، فى إبطائى عنه بالتعهدِ له ، وأما
السؤالُ ، فمن إمساكِ هذا الأَخِ الوادِّ^(٢) عن مثلِ ذلك ، فإن العذرَ^(٣) كاشِفٌ
لما أسأفَ ، مُصَدِّحٌ لما استأنفَ .
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٧ والعقد الفريد ٢ : ١٩٢٠)

١٤ - كتاب له

وكتب :
« أما بعد ، فإنك لو عرَفْتَ فَضْلَ الحَسَنِ ، لتجنَّبْتَ شَيْنَ القبيحِ ورأيتك :
آثَرُ القولِ عندك ما يضرُّك ، فكنت فيما كان منك ومنا ، كما قال زُهَيْرٌ
ابن أبى سلمى :

وذى خَطَلٍ فى القولِ يَحْسَبُ أَنه مُصِيبٌ ، فما يُلِمُّ به فهو قَائِلُهُ^(٤)
عَبَاتٌ له حِلْمًا وأكرمتُ غيرَه وأعرضتُ عنه وهو بادٍ مَقَاتِلُهُ^(٥)

(١) فى المنظوم والمنثور أن هذا الكتاب لإبراهيم بن العباس .

(٢) فى العقد « هذا الأَخِ الودود المودود » .

(٣) وفيه « فإن البذل » .

(٤) الخطل : الخطأ ، (٥) عبأ الأمر كنتم : هبأه .

وأن من إحسانِ الله إلينا ، وإساءةِكَ إلى نفسك ، أنا صفحنا عما أمكننا ،
وتناولت ما أعجزَكَ ، فله الحمدُ كما هو أهله .

(العقد الفريد ٢ : ١٩٧ ، والأوراق للصوى ٢ : ٣٦)

١٥ - كتابه إلى منصور بن المهدي

وفصل منه إلى المنصور بن المهدي :

« وما الحقُّ إلا حقُّ الله ، فمن أدّاه فلنفسه ، ومن قصر عنه فعليها ، نسأل الله
أن يعمرنا بالحق ، ويصلحنا بالتوفيق ، ويحصننا بالتقوى . »

(الأوراق للصوى ٢ : ٣٥)

١٦ - كتابه إلى العباس بن موسى

« عبد الرحمن بن عبد الله ، من لا أحتاج إلى وصف حاله لك ، ولعلّي عرّفتها
بعبدك ، غير أنني أحبُّ مسرّته ، بقضاء حقه ، وواجب حرّمته ، في مودّته وموالاته ،
وقد جعلك ممن يحافظ على ذلك ومثله ، أراك الله ماتحّبُّ أن تحفظني ونفسك فيه ،
وتوأيّه ما جعلك الله أهله ، وجعله حقيقةً به . »

(الأوراق للصوى ٢ : ٣٥)

١٧ - فصل له

« لم يبق لنا بعد هذا الجنس شيء نندُّ أعيننا إليه ، إلا الله الذي هو الرجاء ، قبله

(الأوراق للصوى ٢ : ٦٣)

ومعه وبعده . »

١٨ - فصل له

(أمّا الصبرُ ، فنصير كل ذي مصيبة ، غير أن الحازم يقتم ذلك عند اللوعة طلباً
للشّوبة ، والعاجز يؤخر ذلك إلى السّلوّة ، فيكون مغبوناً نصيب الصابرين ، ولو أن

(٣ - جبهة رسائل العرب - رابع)

التواب الذي جعل الله لنا على الصبر كان هلى الجزع ، لكان ذلك أثقل علينا ، لأن
جزع الإنسان قليل ، وصبره طويل ، والصبرُ في أوانه أيسرُ مثنوناً من الجزع بعد
السَّلوَة ، ومع هذا فإن سبيلنا من أنفسنا على ما ملكنا الله منها ألا نقول ولا نفعل
ما كان لله مُسَخِطاً ، فأما ما يملكه الله من حُسن عَزاء النفس ، فلا يملكه من أنفسنا .
(الأوراق للصولى ۲ : ۱۳۶)

۱۹ - كتاب يعقوب الكندي إلى بعض إخوانه

وأهدى يعقوب^(۱) الكِنْدِيّ إلى بعض إخوانه سيفاً وكتب معه :
« الحمد لله الذى خصَّك بمنافع ما أهدى إليك : فجملك تهتيراً للمكارم ، اهتزاز
الصَّارِم ، وتمنّى في الأمور ، مضاء المأثور^(۲) ، وتصون عِرْضَكَ بالإِرْفَاد^(۳) ،
كما تصان السيوف في الأغمد ، ويظهر دمُ الحياء في صفحة خَدِّكَ المشوف^(۴) ، كما
يشف الرِّوْنَق في صفحَات السيوف ، وتصفّل شروك بالعطيّات ، كما تصفّل مُتُون
المشرفيّات^(۵) . »
(غرر الحِصَان الواضحة ص ۴۴۷)

(۱) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن
قيس الكندي ، كان أبوه إسحاق أميراً على الكوفة للهدى والرشيدي ، وكان يعقوب عظيم المنزلة
عند المأمون والعتصم ، فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها ، ويسمى
فيلسوف العرب ، وله مؤلفات كثيرة في علوم مختلفة من المنطق والفلسفة والهندسة والحساب (الأرنطاطيقى)
والموسيقى والنجوم وغيرها ، وقد عد له ابن النديم ۲۳۱ كتاباً في ۱۷ علماً .

وله حديث مع أبي تمام ، حين أنشد المعتصم سينيته المشهورة في مدحه (وفيات الأعيان ۱ : ۱۲۲)
انظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ص ۳۵۷ ، ورتابخ الحكماء لابن القفطى ص ۳۶۶ (طبع
أوربة) وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ۱ : ۲۰۶ .
هذا إن صح أنه كاتب هذه الرسالة وأشك في أنه هو ، لأن الصبغة البديعة البينة الأثر في أسلوبها
لم تفش إلا بعد ذلك العصر .

(۲) سيف مأثور : في منته أثر بالفتح والكسر : وهو فرند السيف ورواقه وديباجته .

(۳) الإرفاد : الإعطاء والإعانة .

(۴) المشوف : المحلّو ، من شافه شوفاً ، أى جلاه ، ودينار مشوف : مجلّو . وفي الأصل
« مشروف » وهو تحريف .

(۵) المشرف : السيف ، نسبة إلى مشارف الشام ، وهي قرى من أرض العرب تدنو من الريف ،
وقيل : نسبة إلى موضع باليمن .

٢٠ - بين عبد الله بن الحسن الأصبهاني وابن الزيات

وكان عبد الله بن الحسن الأصبهاني ، يخاف عمرو بن مَعْدَةَ على ديوان الرسائل ،
فكتب إلى خالد بن يزيد بن مَزِيد :

« إن المعتصم أمير المؤمنين ينفخ منك في غير فِجْم ، ويخاطب امرأ غير
ذِي فِهْم . »

فقال محمد بن عبد الملك الزيات : هذا كلام ساقط سخيف ، جعل أمير المؤمنين
ينفخ بالزق^(١) كأنه حداد ! وأبطل الكتاب .

ثم كتب محمد بن عبد الملك إلى عبد الله بن طاهر :

« وأنت تُجْرِي أمرَك على الأربح فالأربح ، والأرجح فالأرجح ، لاتسعى بنقصان ،
ولا تميل برُجحان . »

فقال عبد الله الأصبهاني : الحمد لله ، قد أظهر من سخافة اللفظ ، ما دل على رجوعه
إلى صناعته من التجارة^(٢) ، بذكره رِبْح السَّلْع ، ورجحان الميزان ، ونقصان
الكيل ، والخسران من رأس المال ، فضحك المعتصم وقال : ما أسرع ما انتصف
الأصبهاني من محمد ، وحقدها عليه ابن الزيات حتى نكبه .

(الأغاني ٢٠ : ٤٩)

(١) الزق : السقاء .

(٢) وذلك أنه كان جده أبان ، يجلب الزيت من واصله إلى بغداد ويتجر فيه ، ثم أقام هو وولده
عبد الملك بالكرخ (محلة ببغداد) فنشأ عبد الملك في التجارة ، وجد حتى صار من تجار الكرخ
المياسير ، وكان يحث ابنه محمداً على التجارة وملازمتها ، فيأبى إلا الكتابة وطلبها ، وقصد العالي ، حتى
بلغ منها أن وزر ثلاث دفعات ، كما قدمنا .

٢١ - كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات

وروى بأنه دامت الأمطار بسراً من رأى ، فتأخر الحسن بن وهب عن محمد ابن عبد الملك الزيات ، وهو يومئذ وزير ، والحسن يكتب له ، فاستبطأه محمد ، فكتب إليه الحسن يقول :

أوجِبَ العُذْرَ في تَرَاحِي اللِّقَاءِ مَا تَوَالَى مِنْ هذِهِ الأَنْوَاءِ (١)
لستُ أدري ماذا أقول وأشكو من سماء تعوقني عن سماء (٢)
غيرَ أني أدعو على تلك بالشُّكْلِ وأدعو لهذه بالبقاء (٣)
فسلامُ الإله أهديه غَضًّا لك مني يا سيِّد الوزراء (٤)

(الأغاني ٢٠ : ٥٤ والعقد الفريد ٢ : ١٩٣)

٢٢ - كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات

واعتل الحسن بن وهب فتأخر عن محمد بن عبد الملك أياما كثيرة ، فلم يأته رسوله ، ولا تعرف خبره (٥) ، فكتب إليه الحسن :

أَيُّهَا ذَا الوَازِرِ أَيْدِكَ اللّاهُ وَأَبْقَاكَ لِي بقاء طويلاً
أَجْمِيلاً تراه ، يا أكرمَ النّاسِ لِكَيْمَا أراه أيضاً جميلاً
أَنْتِي قَدْ أَقْمَتُ عَشْرًا عَلِيلاً مَا تُرَى مُرْسِلاً إِلَى رَسُولَا

(١) الأنواء جمع نوء بالفتح : وهو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر ، وطلوع رقيقه من المشرق يقابله من ساعته ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها ، وقيل إلى الطالع ، فنقول « مطرنا بنوء كذا » .

(٢) السماء الأولى : المطر ، والسماء الثانية يريد بها الوزير .

(٣) الشُّكْل : الموت والهلاك . (٤) الغض : الناضر .

(٥) هذه رواية الأغاني ، وفي العقد الفريد : « وكان شاعر يختلف إلى يحيى بن خالد بن برمك ويمتدحه ، فغاب عنه أياما لعله عرضت له فلم يفتقده يحيى ، ولم يسأل عنه ، فلما أفاق الرجل من علته كتب إليه ... الخ .

إن يكن موجبُ التمهُّدِ في الصَّحَّةِ منا علىٰ منك طويلاً^(١)
فهو أولىٰ يا سيدَ الناسِ برًّا وافتقادًا لمن يكون عليلاً
فليماذا تركتني عرضةَ الظنِّ من الحاسدين جِيلاً فجيلاً
أَلذنبِ؟ فما علمتِ سوى الشكرِ قَرِيناً لِنَيْتِي ودَخِيلاً
أم مَلالٍ؟ فما علمتِكَ لِلصَّاءِ حَبِ مِثْلِي على الزمانِ مَلولاً
قد أتى الله بالشفاءِ ، فما أعرفُ مما أنكرتُ إلا قليلاً
وأكلتُ الدَّرَاجَ ، وهو غِذاءٌ أَفَلتِ عِلَّتِي عليه أفولاً^(٢)
بعد ما كنتُ قد حَمَلتُ من العِدَّةِ عِبثاً على الطباعِ ثقيلاً
ولعلِّي - قَدَّمْتُ قبلك - آتِيكَ غداً إن وجدتُ فيه سبيلاً

(الأغاني ٢٠ : ٥٤ والعقد الفريد ١ : ٢٣٠)

٢٣ - رد ابن الزيات عليه

فأجابه محمد بن عبد الملك^(٣) :

دفع الله عنك نائبةَ الدهر وحاشاك أن تكون عليلاً
أشهد الله ما علمتُ وماذا لك من العذر جائزاً مقبولاً
ولعمري أن لو علمتُ فلأزمتُك حولاً لكان هندی قليلاً
إني أرتجى (وإن لم يكن ما كان مما نعتت إلا قليلاً)
أن أكون الذي إذا أضمر الإخـلاص لم يلمس عليه كفيلاً
ثم لا يبذل المودَّةَ حتى يجعل الجهدَ دونها مبدولاً
فإذا قال كان ما قال إذ كان بعيداً من طبعه أن يقولاً

(١) في الأغاني « التعمد » وهو تحريف .

(٢) الدراج : طائر من طير العراق ، وأفل النجم : غاب .

(٣) وفي العقد الفريد : « فكتب الوزير يعتذر ... الخ » .

فاجعلن لي إلى التعلق بالعد ر سبيلا إن لم أجد لي سبيلا
فقديمًا ما جادًا بالصَّفْحِ والعفو وما سامحَ الخليلُ الخليلًا

(الأغاني ٢٠ : ٥٥ والعقد الفريد ١ : ٢٣٠)

٢٤ - كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب

وكتب محمد بن عبد الملك إلى الحسن بن وهب ، وقد تأخر عنه :

قالوا : جفاك فلا عهد ولا خبر^(١) ماذا تراه دهاه ؟ قلت : أيلول^(١)

شهر^(٢) تجذ حبال الوصل فيه فما عقد من الوصل إلا وهو محلول^(٢)

(الأغاني ٢٠ : ٥٥)

٢٥ - رد الحسن بن وهب على ابن الزيات

وكان محمد قد ندبه لأن يخرج في أمر مهم ، فأجابه الحسن فقال :

إني بحولِ امرئٍ أعليت رتبته فخطه منك تعظيم وتبجيل

وأنت عدته في نيل هيمته وأنت في كل ما يهواه مأمول

ما غالني عنك أيلول بلدته وطيبه ولنعم الشهر أيلول

الليل لا قصر فيه ولا طول والجو صافٍ، وظهر الكأس مرحول^(٣)

والعود مستنطق عن كل معجبة^(٤) يصحى بها كل قلب وهو متبول

لكن توقع وشك البين عن بلد تحله ، فوكاه العين محلول^(٥)

(١) أيلول : شهر من شهور الروم . (٢) تجذ : تقطع .

(٣) رحل البير كنع : حط عليه الرجل ، فهو مرحول ، أى مهياً للركوب ، والمعنى هنا : أن الكأس مهياً للشرب .

(٤) صحا السكران كعدا وصحى كرضى : أفاق . وقلب متبول : إذا غلبه الحب وهيمه ، وتبله

الحب كنصر : أسقمه وأفسده .

(٥) وشك البين : قرب الفراق ، والوكاه : رباط القرية وغيرها ، والمعنى : فسالت عبرته .

حلى (إذا شمّرتَ بي عنك مبتكراً دُعمُ البغال أو الهُوجُ المرَّاسيلُ)^(١)
إلا رعاياتك اللاتي يعودُ بها حدُّ الحوادثِ عني وهو مَقولُ
(الأغانى ٢٠ : ٥٥)

٢٦ - كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب

واستسقى الحسن بن وهب من محمد بن عبد الملك نبیذا ببلاد الروم ، وهو مع
ثلثصم ، فسماه وكتب إليه :

لم تلقَ مِنلى صاحباً أندى يداً وأعمَّ جوداً
يسقى النديمَ بقررةٍ لم يسقَ فيها الماءُ عوداً
صفراءَ صافيةً كأنَّ بكأسها دراً فضيداً
وأجودُ حينَ أجودُ لا حصيراً بذاك ولا بليداً
وإذا استقلَّ بشكرها أوجبتَ بالشكرَ المزیداً^(٢)
خذها إليك كأنما كسيتَ زجاجتها عقوداً
واجعلْ عليك بأن تقو مَ بشكرها أبداً عهداً

(الأغانى ٢٠ : ٥٥)

٢٧ - كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الحسن بن سهل

وكتب الحسن بن وهب ، يعزى ابن الحسن بن سهل ، عن أبيه^(٣) الحسن :
« إن أحقَّ النعمِ المرتجعة ، والمواريءِ المستردَّة ، بأن تودَّعها النفوسُ بالسكون
عليها ، والرضا عن الله عز وجلِّ فيها ، والسخاءِ عما ارتُجِعَ واستردَّ منها ، نعمةً عاريةً

(١) ابتكر: بكر . والدعم جمع أدم : وهو الأسود . والهوج جمع هوجاء : وهى الناقة المسرعة
حتى كأن بها هوجا . والمراسيل جمع مرسال : وهى الناقة السريعة السير .

(٢) استقل : نهض .

(٣) فى الأصل « عن ابنه » وهو تصحيف .

أعظم الله قدرها^(١) ، وأجل خطرَها ، وفسحَ في مدتها ، وأطال الانتفاع بها ، حتى إذا حدّأها^(٢) طولُ الثَّوَاءِ بأهلها ، وتقادمِ الإلفِ بينهما ، فجری مجرَى أخاقِ الأشياءِ بالدوامِ ، إن^(٣) كان الدوامُ في شيءٍ مأمولا - وأبعدها من النِّفادِ - إن^(٤) كان النِّفادُ على شيءٍ مأمونا - فكانوا لذلك من حالها [في غيرة^(٥)] عنها ، وإغفالٍ لموقعها ، أمضى^(٦) الله أمره الذي هو فناء كلِّ مادونه وهلاك كلِّ شيءٍ إلا وجهه ، فكان ذلك قضاءه القضاء الفصل ، وحكمه الحكم الذي ليس له مرَدٌّ ، ثم نبّه به على فقد ما منع منه ، حتى عاد مشكورا ، وعلى ما يجب به التسليم ، حتى عاد مطاعا .

وإن أميرنا وسيدنا وموئيل نعمتنا ، ومبتدئ أسلافنا ، وكافل أعقابنا ، وعامر مجدنا ، وباني مكارمنا ، بالبرِّ الذي هو كان المعتدّ له ، ثم بالأدب الذي رفع مناره وأعلامه ، وأثمن^(٧) به لأهله ، وأقام له سوقه ، فلم يقرب إلا عليه ، ولم يُحْظِ إلا من ناحيته ، فالتسه الناس حين التسه من جهتيه اللتين : إحداهما الرغبة فيه لفضله ، والأخرى طلبُ المتحير معرفته أبا محمد ، رضي الله عنه كلِّ الرضا ، ورحمة الله كلِّ الرحمة عليه ، كان ذلك النعمة التي دامت أحسن دوام ، وتلك العارية التي ثوت أطول الثَّوَاءِ ، فما أحقّك - بموضعك من ولادته - وأحقنا - بموقعنا من جميل بلائه - أن نكون على ما وفّاه من أمره شاكرين ، وعنه تبارك وتعالى راضين ، وأن نقول قولَ المحسنين المُجْمِلين المسلمين « إنا لله وإنا إليه راجعون » وأنا أسأل الله أن يصلي على محمد وعلى آل محمد ويسلم تسليما ، وأن يحسن لنا ولك العزاء ، ويوفّر علينا وعليك

(١) في الأصل « فقدما » .

(٢) من حدّأ الليل النهار أي تبعه ، وحدّأ الإبل أي ساقها ، والمعنى : صحبها ولازمها ، والثَّوَاءِ :

الإقامة ، وفي الأصل « حتى إذا حراهما طول الثَّوَاءِ أهلها » وهو تحريف .

(٣) في الأصل « وإن » . (٤) في الأصل « وإن أيضا » .

(٥) في الأصل « لعمريهم » وقد أصلحته كما ترى . (٦) جواب إذا .

(٧) في الأصل « وأثر » وأرى أن صوابه « وأثمن » يقال : أثمن سلعة وأثمن له . أعطاه ثمنها .

والمعنى : أجاز أهل الأدب وحبائهم ، ويؤيد هذا التصويب ، قوله بعد « وأقام له سوقه » وربما كان « وأثر به أهله » .

الأجر والنواب ، وأن يجزىَ أبا محمد خيراً ، بنيتَه الجميلة ، وسعيه الحميد ، وأن يسدَّ
بك وبإخوتك - أبقاك الله لهم ، وأبقاهم لك ومعك - ما فلت^(١) الأيام من مكانه ،
وأخلت من مشاهدته وأوطانه ، حتى لا يعفو له أثر ، ولا يُفقد منه إلا ما فقد ، وأن
يستقبل بكم أيامكم ، بأحسنِ ماضى تمامه ، لمن مضى منكم ، فيجعلكم الخلفَ الذى
لا وصمةَ معه ، ولا وحشةَ عليه فى نفسه ، وأسأله أن يتولاكم ويتولانا فيكم بما هو
أهله ووليُّه .

وكتابتك - أكرمك الله - بما أحضركم الله من توفيقه ، الذى أرجو ألا يغيب
عنكم ، وإرشاده الذى أرجو أن يكون مقروناً بكم فى كل أحوالكم ، ما يلزمك
فى مروءتك وأخلاقك ، لا تُخني منه ، ولا تؤخر إيناسى بتمجيله ، تولاك الله بكل
صالحة وعوض بك من كل رزية ، وأتم عليك النعمة ، ولا أخلاك فيها من الزيادة .
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٤)

٢٨ - كتاب الحسن بن وهب إلى القاسم بن الحسن بن سهل

وكتب الحسن بن وهب ، إلى القاسم بن الحسن بن سهل يعزبه :
« مدَّ الله فى عمرك ، موفوراً غيرَ منتقصٍ ، وممنوحاً غيرَ ممتحنٍ ، ومُعطى غير
مستلبٍ » .
(زهر الآداب ٣ : ١٩٩)

٢٩ - كتاب الحسن بن وهب إلى محمد بن إسحاق

وكتب الحسن بن وهب ، إلى محمد بن إسحاق ، يعزبه عن ابنه إسحاق :
« الأمير أعلمُ بالدين ، من أن يذكَر به ، وبالهدنيا ، من أن يُدلَّ على ما خلقتُ
له ، وقد ورد - أعز الله الأمير - ما كان من النبأ العظيم ، وألخطب الجليل ، فى سيف
الخلافة ودِعامتها ، ورُكبتها فى يومها وغدها ، فلو أن حادثنا سبق بالنفوس آجالها ،

(١) أى نلت ، وفى الأصل « ماملت » وهو تحريف .

وَأَعْجَلَهَا عَنْ الْأَجَالِ الْمَقْدَرَةِ ، لَكَانَتْ الرِّزِيَّةُ أَحَقَّ الرِّزَايَا بِذَلِكَ ، فَكَانَتْ
أَحَقَّ الْمُنْكَوْبِينَ بِمَصَابِهِ أَنْ يَنْالَنِي ذَلِكَ مِنْهُ .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٢)

٣٠ - كتابه إلى إسحاق بن يحيى

وكتب الحسن إلى إسحاق بن يحيى بن معاذ ، يعزّيه عن ابنه :
« مَنْ شَكََّ فِي مَوْضِعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَصِيبَةِ ، وَبِمَوْقِعِهَا مِنِّي ، فَأَنْتَ - أَعَزُّكَ اللَّهُ -
غَيْرُ شَاكٍ فِي ذَلِكَ وَلَا مَرْتَابَ بِهِ ، فَإِنَا كُنَّا مِنْ صَفَاءِ الْخُلَّةِ^(١) عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَخُو
مَوَدَّةً ، نَغِيبُ إِذَا غِيبْنَا عَلَى إِخْلَاصٍ وَمِيقَةٍ ، وَنَحْضُرُ إِذَا حَضَرْنَا ، عَلَى بَرٍّ وَصِلَةٍ ،
وَنَتَقَارِضُ الْمَحَبَّةَ قَرُوضًا مَجْزِيَّةً ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَشَكَرَ لَهُ مَا كُنْتُ أُعْتَدُّ بِهِ مِنْهُ ،
وَلَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَزْدَادُ حُبًّا إِلَيَّ بِمَكَانِهِ ، وَتُضَافُ حَسَنًا فِي عَيْنِي بِحَيَاتِهِ ، وَلَقَدْ أَحْدَثْتُ
لِي مِيتَتَهُ زُهْدًا فِي الْحَيَاةِ ، وَقَصْدًا فِي الشُّحِّ عَلَيْهَا ، وَذَمًّا لِلدُّنْيَا ، وَاسْتِقْبَاحًا لِمُؤَرِّهَا ،
وَلَكِنِ مَا الْحِيلَةُ ، جُعِلَتْ فِدَاؤُكَ ! ؟ وَمِنْ الظُّلَامَةِ ! ؟ وَمَا نَصْنَعُ بِهَذِهِ الْفَرَارَةِ ، الَّتِي
سِيرَتِهَا - مِنْذُ كَانَتْ - سِيرَةٌ وَاحِدَةٌ ، وَأَحْكَامُهَا فِي كَدْرِ الصَّفَاءِ ، وَتَنْغِيصِ السَّرُورِ ،
أَحْكَامُ رَاتِبَةٍ^(٢) ؟ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ، وَالْمَشْتَكِي إِلَيْهِ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، لَا نَقْصَ
لَكَ عَدْدًا ، وَلَا أَرَاكَ فِي شَيْءٍ مِنْ نِعْمِهِ عَفْوَكَ فَجَعًا وَلَا تَبْدِيلًا .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٢)

٣١ - كتابه إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وله إلى محمد بن عبد الله بن طاهر ، يعزّيه :

« أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ مَسْرُورًا غَيْرَ مَحْزُونٍ ، وَمُعْطَى غَيْرَ مَسْلُوبٍ ، وَوَقْفَهُ
فِي أَحْوَالِهِ كُلِّهَا بِمَا يَسْتَدِيمُ بِهِ النِّعَمَ ، وَيَسْتَحِقُّ بِهِ الْمَثُوبَةَ .

(٢) راتبة : أى ثابتة لا تتغير .

(١) الخلة : الصداقة المختصة لا لخلل فيها .

أَفْظَعَنِي^(١) ما رأيت في الأمير - أعزّه الله - من أثر هذه الرزية ، التي تكاد أن تكون أشبه بالنعم ، منها بالرزايا لِمَا وَفَّرَ اللهُ لِلْأَمِيرِ - إن شاء الله - من ثوابها له ، وحاطه من بعدها في نفسه ، فإن حياة الأمير - أعزّه الله - حياة لأهله وذوي نائله ، بهد الذي جعل الله للدين والخلافة والعز بسلامته ، وللأمة من جمال مكانه وموضعه ، خوفه الله لأمر المؤمنين ، ولا نقصه ، وتولاه بحسن المدافعة عنه ، والحياطة له ، ولا أراه سوءا في نفس ، ولا حميم بقدرته ، وأعاز الأمير من المكاره ، وأعازنا فيه منها ، إنه ولي قدير .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٦)

٣٢ - جواب تعزية له

ولحسن بن وهب جواب تعزية عن ابنه ، إلى الطائي^(٢) الشاعر :

« أَمَقَعَنِي اللهُ بِمَا وَفَّرَ عَلَيَّ مِنْ مَوَافَقَتِكَ ، وَبَلُوغِ الْوَطْرِ كُلِّ الْوَطْرِ مِنْ اسْتِمَامِ الْيَدِ عَلَيْكَ ، وَإِحَاطَةِ الْوَالِدِ لَكَ ، زَادَ اللهُ فِي النِّعْمَةِ عِنْدَكَ بِطَوْلِ حَيَاتِكَ ، وَتَرَاقِي أَيَامِكَ ، وَغَفَلَةِ الدَّهْرِ عَنكَ وَعَنْ حَظِي مِنْكَ .

كتابي ، بأبي أنت وأمي ، وطاري في وتيلادي ، وكتابك في يدي ، وفلان عندي ، ونحن نصعد ونصوب في الشعر العجيب ، الذي أنفذته في درجه^(٣) ، وبيننا من ذكرك أطيب من روائح الرياض غيب القطر ، والحال سارة ، والعافية شاملة بحمد الله على النعمة ، ونسأله أحسن النماء والزيادة ، وذكرت مشاركتك^(٤) إياي في المصيبة ، وما كان أحوالي - حين طرقت بها الأيام - إلى أن تكون حاضرا ، فتؤيد ضعفا ،

(١) أفظعه : وجده فظيما ، أي شق عليه وأحزنه .

(٢) المفهوم منه أنه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، الشاعر العباسي المعروف .

(٣) في درجه : أي في طيه . (٤) في الأصل « مشاورتك » وهو تحريف .

وتعمّ سداداً ، فإنها^(١) كانت حالاً وافَتْ غَرِيْرًا بها ، شديدَ الغفلة عنها ، حتى كأنى كنت لا أحسب الأيام على هذه الخليفة ، ولا الدهر على هذه العادة ، فسبحان الله لهذا السهو الطويل ، والتفريط الذى لا يُشْبِهُ السَّفِيْهَ ، فضلاً عن محب أن يقال عاقل حلیم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، لا انفكَّتْ أقدارُ السوء تَسْقُطُ دونك ، والرّدى يُخِطُّك ، وكِلاهُ اللهُ تُحِيطُ بِكَ .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٥)

٣٣ - تعزية له

وله تعزية :

« جَبَلَك اللهُ على التسليم لأمره ، والرضا بقضائه ، وصبرك على مواقع أقداره ، واحتمالِ الحقوق لنعمته ، إن الله عز وجل جعل النعم سبيلاً لاخْتِبارِ الشكر ، والمحن سبيلاً ابتلاء الصبر ؛ وأحقُّ الناس بالشكر على النعمة ، والصبر عند المحنة ، مَنْ قَرَنَ اللهُ له بين الحالين ، فلم يُخْلِهِ من النعمة التى حقها الشكر ، ولا من المحنة التى حقها الصبر ، وهى حالك التى أصبحت عايبها بحمد الله ، إلى الأحوال المنتظرة لك بعدها ، المرجوة زيادةً اللهُ إياك فى أحسنها .

وكانت الحادثة فى أبى فلان وما آثره من طاعة مَنْ مضى من خلفائه ، وطاعة أمير المؤمنين ، الرزية المرجوة المنتظر يومها ، صنَع اللهُ بك وفيك فى غدها ، وحلّت من أمير المؤمنين ومن أوليائه وعوام رعيته محلّها ، ثم كنت من أمير المؤمنين بموضع الرجاء لسدّ ثلمها ، ولمّ شعّتها ، حتى تَعَفَوْا بإذن الله آثارُ كُلوْمِها^(٣) ، ويعود الصلاح فى جميعها إلى أجهل ماجرت به عادةُ اللهُ فيها ولها ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ،

(١) فى الأصل « وتعم سداداً » والمعنى : وتعمنا بالسداد فترشدنا إلى وجوب التمسك بالصبر والتسكيب عن الجزع ، وربما كان الأصل « وتعلم سداداً » أو « وتضم شراداً » .

(٢) فى الأصل « فأما » وهو تحريف .

(٣) عفا الأثر . درس واعى ، والكلام جمع كالم بالفتح : وهو الجرح .

قبولا من الله تبارك وتعالى لقوله ، وانتهاءً إلى أمره ، ووليك الله في هذه المصيبة بأعظم الأجر ، وأجزل الذخر ، وألمك الله في النعم أحسن ما ألهمه محتملاً لنعمة ، أو قائماً بحق ، ومربك من بعد من كفا نضين ببقائه ، ونشبح على حياته ، ونعتد بنعمة الله فيه ، نصر الله وجهه ، ونسأل الله أن يهب له جزاء الآخرة ، وشريف منازلها ، ومرافقة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل ما نقله عنه من حظوظ الدنيا التي قد كان نشأ فيها ، وتقلب في أعلى مراتبها ، وأثابه الله أجلاً ما أثاب شاكراً لأنعمه ، مؤدياً لما يستحق به من طاعته ، وهنأك الله ما أعطاك من رأى خليفته ، ووفئك لاستقبال ما استدعى به مرضاته ، والزلمة لديه ، بقدرته .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٥)

٣٤ - كتابه إلى إسحق بن إبراهيم

وكتب الحسن بن وهب ، إلى إسحق بن إبراهيم يعزبه ، عن يحيى بن خاقان :
« صرف الله المكارة كلها عن الأمير ، وأبعدها عن جنابه ومقر داره ، ولا فجعه بولى يؤيد عزه ، وينهى^(١) بفضائله ، ويقدم بزنده ، ويحطب في حبله ، ويرادى من راداه^(٢) وعند^(٣) عن طاعته ، كان يحيى بن خاقان أحد الشيوخ ، أو شيخ الشيوخ العارفين بفضائل الأمير ، الحافظين لما أثر أسلافه ، فلا أعلمني رأيت في دار الأمير رجلاً أضنى من جانبه ، ولا أظهر من محبته ، ولا غائباً كان يغيب عنها بأنقى من غيبه ، ومسيرته ، ولا أنصح من جيبه وفيتته ، وكان لي مع ذلك أباً بعد أبي ، وكافلاً بعد من كان يكفئني ، وكانت عنايته باغتني ، حتى خلطني بإخوته وأقاربه .

(١) أنهى الشيء : أبلغه .

(٢) رادى عن القوم . رمى عنهم بالحجارة .

(٣) عند عن الطريق كنصر وسم وكرم : مال .

وأتاني خبر مُصابه ، فَوَحَقَّ الأمير الذي أعظمه ، لقد هدّني ، وبلغَ مساءتي
وكرهى ، وتذكرتُ ما يتعطلُّ على الأمير من عمارة الأُنس به ، والإفضاء إليه ،
والاستراحة إلى خلوته ، فاستوحشتُ لذلك ، وإن كنت أرجو أن يُؤنس الله الأميرَ
من سلامته ، بما يسدُّ كلَّ خللٍ وثُلْمَةٍ ، وَيَدْمُلُ^(١) كلَّ كَلِمٍ ورزِيَّةٍ ، فعظمَ الله
أجر الأمير ، وتظاهرتُ عنده مِننُ الله وطَوْلُه وقدرتُه على ما يشاء في عباده .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٧)

٣٥ - كتابه إلى عبد الرحمن بن خاقان

وله تعزية إلى عبد الرحمن بن خاقان :

« حَرَسَكَ اللهُ مِنَ الْمَكَارِهِ وَالغَيْرِ ، مُؤَيِّدًا بِالتَّوْفِيقِ وَالْعَصْمَةِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ،
إِنَّ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكَ فِيمَا عَصَمَ مِنْ دِينِكَ وَنَفْسِكَ ، وَأَهْمَكَ حِظَّكَ وَرُشْدَكَ فِي السَّمِيِّ
لِمَعَادِكَ ، وَالتَّمَامِ الْقُرْبَةَ إِلَى رَبِّكَ ، النِّعْمَةُ الْجَلِيلَةُ الَّتِي تَضَعُ أَكْثَرَ الْمُتَوَنِّعِ عَنِ التَّمَسِّ
تَذَكِيرَكَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ ، وَوَعَظَكَ بِمَا يَلْزِمُكَ مِنْ تَلَقَّى نِعَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشُكْرِهَا ،
وَمُحْنَتِهِ بِالتَّسْلِيمِ لَهَا وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا .

وقد وافانا من خبر الحادثة فيمن أكرم الله مَبْوَاهَ وَمُنْفَقَلَبِهِ ، مَا جَلَّ حَتَّى اسْتَفْرَغَ
الْجَمِيعَ ، وَعَمَّ حَتَّى كَادَ بِسَوِيٍّ بَيْنَ الْأَقْرَبِ وَالْأَبْعَدِ ، فإلى الله نشكو ذلك ، كما نرغب
إليه تبارك وتعالى في التجاوز عنه والرحمة له ، وأن يوفقك وإيانا من الصبر على
رزيقته ما يؤمننا من حُبُوطِ الْأَجْرِ ، وَيُكْمِلُ لَنَا وَلَكَ جَزِيلَ الذُّخْرِ »^(٢)

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٧)

(١) دمل الجرح كفرح واندمل : برى والتحم وتماثل ، ودمله الدواء كمنصره : أبرأه ،
والكلم : الجرح .
(٢) في الأصل « الأجر » وأرى أنه سهو من الناسخ ، إذ تقدمت هذه الكلمة في الفقرة السابقة

٣٦ - كتاب تعزية له

وله تعزية أيضاً :

« قد نفذ كتابي إليك في التعزية عن السيد الذي لا نُفجَعُ بمثله ، ولا نُؤمَلُ عِوَضاً منه ، إلا باتصال أيامك ، وجميل حياطة الله إياك ، بما أرجو أن يكون قد وصل والحمد لله ، وإليه أوجّه الرغبة في إلهامك الصبر ، وحسن المعاونة لك على قضاء الحق عليك ، وقضاء الحق لك ، وما أعتدُّ به من مودتك ، التي تقتصر على ما دونها الثقة ، وتستحيكُم بأقلِّ منها الأسبابُ والمقَّةُ » .

(اختيار المنظوم والمشور ١٣ : ٣١٧)

٣٧ - كتاب له في الشكر

وكتب الحسن بن وهب في الشكر :

« مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا ، أَوْ ثُرُوهُ أَقْدَرْتَهُ عَلَيْهَا ، فَإِنْ شَكَرَى لَكَ عَلَى مُهِجَةٍ أَحْيَيْتَهَا ، وَحُشَّاشَةٍ^(١) أَبْقَيْتَهَا ، وَرَمَقٍ أَمْسَكَتَ بِهِ ، وَقَمَتَ بَيْنَ التَّلَفِّ وَبَيْنَهُ ، فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ نِعَمِ الدُّنْيَا حَدٌّ يَنْتَهِي إِلَيْهِ ، وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ ، وَغَايَةٌ مِنْ الشُّكْرِ يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّارِفُ ، خَلَا هَذِهِ النِّعْمَةُ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الوَصْفَ ، وَطَالَتِ الشُّكْرَ ، وَتَجَاوَزَتْ قَدْرَهُ ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ ، رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ العَدُوِّ ، وَأَرغَمْتَ أَنْفَ الحَسُودِ ، فَنَحْنُ نَلْجَأُ مِنْكَ فِيهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَنْفِ كَرِيمٍ ، فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ ، وَأَنْى يَبْلُغُ جُهْدَ المَجْتَهِدِ ؟ » .

(العقد الفريد ٢ : ١٩٥)

(١) الحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح .

٣٨ - كتاب في الشكر

قال ابن طيفور :

ومن مختار ما كتب به من باب الشكر :

« أما بعد ، فما أعجزَ تعدادي عما أتعرفُ منك وأتعرفُهُ بك دانياً ونائياً ،
هو ما أدري ما ابتدأتني به من معروفك ، أرهنُ لشكري ؟ أم ما ثنيتَ به من برك ،
لبدئك بعنايتك على نأيك ؟ أم ما ألبستني جماله ، على لسانك ، بإطرائك وثنائك ؟
أم ما عقدهتَه لي عند غيرك بتلطُّفك وتأتيتك (١) ؟ غير أني أعلم أنك لم تقصِّر في استحقاق
شكر عليّ ، وأرجو ألا أكون مقصراً في معرفة ذلك منك ، ومن لم يقصِّر علمه
ولم يؤنَّ (٢) في شكره إلا من عظم المعروفِ عنده مع جهده ، فقد دخل بالعلم والجهد
في الشاكرين ، غير أن الذي آنسنتني به من رِفدك (٣) وتوطيدك ، قد زادني وحشةً
إليك ، وإنَّ حفظَ مَنْ حَفِظَني فيك - وإن لم يكن مقصراً - قد جدَّد لي المعرفة بوثارة (٤)
مكاني عندك ، ولقد بلغتُ أن أصلحت لي الأمورَ والرجال ، وأصلحتني إلى صلاح
لنفسك ، فليس كتابي هذا باستبطاء لأحد حتى يستبطئه ، ولا لشكري حتى يكون
البدء منك ، ولكن رَوَّحتُ عن نفسي بذكرك ، وزبنتُها بشكرك ، وزكيتها

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٨)

بالإقرار بفضلك .

(١) تأنى للامر : ترفق وأناه من وجهه .
(٢) أنيت وأنيت وتأنيت واستأنيت : تأخرت وأبطأت ، وفي الأصل « ولم يؤن » والأول
عندي أول .
(٣) الرfid : العطاء والصلة ، والتوطيد : التثبيت ، ووطد له منزلة : مهدها .
(٤) من وثر الشيء ككرم : إذا لان وسهل .

۳۹ - كتاب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس

وكتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس :
« وصل كتابك ، فما رأيت كتاباً أسهلَ فنُوناً ، ولا أملسَ مُتُوناً ، ولا أكثرَ
عِيُوناً ، ولا أحسنَ مَقَاطِعَ ومَطَالِعَ منه ، أنجزتَ فيه عِدَّةَ الرأى ، وبُشْرَى
الفِرَاسَةِ ، وعاد الظنُّ يقيناً ، والأمل مبلوغاً ، والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحاتُ » .
(العقد الفريد ۲ : ۱۹۶)

۴۰ - كتابه إلى أبي تمام الطائي

وكتب الحسن بن وهب إلى أبي تمام الطائي :
« أنت - حَفِظَكَ اللهُ - تحتذى من البيان فى النِّظام ، مثل ما يُقصدُ بحرُّ فى الدرر
من الأفهام ، والفضل لك - أعزَّكَ اللهُ - إذ كنت تاتى به فى غاية الاقتدار ،
على غاية الاقتصار ، فى منظوم الأشعار ، فتحلُّ متعقده ، وتربط متشرده ، وتنظِّم
أشطاره ، وتجلو أنواره ، وتفصله فى حدوده ، وتخرجه فى قيوده ، ثم لا تاتى به مهما
اقتبسته مُشترَكاً فيلبس ، ولا متعقداً فيطول ، ولا متكلفاً فيجول ، فهو كالمعجزة ، تُضرب
فيها الأمثال ، ويُشرح فيها المقال ، فلا أعدمنا الله هدايك واردة ، وفرائدك وافدة » .
(زهر الآداب ۳ : ۱۵۴)

۴۱ - كتاب له

« لَا تَرْضَ لى بيسر النظر ، فإنى لم أرض لك بيسر الشكر ، وضع عنى مؤونة
التقاضى ، ما وضعتُ عنك مؤونة الإلحاح ، وأحضر قلبى من ذكرك ما هو أكنفى
من قومدى بصدر عينك ، فإنى أحقُّ من فعلتَ ذلك به ، كما أنك أحقُّ من فعله بى ،
وحقق الظنَّ ، فليس وراءك مذهبٌ ، ولا عنك مقصّرٌ » .

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۸۱۳)

(۳ - جورة رسالى العرب - رابع)

۴۲ - کتاب میمون بن ابراهیم إلى الحسن بن وهب

وكتب میمون^(۱) بن ابراهیم إلى الحسن بن وهب يعزیه عن أمه :

« خُطِرْتُ الأیامَ مقضیَّةً علی هذا الخلق ، ولو كانت مدفوعةً عن أحد ، لكثرة من یقیه من إخوانه ، ویفدیه منهم الأخصُّ فالأخصُّ من عزیزاته وخلائه ، سلیمت منها وعربت من ملهها ، وكان سبقتی إلى ذلك أبرز سبق ، وحظتی فی التقدّم فیهِ أوفر حظاً ، ومصیبتك - أكرمك الله - بالوالدة لی مصیبةٌ ، وما نالك من ذلك لِقابی مُوجِع . ولو كان فی طاقتی أن أعلم كنه ما خامر قلبك من ألم ذلك ، لحملت مثله علی نفسی ، وإنی أحب أن أكون أسوتك فی كل سارٍّ وغامٍّ ، ولا أتمتع بأیام غمومك ، ولا أقصر فیها عن مقدار حالک ، فعظم الله أجرك ، وجبرَّ مُصابك ، وضاعف ثوابك ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، والحمد لله الذی لا یُحمد علی المكروه غیره . ثم الحمد لله الذی جعلك مكتملاً بنفسك فی مواطن حقوق الله علیك ، والرجع فی اقتصاری علی الكتاب - إذ كان دون الذی یبغی فیما یلزمه ، وإن كنت قد سلكت نفسی أوّل من لقیك معزياً ومواسياً - إلى عینك بالحال فی ذلك ، وإن كنت أثق بأبی ممن لا یحتاج إلى اعتذار عندك ، فإن رأیت أن تدخل إلیّ الروح^(۲) بكتابك وخبرك فی نفسك ، وما رزقك الله من حسن التعزّی عند مصیبتك ، لأحمد الله علی النعمة عندی فیما ألهمك من التوفیق والعصمة فعلت ، والتعزیه - جعلت فداءك - تجدد اللوحة للمحزون ، وقد توقیت ذلك فی أبی ایوب^(۳) إشفاقاً علیه ، فجعل الله لكل عبّرةً أفضتها ، وجرةً تجرعتها فی هذه المصیبة ، حججاً لكما من كل سوء ، ووقایةً لكما من كل محذور . »

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۷)

(۱) كان إليه خاص المكاتبات فی أيام التوكل ، وكان بليغا فصيحاً متوسلاً . . . انظر

الهمرست ص ۱۸۰ .

(۲) الروح : الراحة . . . (۳) یعنی سایلان بن وهب .

٤٣ - كتاب الحسين بن الحسن بن سهل
إلى صديق له

وكتب الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له :
« نحن في مادُبَةٍ لنا ، تُشْرِفُ على رَوْضَةٍ ، تُضاحِكُ الشمسَ حُسْنًا ، قد باتت
السماءُ تَعْلُمُهَا^(١) ، فهي شَرِيقَةٌ بِمائها ، حَالِيَةٌ بِفُؤارِها ، فرأُيكَ فينا ، إنْ كُونا على
سِواءٍ من استمقاعِ بعضِنا ببعضِ » .

٤٤ - رد صديقه عليه

فكتب إليه :
« هذه صفةٌ لو كانت في أقاصي الأرض لو جَبَّ انتجاعُها ، وَحَثَّ المَطِيُّ في ابتغائها ،
فكيف في موضعٍ أنت تسكنُهُ ، وَيَجْمَعُ إلى أنيقِ منظره حُسْنٌ وجهِك ، وطيبَ
شمايِكَ ! وأنا الجواب » .
(العقد الفريد ٢ : ١٩٢)

٤٥ - كتاب عبد الرحمن بن أحمد الحراني
إلى محمد بن سهل

وكتب عبد الرحمن بن أحمد الحراني إلى محمد بن سهل :
« أعزك الله ، إن كل مجازاةٍ قاصِرةٌ عن حقِّ السابقِ إلى افتتاحِ الودِّ ، وقد علمتَ
أنى استقبلتك من الإقبالِ عليك بما لم تستدْهِهِ ، واعتمدتُك من الرغبةِ فيك بما لم تُؤلِّهِ »
(العقد الفريد ٢ : ١٩٢)

(١) عله كضرب ونصر وأعله : سقاه مرة بعد مرة .

٤٦ - كتاب ابن الزيات بالعهد للوائح على مكة

وكتب محمد بن عبد الملك الزيات عهد الوائح على مكة بِحَضْرَةِ الْمُعْتَصِمِ :
« أما بعدُ : فإن أمير المؤمنين قلدك مكة وَزَمَزَمَ ، تُرَاثَ أَبِيكَ الْأَقْدَمِ ،
وَجَدَّكَ الْأَكْرَمِ ، وَرَكَضَةَ جَبْرِيلَ ، وَسُقْيَا إِسْمَاعِيلَ ، وَحَفْرَةَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَسِقَايَةَ
العباس^(١) ، فعليك بتقوى الله تعالى ، والتوسعة على أهل بيته . »
(زهر الآداب ٣ : ٣٥٩)

٤٧ - كتاب إبراهيم بن العباس إلى الوائح

ولما تُوِّفِيَ الْمُعْتَصِمُ ، وَوَلِيَ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ ابْنُهُ الْوَائِقُ ، كَتَبَ إِلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ^(٢)
ابن العباس الصُّوْلِيَّ يَعْزِيهِ بِأَبِيهِ وَيَهْنِئُهُ بِالْخِلَافَةِ :
« إن أحقَّ الناس بالشكر بالله - من جاء به عن الله ، وأولاهم بالصبر من كان سلفه
رسولُ الله ، وأميرُ المؤمنين - أعزه الله - وآبأوه - نصرهم الله - أولو الكتاب الناطق
عن الله بالشكر ، وعِثْرَةُ رَسُولِهِ الْمُخْصُوصُونَ بالصبر ، وفي كتاب الله أعظمُ الشفاء ،
وفي رسوله أحسنُ العزاء : »

(١) زمزم : بئر بمكة ، ويعني بأبيه : إسماعيل ، وبجده : إبراهيم ، عليهما السلام ، وكانت هاجر
أم إسماعيل أمة لسارة زوج إبراهيم ، فوهبتها لإبراهيم فولدت منه إسماعيل ففارت منها سارة وناشدت
إبراهيم أن يخرجها عنها ، فأخرجها إلى أرض مكة ، وذلك حيث يقول تعالى حكاية عن إبراهيم :
(رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ)
فأنبع الله لهما عين زمزم وذلك حيث يقول ابن الزيات (وركضة جبريل) وأسقامها منها ، ثم طمت تلك
البئر وما زالت مطبومة إلى زمن عبدالمطلب بن هاشم ، فأتاه آت وهو نائم بالحجر فأمره بحفرها ، فحفرها
وأقام سقاية زمزم للحجاج ، وكانت السقاية في الجاهلية بيد ابنه أبي طالب ثم سلمها إلى أخيه العباس
ابن عبدالمطلب .

(٢) هو إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول (ابن عم عمرو بن مسعدة) كان شاعرا مجيدا ،
وكانت بارعا ، وهو وأخوه عبد الله من صنائم ذي الرياستين الفضل بن سهل ، اتصل به فرفع منهما ،
وتنقل إبراهيم في الأعمال الجليلة والدواوين ، فكان ليه ديوان الرسائل في مدة جماعة من الخلفاء العباسيين ،
وكان واليا على الأهواز ، ومات في خلافة المتوكل بسر من رأى ، وهو يتقلد ديوان الضياع والنفقات
سنة ٢٤٣ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٩ والنهرست لابن النديم ص ١٧٦ ومروج الذهب
٣ : ٣٨٢ والأغانى ٩ : ٢٠ ومعجم الأدباء ١ : ١٦٤ .

وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله ، ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله ، ما عفا^(١) على أوله آخره ، وتلافت بدأته عاقبته ، فحق الله في الأولى الصبر ، وفرضه في الأخرى الشكر ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يستنجز ثواب الله بصبره ، ويستدعي زيادته بشكره ، فعل إن شاء الله تعالى وحده .
(معجم الأدباء ١ : ١٨٩)

٤٨ - كتاب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات

وكان إبراهيم بن العباس الصولي صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، فولى محمد الوزارة ، وإبراهيم وال على الأهواز ، فقصدته ووجه إليه بأبي الجهم أحمد بن سيف ، وأمره بكشفه^(٢) ، فتحامل عليه تحاملاً شديداً ، فكتب إبراهيم إلى ابن الزيات يشكو إليه أبا الجهم ويقول : هو كافر لا يبالي ما عمل ، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت :

تركت عبيد بنى طاهرٍ وقد ملئوا الأرض عرَضاً وطولاً
وأقبلت تسعى إلى واحدٍ ضراراً كأن قد قتل الرسولاً
فسوف أدين بترك الصلاةِ وأصطبج الخمر صرقاً شمولاً^(٣)
فكان مند لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجهم ، وإنما إبراهيم قاله ونسبه إليه .

(الأغاني ٩ : ٢٤ ومعجم الأدباء ١ : ١٦٩)

(١) عفا وعني : عفا .

(٢) أي يكشف أمره ومحاسناته على ماله من الأموال .

(٣) اصطبج : شرب الصبوح وهو الشرب بالقدادة ، صرقاً : غير ممزوجة بالماء ، شمولاً : باردة .

۴۹ - کتاب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات

وعزل ابن الزيات إبراهيم بن العباس عن الأهواز واعتقله بها وآذاه - وكان يؤمل منه أن يسامحه ويطلقه لتقديم صحبته له - فكتب إليه :

فلو إذ نبأ دهرٌ وأنكر صاحبٌ وسلط أعداءٌ وغاب نصيرٌ^(۱)

تكون عن الأهواز داري بنجوة! ولكن مقادير جرت وأمر^(۲)

وإني لأرجو بعد هذا محمداً لأفضل ما يرجي أخ وزير

(الأغانى ۹ : ۲۴ ومعجم الأدباء ۱۶۹)

۵۰ - كتابه إلى عمر بن فرج

وكتب إبراهيم بن العباس إلى عمر بن فرج بعد أن عزل عن الأهواز ، وابن الزيات يعذبه بالناحية .

« ولست أعزك الله واحداً من عددٍ تحصلهم وتقدمهم ، فتوسّع على نفسك

في أمرى ، أنا والله واحدك ، بالأسباب التي تجتمع لي فيك وبك ، ولا تجتمع

في غيرى ، من أخ ولا ولي ولا صاحب ، وقد كنت تدخرني أعزك الله لطاعتك

والوفاء لك ، فقد والله فعلت غير ممتنّ بذلك ، وقد كنت أرجو ألا أضامّ

في جيرتك ومعك ، فلا تحذني ، فإني في حالة إن أخليتني فيها من نصرتك ، لم يرجع

عليّ من ذلك مقدار في نعمتي ونفسي ، إلا رجعت عليك أكثر منه في نعمتك ،

وقدرك ، والسلام » . (اختيار النظم والمنثور ۱۳ : ۳۶۵)

(۱) نبأ به الزمان : جفاه .

(۲) النجوة : ما ارتفع من الأرض .

٥١ - كتابه إلى ابن الزيات

وكتب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات يستعطفه :
« كتبتُ إليك وقد بلغتِ المذبةَ المحزَّنة^(١) ، وعدتِ الأيام بك عليّ ، بعد
هدوى بك عليها ، وكان أسوأ حظي ، وأكثر خوفي ، أن تسكن في وقت حركتها ،
وتكف عند أذاها ، فصرت عليّ أضرَّ منها ، وكف الصديق عن نصرتي خوفا منك ،
وبادرَ إلى العدو تقرُّبا إليك . »

وكتب تحت ذلك :

أخُّ بيني وبين الدهر صاحبُ أينا غلبا
صديقي ما استقيم ، فإن نبأ دهرٍ عليّ نبأ
وثبتُ على الزمان به فعاد به وقد وثبا
ولو عاد الزمان لنا كعاد به أخا حدبا^(٢)

(الأغاني ٩ : ٢٦ ومعجم الأدباء ١ : ١٧٠)

٥٢ - كتابه إلى ابن الزيات

قال ابن طيفور :

وكتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك الزيات وهو واقف على بابه ،
وقد حُجب عنه بعد أن عزل عن الأهواز :
« جُعِلتُ فداءك ، بالحين^(٣) وقعتُ ، وإلا فمن كان أهرَّ بحالة رَضِيها في نفسه
وعند إخوانه مني ؟ ومن كان واحدك إذا حصلتَ واحداً ؟ وواحدى إذا خفتُ

(١) ومن أمثالهم « بلغ السكين العظم » يضرب عند بلوغ الشدة منهاها .

(٢) حدبا : أي عطوفا .

(٣) الحين : الهلاك والمحنة أي وقعت على الهلاك وصرت إليه .

مِنَ زَمَانٍ نَبْوَةٌ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ أَمِنْتُكَ لَقَاتُ ، وَلَكِنِّي أَخَافُ مِنْكَ حَالَةَ لَا تَحْتَمِلُهَا لِي ،
وَأَتَوَقَّى مِنْكَ عَتْبًا لَا تُنْصِفُنِي فِيهِ ، وَمَا قُدِّرُ فَقَدْ كَانَ وَيَكُونُ ، وَعَنْ كُلِّ حَادِثَةٍ
أُحَدِّثُهُ ، وَلَا أَقُولُ وَاللَّهِ - أَعَزُّكَ اللَّهُ - إِنِّي غَلِطْتُ عَلَى نَفْسِي ، فَتَبَدَّلْتُ بِحَالَةٍ كُنْتُ
مَبْغُوطًا فِيهَا ، حَالَةَ أَنَا فِي مَكْرُوهِهَا ، بَلْ أَقُولُ : إِنِّي قَهَرْتُ ، فَلَمَّا فَرِغْتُ إِلَى نَاصِرِي
الَّذِي كُنْتُ أُعِدُّ (١) ، وَجَدْتُ مَنْ قَهَرَنِي أَقْلَ نِيَّةٍ فِي ظَلَمِي ، مِمَّنْ اسْتَنْصَرْتُ فِي
نُصْرَتِي ، وَتَسَبَّبَتْ لِمَقَادِيرِ أَسْبَابِهَا ، وَتَجَمَّتْ عَمَّا تَجَمَّتْ عَنْهُ فِي أَمْرِي (٢) ، وَأُحْمَدُ اللَّهَ
وَأَشْكُرُهُ (٣) .

وكتب في آخره :

وكنْتَ أخی بإخاء الزمان فلما نبأ صرتَ حرباً عواناً
وكنْتُ أذمُّ إلیک الزمان فأصبحتُ منك أذم الزمانا
وكنْتُ أُعِدُّك للنائباتِ فهأنَا أُطَلَّبُ منك الأمانا

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٦٥ والأغاني ٩ : ٢٧ ، ومعجم الأدباء ٩ : ٣٧١)
ووفيات الأعيان ١ : ١٠)

٥٣ - كتابه إلى ابن الزيات

وجما كتب إلى ابن الزيات :

« مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ مِثْلَ أَخِي لِي كَانَ عَوْنِي عَلَى الزَّمَانِ وَخَلِي
رُفِعَتْ حَالُهُ فَمَحَاوَلَ حَطِّي وَأَبَى أَنْ يَمِيزَ إِلَّا بَدِّلِي »

(١) أحمَد : أي اتَّخَذَهُ عِدَّةً (٢) في الأصل « وتجمت عما تجلت عنه أمرى » .
(٣) وصورة هذا الكتاب في الأغاني ومعجم الأدباء « أما والله لو أمنت ودك لقلت ، ولكنني أخاف
منك عتبا لا تنصفني فيه ، وأخشى من نفسي لأئمة لا تحتملها لي ، وما قد قدر فهو كائن ، وعن كل حادثة
أحدوتة ، وما استبدلت بحالة كنت فيها مغتبطا ، حالة أنا في مكروهاها وألمها أشد على من أني فرغت
إلى ناصري عند ظلم لحقي ، فوجدت من يظلمني أخف نية في ظلمي منه ، وأحمد الله كثيرا » ثم كتب
في أسفله : الأبيات . . . ولم يرد منه في وفيات الأعيان إلا الأبيات غيب .

وكتب إليه يستعطفه :

فَهَبْنِي مَسِينًا مِثْلَ مَا قَلْتَ ظَالِمًا فَعْفُوا جَمِيلًا كَيْ يَكُونَ لَكَ الْفَضْلُ
فَإِنْ لَمْ أَكُنْ لَعَفُو مَنْكَ - لَسَوْءٍ مَا جَنَيْتُ بِهِ - أَهْلًا فَأَنْتَ لَهُ أَهْلٌ

(معجم الأدباء ١ : ١٨٥)

* * *

وأقام ابن الزيات على الإساءة إليه ، حتى بلغ منه كل مكروه ، ثم وقف الواثق على تحامله عليه ، فرفع يده عنه ، وأمر أن يقبل منه ما رفعه ، وردده إلى الحضرة مصونا ، فبسط لسانه في ابن الزيات وهجاه هجاء كثيرا .

(الأغاني ٩ : ٢٧)

٥٤ - كتاب ابن الزيات عن الخليفة إلى أحد عماله

وكتب عن الخليفة إلى أحد العمال :

« أما بعد ، فقد انتهى إلى أمير المؤمنين (كذا) فأنكره ، ولا تخلو من إحدى منزلتين ، ليس في واحدة منهما عذرٌ يوجب حُجَّةً ، ولا يُزيل لأئمة^(١) : إما تقصيرٌ في عمالك دعائك للإخلال بالحزم ، والتفريط في الواجب ، وإما مظاهر^(٢) لأهل الفساد ، ومُداهنة لأهل الرِّيب ، وأية هاتين كانت منك ، مُحِلَّةُ النُّكْرِ بك ، ومُوجِبَةُ العقوبة عليك ، لولا ما يلقاك به أمير المؤمنين من الأناة والنظرة^(٣) ، والأخذ بالحجة ، والتقدم في الإعذار والإنذار ، وعلى حسب ما أقلت من عظيم العثرة ، يجب اجتهادك في تَلَا في التقصير والإضاعة ، والسلام . »

(العقد الفريد ٢ : ١٩٨)

(١) اللأئمة : اللوم . (٢) ظاهره : عاونه .

(٣) الأناة : الحلم ، والنظرة : التأخير .

٥٥ - فصول لابن الزيات

وكتب ابن الزيات :

« إن حقّ الأولياء على السلطان تنفيذ أمورهم ، وتقويم أودهم ، ورياضة أخلاقهم ،
وأن يميّز بينهم : فيقدّم مُحْسِنِهِمْ ، ويؤخر مُسِيئَتِهِمْ ، ليزداد هؤلاء في إحسانهم ،
ويزدجر هؤلاء عن إساءتهم » .

وفصل له :

« إن من أعظم الحقّ حقّ الدين ، وأوجب الحُرْمَةِ حُرْمَةَ المسلمين ، فحقيق لمن
راعى ذلك الحقّ ، وحفظ تلك الحرمة ، أن يُراعى له ، حَسَبَ مراعاه الله ، ويحفظ له ،
حَسَبَ ما حفظ الله على يديه » .

وفصل له :

« إن الله أوجب لخلفائه على عباده حقّ الطاعة والنصيحة ، ولعبيده على خلفائه
بَسْطَ العدلِ والرأفة ، وإحياء السُّنَنِ الصالحة ، فإذا أدى كلُّ إلى كلِّ حقّه ، كان
ذلك سبباً لتمام المعونة ، واتصال الزيادة ، واتساق الكلمة ، ودوام الألفة » .
(العقد الفريد ٢ : ١٩٨)

٥٦ - كتاب لابن الزيات

وتوسّل رجل إلى رجل به محمد بن عبد الملك الزيات وادّعى قرابته منه ، وبلغ ذلك
محمدًا ، فكتب إلى المتوسّل إليه :

« بلغني أن رجلاً ادّعى قرابتي ، وأورد عليك كتاباً ذكر أنه مني ، وما
أنكر أن ينتفع بي من توسّل بنسبي ، إلا أنه من ادّعى قرابةً ولا قرابةً له ،
كان استعمال الشفاعة في أمره أولى » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٢ : ٢٦٧)

٥٧ - كتاب رجل إلى ابن الزيات

وكتب رجل إلى ابن الزيات :

« إن مما يُطِمِّني في بقاء النعمة عليك ، ويزيدني بصيرةً في العلم بدوامها لديك ، أنك أخذتها بحقها ، واستوجبتها بما فيك من أسبابها ، ومن شأن الأجناس أن تقواصل ، وشأن الأشكال أن تتقاوم^(١) ، والشئ يتغلغل في معدنه ، ويحني إلى عنصره ، فإذا صادف منبته ، ولز^(٢) في مغرسه ، ضرب بعرقه ، وسمق^(٣) بفرعه ، وتمكن الإقامة ، وثبت ثبات الطبيعة . »

(عيون الأخبار ١ : ٩٥)

٥٨ - كتاب الجاحظ إلى محمد بن عبد الملك الزيات

قال الجاحظ^(٤) :

تشاغلت مع الحسن بن وهب أخى سليمان بن وهب بشرب النبيذ أباما ، فطلبني محمد بن عبد الملك لمؤانسته . فأخبر باتصال شغلي مع الحسن بن وهب ، فتنكر لي ، وتلوّن عليّ ، فكتبت إليه رُقعة نسختها :

« أعاذك الله من سوء الغضب ، وعصمك من سرف الهوى ، وصرف ما أعارك

(١) هو من تقاوموا في الحرب أى قام بعضهم لبعض ، والمعنى : تتجاذب ويتصل بعضها ببعض .

(٢) لزه كرده : شده والصقه .

(٣) سقى كنعر : ارتفع وعلا وطال .

(٤) هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، صاحب الرسائل البديعة والتصانيف الممتعة ، وهو أشهر من أن يذكر ، نشأ بالبصرة ، وكان ينتجع بغداد أواخر عصر المأمون ، وفي عصر المعتصم والوائق وبعض عصر المتوكل ، وكان مختصا بابن الزيات ، وتوفى سنة ٢٥٥ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٣٨٨ ونزهة الألبا في طبقات الأدبا ص ٢٥٤ وتاريخ بغداد ١٢ : ٢١٢ والفهرست ص ١٦٩ ومعجم الأدباء ٦ : ٥٦ (طبع مطبعة هندية) وأمالى المرتضى ١ : ١٣٨ ومروج الذهب ٢ : ٢٠٠ و ٤٣٩ وشرح العيون ١٧٠ والنية والأمل ص ٣٩ ، وله أخبار متفرقة في الأغاني ، والفرق بين الفرق ، والانتصار ، والملل والنحل ، وغيرها .

من القوة إلى حُبِّ الإنصاف ، وَرَجَّحَ فِي قَلْبِكَ إِيْثَارَ الْأُنَاةِ^(١) ، فَقَدْ خِنَمْتُ
- أَيْدِكَ اللَّهُ - أَنْ أَكُونَ عِنْدَكَ مِنَ الْمَذُوبِينَ إِلَى نَزَقِ الشُّفَهَاءِ ، وَمُجَانِبَةِ سُبُلِ

الْحِكْمَاءِ ، وَبَعْدُ ، فَقَدْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ :

وَإِنْ أَمْرًا أُمْسَى وَأَصْبَحَ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدٍ^(٢)
وَقَالَ الْآخِرُ^(٣) :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ذَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

فَإِنْ كُنْتَ اجْتَرَأْتَ عَلَيْكَ - أَصْلَحَكَ اللَّهُ - فَلَمْ أُجْتَرِئْ إِلَّا لِأَنَّ دَوَامَ تَعَابِكَ
عَنِّي شَبِيهُهُ بِالْإِهْمَالِ الَّذِي يُورِثُ الْإِغْفَالَ ، وَالْعَفْوُ الْمُتَكَبِّرُ مَعَ يُؤْمِنُ مِنَ الْمَكْفَاةِ^(٤) ،
وَلِذَلِكَ قَالَ عُمَيْدِنَةُ^(٥) بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ لِعِثْمَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ : « عُمَرُ كَانَ خَيْرًا لِي
مِنْكَ : أُرْهِبُنِي فَاتَّقَانِي ، وَأَعْطَانِي فَأَغْنَانِي »^(٦) .

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَهَبُ عِقَابِي - أَيْدِكَ اللَّهُ - لِحُرْمَةِ^(٧) ، فَهَبَّهُ لِأَيْدِيكَ عِنْدِي ،
فَإِنَّ النِّعْمَةَ تَشْفَعُ فِي النِّقْمَةِ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ ذَلِكَ لِذَلِكَ ، فَعُدْ إِلَى حَسَنِ الْعَادَةِ ، وَإِلَّا فَافْعَلْ
ذَلِكَ لِحَسَنِ الْأَحْدُوثةِ ، وَإِلَّا فَاتِّمَّ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ مِنَ الْعَفْوِ ، دُونَ مَا أَنَا أَهْلُهُ مِنَ

(١) الْأُنَاةُ : الْحِلْمُ ، وَالنَزَقُ : الطَّيْشُ .

(٢) وَيُرْوَى هَذَا الْبَيْتَ لِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ - انظُرْ دِيْوَانَ حَسَّانَ ص ١٤٢ - وَفِي دِيْوَانِ الْحَمَّاسَةِ ٢ :

١٤ أَنَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي قُرَيْبٍ .

(٣) ذَكَرَ صَاحِبُ زَهْرِ الْأَدَابِ أَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ حَازِمِ الْبَاهِلِيِّ ، وَفِي الْأَغَانِي (ج ١٣ : ص ١٠) أَنَّهُ

الْعَتَابِيُّ أَوْ الْحَكَمِيُّ بْنُ قَنْبَرٍ ، وَقَبْلَهُ :

مَقَالَةٌ السُّوءِ إِلَى أَهْلِهَا أَسْرَعُ مِنْ مَنْجَدِرِ سَائِلِ

(٤) الْمَكْفَاةُ : الْمَجَازَاةُ .

(٥) هُوَ عُمَيْدِنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُدَيْفَةَ بْنِ بَدْرِ الْفَزَارِيِّ ، أَحَدُ الْمَوْلُوفَةِ فَلَوْبِهِمْ ، أَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَنَائِمِ هَوَازِنَ مِائَةِ بَعِيرٍ - انظُرْ سِيْرَةَ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٣٢١ .

(٦) بَسَطَ الْجَاحِظُ مَعَانِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ بِصُورَةٍ أَوْسَعٍ ، فِي رِسَالَتِهِ « التَّرْبِييعُ وَالتَّدْوِيرُ » وَأُورِدَ

فِيهَا أَكْثَرَ فِقْرَهَا بِالْفِظَاهَا - انظُرْ الْفُصُولَ الْمُخْتَارَةَ مِنْ كِتَابِ الْجَاحِظِ عَلَى هَاشِمِ الْكَامِلِ لِلْمَبْرَدِ ص ٦٠

وَمَا بَعْدَهَا ، وَبِمَجْمُوعَةِ رِسَائِلِ الْجَاحِظِ ، طَبْعُ السَّاسِيِّ ص ١١٢ .

(٧) فِي الْأَصْلِ « لِحُدْمَةِ » وَهُوَ تَحْرِيْفٌ وَصَوَابُهُ « لِحُرْمَةِ » وَالتَّصْوِيبُ عَنِ رِسَالَةِ التَّرْبِييعِ وَالتَّدْوِيرِ

وَفِيهَا « لِحُرْمَتِي » .

استحقاق العتوبة ، فسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَكَ تَعْفُو عَنِ الْمُتَعَمِّدِ ، وَتَتَجَانَى عَنِ عِقَابِ الْمُصِرِّ ،
حَتَّى إِذَا صِرْتَ إِلَى مَنْ هَفْوَتُهُ بِكَرٍّ^(١) ، وَذَنْبُهُ نِسْيَانٌ ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُ الشُّكْرَ
إِلَّا لَكَ ، وَلَا الْإِنْعَامَ إِلَّا مِنْكَ^(٢) ، هَجَمَتْ عَلَيْهِ بِالْعُقُوبَةِ .

واعلم - أيدك الله - أن شينَ غضبك على كزَيْنِ صَفْحِكَ^(٣) عني ، وأن
موتَ ذكري مع انقطاع سببي منك ، كحياة ذكري^(٤) مع اتصال سببي بك ،
واعلم أن لك فِطْنَةً عَلِيمٍ ، وَغَفْلَةً كَرِيمٍ ، وَالسَّلَامَ .

(زهر الآداب ٢ : ١٠٨)

٥٩ - كتاب الجاحظ إلى أحمد بن أبي دواد

وكتب الجاحظ إلى أحمد^(٥) بن أبي دواد يستعطفه :

« ليس عندي - أعزك الله - سببٌ ، ولا أقدر على شَفِيعٍ ، إِلَّا مَا طَبَعَكَ اللَّهُ
عَلَيْهِ مِنَ الْكُرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَالتَّامِيلِ الَّذِي لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ نِتَاجِ حُسْنِ الظَّنِّ ، وَإِثْبَاتِ
النُّضْلِ بِحَالِ الْمَأْمُولِ ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الْعُتْقَاءِ الشَّاكِرِينَ ، فَتَكُونَ خَيْرَ

(١) في الأصل « ذكر » وهو تحريف ، والتصويب عن رسالة الترييع والتدوير أيضا (من
الفصول المختارة) والبكر : أول كل شيء ، وكل فعلة لم يتقدمها مثلها .

(٢) جاء في رسالة الترييع والتدوير بعد ذلك : « ولا العلم إلا من تأديبك ، ولا الأخلاق إلا من
تقويمك ، ولا يقصر في بعض طاعتك إلا لما رأى من احتمالك ، ولا نسي بعض ما يجب لك إلا لما داخله
من تعظيمك ، صرت تتوعد بالصرم » .

(٣) أي في مقدار الأثر ، أي أن الأول شديد جدا كما أن الثاني عظيم جدا ، وفي رسالة الترييع
والتدوير قبل ذلك : « وأن منعك إذا منعت ، في وزن إعطائك إذا أعطيت ، وأن عقابك على حسب
ثوابك ، وأن جزعي من حرمانك ، في وزن سروري بفوائدك » .

(٤) في الأصل « ذكرك » وهو تحريف . وصوابها « ذكري » كما يقتضيه السياق وكما وردت
في رسالة الترييع والتدوير ، وقد كنت صححتها في زهر الآداب قبل أن أقرأها في تلك الرسالة ،
وهذا التشبيه كالتشبيه السابق أيضا .

(٥) من كبار أئمة المعتزلة ، وكان مقربا من الأمون أنيرا عنده ، ولما ولي المعتصم الخلافة جعله
قاضي القضاة وخص به أحمد ، حتى كان لا يفعل فعلا باطنا ولا ظاهرا إلا برأيه ، وحننت حاله عنده
الوائق في خلافته ، ثم قلع في أول خلافة المنوكل ، وتوفي سنة ٢٤٠ هـ - انظر ترجمته في وفيات
الأعيان ١ : ٢٢ .

مُعْتَبٍ^(١)، وأكون أفضل شاكر، ولعل الله أن يجعل هذا الأمر سبباً لهذا الإِنعام، وهذا الإِنعام سبباً للانقطاع إليكم، والكَوْنِ تحت أجنحتكم، فيكون: لا أعظم بركة، ولا أسمى بَقِيَّةً، من ذنب أصبحت فيه، وبمثلك - جُمُاتُ فِدَاك - عاد الذنب وسيلة، والسيدة حسنة، ومثلك من انقلب به الشر خيراً، والغرم غناً.

من عاقب فقد أخذ حظّه، وإنما الأجر في الآخرة، وطيب الذكر في الدنيا، على قدر الاحتمال، وتجرّع المرار، وأرجو الأضيق وأهلك فيما بين كرمك وعقلك، وما أكثر من يعفو عن صغر ذنبه وعظم حقه! وإنما الفضل والثناء: العفو عن عظيم الجرم، ضعيف الحرمة، وإن كان العفو عظيماً مستطرفاً من غيركم، فهو تِلَادٌ فيكم، حتى ربما دعا ذلك كثيراً من الناس إلى مخالفة أمركم، فلا أنتم عن ذلك تَنَكُّون^(٢)، ولا على سائف إحسانكم تَنَدَمُونَ، وما مثلكم إلا كمثل عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يمر بمَلَأٍ من بني إسرائيل إلا أسمعوه شراً وأسمعهم خيراً، فقال له شمعون الصفا: ما رأيتُ كالذيوم أكلوا أسمعوك شراً سمعتمهم خيراً! فقال « كل امرئ يُنفق مما عنده » وليس عندكم إلا الخير، ولا في أوعيتكم إلا الرحمة، « وكل إناء بالذي فيه ينضح » . (شرح العيون ص ١٧٥)

٦ - كتاب له في الاستعطاف

« زَيْنَكَ اللهُ بِالتَّوْحِيدِ، وكفك ما همك في الآخرة والأولى، من عاقب - أبتاك الله تعالى - على الصغيرة عُقُوبَةَ الكَبِيرَةِ، وعلى الهفوة عُقُوبَةَ الإِصْرَارِ، فقد تنأهى في الظلم، ومن لم يفرق بين الأسافل والأعلى، والأداني والأقاصي، فقد قصر، والله لقد كنت أكره سرف الرضا، مخافة أن يؤدي إلى سرف الهوى،

(١) أعتبه: أرضاه.

(٢) نكل عنه: كضرب ونهر وعلم: نكس.

فما ظنك بسرِّف الغيظ وغلبة الغضب ، من طيَّاش ، عجولٍ فحَّاش ، ومعه من
 الخرق بقدر قسطه من التهاب المرَّة^(١) الحمراء ، وأنت رُوحٌ كما أنت جسم ، وكذلك
 جنسك ونوعك ، إلا أن التأثر في الرِّقاق أسرع ، وضدّه في الغلاظ الجفافة أكل ،
 ولذلك اشتدَّ جزعى عليك من سلطان الغيظ وغلبته ، فإذا أردت أن تعرف مقدار
 الذنب إليك ، من مقدار عقابك عليه ، فانظر في علته ، وفي سبب إخراجه إلى معدنه
 الذي منه نجم ، وعُشّه الذي منه درج ، وإلى جهة صاحبه في التسرع والثبات ، وإلى
 حله عند التعريض ، وفطنته عند التوبة ، فكلُّ ذنب كان سببه ضيق صدر من جهة
 القبض^(٢) في المقادير ، أو من طريق الأنفة ، وغلبة طباع الحمية من جهة الجفوة ،
 أو من جهة استحقاقه فيما زين له عمله أنه مقصّر به في حقه ، مؤخر عن رتبته ، أو كان
 مبلغاً عنه مكذوباً عليه ، أو كان ذلك جائزاً فيه غير ممتنع عنه ، فإذا كانت ذنوبه من
 هذا الشكل ، فليس يقف عليها كريم ، ولا ينظر فيها حلیم ، ولست أسميه بكثرة

(١) المرّة والمخلط (بالكسر وجمعه أخلاط) والمزاج (بالكسر أيضاً وجمعه أزجة) : واحد ،
 وهو ماركب عليه البدن من الطبائع الأربع : الدم والمريتين الصفراء والسوداء والبلغم . وجاء في العقد
 الفريد ٣ : ٢٨٧ في باب طباع الإنسان : « زعم علماء الطب أن في الجسد من الطبائع الأربع اثني عشر
 رطلاً ، فلدم منها ستة أرطال ، والمرّة الصفراء والسوداء والبلغم ستة أرطال ... » وفيه أيضاً : « عن
 وهب بن منبه أنه قرأ في التوراة أن الله عز وجل حين خلق آدم ، ركب جسده من أربعة أشياء ثم
 جعلها وراثته في ولده - تنمو في أجسادهم ، وينمون عليها إلى يوم القيامة : رطب ويابس وسخن وبارد ،
 قال وذلك أتى خلقته من تراب وماء وجعلت فيه يبسا ، فبيوسة كل جسد من قبل التراب ، ورطوبته
 من قبل الماء ، وحرارته من قبل النفس ، وبرودته من قبل الروح ، ثم خلقت للجسد بعد هذا الخلق الأول
 أربعة أنواع آخر ، وهي ملاك للجسد وقوامه ، فإذا لا يقوم الجسد إلا بهن ، ولا تقوم واحدة إلا
 بالأخرى : المرّة السوداء ، والمرّة الصفراء ، والدم الرطب الحار ، والبلغم البارد ، ثم أسكنت بعض هذا
 الخلق في بعض ، فجعلت مسكن اليبوسة في المرّة السوداء ، ومسكن الرطوبة في الدم ومسكن البرودة في
 البلغم ، ومسكن الحرارة في المرّة الصفراء ، فأعسا جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الأربع ، وكانت كل
 واحدة فيه وفقاً لا تزيد ولا تنقص ، كملت صحته ، واعتدلت بفتته ، وإن زادت واحدة منهن غلبتهن
 وقهرتهن ومالت بهن ، ودخل على أخواتها السقم من ناحيتها بقدر ما زادت ، وإن كانت ناقصة عنهن
 ملن بها وعلونها ، ودخل عليها السقم من نواحيهن ، لفلتها عنهن ، حتى تضعف عن طاقتهن ، وتعجز
 عن مقاومتهم » اهـ .

(٢) في الأصل « القبض »

معروفه كريما ، حتى يكون عقله غامرا لعلمه ، وعلمه غالبا على طباعه ، كما لا أسميه
بكنف العقاب حكيمًا ، حتى يكون عارفا بمقدار ما أخذ وترك ، ومتى وجدت الذنب
بعد ذلك لا سبب له إلا البغض المحض ، والنفار الغالب ، فلو لم ترض لصاحبه بعقاب
دون قعر جهنم ، لعذرَكَ كثير من العتلاء ، وصرب رأيك عالم من الأشراف ،
والأناة أقرب من الحمد ، وأبعد من الذم ، وأنأى من خوف العجلة ، وقد قال الأول :
« عليك بالأناة ، فإنك على إيقاع ما تتوقعه أقدر منك على رد ما قد أوقعته » وليس
بصارع الغضب أيام شبابه شيء إلا صرعه ، ولا ينازعه قبل انتهائه إلا قهره ، وإنما
يُحتمل له قبل هيججه ، فحتى تمكن واستفحل ، وأذكى ناره وأشعل ، ثم لاقى من
صاحبه قُدرةً ، ومن أعوانه سمعا وطاعةً ، فلو استبطنته بالتوراة ، وأوجرتة^(١)
بالإنجيل ، ولدَدته^(٢) بالزبور ، وأفرغت على رأسه القرآن إفراغا ، وأنته بآدم
شفيعا ، لما قصر دون أقصى قوته ، ولن يسكن غضب العبد إلا ذكره
غضب الرب .

فلا تقن - حفظك الله - بعد مضيئك في عتابي التماسا للعفو عني ، ولا تقصر عن
إفراطك من طريق الرحمة بي ، ولكن قف وقفة من يثم الغضب على عقله ، والشيطان
على دينه ، ويعلم أن للكرم أعداء ، ويمسك إمساك من لا يبرئ نفسه من الهوى ،
ولا يبرئ الهوى من الخطأ ، ولا تُنكر لنفسك أن تزل ، ولِعقلك أن يهفو ، فقد
زل آدم صلى الله عليه وسلم ، وقد خلقه بيده ، ولست أسألك إلا ريثما تسكن نفسك ،
ويرتد إليك ذهنك ، وترى الحلم وما يجلب من السلامة وطيب الأحداث ، والله يعلم
- وكفى به علما - لقد أردت أن أفديك بنفسى في مكاتباتى ، وكنت عند نفسى

(١) وجرته الدواء ، وأوجرتة إياه : جعلته في فيه ، والوجور كصبور : الدواء بوجر

في وسط الفم .

(٢) اللود كصبور ، وككريم : ما يصب بالمعط من الدواء في أحد شقي الفم ، وقد لده

إياه وألده .

في هِدَادِ الْوَتِي ، وفي حَيْرِ الْمَلِكِي ، فرأيتُ أن من الخيانة لك ، ومن اللؤم في
معاملتك ، أن أُنْدِيكَ بنفسي مَيِّتة ، وأن أُرِيكَ أني قد جعلتُ لك أنفسي ذُخْرًا ،
والذخرُ معدومٌ ، وأنا أقول كما قال أخو تَقِيْفٍ « مودةُ الأَخِ التالِدِ وإن أخاق ،
خيرٌ من مودةِ الطارِفِ وإن ظهرتُ مساعِيه ، وراقتُ جِدَّتُهُ » مدامك اللهُ ، وسلم
عليك ، وكان لك ومعك . (سرح العيون ص ١٧٦)

٦١ - كتابه إلى بعض إخوانه في ذم الزمان

وكتب الجاحظ إلى بعض إخوانه في ذم الزمان :

« بسم الله الرحمن الرحيم : حَفِظَكَ اللهُ حِفْظًا مِنْ وَفَقَهُ لِقِنَاعَةٍ ، واستعمله بالطاعة ،
كتبتُ إليك وحالي حالٌ مَنْ كَثُفَتْ غُمُومُهُ ، وأشكَلَتْ عليه أمورُهُ ، واشتبه
عليه حالُ دهره ، ونَحْرَجُ أمره ، وقلَّ عنده مَنْ يَثِيقُ بوفائه ، أو يَحْمَدُ مَغَبَّةَ (١)
إخائه ، لِاستحالةِ زماننا ، وفسادِ أيامنا ، ودَوَلَةِ أُنْدَالنا : وَقَدِّمًا كانَ مَنْ قَدَّمَ الحياءَ
على نفسه ، وحَكَمَ الصِّدْقَ في قوله ، وآثَرَ الحَقَّ في أمورِهِ . ونَبَذَ المُشْتَبِهاتِ عليه
من شئونه ، تَمَّتْ له السلامةُ ، وفازَ بوفورِ حَظِّ العافية ، وحَمِدَ مَغَبَّةَ مَكْرُوهِ العافية ،
فَنَظَرْنَا إِذْ حَالَ عِنْدنا حُكْمُهُ ، وتَحَوَّاتِ دَوْلَتُهُ ، فوجدنا الحياءَ مُتَّصِلًا بِالْحِرْمَانِ ،
والصِّدْقَ آفَةً عَلَى المَالِ ، والقَصْدَ فِي الطَّلِبِ - بِتَرِكِ اسْتِعْمَالِ القِحَّةِ (٢) ، وإِخْلَاقِ
العِرْضِ مِنْ طَرِيقِ التَّوَكُّلِ - دَلِيلًا عَلَى سَخَافَةِ الرَّأْيِ ، إِذْ صَارَتِ الحِظْوَةُ الباسِقَةَ (٣) ،
والنِّعْمَةَ السابِغَةَ ، فِي لُؤْمِ المُشَبَّهَةِ ، وَسِنَاءِ (٤) الرِّزْقِ ، مِنْ جِهَةِ مُحَاشَاةِ الرِّخَاءِ (٥) ،
ومَلابِسةِ مَعْرِةِ العارِ .

(١) المغبة : العاقبة . (٢) القحمة والوقاحة : قلة الحياء .

(٣) الحظوة بالضم والكسر : المسكنة ، والحظ من الرزق ، والباسقة : العالية ، ونعمة سابغة :
أى تامة . (٤) السناء : الرفعة .

(٥) أي من جهة التباعدهن أسباب الرخاء ، وذلك بالعود عن العمل . والإخلاق إلى
الراحة والكل .

ثم نظرنا في تعقب التعقب لقولنا ، والكاشير^(١) لحجتنا ، فأقننا له علماً واضحاً ،
وشاهداً قائماً ، ومَناراً بيّناً ، إذ وجدنا مَنْ فِيهِ السُّفُولِيَّةُ الواضحةُ ، والمَثَابُ^(٢) ،
الفاضحةُ ، والكذبُ المبرِّحُ ، والخلفُ المصْرَحُ ، والجهالةُ المفرِطةُ ، والرَّكَاكَةُ
المستخفَّةُ ، وضعفُ اليقين والاستثبات ، وسرعة الغضب والجرأة قد استكمل سروره
واعتمدت أموره وفاز بالهمم الأغاب^(٣) والحظُّ الأوفر ، والقدر الرفيع ، والجواز
الطامع ، والأمرُ النافذ ، إن زلَّ قيل حَكَمَ ، وإن أخطأ قيل أصاب ، وإن هَدَى
في كلامه وهو يقظانُ قيل رُوِيَا صادقةً ، مِنْ نَسَمَةٍ^(٤) مباركة .

فهذه حججتنا والله على من زعم أن الجهل يَخْفِضُ ، وأن النوك^(٥) يُرْدِي ، وأن
الكذب يضر ، وأن الخلف يزي .

ثم نظرنا في الوفاء والأمانة والنبل والبلاغة وحسن المذهب وكمال المروءة وسعة
الصدر ، وقلة الغضب ، وكرم الطبيعة ، والفائق في سعة علمه ، والحاكم على نفسه ،
والغالب لهواه ، فوجدنا فلان بن فلان ، ثم وجدنا الزمان لم يُنصِفْهُ من حقه ، ولا قام له
بوظائفِ فَرَضِهِ . ووجدنا فضائله القاءة له قاعدةً به ، فهذا دليلُ أن الطلاح^(٦) ،
أجدى من الصلاح ، وأن الفضل قد مضى زمانه ، وعفت آثاره ، وصارت الدائرةُ
عليه ، كما كانت الدائرة على ضده ، ووجدنا العقل يشقى به قريبه ، كما أن الجهل
والخُلق يَحْظَى به خديفه^(٧) ، ووجدنا الشعر ناطقاً على الزمان ، ومُعرباً عن الأيام
حيث يقول :

-
- (١) الكاشير : من كثر له إذا تنمر له ، ورأى صوابه « والكاسر » بالسين .
(٢) المثالب : المايب ، جمع مثلبة بفتح الميم مع فتح اللام وضعها ، والمبرح : الشديد ، والمصرح :
المنجلى الخالص ، من صرحت الحمر تصريحاً : أي انجلى زبدها تخلصت .
(٣) يقال : هضبة غلباء : أي عظيمة مشرفة ، وعزة غلباء كذلك على المثل .
(٤) الذئمة : النفس . (٥) النوك بالضم والفتح : الحق .
(٦) الطلاح : ضد الصلاح .
(٧) الحدين والمدن بالكسر : الصاحب .

تحامق مع الخُمقَى إذا ما لَقِيَتَهُمْ ُ ولا قِيمُ بالجهل ، فِعلَ أَخِي الجهل
وخاَطُ إذا لاقيتَ يوماً مَخَلَطًا ُ يَخَلُطُ في قولٍ صحيحٍ وفي هَزَلٍ
فإني رأيتَ المرءَ يَشَقَى بعقله ُ كما كان قبلَ اليومِ يسعدُ بالعقلِ
فبقيتُ - أبقاك اللهُ - مِثْلَ من أصبحَ على أوفاز^(١) ، ومن النُقْلةِ على جِهازِ
لايَسُوغُ له نعمةٌ ، ولا تَطْعَمُ عينُهُ غَمْضَةً ، في أهْوَيلَ يُباكِره مكر وهُها ، ويُرْاوِحُه
عقائبها . فلو أن الدعاءَ أجيبَ ، والتضرُّعَ سُمِعَ ، لكانتِ العِدَّةُ العظمى^(٢) ،
والرَّجفةُ الكُبرى ، فليت - أي أَخِي - ما أَسْتَبَطِئُه من النَّفْخةِ ، ومن فِجْاةِ الصَّيْحَةِ ،
قُضِيَ فحانَ ، وأُذِنَ به فكانَ ، فواللهِ ما عُدَّتْ أمةٌ برَّجفةٍ ولا رِيحٍ ولا سَخْطَةٍ ،
عذابَ عيني برؤيةِ المَغايِظَةِ المُدْمِنَةِ ، والأخبارِ المُهْلِكةِ ، كأنَّ الزمانَ يوَكِّلُ بعذابي ،
أو يُنصَبُ بأيامِي ، فما عِشُّ من لايسَرُّ بأخِ شَفِيقٍ ، ولا يَصْطَبِحُ في أولِ نهاره
إلا برؤيةِ مَنْ يكرهه ، وبِغُمةٍ مَنْ يَغْمُه طَلْعَتُهُ ، فقد طالَتِ الغُمةُ ، وواظبتِ الكربةُ ،
وادلَّهتِ^(٣) الظُّلَّةُ ، وَخَدَّ السَّرْجُ ، وتباطأَ الانفراجُ .

(العقد الفريد ١ : ١٩٥)

٦٢ - كتاب الجاحظ في استنجاز وعده

وكتب الجاحظ إلى رجل وعده :

« أما بعدُ ، فإن شجرةَ وَعَدِكَ قد أوزقتُ ، فليكن ثمرُها سالماً من جَوائِحِ
المَطلِ ، والسلام . »

(العقد الفريد ١ : ٧٥ ، ٢ : ١٩٩)

(١) يقال : لقيته على أوفاز : أي على عجلة . أو على سفر قد أشخص ، واحدها وفز بالتحريك
والسكون : هو العجلة .

(٢) يعني الموت وموافاة الأجل المحتوم .

(٣) ادلهم الظلام : كنف واسود .

٦٣ - كتاب آخر

وكتب أيضاً :

« أما بعدُ ، فإن سحائب وعدك قد برقت ، فليكن وبلها سالماً من صواعق

المطل والاعتلال » . (العقد الفريد ٢ : ١٩٩)

٦٤ - كتاب آخر

وكتب أيضاً :

« أما بعدُ ، فقد رسفنا^(١) في قيود مواعيدك ، وطال مقامنا في سُجون مطلق ،

فأطلقنا - أبقاك الله - من ضيقها وشديد غمها بنعم ، منك مُشيرةً ، أولاً مُريحةً » .

(العقد الفريد ٢ : ١٩٩)

٦٥ - كتاب له في الاستمناح

وكتب :

« أما بعدُ ، فما أقبح الأخدوثة من مُستمنح حرّمته ، وطالب حاجة ردّته ،

ومثاير حجّبتة ، ومنبسط إليك قبضته ، ومقبّل إليك بعفايته لوّيت عنه ، فتنبّت

في ذلك « وَلَا تُطِيعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ، هَمَّازٍ مَسَاءٍ بِنَمِيمٍ » .

(العقد الفريد ٢ : ١٩٩)

(١) رسف كنصر وضرب : مشى مشى المقيد .

٦٦ - كتابه إلى أبي حاتم السجستاني

وكتب إلى أبي حاتم السجستاني^(١) - وبلغه عنه أنه قال منه - :
« أما بعدُ فلو كَفَفْتَ عَنَّا مِنْ غَرِّبِكَ^(٢) ، لَكُنَّا أَهْلًا لَدَيْكَ مِنْكَ ، وَالسَّلَامُ » .
فلم يعد أبو حاتم إلى ذكره بقيح . (العقد الفريد ٢ : ١٩٩)

٦٧ - كتابه إلى قليب المغربي

وكتب إلى قليب المغربي :
« وَاللَّهِ يَا قُلَيْبُ لَوْلَا أَنْ كَبِدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ ، وَرُوحِي بِكَ مَجْرُوحَةٌ ،
لَسَاجَلْتُكَ^(٣) هَذِهِ الْقَطِيعَةَ ، وَمَادَدْتُكَ حَبْلَ الْمَصَارِمَةِ ، وَأَرْجُو أَنْ اللَّهُ تَعَالَى يُدِيلَ^(٤)
صَبْرِي مِنْ جَفَائِكَ ، فِيرِدَّكَ إِلَى مَوَدَّتِي ، وَأَنْفُ الْقَلِي^(٥) رَاغِمٌ ، فَقَدْ طَالَ الْعَهْدُ
بِالْاجْتِمَاعِ ، حَتَّى كِدْنَا نَتَفَاكَّرُ عِنْدَ الْإِلْتِقَاءِ » .

(شرح العيون ص ١٧٥)

٦٨ - فصول للجاحظ

« أما بعد ، فَإِنْ أَحَقَّ مَنْ أَسْمَفْتَهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَأَجَبْتَهُ إِلَى طَلِبَتِهِ ، مَنْ تَوَسَّلَ
إِلَيْكَ بِالْأَمَلِ ، وَنَزَعَ نَحْوَكُ بِالرَّجَاءِ » .

* * *

(١) من شيوخ أبي العباس المبرد . (٢) الغرب : الهدية .

(٣) ساجله : باراه .

(٤) أداله ألقه من عدوه : نصره عليه .

(٥) القلي : البغض والكرهية . وراغم : ذليل .

« أما بعد ، فإن فلانا أسبابه متصلة بنا ، يلزمنا ذمّاه (١) ، وبلوغ موافقته من أيدبك عندنا ، وأنت لنا موضع الثقة من مكافأته ، فأولنا فيه ما يعرف به موقفنا من حسن رأيك ، ويكون مكافأة لحقه علينا . »

* * *

« أما بعد ، فإن الماضي قبلك الباقي لك ، والباقي بعدك المأجور فيك ، وإنما يؤفّ الصابرون أجرهم بغير حساب . »

* * *

« أما بعد ، فإن في الله العزاء من كل هالك ، وانخلف من كل مُصاب ، وإنه من لم يتعزّ بعزاء الله تنقطع نفسه عن الدنيا حسرة . »

* * *

« أما بعد ، فإن الصبر يعقبه الأجر ، والجزع يعقبه الهلع ، فتمسك بحظك من الصبر ، تفلّ به الذي تطلب ، وتُدرك به الذي تأمل . »

* * *

« أما بعد ، فكفى بكتاب الله واعظا ، ولذوى الألباب زاجرا ، فعليك بالتلاوة ، تنجّ مما أوعد الله أهل المعصية . » (العقد الفريد ٢ : ١٩٩ ، ٢٠٠)

* * *

وله فصول في الاعتذار :

« أما بعد ، فنعيم البديل من الزلّة الاعتذار ، وبئس العوض من التوبة الإصرار . »

* * *

(١) الذمام : الحظ والحرمة .

أما بعد ، فإن أحقَّ مَنْ عطفَتْ عايه بِحِمْلِكَ ، من لم يَتَشَفَّعْ إِلَيْكَ بِغَيْرِكَ .

* * *

أما بعد ، فإنه لا عِوَضَ من إِخْثَانِكَ ، ولا خَافَ من حَسَنِ رَأْيِكَ ، وقد انتَقَمْتَ مِنِّي فِي زَأْتِي بِجَفَائِكَ ، فَأَطْلِقْ أُسِيرَ تَشَوُّقِي إِلَى لِقَائِكَ .

* * *

أما بعد ، فَإِنِّي بِمَعْرِفَتِي بِبُهْغِ حِمْلِكَ ، وَغَايَةِ عَفْوِكَ ، ضَمِنْتُ لِنَفْسِي الْعَفْوَ عَنْ زَلَّتْهَا عِنْدَكَ .

* * *

أما بعد ، فإن من جَحَدَ إِحْسَانِكَ بِسَوْءِ مَقَالَتِهِ فِيكَ ، مَكْذِبٌ نَفْسَهُ بِمَا يَبْدُو ظَلْمًا مِنْهُ .

* * *

أما بعد ، فقد مَسَّنِي مِنَ الْأَلْمِ مَا لَمْ يَشْفِهِ غَيْرُ مَوَاصِلَتِكَ ، مع حَبْسِكَ الْإِعْتِدَارَ عَنْ هَفْوَتِكَ ، وَلَكِنْ ذَنْبِكَ تَغْتَفِرُهُ مَوَدَّتُكَ ، فَاْمُنْ عَلَيْنَا بِصِلَتِكَ ، تَكُنْ بَدَلًا مِنْ مَسَاءَتِكَ ، وَعِوَضًا مِنْ هَفْوَتِكَ .

* * *

أما بعد ، فلا خَيْرَ فِيمَنْ اسْتَفْرَقَتْ مَوْجِدَتُهُ عَلَيْكَ قَدْرَكَ عِنْدَهُ ، وَلَمْ يَتَّسِعْ لِهِنَاكَ الْإِخْوَانَ .

* * *

أما بعد ، فإن أَوْلَى النَّاسِ عِنْدِي بِالصَّفْحِ ، من أسْلَمَهُ إِلَى مِلْكِكَ التَّمَّاسُ رِضَاكَ ، من غير مقدرة منك عليه .

* * *

أما بعد ، فإن كنت ذَمِمْتَنِي عَلَى الْإِسَاءَةِ فَلِمَ رَضِيتَ لِنَفْسِكَ الْمَكْفَاةَ .

(القند الفريد : ٢ : ١٩٩)

٦٩ - رسالة الجاحظ في بني أمية

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أطال الله بقاءك ، وأتمَّ نعمته عليك ، وكرامته لك »
اعلم - أرشدك الله أمرك - أن هذه الأمة قد صارت بعد إسلامها ، والخروج من
جاهليتها ، إلى طبقات مُتفاوتة ، ومنازلٍ مختلفةٍ : فالطبقة الأولى : عَصْرُ النبي صلى الله
عليه وسلم ، وأبي بكر ، وعمر رضي الله عنهما ، وستُّ سنين من خلافة عثمان رضي الله عنه ،
كانوا على التوحيد الصحيح ، والإخلاص المحض ، مع الألفة واجتماع الكلمة على
الكتاب والسنة ، وليس هناك عملٌ قبيح ، ولا بدعةٌ فاحشة ، ولا نزع يدٍ من طاعة ،
ولا حسد ولا غِلٌّ ولا تأوُّلٌ ، حتى كان الذي كان : من قتل عثمان رضي الله عنه ،
وما انتُهِك منه ، ومن خَبَطَهم إياه بالسلاح ، وبعج^(١) بطنه بالحراب ، وفرى
أوداجه بالمشاقص^(٢) ، وشدخ هامة^(٣) بالعمد ، مع كنهه عن البسط ، ونهيه
عن الامتناع ، مع تعريفه لهم قبل ذلك ، من كم وجهه يجوز قتل من^(٤) شهد الشهادة ؟
وصلى القبلة ، وأكل الذبيحة ، ومع ضرب نسائه بحضرتة ، وإفحام الرجال
على حرمتة ، مع انقاء نائلة بنت الفرافصة عنه بيدها ، حتى أطنوا^(٥) إصبعين من
أصابعها ، وقد كشفت عن قناعها ، ورفعت عن ذيلها ، ليكون ذلك رادعاً لهم ،
وكاسيراً من غربهم^(٦) ، مع وطئهم في أضلاعه بعد موته ، وإلقاءهم على المزابلة جسده

(١) بعجه كنهه : شقه .

(٢) فراه كرماء : شقه أيضا ، والأوداج جمع ودج بالتحريك . وهو عرق في العنق . والمشاقص
جمع مشقص كمنبر : وهو النصل الطويل ، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش .

(٣) الهامة : رأس ، وشدخه كنهه : كسره .

(٤) أي المسلم ، أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم في كتابه إلى المنذر بن ساوى « فإن من صلى
صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيعتنا ، فذلك المسلم » - انظر الجزء الأول ص ٤٥ وكان فيما
قاله عثمان في أثناء حصاره : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يجل دم امرئ
مسلم إلا في إحدى ثلاث : رجل كفر بعد إسلامه فيقتل ، أو رجل زنى بعد إحصائه فيرجم : أو رجل
قتل نفساً بغير نفس » ففيم أقتل ؟ - انظر تاريخ الطبري ٥ : ١٢٢ .

(٥) أطنوا : أي قطعوا .
(٦) من غربهم : أي حذتهم .

مجرّدا بعد سحبه ا؟ وهى الخرزة (١) التى جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفتنا لبناته (٢) وأياماه وعقائله ، بعد السب والتعطيش والحصر الشديد ، والمنع من القوت ، مع احتجاجه عليهم وإفحامهم لهم ، ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام كدم المؤمن ، إلا من ارتدّ بعد إسلام ، أو زنى بعد إحصان (٣) أو قتل مؤمنا على عمد ، أو رجل عدّا على الناس بسيفه ، فكان فى امتناعهم منه عظمة (٤) ، ومع اجتماعهم على ألا يُقتل من هذه الأمة مؤلّا ، ولا يُجهز منها على جريح ، ثم مع ذلك كله ذهروا (٥) عليه وعلى أزواجه وحرمه ، وهو جالس فى محرابه ، ومُصحفه يُلوح فى حجره ، لن يرى أن موحدًا يُتدّم على قتل من كان فى مثل صفته وحاله .

لاجرم (٦) لقد احتلبوا به دماً لا تطير رغوته ، ولا تسكن فورته ، ولا يموت ناره ، ولا يكلّ طالبه ، وكيف يضيع الله دمّ وائيه ، والمنتقم له !؟ وما سمعنا بدم بعد دم يحيى (٧) بن زكريا عليهما السلام غلا غليانه ، وقتل سافحه (٨) وأدرك بطائفته ، وبلغ كل محبته ، كدمه ، رحمة الله عليه .

ولقد كان لهم فى أخذه وفى إقامته للناس ، والاقتصاص منه ، وفى بيع ما ظهر من رباعه (٩) وحدثه وسائر أمواله ، وفى حبسه بما بقى عليه ، وفى طمّره (١٠) حتى لا يُحسّ بذكره ، ما يُغنيهم عن قتله إن كان قد ركب كل ما قد فوه به ،

(١) الخرزة : الجوهرة ، وفى الأصل « الجزرة » وهو تحريف .

(٢) تزوج عثمان رقيقة وأم كاثوم ابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأيامى جمع أيام ، وامرأة أيم : لزوج لها بكرا كانت أو ثيبا ، والعقائل جمع عقيلة ، وعقيلة كل شىء أكرمه .

(٣) أحسن الرجل : تزوج . (٤) أى هلاكه .

(٥) الذمر : الحس والتهدد ، ونعله كنصر .

(٦) لاجرم : كلمة كانت فى الأصل بمنزلة لا بد ، ولا محالة ، فجرت على ذلك وكثرت حتى تحولت إلى معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقا ، فلذلك يجاب عنها باللام كما يجاب بها عن القسم .

(٧) مات يحيى مقتولا - انظر تفصيل الخبر فى ذلك فى تاريخ الطبرى ٢ : ١٦ .

(٨) سفح دمه كقطعه : سفكه ، والطائفة : النار .

(٩) الرباع جمع ربع : وهو المنزل . (١٠) الطمر : الحب .

وَادَّعَوْهُ عَاقِبَهُ ، وَهَذَا كَلِمَةٌ بِمَحْضَرَةٍ جِلَّةٌ^(١) الْمُهَاجِرِينَ وَالسَّلَافَ الْمُقَدِّمِينَ ، وَالْأَنْصَارَ
وَالتَّابِعِينَ .

وَلَكِنِ النَّاسَ كَانُوا عَلَى طَبَقَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَمَرَاتِبَ مُتَبَايِنَةٍ ، مِنْ قَاتِلٍ ، وَمَنْ
شَادَّ عَلَى عَضُدِهِ ، وَمَنْ خَاذِلٍ عَنْ نُصْرَتِهِ ، وَالْعَاجِزُ نَاصِرٌ بِإِرَادَتِهِ ، وَمُطِيعٌ بِحُسْنِ
نِيَّتِهِ ، وَإِنَّمَا الشُّكُّ مِنْهَا فِيهِ وَفِي خَاذِلِهِ ، وَمَنْ أَرَادَ عَزْلَهُ وَالِاسْتِبْدَالَ بِهِ ، فَأَمَّا قَاتِلُهُ
وَالْمُعِينُ عَلَى دَمِهِ وَالْمُرِيدُ لِدَلِكِ مِنْهُ ، فَضُلَّالٌ ، لِأَشْكَ فِيهِمْ ، وَمُرَاقٍ ، لِأَمْتِرَاءِ^(٢)
فِي حُكْمِهِمْ ، عَلَى أَنْ هَذَا لَمْ يَعُدُّ مِنْهُمْ الْفَجُورَ : إِمَّا عَلَى سُوءِ تَأْوِيلٍ ، وَإِمَّا عَلَى تَعَمُّدٍ
لِلشُّقَاءِ . ثُمَّ مَا زَالَتِ الْفِتْنُ مُتَّصِلَةً ، وَالْحُرُوبُ مُتْرَادِفَةً ، كَحَرْبِ الْجَمَلِ ، وَكَوْقَاعِ
صَيْفِينَ ، وَكَيَوْمِ النَّهْرَوَانِ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ يَوْمِ الزَّابُوقَةِ^(٣) ، وَفِيهِ أَمِيرُ ابْنِ حَنْئِيفٍ^(٤) ،
وَقَتْلِ حَكِيمِ بْنِ جَبَلَةَ ، إِلَى أَنْ قَتَلَ أَشْقَاهَا^(٥) عَلَى بْنِ طَالِبٍ ، رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ ،
فَأَسْعَدَهُ اللَّهُ بِالشَّهَادَةِ ، وَأَوْجِبَ لِقَاتِلِهِ النَّارَ وَاللَّعْنَةَ ، إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ اعْتِزَالِ الْحَسَنِ
عَلَيْهِ السَّلَامِ الْحُرُوبَ ، وَتَخَالِيفَتِهِ الْأُمُورَ ، عِنْدَ انْتِزَارِ أَصْحَابِهِ ، وَمَا رَأَى مِنْ انْخِلَالِ
فِي عَسَاكِرِهِ ، وَمَا عَرَفَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَبِيهِ ، وَكَثْرَةِ تَلَوْنِهِمْ عَلَيْهِ ، فَعِنْدَهَا اسْتَوَى
مَعَاوِيَةَ عَلَى الْمَلِكِ ، وَاسْتَبَدَّ عَلَى بَقِيَّةِ الشُّورَى ، وَعَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ
وَالْمُهَاجِرِينَ ، فِي الْعَامِ الَّذِي سَمَّوْهُ عَامَ^(٦) الْجَمَاعَةِ ، وَمَا كَانَ عَامَ جَمَاعَةٍ ، بَلْ كَانَ عَامَ
فُرْقَةٍ وَقَهْرٍ وَجَبْرِيَّةٍ وَغَلْبَةٍ ، وَالْعَامَ الَّذِي تَحَوَّلَتْ فِيهِ الْإِمَامَةُ مَلِكًا كَثْرَوِيًّا ،
وَالْخِلَافَةَ غَضْبًا قَيْهَرِيًّا ، وَلَمْ يَعُدُّ ذَلِكَ أَجْمَعَ الضَّلَالَاتِ وَالْفُسُوقَ ، ثُمَّ مَا زَالَتْ مَعَاصِيهِ مِنْ
جِنْسِ مَا حَكَمْنَا وَحَلَى مَنَازِلَ مَا رَتَبْنَا ، حَتَّى رَدَّ قَضِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) أَيْ مِنْ عِظَمَائِهِمْ وَسَادَتِهِمْ وَذَوِي الْأَخْطَارِ فِيهِمْ .

(٢) أَيْ لِأَشْكَ .

(٣) الزَّابُوقَةُ : مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ الْبَصْرَةِ ، كَانَتْ فِيهِ وَقْعَةُ الْجَمَلِ أَوَّلَ النَّهَارِ .

(٤) أَيْ عَثْمَانَ بْنَ حَنْئِيفٍ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ خَبْرُ ذَلِكَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ص ٣٢٢ .

(٥) هُوَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَلْجَمٍ الْمُرَادِيُّ لَعَنَهُ اللَّهُ .

(٦) هُوَ عَامُ ٤١ هـ لِإِجْتِمَاعِ النَّاسِ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَبَايَعِهِ أَهْلَ الْأَمْصَارِ كَلِمًا .

ردا مكشوفاً ، وجَعَدَ حُكْمَهُ جَعْدًا ظاهراً ، في وَلَدِ الْفِرَاشِ وما يجب للعاهِرِ (١) ،
مع اجتماع الأمة أن سُمِّيَةَ لم تكن لأبي سُفْيَانَ فِرَاشًا ، وأنه إنما كان بها عَاهِرًا ، فخرج
بذلك من حكم الْفُجَّارِ إلى حكم الْكُفَّارِ ، أوليس قتلُ حُجْرٍ (٢) بنِ عَدِيٍّ ، وإطعامُ
عمر بن العاص خراجَ مصر ، وبيعةُ يزيدَ الخليع ، والاستئثارُ بالفيء ، واختيارُ الولاية
على الهَوَى ، وتعطيلُ الحدودِ بِالشَّفَاعَةِ والقَرَابَةِ ، من جنسِ جَعْدِ الْأَحْكَامِ المنصوصة ،
والشرائعِ المشهورة ، والسُنَنِ المنصوبة ! ؟ وسواء في باب ما يستحق من الْكُفَّارِ ،
جَعْدُ الْكُتَابِ ، وردُّ السَّنَةِ إذ كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره ، إلا أن
أحدهما أعظم ، وعقاب الآخرة عليه أشد ، فهذه أولُ كَفْرَةٍ كانت من الأمة ، ثم لم
تكن إلا فيمن يدعى إمامتها والخلافة عليها ! على أن كثيرا من أهل ذلك العصر
قد كفروا بترك إكفاره ، وقد أُرْبِتَ (٣) عليهم نَابِتَةٌ عَصْرَنَا ، وَمُبْتَدِعَةٌ دَهْرِنَا ،
فَقَالَتْ : « لَا تَسُبُّوهُ فَإِنَّ لَهُ صِحْبَةً ! وَسَبُّ مُعَاوِيَةَ بِدْعَةٌ ، وَمَنْ يُبْغِضْهُ فَقَدْ خَالَفَ السُّنَّةَ »
فزعمت أن من السُّنَةِ تركَ البراءة ممن جَعَدَ السَّنَةَ ! ثم الذي كان من يزيد ابنه ، ومن
عماله وأهل نصرته ، ثم غَزَوْ مَكَّةَ ، وَرَمَى الْكَعْبَةَ (٤) ، واسقباحةُ المدينة (٥) ،
وقتلُ الحسين (٦) عليه السلام في أكثر أهل بيته ، مصابيح الظلام ، وأوتاد الإسلام ،
بعد الذي أعطى من نفسه ، من تفريق أتباعه ، والرجوع إلى داره وحرمة ، أو الذهاب
في الأرض حتى لا يُحَسَّ به ، أو المقام حيثُ أُمِرَ به ، فَأَبَوْا إِلَّا قَتْلَهُ ، والنزولَ على

(١) يعني استلحاقه زيادا وقد تقدم خبر ذلك في الجزء الثاني ص ٣٤ .

(٢) انظر الجزء الثاني ص ٤٥ . (٣) أربت : زادت . والنابتة : الناشئة .

(٤) يعني غزو مكة في عهد يزيد . سار إليها حصين بن نمير السكوني في جيش من أهل الشام بعد فراغهم من وقعة الحرة بالمدينة لقتال عبد الله بن الزبير سنة ٦٤ ، وقد قذفوا البيت الحرام بالمخانيق وحرقوه بالنار ، وأخذوا يرتجزون ويقولون .

خطارة مثل الفنيق المزبد نرمى بها أعواد هذا المسجد

(والفنيق : الفعل المكرم لا يؤذى ولا يركب ، لكرامته على أهله) - انظر تاريخ الطبري

٧ : ١٤ -

(٥) يشير إلى وقعة الحرة . انظر الجزء الثاني ص ٨٩ . (٦) انظر الجزء الثاني ص ٨٤ .

حكمتهم ، وسواء قتل نفسه بيده ، أو أسلمها إلى عدوه ، وخير فيها من لا يبرُد غليله إلا بشرب دمه ، فأحسبوا قتله ليس بكفر ، وإباحة المدينة وهتك الحرمات ليس بحجة ، كيف تقولون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام ، وقبلة المسلمين ؟ فإن قاتم ليس ذلك أرادوا ، بل إنما أرادوا المتحرز به^(١) ، والمتحصن ببيطانه ، أفما كان في حق البيت وحرمة أن يحصروه فيه ، إلى أن يُعطى بيده ؟ وأي شيء بقي من رجل قد أخذت عليه الأرض إلا موضع قدمه ؟ واحسبوا ما رَووا عليه من الأشعار ، التي قولها شرك ، والتمثل بها كُفر ، شيئاً مصنوعاً ، كيف تصنع بنقر القضيب بين ثنيتي الحسين^(٢) عليه السلام ، وحمل بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم حواسير على الأفتاب العارية^(٣) ، والإبل الصعاب ، والكشف عن عورة علي بن الحسين عند الشك في بلوغه : على أنهم إن وجدوه وقد أنبت^(٤) قتلوه ، وإن لم يكن أنبت حملوه ، كما يصنع

(١) هو عبد الله بن الزبير .

(٢) وذلك أنه لما وجه عبيد الله بن زياد آل الحسين عليه السلام إلى يزيد بدمشق ، ومثلوا بين يديه ، أمر برأس الحسين فأبرز في طست ، فجعل ينكت ثناياه بقضيب في يده ، ويقول :
* ليت أشياخي بيدر شهدوا . . * الأبيات .

(٣) حواسير . جمع حاسر ، وكل مكشوفة الرأس والذراعين حاسر . الأفتاب : جمع قتب بالتحريك ، وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير .

(٤) أنبت الغلام : نبتت عاتقه ، جاء في تاريخ الطبري ٦ : ٢٦٣ .

« أنه لما عرض على بن الحسين على عبيد الله بن زياد ، قال له : ما اسمك ؟ قال : أنا علي بن الحسين قال : أو لم يقتل الله علي بن الحسين ؟ فسكت ، فقال له ابن زياد : مالك لا تتكلم ؟ قال : قد كان لي أخ يقال له أيضا على فقتله الناس ، قال : إن الله قد قتله ، فسكت علي ؛ فقال له : مالك لا تتكلم ؟ قال :
« اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا » « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ »

قال : أنت والله منهم ويحك ! انظروا هل أدرك ؟ والله إنى لأحسبه رجلاً ، فكشف عنه مري بن معاذ الأحمري ، فقال : نعم قد أدرك ، فقال : اقتله ، فقال علي بن الحسين : من توكل بهؤلاء النسوة ؟ وتعلقت به زينب عمته ، فقالت : يا ابن زياد . حسبك منا ، أما رويت من دمائنا ؟ وهل أبقيت منا أحداً ؟ فاعتقته فقالت . أسألك بالله إن كنت مؤمناً إن قتلته لما قتلتني معه ، وناداه علي فقال : يا ابن زياد ، إن كانت بينك وبينهم قرابة فابعث معهم رجلاً تقياً يصحبهم بصحبة الإسلام ، فنظر إليها ساعة ، ثم نظر إلى النوم ، فقال : عجبا للرحم ! والله إنى لأظنها ودت لو أنى قتلته أنى قتلتها معه ، دهوا الغلام ، انطلق مع نسائك .

أمير جيش المسلمين بذراري المشركين ، وكيف تقول في قول هُبَيْدِ اللَّهِ بن زياد لإخوته
وخاصته : دَعُونِي أَقْتُلْهُ ، فإنه بقيّة هذا النسل ، فأحسِمَ به هذا القرن ، وأميتَ به هذا
الداء ، وأقطع به هذه المادة .

خبرونا ! علامَ تدلُّ هذه القسوة ، وهذه الغلظة ، بعد أن شفّوا أنفسهم بقتلهم ،
ونالوا ما أحبوا فيهم ؟ أتدلُّ على نصب^(١) وسوء رأيٍ وحقدٍ وبغضاءٍ ونفاقٍ ، وعلى
يقينٍ مدخولٍ ، وإيمانٍ مخروجٍ ، أم تدلُّ على الإخلاص ، وعلى حُبِّ النبي صلى الله عليه
وسلم ، والحفظِ له ، وعلى براءةِ السّاحةِ وصحّةِ السّريرة ؟ فإن كان ما وصّفنا لا يعدو
الفِسقَ والضلالَ - وذلك أدنى منازلِه - فالفاسق ملعون ، ومَن نهَى عن [سَبِّ^(٢)]
الملعون فلعون .

وزعمتْ نابتةُ عصرنا ومبتدعةُ دهرنا : أن سَبَّ وُلَاةِ السُّوءِ فِتْنَةٌ ، ولَعْنُ الْجَوْرَةِ
بِدْعَةٌ ، وإن كانوا يأخذون السَّمِيَّ بالسَّمِيَّ ، والوَلِيَّ بالوَلِيِّ^(٣) ، والقريبَ بالقريب ،
وأخافوا الأولياء ، وأمَّنوا الأعداء ، وحكّموا بالشفاعة والهوى ، وإظهارِ الغدرة
والتهاونِ بالأمة ، والقَمْعِ للرعية ، وأنهم في غير مداراة ولا تقيّة . وإن عدّا ذلك إلى
الكفر ، وجاوز الضلال إلى الجحْد ، فذاك أضلُّ ممن كَفَّ عن شتمهم والبراءة منهم ،
على أنه ليس من استحق اسم الكفر بالقتل ، كمن استحقه بردّ السنة وهدم الكعبة ،
وليس من استحق اسم الكفر بذلك ، كمن شبه الله بخلقه ، وليس من استحق الكفر
بالتشبيه كمن استحقه بالتجوير^(٤) والنابطة في هذا الوجه أ كَفَرُ مِنْ يَزِيدَ وَأَبِيهِ ،

(١) نصب له : عاداه ، وأهل النصب : المنديون يبغضه على رضى الله عنه ، لأنهم نصبوا له .

(٢) في الأصل « نهى » محل هذه الكلمة ، والسياق يقتضى ما ذكرته .

(٣) يمرض بزياد ابن أبيه إذ يقول في خطبته البراء : « وإني أقسم بالله لأخذن الولى بالمولى ... »
انظر جهرة خطب العرب ٢ : ٢٧٠ وبالحجاج إذ يقول في كتابه إلى المهلب : « فإني أرى أن آخذ الولى
بالولى ، والسمى بالسمى » انظر الجزء الثانى ص ١٤٠ من جهرة رسائل العرب .

(٤) جوره : نسه إلى التجوير ، وفيه تعريض بغير المعتزلة ، وكان المعتزلة يسمون أنفسهم أهل العدل
لقولهم بعدل الله وحكمته ، قال الشهرستاني في الملل والنحل ج ١ : ص ٥٢ : « وانفق المعتزلة على
أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرا وشرها ، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة ، والرب =

وابن زياد وأبيه ، ولو ثبت أيضاً على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبيرى (١) :

ليت أشياخي بيدر شهدوا جَزَعَ الخَرْجِ من وَقَعِ الأَسَلِ (٢)

لأَسْتَطَارُوا واستَهَلُّوا فَرَحًا ثم قالوا يا يزيدُ لا تَشَلْ (٣)

قد قَتَلْنَا الغُرَّ من ساداتهم وعدَلْنَاه بيدر فاعتدل (٤)

تعالى منزه أن يضاف إليه شر أو ظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ، لأنه لو خلق الظلم كان ظالماً ، كما له ذاق العدل كان عادلاً ، وانفقوا على أن الحكيم لا يفعل إلا الصلاح والخير ، ويجب من حيث الحكمة رعاية مصالح العباد ، وسموا هذا النمط عدلاً « اهـ . وجاء أيضاً في مروج الذهب ج ٢ : ص ١٩٠ في تفسير الأصول الخمسة التي يذهب إليها المعتزلة : « وأما القول بالعدل - وهو الأصل الثاني - فهو أن الله لا يحب الفساد ، ولا يخلق أفعال العباد ، بل يفعلون ما أمروا به ونهوا عنه ، بالقدرة التي جعلها الله لهم ، وركبها فيهم . . . الخ » ومن ذلك ترى أنهم ينزهون الله تعالى عن أن يقدر على العبد المعصية ثم يعذبه عليها ، بل العبد هو الذي يفعل أفعاله جمعاً بإرادته وقدرته ، ويستحق عاينها الثواب أو العقاب ، وهذا عدل منه تعالى .

ولا يغيب عنك أن الجاحظ كان من شيوخ المعتزلة وكبرائهم ، وهو تلميذ أبي إسحق إبراهيم ابن سيار النظام ، المعتزلي المشهور ، وقد نصر الجاحظ مذهب المعتزلة بفصاحته وكتبه البليغة حتى صار لسان المعتزلة في زمانه ، وكان رئيس فرقة منهم نسبت إليه ، فسميت « الجاحظية » - انظر الملل والنحل ١ : ٨٠ وشرح العيون ، ص ١٧٠ ووفيات الأعيان .

(١) هو عبد الله بن الزبيرى : أحد شعراء قريش العدوديين ، وكان يهجو المسلمين ، ويحرض عليهم كفار قريش في شعره ، ثم أسلم فقتل النبي لإسلامه وأمنه يوم الفتح - انظر ترجمته في الأغاني ١٤ : ١١ - وفي رواية أن يزيد تمثل بقول ابن الزبيرى حينما حىء إليه برأس الحسين وآله كما قدمنا - انظر بلاغات النساء ص ٢٥ - وفي رواية أخرى أنه حين بعث إليه مسلم بن عقبة المري برءوس أهل المدينة (بعد انتصاره عليهم في وقعة الحرة سنة ٦٣) وألقيت بين يديه ، حمل يتمثل بقول ابن الزبيرى المذكور ، فقال له رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارتددت عن الإسلام يا أمير المؤمنين . قال : بلى نستغفر الله ، قال : والله لا سا كنتك أرضاً أبداً وخرج عنه - انظر العقد الفريد ٢ : ٢٥٧ - .

(٢) هذا البيت من قصيدة قالها ابن الزبيرى يوم أحد (وهو حينئذ مشرك) انظرها في سيرة ابن هشام ٢ : ١١٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ٣ ص ٣٨٢ - وكانت الغلبة يوم بدر للمسلمين . ويوم أحد للمشركين ، والأسل : الرماح والنبل ، والخرج : قبيلة من الأنصار .

(٣) كل من رفع صوته فقد أهل إهلالاً ، واستهل استهلالاً ، وشلت يده تشل . كتب يتعب وأشات وشلت مبنين للمجهول : ببست ، وهي جملة دعائية ، وفي الأصل « لا تشل » وهو تصحيف - وهذا البيت من قول يزيد - .

(٤) في سيرة ابن هشام :

فقتلنا الضعف من أشرفهم وعدلنا ميل بدر فاعتدل

وفي ابن أبي الحديد : « فقتلنا النصف . . . » وفي بلاغات النساء : « فجزيناهم بيدر مثلها » .

كان تجويرُ النابتِ لربه ، وتشبيههُ بخلقه ، أعظمَ من ذلك وأفظعَ ، على أنهم مُجمعون على أنه : ملعونٌ من قَتَلَ مؤمناً ، متعمداً أو متأولاً ، فإذا كان القاتل سلطاناً جائراً ، أو أميراً عاصياً ، لم يستجروا سبَّهُ ولا خلَعَهُ ولا نفِيَهُ ولا عَيَّبَهُ ، وإن أخافَ الصلحاء ، وقَتَلَ الفقهاء ، وأجَاعَ الفقيرَ ، وظَلَمَ الضعيفَ ، وعَطَّلَ الحدودَ والثغورَ ، وشَرِبَ الخمرَ ، وأظهرَ الفجورَ ! ثم ما زال الناس يتسكعون مرةً ، ويداهفونهم مرةً ، ويقاربونهم مرةً ، ويشاركونهم مرةً ، إلا بقیةً مِمَّن عصمه الله تعالى ذكرُهُ ، حتى قام عبدُ الملك بن مروانُ ، وابنه الوليدُ ، وعاملُهُما الحجاج بن يوسف ، وموؤهُ لا يزيد بن أبي مُسلمٍ ، فأعادوا على البيت بالهدم^(١) ، وعلى حرم المدينة بالغزو^(٢) ، فهَدَموا الكعبةَ ، واستباحوا الحرمَ ، وحوَّلوا قِبْلَةَ واسِط^(٣) ، وأخروا صلاة الجمعة إلى مُغِيرِبان^(٤) الشمس ، فإن قال رجل لأحدهم : اتق الله فقد أخرت الصلاة عن وقتها ، قَتَلَهُ على هذا القول جِهارةً غيرَ ختِل^(٥) ، وعَلانيةً غيرَ سِرٍّ ، ولا يُعلم

(١) یعنی ما كان من مقاتلة الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة وحصره لایاه ورمیه الكعبة بالمنجنیق فی عهد عبد الملك بن مروان سنة ٧٣ - انظر تاریخ الطبری ٧ : ٢٠٢ (والمنجنیق بفتح المیم وتكسر : آلة ترمى بها الحجارة) .

(٢) بعث عبد الملك بن مروان سنة ٦٥ حبیش بن دلجة القیسی فی سبعة آلاف إلى المدينة فدخلها ثم خرج إلى الربذة (قرب المدينة) وقدم علیه مدد من الشام ، وكتب عبد الله بن الزبير إلى عیاش ابن سهل الساعدی بالمدينة أن یسیر إلى حبیش فسار إليه ، وقد وافاه مدد من البصرة ، ونشب القتال بین القریقین ، فقتل حبیش ومن معه - انظر العقد الفريد ٢ : ٢٦٣ ، وتاریخ الطبری ٧ : ٨٤ .

(٣) انظر ص ٩ من الجزء الثالث .

(٤) أى إلى غروبها ، نقل ابن أبی الحدید فی شرحه م ٣ : ص ٤٧٠ : « كان بنو أمیة يؤخرون صلاة الجمعة تشاغلاً عنها بالخطبة ، ویطیلون فیها إلى أن تتجاوز وقت العصر ، وتكاد الشمس تصفر ، فعل ذلك الولید بن عبد الملك ، ویزید أخوه ، والحجاج عاملهم ، ووكل بهم الحجاج المسالِح معه (والمسالِح جمع مسلحة بالفتح : وهى القوم ذرو سلاح) والسیوف على رؤوسهم ، فلا یستطیعون أن یصلوا الجمعة فی وقتها ، وقال الحسن البصری : واعجبا من أخیفش أعیمش ، جاءنا ففتننا عن دیننا ، وصعد على منبرنا ، فیخطب والناس یلنفتون إلى الشمس ، فیقول : ما بالکم تلتفتون إلى الشمس ! إنا والله مانصلی للشمس ، إنا نصلی لرب الشمس ، أفلا تقولون : یاعدو الله ، إن لله حقاً باللیل لا یقبله بالنهار ، وحقاً النهار لا یقبله باللیل ؟ ثم یقول الحسن : وکیف یقولون ذلك ، وعلى رأس كل واحد منهم علج قائم بالسيف » اقرأ هناك فصلاً طویلاً فی مقابح بنی أمیة .

(٥) الختل : الحداع .

القتل على ذلك إلا أقبح من إنكاره ، فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر بأعظم منه ؟

وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ الجبارة ، وخوفهم العواقب ، وأراهم أن في الناس بتمية ينهون عن الفساد في الأرض ، حتى قام عبدُ الملك بن مروان ، والحجاجُ ابن يوسف ، فزجرا عن ذلك وعاقباً عليه ، وقتلاً فيه ، فصاروا لا يتناهون عن مُنكرٍ فملوه ، فاحسب تحويل القبلة كان غلطاً ، وهدم البيت كان تأويلاً ، واحسب ما رَووا من كل وجه أنهم كانوا يزعمون أن خليفة المرء في أهله أرفعُ عنده من رسوله إليهم^(١) ، باطلاً ومسموعاً مؤلداً ، واحسب وسم أبدي المسلمين^(٢) ، ونقش أبدي المسلمات ، ورددهم بعد الهجرة إلى قراهم ، وقتل الفقهاء ، وسب أئمة الهدى ، والنصب لعترته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكون كفراً ، كيف تقول في جمع ثلاث صلوات فيمن الجمعة ، ولا يُصلون أولاً حتى تصير الشمس على أعالي الجدرانِ كالماءِ المُصْفَرِ^(٣) ، فإن نطق مُسلمٍ خُبط بالسيف ، وأخذته العمدُ ، وشكَّ بالرماح ، وإن قال قائل : اتق الله ، أخذته العزة بالإثم ، ثم لم يرض إلا بنثر دماغه على صدره ، وبصلبه حيث تراه عياله .

(١) عقد صاحب العقد الفريد ١٩ في أخبار الحجاج فصلاً فيمن زعم أنه كان كافراً (ج ٣ : ص ١٩) جاء فيه أنه قال في كلام له : « ويحكم ! خليفة أحدكم في أهله أكرم عليه ، أم رسوله إليهم ؟ » وجاء في شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٤٧٠ « وخطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله بالمدينة فقال . تباهم ، لأنما يطوفون بأعواد ورمة بالية ، هلاطافوا بتصر أمير المؤمنين عبد الملك ؟ ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله ! »

(٢) وجاء في شرح ابن أبي الحديد أيضاً : « وكانت بنو أمية تختم في أعناق المسلمين كما توسم الخيل علامة لاستعبادهم ، ونقشوا أكف المسلمين علامة لاسترقاقهم ، كما يصنع بالهلاج من الروم والحبشة »

وجاء في تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٦ « وفي سنة ٧٤ استعمل عبد الملك الحجاج على المدينة ، فكان يتعبث بأهلها ويتعنتهم ، واستخف فيها بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فختم في أعناقهم ، وعن إسحق بن يزيد أنه رأى أنس بن مالك محتوماً في عنقه ، يريد أن يذله بذلك ، ودعا الحجاج سهل بن سعد ، فقال : ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؟ قال : قد فعلت ، قال : كذبت ، ثم أمر به فختم في عنقه برصاص . »

(٣) أي الصبوغ بالمصفر . كبرقم وهو صبغ أصفر .

ومما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرد على الله عز وجل ، والاستخفاف بالدين ، والتهاون بالمسلمين ، والابتدال لأهل الحق ، أكل أمراءهم الطعام ، وشربهم الشراب ، على منابرهم أيام جمعهم^(١) وجوعهم ، ففعل ذلك حُبَيْشُ ابن دُجْلَةَ^(٢) ، وطارق^(٣) مولى عثمان ، والحجاج بن يوسف وغيرهم ، وذلك إن كان كفرا كله فلم يَبْلُغْ كُفْرًا نابتة عصرنا ، وروافض دهرنا ، لأن جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك . كان اختلاف الناس في القدر على أن طائفة تقول : كل شيء بقضاء وقدر ، وتقول طائفة أخرى : كل شيء بقضاء وقدر إلا المعاصي ، ولم يكن أحد يقول : إن الله يعذب الأبناء لينغیظَ الآباء ، وإن الكفر والإيمان مخلوقان في الإنسان مثل العمى والبصر ، وكانت طائفة منهم تقول : إن الله يرى ، لا تزيد على ذلك ، فإن خافت أن يُظَنَّ بها التشبيه ، قالت : يرى بلا كيف ، تقرُّزا من التجسيم والتصوير ، حتى نبتت هذه النابتة ، وتكلمت هذه الرافضة ، فقالت جسيما ، وجعلت له صورةً وحدًا ، وأكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير .

ثم زعم أكثرهم أن كلام الله حسنٌ وبينٌ وحجة وبرهان ، وأن التوراة غير الزبور ، والزبور غير الإنجيل ، والإنجيل غير القرآن ، والبقرة غير آل عمران ، وأن الله تولى تأليفه ، وجعله برهانه على صدق رسوله ، وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد ، ولو شاء أن ينقص منه نقص ، ولو شاء أن يبدله بدله ، ولو شاء أن يمسحه كله بغيره نَسَخَهُ ، وأنه نزله تنزيلا . وأنه نصَّله تفصيلا ، وأنه بالله كان دون غيره ، ولا يقدر

(١) وجاء في شرح ابن أبي الحديد أيضاً : « وكانت خطباء بني أمية تأكل وتشرب على المنبر يوم الجمعة ، لإطالهم في الخطبة ، وكان المسلمون تحت منبر الخطبة يأكلون ويشربون » .

(٢) في الأصل « حسن » وهو تحريف ، وقد قدمنا لك أن عبد الملك بعثه في جيش إلى المدينة ، فلما دخلها جلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بخبز ولحم فأكل ، ثم دعا بماء فتوضأ على المنبر - انظر العقد الفريد ٢ : ٢٦٣ .

(٣) هو طارق بن عمرو ، مولى عثمان ، ولاءه عبد الملك المدينة سنة ٧٣ هـ ، فولياها خمسة أشهر ، ثم عزله عنها واستعمل عليها الحجاج سنة ٧٤ هـ - انظر تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

عليه إلا هو ، غير أن الله مع ذلك كله لم يَخْلُقْهُ ، فَأَعْطَوْا جميع صفات الخلاق ، وَمَنَعُوا اسمَ الخلاق .

والعجبُ أن الخلق عند العرب إنما هو التقدير نفسه ، فلذا قالوا : خلق كذا وكذا ، ولذلك قال : « أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » وقال : « وَتَخْلُقُونَ إِنْكَاءً » وقال : « وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ » فقالوا : صَنَعَهُ وَجَعَلَهُ وَقَدَّرَهُ ، وَأَنْزَلَهُ وَفَصَّلَهُ وَأَحَدَهُ ، وَمَنَعُوا « خَلَقَهُ » وليس تأويلُ « خَلَقَهُ » أكثرَ مِنْ « قَدَّرَهُ » ولو قالوا بَدَلَ قَوْلِهِمْ « قَدَّرَهُ » ولم يَخْلُقْهُ : « خَلَقَهُ » ولم يُقَدِّرْهُ » ما كانت المسألة عليهم إلا من وجه واحد . والعجب أن الذي مَنَعَهُ بزعمه أن يزعم أنه مخلوق ، أنه لم يسمع ذلك من سَلَفِهِ ، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضا من سَلَفِهِ أنه ليس بمخلوق ، وليس ذلك يَهُمُّ ، ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف ، وعلى جهة تقطيع الحروف وإعمال اللسان والشفة ، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام ، ولما كنا عندهم على غير هذه الصفة ، وكنا لِكَلَامِنَا غيرَ خَالِقِينَ ، وَجَبَ أن الله عز وجل لِكَلَامِهِ غيرُ خالق ، إذ كنا لِكَلَامِنَا غيرَ خالقين ، فإِذَا قالوا ذلك لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا ، وإن لم يُقَرِّوا بذلك بالسنتهم ، فذلك معنهم وقصدهم .

وقد كانت هذه الأمة لا تُجَاوِزُ معاصيها الإثم والضلال ، إلا ما حكيتُ لك عن بني أمية وبني مروان وعمّالهم ، ومن لم يَدِينْ بِإِكْفَارِهِمْ ، حتى نَجَمَتِ النَوَابِتُ ، وتَابَعَتَهَا هذه العوامُ ، فصار الغالبُ على هذا القرن الكفر ، وهو التشبيه والجبر ، فصار كفرهم أعظم من كفر من مَغْنَى في الأعمال التي هي الفسق ، وصاروا شركاء (١) مَنْ كَفَرَ مِنْهُمْ بِقَوْلِهِمْ وتركوا كفرهم ، قال الله عز وجل من قائل « وَمَنْ يَتَّزَلَمُهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ » .

(١) في الأصل « وشركاء » .

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحققين ، ورزحهم ، وقوى ضعفهم ، وكثر قلتهم ، حتى صار ولاة أمرنا في هذا الدهر الصعب ، والزمن الفاسد ، أشد استبصارا في التشبيه من علينا ، وأعلم بما يلزم فيه منا ، وأكشف للقناع من رؤسائنا ، وصادفوا^(١) الناس وقد انتظموا معان^(٢) الفساد أجمع ، وبلغوا غايات البدع ، ثم قرنوا بذلك العصبية التي هلك بها عالم بعد عالم ، والحمية التي لا تبقى ديننا إلا أفسدته ، ولا دنيا إلا أهلكتها ، وهو ما صارت إليه العجم من مذهب الشعوبية^(٣) ، وما قد صار إليه الموالى من الفخر على العجم والعرب ، وقد نجمت من الموالى ناجة ، ونبتت منهم نابتة ، تزعم أن المولى بولائه قد صار عربيا ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « مولى القوم منهم » ولقوله : « الولاء لحمة^(٤) » كحمة النسب ، لا يباع ولا يوهب » قال : فقد علمنا أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب ، ولما حوّل ذلك إلى العرب صارت العرب أشرف منهم ، قالوا : فنحن معاشر الموالى - بقدينا في العجم - أشرف من العرب ، - وبالحدِيث الذي صار لنا في العرب - أشرف من العجم ، وللعرب القديم دون الحديث ، ولما خصلتان جميعا وافرتان فينا ، وصاحب الخصلتين أفضل من صاحب الخصلة ، وقد جعل الله المولى - بعد أن كان عجميا - عربيا بولائه ، كما جعل حليف قريش من العرب قرشيا بحليفه ، وجعل إسماعيل - بعد أن كان عجميا - عربيا ، ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم « إن إسماعيل كان عربيا » ما كان عندنا إلا عجميا ، لأن الأعجمي لا يصير عربيا ، كما أن العربي لا يصير عجميا ، فإنما علمنا أن إسماعيل صيره الله عربيا بعد أن كان عجميا ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم ، فكذلك حكم قوله « مولى القوم منهم » وقوله « الولاء لحمة » قالوا : وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام أباً لمن لم يلد ، كما جعله أباً

(١) في الأصل : « وصادفوا » وهو تحريف .

(٢) المعان : المباشرة والمنزل . (٣) هم محتفرو أمر العرب .

(٤) اللحمية : القرابة .

لمن ولد ، وجعل أزواج النبي أمهات المؤمنين^(١) - ولم يلدن منهم أحدا - وجعل الجارَ
والدَّ من كَلِمِ يَلِدُ في قولٍ ، وغير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه ، وليس أدعى إلى
الفساد ، ولا أجابَ للشَّرِّ من المفاخرة ، وليس هلى ظهرها إلا نخور - إلا قائل - وأى
شئ أغيظ من أن يكون عبدك يزعم أنه أشرف منك - وهو مُقِرٌّ أنه صارَ شريفاً
بِعِتْقِكَ إياه - ؟ .

وقد كتبتُ - مدَّ الله في عُمرِكَ - كتباً في مفاخرة قحطان ، وفي تفضيل عدنان .
وفي ردِّ الموالى إلى مكانهم من الفضل والنقص ، وإلى قَدْرِ ما جعل الله تعالى لهم
بالعرب من الشرف ، وأرجو أن يكون عدلاً بينهم ، وداعيةً إلى صلاحهم ، ومنبهةً
عليهم ولهم ، وقد أردتُ أن أرسل بالجزء الأول إليك ، ثم رأيتُ ألا يكون إلا بعد
استئذانك واستئثارك^(٢) ، والانتها في ذلك إلى رغبتك ، فرأيتُ فيه مَوْفَقَ إن شاء الله
عز وجل وبه الثقةُ : « رسالة للجاحظ في بني أمية (٣) » .

٧٠ - رسالة أبي العاص^(٤) بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ ، فإن جلوسك إلى الأضمعي^(٥) ، وعُجْبِكَ
بسهل بن هرون ، واسترجاحك إسماعيل بن غزوان ، وطعنك على مؤبس بن عمران ،
وخطأتك^(٦) بابن مشارك ، واختلافك إلى ابن التوءم ، وإكثارك من ذكر المال
وإصلاحه ، والتميام عليه واصطفاعه ، وإطنائك في وصف الترويح والتمير^(٧) ،

(١) قال تعالى : « النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ، وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ » .

(٢) الاستئثار : المشاورة .

(٣) رسالة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية رقم ١٨٥٥ أدب .

(٤) ذكره صاحب الأغاني في خلال ترجمة محمد بن منذر - إذ كان أخوه عبدالمجيد بن عبد الوهاب

صديقاً حميلاً لابن منذر - انظر ج ١٧ : ص ١٢ .

(٥) هو الراوية المشهور ، وكان بجيلاً ، توفي سنة ٢١٦ هـ .

(٦) الخلطة بالكسر : العشرة (وبالضم : الشركة) . (٧) ثم ماله : نغاه وكثره .

وحسن التعهد والتوفير ، دليل على خبيء سوء ، وشاهد على عيب وإدبار ، بعد أن كنت تستقل ذكركم ، وتستشنع فعلهم ، وتتعجب من مذهبهم ، وتُسرف في ذمهم ، وليس يلهج بذكر الجمع^(١) إلا من قد عزم على الجمع ، ولا يأنس بالبغلاء إلا المستوحش من الأسخياء ، وفي تحفظك قول سهل بن هرون : في الاستعداد في حال المهلة ، وفي الأخذ بالثقة^(٢) ، وأن أقبح التفريط ما جاء مع طول المدة ، وأن الحزم كل الحزم ، والصواب كل الصواب ، أن تستظهر على الحدان^(٣) ، وأن تجعل ما فضل عن قوام الأبدان ، رداء^(٤) دون صروف الزمان ، وأنا لا ننسب إلى الحكمة ، حتى نحوط أصل النعمة ، بأن نجعل دون فضولها جنة^(٥) ، شاهد^(٦) على عجبك بمذهبه ، وبرهان على ميلك إلى سبيله ، وفي استحسانك رواية الأصمعي في : « أن أكثر أهل النار النساء والفقراء ، وأن أكثر أهل الجنة البله والأغنياء ، وأن أرباب الدثور هم الذين ذهبوا بالأجور^(٧) » برهان^(٨) على صحة حكمتنا عليك ، ودليل على صواب رأينا فيك ، وفي تفضيلك^(٩) كلام ابن غزوان حين قال : تنعمتم بالطعام الطيب ، وبالثياب الفاخرة ، وبالشراب الرقيق ، وبالغناء المطرب ، وتنعمنا بعز الثروة ، وبصواب النظر في العاقبة ، وبكثرة المال ، والأمن من سوء الحال ، ومن ذل الرغبة إلى الرجال ، والعجز عن مصلحة العيال ، فتلذتكم لذتنا ، وهذه لذتنا ، وهذا رأينا في التسلم من الذم ، وذاك رأيكم في التعرض للحمد ، وإنما ينتفع بالحمد

(١) أي جم الأموال .

(٢) أي بادخار ما يمكن ادخاره حتى يثق المرء بقدرته على مكافحة المطوب إن نزلت به .

(٣) تستظهر : تستعين ، والحدان : حوادث الدهر ونوبه .

(٤) الردء : العون والمادة .

(٥) الجنة : الوقاية . (٦) مبتدأ خبره « في تحفظك » .

(٧) جاء في لسان العرب : « وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قيل له : ذهب أهل الدثور بالأجور ، قال أبو عبيد : واحد الدثور دثر بالفتح ، وهو المال الكثير ، يقال : هم أهل دثر ودثور ، ومال دثر » .

(٨) برهان : واحد الدثور دثر بالفتح ، وهو المال الكثير ، يقال : هم أهل دثر ودثور ، ومال دثر » .

(٩) معطوف على الخبر السابق .

السليمُ الفارغُ البال ، وبُسْرَ بالذات الصحيح الصادقُ الحس ، فأما الفقيرُ فما أغناه من
الحمد ، وأفقره إلى ما به يجد طعامَ الحمدِ ، والطعامُ الذي آثرتموه يعود رَجِيْعاً^(١) ،
والشراب يصير بَولاً ، والبناء يعود نِقْضاً^(٢) ، والغناء^(٣) رِيحَ هَابَةٍ ، ومُسْتَقِطٌ للمروءة ،
وسَخَافَةٌ تَفْسِدُ ، وِرَانَةٌ تَسِيرُ^(٤) ، فلدنكم فيما حوى لكم الفقرَ ونقضَ المروءة ،
ولدتنا فيما حوى لنا الغنى وبني المروءة ، فنحن في بناء ، وأنتم في هدم ، ونحن في
إبرام ، وأنتم في نقض ، ونحن في التماس العز الدائم مع فوت بعض اللذة ، وأنتم في
التعرض للذل الدائم مع فوت كل مروءة ، وقد فهمنا معنى حكايتك ، وما لهجت به
من روايتك ، والدليلُ على انتقاض طباعك ، وإدبار أمرك ، استحسانك ضدَّ ما كنت
تستحسن ، وعشقتك لما لم تزل تمقت ، فبعداً وسُحْقاً . ولا يُبعدُ اللهُ إلا من ظلم ،
والشاعرُ أبصرُ بكم حيث يقول :

فإن سمعتَ بهُلكَ للبخيلِ قفلُ بعداً وسُحْقاً له من هالكِ مُودِي^(٥)
مُرَّانُهُ جَنَّةٌ للوارثينِ إذا أودى وجثمانه للتربِ والدودِ

وقال آخر :

تَبَلَى محاسنُ وجهه في قبره والمالُ بين عدوِّه مقسومُ
والحمد لله الذي لم يُمتني حتى أُرانيك وكيلاً في مالك^(٦) ، وأجيرا لواريك ، وأما
أنت فقد تعجَّلتَ الفقرَ قبل أوانه ، وصرت كالمجلود في غير لذة ، وهل تزيد حال من
أنفق جميعَ ماله ، ورأى المسكروة في عياله ، وظهر فقره ، وشئتَ به عدوِّه ، هل
أكثرَ من انصرافِ المؤنسينِ عنه ، وعلى بُغضِ عياله ، وعلى خُشُونَةِ الملبَسِ وخُشُونَةِ

(١) الرجيع : الروث . (٢) النقض : المنقوض ، وهو البناء المهدوم .

(٣) في بعض النسخ « والثناء » .

(٤) أي تذهب في الهواء وتزول .

(٥) أودى : هلك .

(٦) أي وكيلاً في مالك لواريك ، لانتفع به انتفاع المالك .

الماكل ، وهذا كله مجتمعٌ في مسكٍ (١) البغليل ، ومصبوبٌ على هامةٍ (٢) الشحيح ،
ومعجلٌ للثيم ، وملازمٌ للمنوع ، ألا إن المنفق قد ربح المحمدة ، وتمتع بالنعمة ، ولم
يعطل المقدرة (٣) ، ووفى كل خصلةٍ من هذه حتمها ، ووفى عليها نصيبها ، والممسك
معذبٌ بحضر نفسه ، وبالكد لغيره ، مع لزوم الحجة ، وسقوط الهمة ، والتعرض
للذم والإهانة ، ومع تحكيم المرء (٤) السوداء في نفسه ، وتسليطها على عرضة ، وتمكينها
من عيشه وسرور قلبه . ولقد سرى إليك عرق (٥) ، ولقد دخل أعرافك جور (٦) ،
ولقد عمل فيها قاذح (٧) ، ولقد غالها غول ، وما هذا المذهب من أخلاق صميم
ثميف ، ولا من شيمٍ أعرقت (٨) فيها قریش ، ولقد عرض لك إقرار (٩) ، ولقد
أفسدتك هجنة (١٠) ، ولقد قال معاوية : « من لم يكن من بني عبد المطلب جوادا فهو
دخيل (١١) ، ومن لم يكن من آل الزبير شجاعا فهو لزيق (١٢) ، ومن لم يكن من
بني المغيرة تياها فهو سديد (١٣) » . وقال سلم بن قتيبة : « إذا رأيت الثقي يبرز من
غير إطعام (١٤) ، ويكسب لغير إنفاق ، فبهرجه (١٥) ثم بهرجه ثم بهرجه » وقال

(١) المسك : الجلد ، والمراد النفس . (٢) الهامة : الرأس ، والجمع هام .

(٣) أي لم يعطل المقدرة على فعل الخير و كسب الثناء .

(٤) المرء : المزاج ، والمزاج الأسود : هو المزاج المضطرب الكثير المخاوف والوساس .

(٥) أي اندس في أعراف نفسك عرق خسيس ليس منها .

(٦) المراد بالجور هنا الابتعاد عن الطريق القويم .

(٧) القاذح : أكل يقم في الشجر والأسنان ، والقاذح : العفن ، يقول : أصيبت هذه الأعراف

والصفات بعلته قضت عليها .

(٨) صارت عريقة في الكرم .

(٩) المقرف : من كانت أمه هربية وأبوه أعجمي ، والمراد بالإقرار هنا ما يشبه الإقرار : أي

كأنك لم تكن عربياً صمياً .

(١٠) المهجنة : أن تكون الأم غير عربية والأب عربياً .

(١١) الدخيل : من يعيش بين القوم وليس منهم .

(١٢) من لزق بنسب قوم وليس منهم .

(١٣) السديد : الدعى ، وهو من ينتمى إلى غير أهله .

(١٤) المني : دون أن يعنى بإطعام الفقراء ومساعدة المحتاجين . وفي الأصل « طعام » .

(١٥) بهرجه : أهمله .

ابن أبي رُدة : « لولا شبابٌ ثَقِيفٌ وسفهاؤهم ، ما كان لأهل البصرة مالٌ (١) »
 إن الله جواد لا يبخل ، وصدق لا يكذب ، ووفى لا يغير ، وحليم لا يعجل ،
 وعدل لا يظلم ، وقد أمرنا بالجود ، ونهانا عن البخل ، وأمرنا بالصدق ونهانا عن
 الكذب ، وأمرنا بالحلم ، ونهانا عن العجلة ؛ وأمرنا بالعدل ، ونهانا عن الظلم ، وأمرنا
 بالوفاء ، ونهانا عن الغدر ، لم يأمرنا إلا بما اختاره لنفسه ، ولم ينزجرنا إلا عما لم يرضه
 لنفسه وقد قالوا بأجمعهم : إن الله أجودُ الأجودين ، وأمجدُ الأمجدين ، كما قالوا : أرحم
 الراحمين ، وأحسن الخالقين ، وقالوا في التأديب لسائلهم ، والتعليم لأجوادهم : لا تجاودوا (٢)
 الله فإن الله جل ذكره أجودُ وأمجدُ ، وذكر نفسه جل جلاله وتقدّست أسماؤه ، فقال :
 ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٣) » وقال « ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » وقال : « ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ »
 وذكروا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : لم يَضَعْ درهما على درهم ، ولا أمانةً على لبنةٍ ،
 ومَلَكَ جزيرة العرب فقَبَضَ الصدقاتِ ، وجُبِيتْ له الأموال ما بين عُذْرَانَ الْعِرَاقِ إِلَى
 شَجَرِ عُمَانَ (٤) ، إلى أقصى مخاليفِ (٥) اليمن ، ثم تُوْفِيَ وعليه دينٌ ، ودرعه مرهونةٌ
 ولم يُسأل حاجةً قطُّ فقال : لا ، وكان إذا سُئِلَ أعطى ، وإذا وعد أو أطمع كان
 وعده كالعيانِ (٦) ، وإطماعه كالإنجاز ، ومدحته الشعراءُ بالجود ، وذكرته الخطباءُ
 بالسماح ، ولقد كان يَهَبُ للرجل الواحدِ الضاحجةَ (٧) من الشاء ، وَالْعَرَجِ (٨) من الإبل
 وكان أكثر ما يَهَبُ المالكُ من العرب مائةً بعير فيقال : وَهَبَ هُنَيْدَةً (٩) ، وإنما

(١) أي لكثرة ما ينفقون في البصرة ويبدلون .

(٢) أي لا تحاولوا أن تصلوا في الجود إلى مثل جود الله .

(٣) الإفضال والإتمام . (٤) ساحل البحرين ، بين عمان وعدن .

(٥) المخلاف : الكورة ، بلغة أهل اليمن .

(٦) مصدر عين الشيء : أبصره . والمعنى : أن وعده في الوثوق بتحقيقه كالشيء المشاهد .

(٧) الضاحجة : الغنم الكثيرة .

(٨) العرج بالفتح والكسر من الإبل : ما بين السبعين إلى الثمانين ، وقيل : هو ما بين الثمانين إلى

التمسين ، وقيل مائة وخمسون وفوق ذلك ، وقيل من خمسمائة إلى ألف .

(٩) هند وهنيدة : اسم للمائة من الإبل خاصة .

يقال ذلك إذا أريد بالقول غاية المدح - ولقد وهب (١) لرجل ألف بعير فلما رآها تزدهم في الهوادي (٢) ، قال : أشهد أنك نبي ، وما هذا مما تجود به الأنفس ، وفخرت هاشم على سائر قريش فقالوا : نحن أطعمم للطعام ، وأضرب للهام ، وذكرها بعض العلماء فقالوا : أجواد أجواد ، ذوو أسننة حداد . وأجمعت الأمم كلها بخيلها وسخيها وتمزجها (٣) ، على ذم البخل وحمد الجود ، كما أجمعوا على ذم الكذب وحمد الصدق ، وقالوا : أفضل الجود الجود بالجهود (٤) ، وحتى قالوا في جهد المقل (٥) وفيمن أخرج الجهد وأعطى الكل (٦) ، وحتى جعلوا ابن جاد بنفسه فضيلة على من جاد بماله ، فقال الفرزدق :

على ساعة لو كان في القوم حاتم على جوده ، ضدت به نفس حاتم (٧)

ولم يكن الفرزدق ليضرب المثل في هذا الموضع بكعب بن مامة ، وقد جاد بحوَّباه عند المصافنة (٨) ، فما رأينا عربياً سفته حاتم جوده بجميع ماله ، ولا رأينا

(١) أي النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) الهادية والهادى : العنق ، والهادية من كل شيء : أوله وما تقدم منه ، وفي النسخ « القوادي » ولا معنى لها .

(٣) أي من امتزج فيه السخاء بالبخل ، فكان وسطا بين الكريم والبخل .

(٤) المجهود هنا : الجهد ، أي الجود بقدر الجهد والطاقة ولو كان المعطى مقلا .

(٥) أي قالوا في الثناء على الفقير الذي يجود بما يستطيع ، ففي الأثر : « أفضل العطية جهد المقل » . وقالوا : « جهد المقل أفضل من غنى المكثر » .

(٦) أي وقالوا فيمن بذل جهده على لإفلاله ، وفيمن خرج عن كل ماله في بذل المعروف .

(٧) كان الفرزدق قد صافن رجلا من بني الضبر بن عمرو بن تميم . فطلب منه العنبري أن يؤثره على نفسه ففعل (والمصافنة في السفر : أن يقاسم الرفيق رفيقه الماء حتى لا يفين أحدهما الآخر) ويروي البيت :

على ساعة لو أن في القوم حاتما على جوده ماجاد بالماء حاتم

بكسر ميم حاتم على أنه بدل من الضبر في جوده .

(٨) الحوباء : النفس . وكان كعب بن مامة الإيادي أحد أجواد العرب الذين ضرب بهم المثل في الجود ، فقيل : « أجود من كعب بن مامة » . ومن حديثه أنه خرج في ركب فيهم رجل من النمر ابن قاسط فضلوا فتصافنوا ماءهم ، فتعدوا للشرب ، فلما دار القعب فأنهى إلى كعب أبصر النمرى يحدد النظر إليه فأثره بمائه ، وقال للساق : اسقأ ذاك النمرى ، فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ، ثم نزلوا من غدهم المنزل الآخر فتصافنوا ببقية ما بينهم ، فنظر إليه النمرى كمنظره أمسه ، فقال كعب كقوله =

أحدا منهم سَفَهَ حِلْمَ كَعْبٍ عَلَى جُودِهِ بِنَفْسِهِ ، بَلْ جَعَلُوا ذَلِكَ مِنْ كَعْبٍ لِإِيَادٍ مَفْخَرًا ،
 وَجَعَلُوا ذَلِكَ مِنْ حَاتِمِ طَيْئٍ مَأْتِرَةً لِعَدْنَانٍ عَلَى قَحْطَانٍ ، ثُمَّ لِلْعَرَبِ عَلَى الْعَجْمِ ،
 ثُمَّ لِسُكَّانِ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلِأَهْلِ تِلْكَ الْبَرِّيَّةِ عَلَى سَائِرِ الْجَزَائِرِ وَالتُّرْبِ ، فَمَنْ أَرَادَ
 أَنْ يَخَالَفَ مَا وَصَفَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ بِهِ نَفْسَهُ ، وَمَا مَنَعَ مِنْ ذَلِكَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ ، وَمَا فَطَرَ عَلَى تَفْضِيلِهِ الْعَرَبَ قَاطِبَةً ، وَالْأُمَّمَ كَافَّةً ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا فِيهِ إِلَّا
 إِكْفَارُهُ وَاسْتِسْقَاطُهُ ، وَلَمْ نَرَ الْأُمَّةَ أَبْغَضَتْ جَوَادًا قَطُّ وَلَا حَقَرَتْهُ ، بَلْ أَحَبَّتْهُ
 وَأَعْظَمَتْهُ ، بَلْ أَحَبَّتْ عَقِبَهُ وَأَعْظَمَتْ مِنْ أَجْلِ رَهْطِهِ ، وَلَا وَجَدْنَا هُمْ أَبْغَضُوا جَوَادًا
 لِمَجَاوِزَتِهِ حَدَّ الْجُودِ إِلَى السَّرَفِ وَلَا حَقَرَتْهُ ، بَلْ وَجَدْنَا هُمْ يَتَعَلَّمُونَ مَنَاقِبَهُ ،
 وَيَتَدَارَسُونَ مَحَاسِنَهُ ، وَحَتَّى أَضَافُوا إِلَيْهِ مِنْ نَوَادِرِ الْجَمِيلِ (١) مَا لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَتَحَلَّوْهُ (٢)
 مِنْ غَرَائِبِ الْكِرْمِ مَا لَمْ يَكُنْ يَبْلُغُهُ ، وَلِذَلِكَ زَهَمُوا أَنْ الثَّنَاءُ فِي الدُّنْيَا يُضَاعَفُ كَمَا
 تَضَاعَفُ الْحَسَنَاتُ فِي الْآخِرَةِ ، نَعَمْ وَحَتَّى أَضَافُوا إِلَيْهِ كُلَّ مَدِيحٍ شَارِدٍ ، وَكُلَّ مَعْرُوفٍ
 مَجْهُولِ الصَّاحِبِ . ثُمَّ وَجَدْنَا هُوَ لَا بِأَعْيَانِهِمْ (٣) لِلْبَخِيلِ عَلَى ضِدِّ هَذِهِ الصِّفَةِ ، وَعَلَى
 خِلَافِ هَذَا لِلذَّهَبِ ، وَجَدْنَا هُمْ يُبْغِضُونَهُ مَرَّةً ، وَيُحَقِّرُونَهُ مَرَّةً ، وَيُبْغِضُونَ بِفَضْلِ
 بَغْضِهِ وَوَلَدَهُ ، وَيُحَقِّرُونَ بِفَضْلِ احْتِقَارِهِمْ لَهُ رَهْطَهُ ، وَيُضَيِّفُونَ إِلَيْهِ مِنْ نَوَادِرِ اللَّؤْمِ مَا لَمْ
 يَبْلُغُهُ ، وَمِنْ غَرَائِبِ الْبَخْلِ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَحَتَّى ضَاعَفُوا عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ الثَّنَاءِ بِتَدْرٍ
 مَا ضَاعَفُوا لِلْجَوَادِ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ ، وَعَلَى أَنَا لَأَنْجِدَ الْجَوَائِحِ (٤) إِلَى أَمْوَالِ الْأَسْخِيَاءِ

= أَمَسَ ، وَارْتَحَلَ الْقَوْمَ ، وَقَالُوا : يَا كَعْبُ ارْتَحِلْ ، فَلَمْ يَكُنْ بِهِ قُوَّةٌ لِلنَّهْوِ ، وَكَانُوا قَدْ قَرَّبُوا مِنَ الْمَاءِ ،
 فَقِيلَ لَهُ : رَدَّ - كَعْبٌ - لِأَنَّكَ رَوَادٌ ، فَعَجَزَ عَنِ الْبَوَابِ وَمَاتَ عَطْشًا ، فَقَالَ أَبُوهُ مَامَةَ يَرْتِيهِ :
 أَوْفَى عَلَى الْمَاءِ كَعْبٌ ثُمَّ قِيلَ لَهُ رَدَّ كَعْبٌ لِأَنَّكَ وَارِدٌ فَمَا وَرَدًا
 « تَجْمَعُ الْأَمْثَالُ ١ : ١٢٣ » وَقَوْلُهُ « وَلَمْ يَكُنِ الْفَرَزْدَقُ يُضْرَبُ الْمَثَلَ » أَيْ لِيَتَشَبَهَ بِكَعْبِ بْنِ مَامَةَ -
 لِأَنَّهُ آثَرٌ هُوَ أَيْضًا الْعَنْبَرِيُّ عَلَى نَفْسِهِ - وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ ، وَالتَّقْدِيرُ : لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلْ ذَلِكَ إِلَّا لِبُلُوغِهِ
 الْغَايَةَ فِي كَرَمِ النُّفُوسِ .

(٢) تَحَلَّوْهُ : نَحَلُّوهُ : نَسَبُوا إِلَيْهِ .
 (٤) جَمْعُ جَائِحَةٍ : وَهِيَ الْآفَةُ .

(١) أَيْ الْفِعْلُ الْجَمِيلُ .
 (٣) فِي الدِّسْخِ « بِأَنْعَامِهِمْ » .

أُسْرِعَ مِنْهَا إِلَى أَمْوَالِ الْبِخْلَاءِ ، وَلَا رَأْيُنَا عِدَدَ مَنْ افْتَقَرَ مِنَ الْبِخْلَاءِ أَقَلَّ ، وَالْبَخِيلُ
عِنْدَ النَّاسِ لَيْسَ هُوَ الَّذِي يَبْخُلُ عَلَى نَفْسِهِ فَقَطْ ، فَقَدْ يَسْتَعْقُ عَنْدهُمْ اسْمَ الْبَخِيلِ ،
وَيَسْتَوْجِبُ الذَّمَّ ، مِنْ لَا يَدَعُ^(١) لِنَفْسِهِ هَوَى إِلَّا رَكِبَهُ ، وَلَا حَاجَةَ إِلَّا قَضَاهَا ، وَلَا
شَهْوَةَ إِلَّا رَكِبَهَا ، وَبَلَغَ فِيهَا غَايَتَهُ ، وَإِنَّمَا يَقَعُ عَلَيْهِ اسْمُ الْبَخِيلِ إِذَا كَانَ زَاهِدًا فِي كُلِّ
مَا أُوجِبَ الشُّكْرَ ، وَنَوَّهَ بِالذِّكْرِ ، وَادَّخَرَ الْأَجْرَ ، وَقَدْ يَمْلُقُ الْبَخِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ
الْمُوْنِ ، وَيُلْزِمُهَا مِنَ السُّكُوفِ ، وَيَتَّخِذُ مِنَ الْجَوَارِي وَالْخَدَمِ ، وَمِنَ الدَّوَابِّ وَالْحَشَمِ^(٢) ،
وَمِنَ الْآفِيَةِ الْعَجِيبَةِ ، وَمِنَ الْبِرَّةِ^(٣) الْفَاخِرَةِ ، وَالشَّارَةِ^(٤) الْحَسَنَةِ ، مَا يُرِي^(٥) عَلَى
نَفْقَةِ السَّخِيِّ الْمُثْرَى ، وَيَضْعُفُ^(٦) عَلَى جُودِ الْجَوَادِ الْكَرِيمِ ، فَيَذْهَبُ مَالُهُ وَهُوَ
مَذْمُومٌ ، وَيَتَغَيَّرُ حَالُهُ وَهُوَ مَلُومٌ ، وَرَبَّمَا غَلَبَ عَلَيْهِ حُبُّ الْقِيَانِ^(٧) ، وَاشْتَهَرَ^(٨)
بِالْحَصِيَانِ ، وَرَبَّمَا أَفْرَطَ فِي حُبِّ الصَّيْدِ ، وَاسْتَقْوَى عَلَيْهِ حُبُّ الْمَرَكَبِ^(٩) ، وَرَبَّمَا
كَانَ إِتْلَافُهُ فِي الْعُرْسِ وَالْخُرْسِ^(١٠) وَالْوَلِيمَةِ ، وَإِسْرَافُهُ فِي الْإِعْذَارِ^(١١) وَفِي الْعَقِيْقَةِ^(١٢)
وَالْوَكِيْرَةِ^(١٣) ، وَرَبَّمَا ذَهَبَتْ أَمْوَالُهُ فِي الْوَضَائِعِ^(١٤) وَالْوَدَائِعِ ، وَرَبَّمَا كَانَ شَدِيدًا

- (١) في بعض النسخ « ولا يدع » .
(٢) الحشم : الخدم .
(٣) الهيئة ، يقال : هو حسن البرة .
(٤) الشارة هنا : الزينة واللباس .
(٥) يقال : أربى الشيء على كذا أي زاد عليه .
(٦) ضعف يضعف من باب كرم : زاد ، وفي الحديث « تضعف صلاة الجماعة على صلاة الفرد
خمسًا وعشرين درجة » أي تزيد عليها .
(٧) جمع أينة : وهي الأمة البيضاء ، مغنية أو غير مغنية .
(٨) أي اشتهر بمجازة الحصيان ، وذلك ضرب من البذخ .
(٩) جمع مركب : وهو ما يركب من الخيل ونحوها .
(١٠) الحرس بالضم والحراس بالكسر : طعام يصنع ابتهاجا بالولادة .
(١١) الإعذار والعذار (بالكسر) والعذير والعذيرة : وليمة الختان ، وطعام البناء .
(١٢) الشاة تذبح في اليوم السابع من ولادة المولود ابتهاجا به ، وأصل العقيقة: الشعر الذي يسكون
على رأس الصبي حين يولد ، وإنما سميت تلك الشاة التي تذبح في تلك الحال عقيقة ، لأنه يحلق عنه
ذلك الشعر عند الذبح .
(١٣) الطعام يتخذه الرجل ويدعو لإيه عند انتهاء ما كان يبينه .
(١٤) جمع وضيفة : وهي ما يرفضه الدائن من المدين من الدين .

البخل شديد الحب للذكر ، ويكون بخله أو شج ، ولوئمه أقبح ، فينفق أمواله ،
ويؤتلف خزائنه ، ولم يخرج كفافاً (١) ولم ينجُ سليماً ، كأنك لم تر بخيلاً مخدوعاً (٢) ،
وبخيلاً مضعوفاً (٣) ، وبخيلاً مضياعاً ، وبخيلاً نفاقاً (٤) ، وبخيلاً ذهب ماله في البناء ،
وبخيلاً ذهب ماله في الكيمياء (٥) ، وبخيلاً أنفق ماله في طمع كاذب ، وعلى أمل
خائب ، وفي طلب الولايات ، والدخول في القبالات (٦) ، وكانت فتنته بما يؤمل
من الإمرة ، فوق فتنته بما قد حواه من الذهب والفضة ، قد رأيناهُ يُنفق على مائدته
وفا كفته ألف درهم في كل يوم ، وعنده في كل يوم عرس (٧) ، ولأن يطعم طاعن
في الإسلام أهون عليه من أن يطعم طاعن في الرغيف الثاني ، ولشق عصا الدين أهون عليه
من شق رغيف ، لا بعد الثلثة (٨) في عرضه ثلثة ، ويعدها في ثريدته من أعظم الثلث ،
وإنما صارت الآفات إلى أموال البخلاء أسرع ، والجوائح عليهم أكذب (٩) ، لأنهم
أقل توكللاً ، وأسوأ بالله ظناً . والجواد إذا أن يكون متوكلاً ، وإما أن يكون
أحسن بالله ظناً ، وهو على كل حال بالمتوكل أشبه ، وإلى ما أشبهه أنزع (١٠) ، وكيفما
دار أمره ، ورجعت الحال (١١) به ، فليس ممن يتكبل على حزمه ، ويلجأ إلى كيئسه ،

-
- (١) الأصل في معنى الكفاف ما يكف عن سؤال الناس ويغنى ، ومعنى لم يخرج كفافاً هنا :
لم يخرج خالياً من الدم .
(٢) يتخيل الكاتب أن المخاطب منكر دعواه لما فيها من الغرابة فهو يتجه إليه قائلاً : كأنك
لم تر بخيلاً مخدوعاً الخ .
(٣) المضعوف : ضعيف الرأي .
(٤) النفاق : المدعى المتباهى بما ليس فيه .
(٥) الكيمياء في زعمهم تحويل المعادن الخبيثة بالصناعة إلى معادن نفيسة .
(٦) القبالة : اسم لما يلتزمه الإنسان من عمل ودين ونحوها ، والقبيل : الكفيل والضامن ، وقد
قبل به كنعصر وسمم وضرب .
(٧) العرس : من معانيه الوليمة .
(٨) الثلثة : الشق . (٩) أشد . (١٠) أميل .
(١١) تشابهت الحوادث عليه .

ويرجع إلى جودة احتياطه ، وشدة احتراسه ، واعتلال البخيل بالخدثان (١) ، وسوء الظن بتقلب الزمان ، إنما هو كناية عن سوء الظن بخلق الخدثان ، وبالذي يحدث الأزمان وأهل الزمان ، وهل تجرى الأحداث إلا على تقدير المحدث لها؟ وهل تختلف الأزمنة إلا على تصرف من دبرها؟ أولسنا وإن جهلنا أسبابها فتد (٢) أيقننا بأنها تجري إلى غاياتها؟ والدليل على أنه ليس بهم خوف الفقر ، وأن الجمع والمنع إما أن يكون عادة منهم ، أو طبيعة فيهم ، أنك قد تجد المالك بخيلا ، ومملكته أوسع ، وخرجه أدرك ، وعدوه أسكن ، وتجد آخر أكثر منه جودا (٣) ، وإن كانت مملكته أضيق ، وخرجه أقل ، وعدوه أشد حركة ، وقد علمنا أن الزنج أقصر الناس مرة (٤) وروية ، وأذهلهم عن معرفة العاقبة (٥) ، فلو كان سخاؤهم إنما هو إكلال حدتهم (٦) ، ونقص عقولهم ، وقلة معرفتهم ، لكان ينبغي لفارس أن تكون أبخل من الرثوم ، وتكون الروم أبخل من الصقالبة (٧) ، وكان ينبغي في الرجال - في الجملة - أن يكونوا أبخل من النساء - في الجملة - وكان ينبغي للصبيان أن يكونوا أسخى من النساء ، وكان ينبغي أن يكون أقل البخلاء عقلا أعقل من أشد الأجواد عقلا ، وكان ينبغي للكلب - وهو المضروب به المثل في الأثوم - أن يكون أعرف بالأمور من الديك المضروب به المثل في الجود (٨) ، وقالوا هو أسخى من

(١) أي بالخوف من حوادث الدهر .

(٢) الفاء زائدة .

(٣) في بعض النسخ « وتجد أحزم منه جوادا » .

(٤) المرة : العقل والأصالة والإحكام ، وفي الأصل « مدة » وهو تحريف .

(٥) أي وهم مع ذلك أسخياء .

(٦) كلال الحد : أصله في السيف والسكين ونحوهما ، والمراد هنا قلة الذكاء .

(٧) الصقالبة : جيل تناخم بلادهم بلاد الخزر (في روسيا الآن) - وبجر الخزر بالتحريك هو بحر قزوين - .

(٨) وصف الديك بالجود لأن من عادته أن يدعو الدجاج ويثير لها الحب .

لا فِظَةَ (١) ، وألأم من كلب على جيفة (٢) ، وألأم من كلب على عرق (٣) ، وقالوا :
أجـع كلبك يتبعك (٤) ، و نعيم كلب في بؤس أهله (٥) ، و سمن كلبك يا كلك (٦)

(١) من أمثال العرب « أسبح من لافظة » قال الميداني . « قد اختلفوا فيها فقال بعضهم : هي الديك لأنه يأخذ الحبة بمنقاره فلا يأكلها ولكن يلقبها إلى الدجاجة - والهاء فيها للمبالغة هاهنا - وقال بعضهم : هي النر التي تشلى للحلب فتجىء لافظة بجرتها فرحا بالحلب . وقال بعضهم : هي الحمامة ، لأنها تخرج ماني بطنها لفرخها ، وقال بعضهم . هي الرحي ، لأنها تلفظ ما تطخنه أي تقذف به ، وقال بعضهم هي البحر ، لأنه يلفظ بالدرة التي لاقيمة لها (أي لنفاستها) قال الشاعر :

تجود فتجزل قبل السؤال وكفك أسبح من لافظة

- انظر مجمع الأمثال ١ : ٢٣٨ - .

(٢) أورده الميداني في مجمع الأمثال ١ : ١٥٤ « أحرص » .

(٣) ورد في مجمع الأمثال ٢ : ١٣٨ والعرق العظم أكل لحمه أو لم يؤكل .

(٤) ويروى « جوع » مثل يضرب في معاشره اللئام وما ينبغي أن يعاملوا به ، وأول من قال ذلك ملك من ملوك حمير . كان عنيفا على أهل مملكته يفضبهم أموالهم ويسلبهم ما في أيديهم وكانت الكهنة تخبره أنهم سيقتلونه فلا يحفل بذلك . وسمعت امرأته أصوات السؤال فقالت : إني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجهد ، ونحن في العيش الرغد ، وإني لأخاف عليك أن يصبروا سباعا ، وقد كانوا لنا أتباعا ، فرد عليها : جوع كلبك يتبعك ، وأرسلها مثلا ، فلبث بذلك زمانا ، ثم أغزاهم فغنموا ولم يقسم فيهم شيئا ، فلما خرجوا من عنده قالوا لأخيه وهو أميرهم : قد ترى مانحن فيه من الجهد ، ونحن نكره خروج الملك منكم أهل البيت إلى غيركم ، فساعدنا على قتل أخيك واجلس مكانه ، وكان قد عرف بغية واعتداه عليهم فأجابهم إلى ذلك ، فوثبوا عليه فقتلوه ، فر به عامر بن جذيمة وهو مقتول وقد سمع بقوله « جوع كلبك يتبعك » فقال : ربما أكل الكلب مؤدبه ، إذا لم ينل شبعه ، فأرسلها مثلا - مجمع الأمثال ١ : ١١١ .

(٥) ويروى « نعيم الكلب في بؤس أهله » و « في بؤسى أهله » وذلك أن الجذب والبؤس يكثر الموتى والجيف ، وذلك نعيم الكلب . قيل أصله أن بعض الأعراب كان له بعير يكرهه فينتقم بما يعود منه ، وله كلب يقصر في إطعامه فهو يتلف جوعا ، فأت البعير ، فرجم الرجل إلى سوء حال ، والكلب إلى خصب ، يضرب مثلا للرجل ينتقم بضرر غيره ، مجمع الأمثال ٢ : ١٩٥ وجمهرة الأمثال ٢ : ٢٣٤ - .

(٦) ويروى « أسمن » قالوا : أول من قال ذلك حازم بن المنذر الحماني . وذلك أنه مر بمحلة همدان فإذا هو بسلام ملفوف في ثوب خلق مبتذل ، فرحمه وحمله على مقدم سرجه حتى أتى به منزله ، وأمر أمة له أن ترضعه فأرضعته حتى فطم ، وأدرك وراحم اللحم فجعله راعيا لغنمه ، وكان لحازم ابنة ، فهويت الغلام وهويها ، وكان ذا منظر وجمال ، فكانت تتبعه إلى موضع الكلا فيتغازلان ، ولبثا على ذلك أياما ، ثم إن أباهما افتقدها يوما وفطن لها فرصدها حتى إذا خرجت تبعها ، فأنتهى إليهما وهما على سوءة ، فلما رأها قال : سمن كلبك يا كلك ، فأرسلها مثلا ، وأفلت الغلام ولحق بقومه همدان واختنقت الفتاة فانت . وقيل : إن رجلا من طسم ارتبط كلبا ، فكان يسمنه ويطعمه رجاء أن يصيد به ، فاحتبس عليه بطعمه يوما فدخل عليه صاحبه فوثب عليه فافترسه - مجمع الأمثال ١ : ٢٢٦ .

وأحرصُ من كلب على عقي^(١) صبي ، وأجوع من كلبته حومل^(٢) ، ولهو أبدأ
من كلب^(٣) وحش فلان من خُرء الكلب^(٤) ، واخساً ، كما يقال للكلب^(٥) ،
وكالكلب في الآرى^(٦) ، لا هو يعتلف ، ولا هو يترك الدابة تعتلف ،
وقال الشاعر :

سرت ما سرت من ليها ثم عرست على رجلٍ بالمرج الأم من كلب^(٧)
وقال الله جل ذكره : « فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثُ
أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ » وكان ينبغي في هذا القياس أن يكون المرأوزة^(٨) أعتل البرية ،
وأهل خراسان أدري البرية^(٩) ، ونحن لانجد الجواد يفر من اسم السرف إلى الجود ،

(١) جمع الأمثل ١ : ١٥٤ والعقي : أول حدث الصبي ، وفي النسخ « عقي ظي » وهو تحريف .
(٢) حومل : امرأة من العرب كانت تجيع كلبه لها ، فكانت تربطها بالليل للجراحة ، وتطردها
بالنهار ، وتقول : التمسى لنفسك لا ملتس لك ، فلما طال ذلك عليها أكلت ذنبها من الجوع ، قال الكهيت
يذكر بنى أمية ويذكر أن رعايتهم الائمة كرعاية حومل لكلبها :

كما رضيت جوعاً وسوء رعاية لكلبها في سالف الدهر حومل

(٣) أى أخش ، وبذاءة الكلب هنا : كثرة هربه لسبب ولغيره .
(٤) حش المال : كثره ، أى كثر فلان ماله من أدنا الوجوه التي تشبه خرم الكلب .
(٥) أى وقالوا لمن يطرد اخساً كما يقال للكلب .

(٦) الآرى : محبس الدابة . وحبل تشد به الدابة في محبسها .

(٧) الضمير يعود إلى الناقة ، والتعريس : نزول المسافر في آخر الليل للاستراحة ، والعرج : بلدة
باليمن ، وواد بالحجاز ذو نخيل ، وموضع ببلاد هذيل ، ومنزل بطريق مكة .

(٨) المرأوزة : أهل مرو الشارهبان : أشهر مدن خراسان وقصبتها : جمع روزى ، نسبة إلى
مرو على غير قياس ، كأشاعرة جمع أشعري - انظر معجم البلدان ٨ : ٣٣ .

(٩) أى لأنهم أشد الناس بخلا ، وقد عقد الجاحظ في كتاب البخلاء (ص ١٤) فصلاً طويلاً في
وصف بخلهم قال فيه : « نبدأ بأهل خراسان ، لإكثار الناس في أهل خراسان ، ونخص بذلك أهل
مرو بقدر ما خصوا به ، قال أصحابنا : يقول المروزي للزائر إذا أتاه ، وللجلس إذا طال جلوسه ، تغديت
اليوم ؟ فإن قال نعم ، قال : لولا أنك تغديت لغديتك بقاء طيب ، وإن قال لا ، قال : لو كنت تغديت
لسقنتك خمسة أقداح ، فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير ، و كنت في منزل ابن أبي كريمة -
وأصله من مرو - فرآني أتوضأ من كوز خرف ، فقال : سبحان الله ، تتوضأ بالمذب ، والبئر لك معرضة !
قلت : ليس بمذب ، إنما هو من ماء البئر ، قال : فتفسد علينا كوزنا بالملوحة ! فلم أدر كيف
أنخلص منه .

وقال ثمامة : لم أر الديك في بلدة قط إلا وهو لافظ ، يأخذ الحبة بمنقاره ثم يلفظها قدام الدجاجة إلا
دبكة مرو ، فإن رأيت دبكة مرو تسب الدجاج ما في مناقيرها من الحب ، قال : فعلت أن يخلفهم شيء =

كما نجد البخيل يفرُّ من اسم البخلِ إلى الاقتصاد، ونجد الشجاع يفرُّ من اسم المهزيم، والمستحي يفرُّ من اسم الخجل، ولو قيل لخطيب ثابت الجنان « وَقَاحٌ » (١) « لجزعَ فلو لم يكن من فضيلة الجود إلا أن جميع المتجاوزين لحدود أصناف الخير يسكروهون اسم تلك الفضلة (٢) إلا الجواد، لقد كان في ذلك ما يبين قدره، ويظهر فضله، المال فائِنٌ، والنفسُ راغبة، والأموالُ ممنوعة، وهي (٣) على ما مُنعت حريصة، وللنفوس في المكائنة علةٌ معروفة، لأن من لا فكرة له ولا روية، مُوكَّل (٤) بتعظيم ذى الثروة، وإن لم تكن منه منالة (٥)، وقد قال الأول:

وزادها كلفاً بالحبِّ أن مُنعتْ وَعَبُّ شَيْءٍ إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنَعَا

وفي بعض كتب الفرص: كلُّ عزيز تحت القدرة فهو ذليل.

وقالت معاوية العدوية: كل مقدورٍ عليه فتمتلي (٦) أو محتور، ولو كانوا الأولادهم يجمعون، ولهم يكذون، ومن أجلهم يحرصون، لجعلوا لهم كثيرا مما يطلبون، ولتركوا محاسبتهم في كثير مما يشتهون، وهذا بعض ما بغض الورثين إلى الوارثين، وزهد الأخلاف (٧) في طول عمر الأسلاف، ولو كانوا الأولادهم يُهدون،

في طبع البلاد وفي جواهر الماء، فمن ثم عم جميع حيوانهم، حدثت بهذا الحديث أحمد ابن رشيد فقال: كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبي له صغير يلعب بين يديه، فقلت له - إما عابثا وإما ممتحنا -: أطعني من خبزكم، قال: لا تريد، هو مر، فقلت: فاسقني من ماءكم، قال: لا تريد، هو مالح، قلت: هات من كذا وكذا، قال: لا تريد، هو كذا وكذا، إلى أن عدت أصنافا كثيرة، كل ذلك ينميه ويغضه إلى، فضحك أوه، وقال: اذنبنا، هذا من علمه ما نسمع؟ يعني أن البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطينتهم...»

(١) الرجل الصلب الذي قل حياؤه.

(٢) أي الزيادة في الفضيلة وتجاوز الحد فيها.

(٣) أي النفس.

(٤) أي جعل تعظيم ذى الثروة من شغفه كأنه واهع به مفتون.

(٥) النال والمنالة والمنال مصدر نات أنال، ويقال: نلت له بشيء أي جدت.

(٦) قلاه يقلبه قلب وقلاه، ويقلاه لغة طيء: أبغضه غاية البغض، قال ابن السكيت ولا يكون

في البغض إلا قليت، وفي النسخ « فقلو ».

(٧) أخلاف جمع خلف بالتجريك: وهم أبناء الإنسان الذين يخلفونه بعد موته.

ولهم يجمعون، لما جمع الخُصيانُ الأموالَ، وأما كَنَزَ الرُّهبانِ الكنوزَ، ولاستراح العاقِر من ذلِّ الرغبة، ولَسَلِمَ العقيمُ من كدِّ الحِرصِ، وكيف ونحن نجده بعد أن يموت ابنه الذي كان يعتلُّ به، والذي مِنْ أَجْلِهِ كان يجمع، على حاله (١) في الطَّلَبِ والحِرصِ، وعلى مثلِ ما كان عليه من الجَمْعِ والمنع، والعامَّة لم تقصِّر في الطلَبِ والحِكْمَةِ (٢)، والبخلاءُ لم يحدُّوا شيئاً من جهدهم (٣)، ولا عَفَوْا بعد قدرتهم (٤)، ولا قصَّروا في شيء من الحِرصِ والحَصْرِ (٥)، لأنهم في دار قُلعة (٦)، وتعرَّضَ نُقْلَةً (٧)، حتى لو كانوا بالخلود موقنين لأغفلوا تلك الفضولَ، فالبخيل مجتهد، والعاميُّ غيرُ مقصر، فمن لم يستعنْ على ما وصَفنا (٨) بطبيعة قوية، وبشهوة شديدة، وبنظر شافٍ، كان إما عامياً، وإما بخيلاً شقيماً، ففيمَ اعتلَّهم بأولادهم، واحتجاجهم بخوف التلَوْن من أزمتههم؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أفدِ كَذَبَ عنده كَذِبَةٌ - وكان جواداً - : «لولا خَصْلَةٌ (٩) وَمِمْكَ اللهُ عليها، لَشَرَّدْتُ بِكَ مِنْ وَاوَدِ قَوْمٍ» وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم: هل لك في بِيضِ النساءِ وأدَمِ الإِبِلِ (١٠)؟ قال: «وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: بنو مُدَجِّجٍ، قَالَ: «يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ قِرَاهِمُ الضَّيْفِ، وَصِلَتُهُمُ الرَّحِيمَ» وقال لهم أيضاً: «إِذَا نَحَرُوا نُجِّوا (١١)، وَإِذَا كَبَّوْا عَجَّوا (١٢)» وقال للأَنْصَارِ: مَنْ

(١) متعلق الجار والمجرور مفعول ثانٍ لتجد .

(٢) اسم من الاحتكار .

(٣) في النسخ «لم يحدوا» والصواب «لم يحدوا» أي لم يحدوا جهودهم في جمع الأموال .

(٤) في النسخ «ولا عفواً» بالنصب، والصواب «ولا عفواً» أي عن الكد، والكدح بعد قدرتهم

على العيش بما تجم لهم من مال .

(٥) الحصر: البخل .

(٦) يقال: الدنيا دار قلعة، أي انقلاع وارتحال .

(٧) أي إن الدنيا دار يتعرض فيها المرء للانتقال .

(٨) وهو تمكن البخل والجشع في النفوس . (٩) وممقه: أجه .

(١٠) الأدم جمع آدم وأدماء، والأدمة في الإبل بالضم: لون مشرب سواداً أو بياضاً أو هو البياض الواضح . والتقدير: هل لك في قوم بيض النساء . . .

(١١) نجوا: أسالوا دماء الذبائح في الحج .

(١٢) التلية في الحج: قول ليك اللهم ليك، وعج يعج بالكسر والفتح: صاح ورفع صوته .

سیدکم؟ قالوا الحُرُّ (۱) بن قیس ، علی أنه بُزِنُ (۲) فینا بُبخل ، فقال : « وأی داءٍ أدوا من البخل ؟ » ثم جعله من أدوی الداء ، وقال للأنصار : « أما والله ما علمتکم إلا لَمْ کثُرُونَ عند الفزَع ، وتَقَلُّون عند الطمع » وقال : « کفی بالمرء حِرْصاً رکوبُهُ البحرَ » وقال : « لو أن لابن آدم وادین من مالٍ لابتغى ثالناً ، ولا یُشبعُ ابن آدم إلا الترابُ ، یتوبُ الله علی من تاب » وقال : « السخاء من الحیاء ، والحیاء من الإیمان » وقال : « إن الله جوادٌ یحبُّ الجوادَ » وقال : « أنفقْ یا بلالُ ولا تخشَ من ذی العرشِ إقلاً (۳) » وقال : « لاتوک فیوکی علیک (۴) » وقال : « لاتُخصَّ فیخصَّ عابک » وقالوا : لا ینفعک من زادٍ ما تبقی (۵) ، ولم یُسمَّ الذهبَ والفضةَ بالحجرین إلا وهو یرید أن یضع من أقدارهما ، ومن فتنة الناس بهما ، وقال لقیس ابن عاصم : « إنما لك من مالک ما أکلت فأفنیته ، وما ابیت فأبلیت ، أو أعطیت فأمضیت ، وما سوى ذلك فلوارث » وقال النمر بن تواب :

وَحَثَّتْ عَلٰی جَمْعٍ وَمَنْعٍ ، وَنَفْسُهَا لها فی صُرُوفِ الدهرِ حقُّ کَذُوبِ (۶)
 وَكَأَنَّ رَأَيْنَا مِنْ كَرِيمٍ مُرْزَأٍ أَخِي ثِقَةٍ طَلَقِ الْيَدَيْنِ وَهُوبِ (۷)
 شَهِدْتِ وَفَاتُونِي ، وَكُنْتُ حَسْبَتِي فقبراً إلى أن يشهدوا وتغيبی (۸)
 أَعَاذِلُ إِنْ يُصْبِحُ صَدَايَ بِقَفْرَةٍ بعيداً نأني صاحبي وقربی (۹)

(۱) هكذا في العقد الزيد ، وفي النسخ « جد بن قيس » .

(۲) بزِن : يظن ويتهم .

(۳) في العقد : « أنفق بلالا ، ولا تخش من ذی العرش إقلاً » .

(۴) أو کی السقاء : شدفه بجبل . والمعنى : لا نجس الخیر عن الناس فيجس عنك .

(۵) أي ما زاد علی حاجتك .

(۶) الضمير في حثت يعود علی زوجته ، يقول حثتني علی جمع الأموال ومنع السائلين وقد کذبتهما نفسها حقاً عند ما صورت لها الخوف من صروف الدهر وأحداثه .

(۷) المرزأ : الکریم یصاب من ماله كثيراً .

(۸) يقول . قد شهدتني وغاب عني هؤلاء الکرماء ، وکنت أظنني في حاجة لی أن یخضروني لأنهم علی شاکني في الکرم والجود وتغيبني عني لأنک تأمرینني بما لا یلائم شیمتي من الجهم والمنم .

(۹) جاء في لسان العرب : « قال أبو العباس المبرد : الصدی علی ستة أوجه أحدها : ما یبقی من المیت في قبره ، وهو جنته . قال النمر بن تواب :

أعاذل إن یصبح صدای بقفرة
 بعيداً نأني ناصری وقربی

تَرَىٰ أَنْ مَا أَبْقَيْتُ لِمِ أَكُ رَبِّهِ وَأَنْ الَّذِي أَمْضَيْتُ كَانَ نَصِيبِي (١)
 وَذِي إِبِلٍ يَسْعَىٰ وَيَحْسِبُهَا لَهُ أَخِي نَصَبٍ فِي رَعِيهَا وَدُوبٍ (٢)
 غَدَّتْ وَغَدَا رَبُّ سِوَاهُ بِسَوْقِهَا وَبَدَّلَ أَحْجَارًا وَجَالَ قَائِبٍ (٣)
 وَقَالَ أَيْضًا :

قَامَتْ تَبَاكِي أَنْ سَبَّاتُ لَفِئْمِيَّةٍ زِقًا وَخَابِيَّةً بَعْوَدٍ مُقَطَّعٍ (٤)
 وَقَرَيْتُ فِي مَقْرَى قَلَائِصَ أَرْبَعًا وَقَرَيْتُ بَعْدَ قِرَى قَلَائِصَ أَرْبَعٍ (٥)
 أَتَبَكِّيًّا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هَبْنِي؟ سَفَهُ بَكَاءِ الْعَيْنِ مَا لِمِ تَدْمَعٍ (٦)
 فَإِذَا أَتَانِي إِخْوَتِي فَدَعِيهِمْ يَتَعَلَّوْا فِي الْعَيْشِ أَوْ يَلْهَوْا مَعِي (٧)

= فصداه : بدنه وجنته ، وقوله : نآنى : أى نأى عني « (ثم قال : والصدى : الذكر من اليوم . وكانت العرب تقول : إذا قتل قتيل فلم يدرك به النار خرج من رأسه طائر كالبومة ، وهى الهامة والذكر الصدى ، فيصيح على قبره اسقوني اسقوني ، فإن قتل قاتله كلف عن صباحه) - وقد أورد المبرد معانى الصدى مفصلة فى شرحه لهذا البيت فى كتابه الكامل ج ١ : ص ١٧٨ - وقال صاحب اللسان أيضاً فى مادة نأى : « قال المبرد : نآنى فيه وجهان : أحدهما أنه بمعنى أبعدنى كقولك زدته فزاد ونقصته فنقص والوجه الآخر فى نآنى أنه بمعنى نأى عني ، قال أبو منصور : وهذا القول هو المعروف الصحيح » وجاء فى الكامل : « تأويل قوله نآنى يكون على ضربين : يكون أبعدنى . وأحسن ذلك أن يقول أنا نآنى ، وقد رويت هذه اللغة الأخرى وليست بالمسنة ، وإنما جاءت فى حروف ، يقال : غاض الماء وغضته ، ونزحت البئر ونزحتها ، وهبط الشئ وهبطته - وبنو تميم يقولون أهبطته - وأحرف سوى هذه يسيرة ، والوجه فى فعل أفعلته نحو دخل وأدخلته ، ومات وأماته الله ، فهذا الباب المطرد ، ويكون نآنى فى موضع نأى عني ، كما قال الله عز وجل « وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ » أى كالوا لهم ووزنوا لهم .

- (١) لم أك ربه : أى لم أك صاحبه ، وإنما هو مال الوارث .
- (٢) « فى رعيها » رواية المبرد ، وفى الأصل « فى شقها » .
- (٣) أحجارا : أى أحجار القبر ، والجبال : ناحية القبر وجانبه ، والقلب : البئر ، والمراد هنا القبر .
- (٤) تباكى : أى أسفا لكثرة ما أبدل للضيوف ، وسبأ الخمر كجعل : شراها . والرزق والحايبة : وعاءان ، والعود : المسن من الإبل ، والمقطع : البعير قام من الهزال .
- (٥) قرى الضيف كرمى قرى بالكسر : أضافه وأحسن إليه (وهو هنا على معنى أطعمت) ، والمقرى بفتح الميم : مكان القرى (وبالكسر : الجفنة) والقلائص جمع قلوب كصبور وهى الناقة الشابة القوية ، والمعنى : أطعمت أضيافى قلائص أربعا ثم قرىتهم بعد ذلك .
- (٦) قصد بالتبكي هنا التباكى وهو تكلف البكاء .
- (٧) يتعللوا بالعيش : يتشاغلوا ويتلهوا به ، وفى الأصل « فى العيش » .

لا تطاردتهم عن فراشي ، إنه لا بُدَّ يوماً أن سيخلو مضجعي (١)
هلاً سألت بعادياً وبيته والخيل والخمر التي لم تمنع (٢)

وقال الحارث بن حلزة :

بيننا الفتى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خاليج (٣)
يترك مارقح من عيشه يعيث فيه همج هاميج (٤)
لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج (٥)

وقال الهذلي :

إن الكرام مناهبو ك المجد كلهم فزاهب (٦)
أخلف وأتلف ، كل شىء ذرعه الريح ذهب (٧)

(١) أى سأموت .

(٢) عادياً : أبو السموءل ، ورواية صاحب اللسان « والحل » بدل « والخيل » .

(٣) تاح له الشىء يتوح ويتيح : تهاياً . خاليج : قالع منترع .

(٤) الترقيح والترقح : لإصلاح المعيشة . والهمج : الرعاع من الناس والهمل الذين لانظام لهم ،

وهامج تو كيد له كقولهم يوم أبوم وليل أليل وليل لائل وائلة ليلاء ووتد واتد .

(٥) الشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجفت لنها ، جمعها شول على

غير قياس ، وأغبار جمع غير بالضم : وهو بقية اللبن في الضرع ، وكسم الناقة بغيرها كسم : ترك في خلفها

بقية من اللبن يريد بذلك تغزيرها ، وهو أشد لها ، وإذا ولى الإنسان ناقة أو شاة ماخضاحتى تضع قبل

نتجها نتجا من باب ضرب ، فالإنسان كالأبالة لأنه يتلقى الولد ويصلح من شأنه ، فهو ناتج والبهيمة منتوجة

والولد نتيجة ، وأورد صاحب اللسان بعد هذا البيت بيتاً آخر وهو :

واحلب لأضيافك ألبانها فإن شر اللبن الوالج

قال « والوالج : أى الذى يالج في ظهورها من اللبن المكسوع ، يقول : لا تغزر لبلك نطلب بذاك

قوة نسلمها ، واحلبها لأضيافك فلعل عدوا يغير عليها فيكون نتاجها له دونك » وقل البرد فى الكامل -

ج ١ : ص ١٨٠ - « قوله * لا تكسم الشول بأغبارها * فإن العرب كانت تنضح على ضروعها الماء

البارد ليكون أسمن لأولادها التى فى بطونها ، وانغرب بقية اللبن فى الضرع ، فيقول : لا تبق ذلك اللبن اسمن

الأولاد فإنك لا تدري من ينتجها فلعلك تموت فتكون للوارث أو يفار عليها » .

(٦) ناهبه : باراه فى العدو ، مناهبوك المجد : أى مسابقوك فى لإحرازه .

(٧) ذرعه : حر كته ، وفى البيان والتبيين : زعزعه الريح ، ونسب الشعر إلى المسعودى .

وقالت امرأة :

أنت وهبت الفقية السلاهب وإبلا يحارُ فيها الحالب^(١)
وغنما مثل الجراد الهارب متاع أيامٍ ، وكلُّ ذاهب^(٢)

وقال تميم بن مقبل :

فأخيف ، وأتلف ، إنما المال عارةٌ وكُله مع الدهر الذي هو آكله^(٣)

وقال أبو ذرٍّ : « لك في مالك شريكان : الوارثُ والحدّثان » وقال الحطية :

من يفعل الخيرَ لا يعدمَ جواريه لا يذهبُ العرفُ بين الله والناس

وجاء في الأثر : « إن أهل المعروف في الدنيا أهلُ المعروف في الآخرة »

وفي المثل : « اصنع الخيرَ ولو إلى كلب » وفي الحث^(٤) على القليل - فضلاً عن الكثير -

قال الله جل ذكره : « فمن يعمل مثقالَ ذرة^(٥) خيراً يره ، ومن يعمل مثقالَ ذرة^(٥)

شراً يره » وقالت عائشة في حبة عنب : « إن فيها لثنا قيلَ ذر » ولذلك قالوا في المثل

« من حقر حرم^(٦) » وقال سلم بن قتيبة : « يستعجى أحدهم من تقرب القليل من الطعام ،

ويأبى أعظم منه » وقال : « جهد المرء أ كثر من عفو^(٧) » وقدم رسول الله صلى الله

عليه وسلم جهد المقل على عفو الكثير ، وإن كان مبلغ جهده قليلاً ، ومبلغ عفو

الكثير كثيراً ، وقالوا : « لا يمنعك من معروف صغره » وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) السلاهب مفعول ثانٍ لوهبت جمع سلهب كجعفر ، وهو من الخيل ما عظم وطال عظامه . وحيرة الحالب في الإبل : كناية عن كثرتها أو غزارة لبنها .

(٢) أى وهذه متاع أيام قليلة .

(٣) العارة : العارية ، وهى الشئ يستعار ثم يرد إلى صاحبه .

(٤) في النسخ « وقال في الحث » وفيها « فضلاً على الكثير » .

(٥) المثقال هنا : المقدار والزنة .

(٦) أى من حقر القليل الذى لديه فلم يبذله حرم كثيراً من ذوى الحاجة ، وقال أليداني في تفسيره

« أى من حقر بغير ما يقدر عليه ولم يقدر على الكثير . ضاعت لديه الحقوق » .

(٧) أى ما يبذله المرء عن جهد وقلة أكثر ثواباً مما يبذله عن زيادة وسعة .

« اتقوا النار ولو بشِقِّ (١) تمره » وقال : « لاتردُّوا السائل ولو بظلفٍ مُحَرَّقٍ (٢) »
 وقال : لاتردُّوه ولو بفِرْسَنٍ (٣) شاةٍ » وقال : « لاتحقرُوا اللئمة فإنها تعود كالجبل
 العظيم (٤) » ، لقول الله جل ذكره . « يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ » وقال :
 « لاتردُّوه ولو بصلة حَبْلِ (٥) » وقالت العرب . « أنا كم أخوكم بستتمكم (٦) فأتوا له »
 وقالوا . « مانع الإتمام ألومُ » وقالوا . « البخيل إن سأل أَلْفَ (٧) وإن سُئِلَ سَوِّفَ »
 وقالوا . « إن سئل جَدَدَ ، وإن أعطى حَقْدَ » وقالوا . « بَرُدُّ قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ ،
 ويفضَّبَ قَبْلَ أَنْ يَفْهَمَ » وقالوا . « البخيل إذا سُئِلَ ارْتَزَ (٨) ، وإذا سُئِلَ الجواد
 اهْتَزَ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم . « يُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ مُنَادِيَانِ مِنَ السَّمَاءِ
 يَقُولُ أَحَدُهُمَا . اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمَنْفَقِ خَافَا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمُسِيكِ تَلْفَا »
 وقالوا : « شَرُّ الثَّلَاثَةِ الْمُدِيمِ (٩) ، يَمْنَعُ دَرَّةً (١٠) وَدَرَّةً غَيْرَهُ » وقال الله جل
 ذكره : « الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ » وقالوا في المثل : « إذا
 أَلْجَأَكَ الدَّهْرَ إِلَى بَخِيلٍ ، شَرُّ مَا أَلْجَأَكَ إِلَى مُخْتَرِ عُرْقُوبٍ (١١) » وقال النبي صلى الله
 عليه وسلم : « قُلِ الْعَدْلَ ، وَأَعْطِ الْفَضْلَ » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أنها كم

(١) الشق : النصف .

(٢) الظلف : ظفر كل ما جتر ، وهو لابقر والشاة والظباء ، وشبهها بمنزلة القدم للإنسان .

(٣) الفرسن . طرف خف البعير ، وقد يستعار للشاة .

(٤) أى يعود ثوابها يوم القيامة في عظمه كالجبل العظيم .

(٥) أى ولو بصلة من حبل .

(٦) يستتم : يطلب تمام ما يحتاج إليه .

(٧) ألحف : ألح . (٨) ارتز : أمسك وبخل .

(٩) الثلاثة : هم الآخذ والمعطى ومن يلوم المعطى ، والام : أتى ما يلام عليه .

(١٠) الدر : اللين ، والمراد هنا الخير عامة .

(١١) أَلْجَأَكَ : اضطررك ، ويروى في القاموس « شرما أجبائك إلى مخة عرقوب » وفي مجمع الأمثال « شرما

يجيئك ... » - مضارع أجباء - قال الميداني : ويروى « ما يشيئك » والشين بدل من الجيم وهذه لغة

ميم ، يقال : أجبأته إلى كذا : أى ألبأته ، والمعنى : ما ألبأك إلى مخة عرقوب إلا شر أى فقر

وفاقة ، وذلك أن العرقوب لا منح له وإنما يحوج إليه من لا يتدر على شيء ، يضرب المضطر جدا يطلب

من الشيء .

عن عقوق الأمهات ، ووَادِ البنات ، وَمَنْعِ وهاتِ « وقال الله عز وجل : « وَيُطْعِمُونَ
الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا » وقال « لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا
تُحِبُّونَ » وقال « وَيُوَثِّرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ
نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » وقالوا : في الصبر على النائبة وفي عاقبة الصبر :
« عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى ^(۱) » وقالوا : « الفَمَرَاتُ ، ثم يَنْجَلِينَ ^(۲) »
وقال الخَزَمِيُّ :

وَدُونَ النَّدَى فِي كُلِّ قَلْبٍ تَذِيَّةٌ لَهَا مَصْعَدٌ حَزْنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلٌ ^(۳)

وَوَدَّ النَّتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ بُنْيَـلَهُ (إِذَا مَا انْقَضَى) لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزَلٌ ^(۴)

وقالوا : خير الناس خيرُ الناس للناس ، وشر الناس شر الناس للناس « وقالوا :
« خير مالك ما نفعك » وقالوا : « عَجَبًا لِفَرْطِ الكَبْرَةِ مع شباب الرَغْبَةِ ^(۵) »
وقال الراجز :

(۱) أول من قال ذلك خالد بن الوليد لما بعث إليه أبو بكر رضى الله عنهما وهو باليمامة : أن سر
الى العراق ، فأراد سلوك المغازة ، فقال له رافع الطائى : قد سلكتها في الجاهلية ، هي خمس للإبل الواردة
(والخمس بالكسر من أظماء الإبل ، وهي أن ترعى ثلاثة أيام وترد الرابع) ولا أظنك تقدر عليها إلا أن
تحمّل من الماء ، فاشتري مائة شارب (والشارف : المسن الهرم من الإبل) فمطشها ثم سقاها الماء حتى
رويت . ثم كتبها (أى ختم حياها) و كعم أفواهاها (أى شدّها) ثم سلك المغازة ، حتى إذا مضى يومان
وخاف العطش على الناس والحيل ، وخشى أن يذهب ما في بطون الإبل ، نحر الإبل واستخرج ما في بطونها
من الماء فسقى الناس والحيل ومضى ، فلما كان في الليلة الرابعة قال رافع : انظروا ، هل ترون سدر اعظاما
(والسدر بالكسر : شجر النبق) فإن رأيتموها وإلا فهو الهلاك ، فنظر الناس فرأوا السدر فأخبروه
فكبر وكبر الناس ثم هجموا على الماء فقال خالد من أبيات :

عند الصباح يحمد القوم السرى وتنجلي عنهم غيابات الكرى

يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة .

(۲) يروى « الفمرات » وكأنه قال : هي الفمرات ، أو القصة الفمرات نظلم ثم تنجلي . ويروى
« غمرات » . أى هذه غمرات وهي الشدائد جمع غمرة لأنها تغمر الواقع فيها بشدتها : أى تقهره ، والمثل
للأغلب العجلى ، يضرب في احتمال الأمور العظام والصبر عليها .

(۳) التنية : المكان المرتفع الصعب المطام ، أى إن الكرم شاق على النفس - لأن الفضيلة شاقة
ولولا مشقتها لساد الناس جميعاً .

(۴) الجزل : العظيم .

(۵) أى عجباً لأمريء هرم فان ورغبته في الجمع والكدح فتية .

كلُّنا يَأْمُلُ مَدًّا فِي الْأَجَلِ وَالْمَنَافِيَا هِيَ آفَاتُ الْأَمَلِ (١)

وقال عبيد الله بن عكر اش : « زمن خثون ، ووارث شفون (٢) ، وكاسب حزون (٣) ، فلا تأمن الخثون ، وكن وارث الشفون (٣) » وقال : يهرم ابن آدم وبسب معه خصلتان : الحرص والأمل « وكانوا يعيبون من يأكل وحده ، وقالوا : « ما أكل ابن عمر وحده قط » ، وقالوا : « ما أكل الحسن (٥) وحده قط » وسمع مجاشع الرُّبَعِيّ قولهم : « الشحيحُ أعذرُ من الظالم » فقال : « أخزى الله أمرين خيرُهما الشحُّ » وقال بكر بن عبد الله المزنيُّ : « لو كان هذا المسجد مُفَعَّمًا بالرجال ثم قيل لي : من خيرهم ؟ قلت : خيرهم لهم (٦) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بشراركم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « من نزل وحده ، ومنع رِفْدَه ، وجلده عبده » وقالت امرأة عند جنازة رجل : أما والله ما كان مالك ابطنك ، ولا أمرك لعرسك (٧) .

٧١ - رسالة ابن التوعم إلى الثقفى

فلما بلغت الرسالة ابن التوعم ، كرهه أن يجيب أبا العاص ، لما فى ذلك من المناقشة والمباينة (٨) ، وخاف أن يترقى الأمر إلى أكثر من ذلك ، فكتب هذه وبعث بها إلى الثقفى :

-
- (١) هكذا فى نسخة الشنقيطى ، وفى غيرها آفات الأجل .
 (٢) الشفون فى الأصل : الناظر بتؤخر عينه كراهة أو عجباً ، والمعنى هنا الكاره المترقب وفاة مورثه
 (٣) أى شديد الحزن .
 (٤) أى أنهقى بحيث لا تترك شيئاً لو ارتك : فإذا مات استفدت من إرثه ولم تستفد من إرثك .
 (٥) يعنى الحسن البصرى .
 (٦) أى خيرهم أكثرهم لإسداء خير لهم .
 (٧) العرس : الزوجة ، أى كنت كريماً مستقلاً بتصريف أمورك .
 (٨) أى الابتعاد والتهاجر .

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ فقد بلغني ما كان من ذكر أبي العاص لنا ، وتنويهه^(١) بأسمائنا ، وتشنيعه علينا ، وليس يمنعنا من جوابه إلا أنه إن أجابنا لم يكن جوابنا إياه على قوله الثاني أحقَّ بالترك من جوابنا له على قوله الأول ، فإن نحن جعلنا لابتدائه جواباً ، وجعلنا لجوابه الثاني جواباً ، خرجنا إلى التهاثر^(٢) ، وصرنا إلى التخابر^(٣) ، ومن خرج إلى ذلك فقد رَضِيَ باللاجاج^(٤) خطأً ، وبالسخف^(٥) نصيباً ، وليس يحترس من أسباب اللجاج إلا من عرَفَ أسباب البلوى^(٦) ، ومن وقاه الله سوء التـكفي^(٧) وسُخْفَه ، وعَصَمَه من سوء التصميم^(٨) ونَكَدِه ، فقد اعتدلت طبايعه ، وتساوت خواطره ، ومن قامت أخلاطه على الاعتدال وتكافأت خواطره في الوزن ، لم يعرف من الأعمال إلا الاقتصاد ، ولم يجد أفعاله أبداً إلا بين التقصير والإفراط ، لأن الموزون لا يولد إلا موزوناً ، كما أن المختلف لا يولد إلا مختلفاً^(٩) ، فالمتتابع^(١٠) لا يثنيه زجرٌ ، وليست له غايةٌ دون التآف ، والمتـكفي ليس له مآئى ولا جهةٌ ، ولا له رُقِيَةٌ^(١١) ولا فيه حيلةٌ ، وكلُّ متلونٍ^(١٢) في الأرض فـُنْجَلُ العَقْدِ ،

- (١) التنويه هنا : الذكر ، أى وذكر أسمائنا ، فقد تقدم قول أبي العاص في أول رسالته إلى الثقفى « واختلافك إلى ابن التوهم » .
 (٢) تهاثرا : ادعى : كل على صاحبه باطلا .
 (٣) تخابر الرجلان : تغالبا في العلم والمعرفة ، يقال : خابره في العلم نخبره : أى غالبه فعلبه ، وفي الدخ « التجابر » ولم نجد لها معنى .
 (٤) التهادى في الحصومة . (٥) السخف : ضعف العقل .
 (٦) أى لأن اللجاج يؤدي حتماً إلى شر ومصيبة ، فمن تجنب أسبابه تجنب أسباب المصائب .
 (٧) الذى في لسان العرب . التـكفى : التمايل إلى قدام ، بهمز ولا بهمز ، والأصل الهمز ، تكفأ تكفؤا كـتقدم تقدما ، فإذا خفت الهمزة التحق بالمعتل وصار تكفى تكفياً كـتسمى تسمى ، ولكن المراد بالتـكفى هنا : اكتفاء المرء برأى نفسه وتثبته به واستبداده ، يؤيد ذلك الفقرة التالية .
 (٨) التصميم : المضى في الأمر من غير إصغاء إلى نصيح .
 (٩) أى لأن الأفعال آثار الأمزجة ، فإذا كانت الأمزجة معتدلة مترنة أنتجت أفعالاً مترنة ، وإذا كانت مضطربة أنتجت أفعالاً كذلك .
 (١٠) للتتابع : المتهافت على الشر المتهادى فيه المسرع لآيه من غير تثبت أو نظرفى الأمور .
 (١١) أى لا تجد منفذاً لهدايته وإرشاده ، ولا تنفع فيه الوسائل ، وهو أشبه بمن مسته الجن ، لا تنفع فيه رقية . والرقية : ما يقرأ للمحموم والمصروع ليشفى .
 (١٢) المتلون المتقلب في الرأى ، له في كل ساعة رأى .

مَيْسَّرٌ لِكُلِّ رِيحٍ ، فَدَعِ عَمَكَ خِلْطَةَ الْإِمَّةِ (١) فَإِنَّهُ حَارِصٌ (٢) لِأَخِيرِ فِيهِ ، وَاجْتَنِبْ رَكْبَ الْجُمُوحِ ذِي النَّزَوَاتِ ؛ فَإِنْ غَايَتَهُ الْقَتْلُ الرَّؤُوفِ (٣) ، وَلَا (٤) فِي الْحُرُونِ ذِي الْقَصِيمِ ، وَالْمَقْلُونُ شَرٌّ مِنَ الْمَصْمَمِ ، إِذْ كُنْتَ لَا تَعْرِفُ لَهُ حَالًا يَقْصِدُ إِلَيْهَا ، وَلَا جِهَةً يَعْمَلُ عَلَيْهَا ، وَلِذَلِكَ صَارَ الْعَاقِلُ يَخْدَعُ الْعَاقِلَ وَلَا يَخْدَعُ الْأَحْمَقَ ؛ لِأَنَّ أَبْوَابَ تَدْبِيرِ الْعَاقِلِ وَحِيلَهُ مَعْرُوفَةٌ ، وَطَرَقَ خَوَاطِرَهُ مَسْلُوكَةٌ ، وَمَذَاهِبُهُ مَحْصُورَةٌ مَعْدُودَةٌ ، وَلَيْسَ لِتَدْبِيرِ الْأَحْمَقِ وَحِيلِهِ جِهَةٌ وَاحِدَةٌ مِّنْ أخطاءِهَا كَذَبٌ (٥) ، وَالْخَبْرُ الصَّادِقُ عَنِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ وَاحِدٌ ، وَالْخَبْرُ الْكَاذِبُ عَنِ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ لَا يُحْصَى لَهُ عَدَدٌ ، وَلَا يُوقَفُ مِنْهُ عَلَى حَدٍّ ، وَالْمَصْمَمُ قَتْلُهُ بِالْإِجْهَازِ (٦) ، وَالْمَقْلُونُ قَتْلُهُ بِالتَّعْذِيبِ (٧) ، فَإِنْ قَلْنَا فَلَيْسَ إِلَيْهِ (٨) نَقْصِدُ ، وَإِنْ احْتَجَجْنَا فَلَيْسَ عَلَيْهِ نَزْدٌ ، وَلَكِنَّا إِلَيْكَ نَقْصِدُ بِالْقَوْلِ ، وَإِلَيْكَ نُزِيدُ بِالْمَشُورَةِ ، وَقَدْ قَالُوا : « احْفَظْ سِرَّكَ فَإِنْ سِرَّكَ مِنْ دَمِكَ » وَسِوَا ذَهَابِ نَفْسِكَ وَذَهَابِ مَا بِهِ يَكُونُ قِوَامُ نَفْسِكَ (٩) ، قَالَ الْمُنْجِبُ الْعَنْبَرِيُّ : « لَيْسَ بِكَبِيرٍ مَا أَصْلَحَهُ الْمَالُ (١٠) » وَفَقَدُ الشَّيْءِ الَّذِي بِهِ تَصْلُحُ الْأُمُورُ ، أَعْظَمُ مِنَ الْأُمُورِ (١١) ، وَلِهَذَا قَالُوا فِي الْإِبْلِ : « لَوْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا إِلَّا أَنْهَارُ رَقُودٍ (١٢) الدَّمِ » فَالشَّيْءُ

(١) الإمع والإمعة : الرجل يتابع كل إنسان على رأيه لا يثبت على شيء .

(٢) الحارص : الملتزم لا يكاد يترك شيئاً .

(٣) عبارة النسخ « واجتنب ركوب الجموح فإن غايته قبل الذواق ذي البدوات » وهي غير

مفهومة . والقتل الرؤوف : السريع .

(٤) عطف على المجرور في الأخير فيه ، أي ولأخير في الحرون ، والحرون ، الدابة تعصى صاحبها

فتقف ولا تعصى .

(٥) أي ليس الأحق اتجاه واحد في تدبيره ، حتى إذا لم يهتد إليه إنسان قيل إنه أخطأ .

(٦) المراد أن الضرر الذي يصل من المصمم يصل دفعة واحدة . فهو كالقتل بالإجهاز .

(٧) أي أن المقلون يأتيك منه الضرر في نوبات متقطعة ، فكأنه يقتل بالتعذيب .

(٨) الضمير في إليه يعود إلى المقلون .

(٩) أي مادام السر جزءاً من الدم وهو قوام النفس ، ففقدته يسارى فقد النفس .

(١٠) أي كل ضرر يستطيع المال أن يصلحه ليس بكبير .

(١١) أي فقد المال الذي يصلح اختلال الأمور أعظم من فقد أي أمر .

(١٢) رقاً الدم : جف وسكن ، والرقود كصبور : ما يوضع على الدم ليرفئه : أي أنها تحقن الدماء

لأنها تدفع في الديات فيكف صاحب الثأر عن طلبه فيحقن دم القاتل ، وجواب لو محذوف : أي لكفاها

فضلاً وهو من قول أكم بن صيني - انظر جبهة خطب العرب ٦ : ٣٠٥ .

الذى هو ثَمَنُ الإِبِلِ وغيرِ الإِبِلِ أحقُّ بالصون ، وقد قَضَوْا بأن حفظ المال أشدُّ من جمعه ، ولذلك قال الشاعر :

وَحِفْظُكَ مَالًا قَدْ عُنِيَتْ بِجَمْعِهِ أَشَدُّ مِنَ الْجَمْعِ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ

ولذلك قال مشترى الأرض لبائعها حين قال له البائع : دفعْتُها إليك بطيئَةً الإِجَابَةِ ، عظيمة المثونة (١) ، قال (٢) دفعْتُها (٣) إليك بِطِئَةِ الاجْتِمَاعِ ، سريعة التفرق ، والدرهم هو القطبُ الذى تدور عليه رَحَى الدنيا . واعلم أن التخالص من نزوات الدرهم وتقلُّبه من سُكْرِ الغنى وتقلُّبه شديدٌ (٤) ، فلو كان إذا تفلَّتَ كَانَ حَارِسُهُ صحيحَ العقل سليم الجوارح آرَدَهُ فى عِقَالِهِ ، ولشَدَّةِ بِيَوْنِاقِهِ ، وَاكْنَا وَجَدْنَا ضَعْفَهُ عَن ضَبْطِهِ بِقَدْرِ قَلْبِهِ فى يَدِهِ (٥) ، ولا تَفْتَرَّ بِقَوْلِهِمْ : « مال صَامِتٌ » (٦) ، فَإِنَّهُ أَنْطَقُ مِنْ كُلِّ خَطِيبٍ ، وَأَنْمُ مِنْ كُلِّ نَمَّامٍ ، فلا تَكْثِرِثُ بِتَوَلُّمِهِمْ : « هَذِينَ الْحَجْرِينَ » (٧) « فَتَتَوَلَّهُمْ جَمُودَهُمَا وَسَكُونَهُمَا وَقَلَّةَ ظَعْنِهِمَا وَطُولَ إِقَامَتِهِمَا ، فَإِنَّ عَمَلَهُمَا وَهَمَّاسَا كِنَانٍ ، وَنَقْضَهُمَا لِلطَّبَائِعِ وَهَمَّاسَا ثَابِتَانِ ، أَكْثَرُ مِنْ صَفِيعِ السُّمِّ النَّاقِعِ ، وَالسَّبْعِ الْعَادِي ، فَإِنْ كُنْتَ لَا تَكْتَفِي بِصَنْعِهِ (٨) حَتَّى تُتَمِّدَّهُ ، وَلَا تَحْتَمَلُ فِيهِ حَتَّى يُحْتَمَلَ لَهُ ، فَالْقَبْرُ خَيْرُكَ مِنَ الْفَقْرِ ، وَالسَّجْنُ خَيْرُكَ مِنَ الذُّلِّ .

وقولى هذا مُرَّةً يُعْتَبَرُ حَلَاوَةَ الْأَبَدِ ، نَحْذُ لِنَفْسِكَ بِالثِّقَةِ (٩) ، فَقَوْلِكَ الْمَاضِي حُلُو

-
- (١) الضمير في دفعتها يعود للأرض أى أنها لا تثمر إلا بعد مدة وهي تحتاج إلى نفقات كثيرة حتى تثمر .
 - (٢) الضمير في قال يعود للمشتري .
 - (٣) الضمير في دفعتها يعود للدرهم وهي ثمن الإبل .
 - (٤) تقلب الدرهم : انتقاله من يد لى يد ، ويكون أكثر نفاذ الدرهم بسبب الاغترار بالغنى : أى أن رياضة الدرهم ومنعه من التقلب والفرار عندما تدرك صاحبه نشوة الغنى والاستهانة بالمال ليست بالأمر الهين .
 - (٥) أى أننا شاهدنا ضعف مالك الدرهم عن حبسه مساويا لقلق الدرهم ورغبته في الفرار .
 - (٦) المال الصامت : الذهب والفضة ونحوهما ، والمال الناطق : الحيوان .
 - (٧) نصبه على تقدير : اجمع هذين الحجرين مثلا ، وهما الذهب والفضة .
 - (٨) الضمير في صنيعه يعود إلى الدرهم ، وحتى تمده : أى تساعد على النفقات .
 - (٩) أى حصن نفسك بالثقة بهذا القول .

يُعَقَّبَ مَرَارَةَ الْأَبَدِ ، نَحْذُ لِنَفْسِكَ بِالثِقَةِ ، وَلَا تَرْضَ أَنْ يَكُونَ الْحَرْبَاءُ الرَّكْبُ الْعُودِ
أَحْزَمَ مِنْكَ ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ :

أَنْى أُتَبِّحَ لَهَا حَرْبَاءُ تَنْضُبَةٌ لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُنْسِكَ سَاقًا^(١)

واحذر أن تُخْرِجَ مِنْ مَالِكَ دَرَهْمًا حَتَّى تَرَى مَكَانَهُ خَيْرًا مِنْهُ ، وَلَا تَنْظُرْ إِلَى
كَثْرَتِهِ ، فَإِنَّ رَمَلَ عَائِجٍ^(٢) لَوْ أُخِذَ مِنْهُ وَلَمْ يُرَدَّ عَلَيْهِ لَذَهَبَ عَنْ آخِرِهِ ، إِنَّ الْقَوْمَ
قَدْ أَكْثَرُوا فِي ذِكْرِ الْجُودِ وَتَفْضِيلِهِ ، وَفِي ذِكْرِ الْكِرْمِ وَتَشْرِيفِهِ ، وَسَمَّوْا الشَّرْفَ
جُودًا وَجَعَلُوهُ كِرْمًا ، وَكَيْفَ يَكُونُ كَذَلِكَ وَهُوَ نِتَاجُ مَا بَيْنَ الضَّعْفِ وَالنَّفْجِ^(٣) ،

وَكَيفَ وَالْعَطَاءُ لَا يَكُونُ مَرَفًا إِلَّا بَعْدَ مَجَاوِزَةِ الْحَقِّ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ
كِرْمٌ ، وَإِذَا كَانَ الْبَاطِلُ كِرْمًا كَانَ الْحَقُّ لَوْمًا ، وَالسَّرْفُ - حَفْظُكَ اللَّهُ - مَعْصِيَةٌ ،
وَإِذَا كَانَتْ مَعْصِيَةُ اللَّهِ كِرْمًا ، كَانَتْ طَاعَتُهُ لَوْمًا ، وَلِئِنْ جَمَعْتَهُمَا^(٤) اسْمٌ وَاحِدٌ ،
وَسَمَّيَاهُمَا حَكْمٌ وَاحِدٌ (وَمُضَادَّةٌ^(٥) الْحَقُّ لِلْبَاطِلِ كَمُضَادَّةِ الصِّدْقِ لِلْكَذْبِ ، وَالْوَفَاءُ
لِلْغَدْرِ ، وَالْجُورُ لِلْعَدْلِ ، وَالْعِلْمُ لِلْجَهْلِ) لَيَجْمَعَنَّ هَذِهِ الْخِصَالَ اسْمٌ وَاحِدٌ ، وَآيَشُمَلَنَّهَا
حَكْمٌ وَاحِدٌ ، وَقَدْ وَجَدْنَا اللَّهُ عَابَ السَّرْفِ ، وَعَابَ الْحَمِيَّةِ^(٦) ، وَعَابَ الْمَعْصِيَةَ ، وَوَجَدْنَا

(١) الحَرْبَاءُ مَذْكَرٌ وَالتَّنْضُبَةُ : شَجَرَةٌ حِجَازِيَّةٌ شَائِكَةٌ ، وَالْحَرْبَاءُ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ حَرُّ الشَّمْسِ فَيَلْجَأُ إِلَى
سَاقِ شَجَرَةٍ يَسْتَنْظِلُ بِظِلِّهَا ، فَإِذَا أَدْرَكَتْهُ الشَّمْسُ تَحْوَلُ إِلَى سَاقٍ أُخْرَى ، وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ مَنْ
لَا يَدْعُ لَهُ حَاجَةٌ إِلَّا سَأَلَ أُخْرَى - انظُرْ بِجَمْعِ الْأَمْثَالِ ٢ : ١١ ، وَجَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ مَادَّةُ حَرْبٍ
« قَالَ أَبُو دَوَادٍ الْإِيَادِيُّ : أَنْى أُتَبِّحُ لَهُ . » قَالَ ابْنُ بَرِي : هَكَذَا أَنْشَدَهُ الْجَوْهَرِيُّ وَصَوَّبَ لِإِنْشَادِهِ
« أَنْى أُتَبِّحُ لَهَا » لِأَنَّهُ وَصَفَ ظَمْنَا سَاقَهَا وَأَزْعَجَهَا سَائِقُ مَجْدٍ ، فَتَعْجَبُ كَيْفَ أُتَبِّحُ لَهَا هَذَا السَّائِقُ الْمَجْدُ
الْحَازِمُ ، وَهَذَا مِثْلُ يَضْرِبُ لِلرَّجْلِ الْحَازِمِ ، لِأَنَّ الْحَرْبَاءَ لَا يَفَارِقُ الْفِصْنَ الْأَوَّلَ حَتَّى يَثْبُتَ عَلَى الْفِصَنِ
الْآخِرِ .

(٢) عَالِجٌ : رَمَلٌ مَعْرُوفَةٌ بِالْبَادِيَةِ .

(٣) النَّفْجُ : التَّفَاخُرُ الْكَاذِبُ بِالْمَالِ .

(٤) أَى جَمْعُ السَّرْفِ وَالْكَرْمِ .

(٥) هَذِهِ الْجُمْلَةُ حَالِيَةٌ مَعْتَرِضَةٌ بَيْنَ الْقِسْمِ (لِنِ جَمْعِهِمَا) وَجَوَابِهِ (لِيَجْمَعَنَّ) .

(٦) الْحَمِيَّةُ : شِدَّةُ الْأَنْفَةِ ، وَهِيَ الْغَضَبُ وَالْإِبَاءُ لِلْحَمَايَةِ ، قَالَ تَعَالَى : « إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ

كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ »

قد خص السرف بما لم يخص به الحمية^(١) ، لأنه ليس حب المرء لرهطه من المعصية ، ولا أنفته من الضيم من حمية الجاهلية ، وإنما المعصية ما جاوز الحق ، والحمية المعيبة ما تعدى القصد ، فوجدنا اسم الأنفة قد يقع محموداً ومذموماً ، وما وجدنا اسم المعصية ولا اسم السرف يقع أبداً إلا مذموماً ، وإنما يسرف باسم السرف جاهل لا علم له ، أو رجل إنما يسرف به لأن أحداً لا يسميه مسرفاً حتى يكون عنده قد جاوز حد الجود ، وحكم له بالحق ثم أردفه بالباطل^(٢) ، فإن سرفاً من غير هذا الوجه^(٣) ، فقد شارك المادح في الخطأ ، وشاكره في وضع الشيء في غير موضعه .

وقد أكثروا في ذكر الكرم ، وما الكرم إلا كبعض الخصال المحمودة التي لم يعدمها بعض الذم^(٤) ، وليس شيء يخلو من بعض النقص والوهن ، وقد زعم الأولون أن الكرم يسبب الغبا^(٥) ، وأن الغبا يسبب البله^(٦) ، وأنه ليس وراء البله إلا العتة^(٧) ، وقد حكوا عن كسرى أنه قال : « احذروا صولة الكرم إذا جاع ، واللثيم إذا شبع » وسواء جاع فظلم ، وأحفظ وعسف ، أم جاع وكذب ، وضرع وأسف^(٨) ، وسواء جاع فظلم غيره ، أم جاع فظلم نفسه ، والظلم لؤم ، وإن كان الظلم ليس بلؤم ، فالإنصاف ليس بكرم ، وإن كان الجود على من لا يستحق الجود كرماً ، فالجود لمن وجب له ذلك ليس بكرم ، فالجود إذا كان لله كان شكراً له ، والشكر كرم ،

(١) أي مع أن الله عاب الحمية فإن هناك ضرباً من الحمية محموداً ، أما السرف والمعصية فمذموماً على الإطلاق ، وليس في أحدهما نوع محمود .
 (٢) أي أنه يسر بوصفه بالسرف ، لأن هذا الوصف يتضمن معنى الجود ، ثم مجاوزة الحد فيه ، نواصفه في هذه الحال حكم له بالجود ضمناً ، وهذا حق ، ثم أردفه بالباطل وهو مدح السرف .
 (٣) أي وظن أن مادحه يصفه بالجود المحمود الذي لم يخرج إلى السرف .
 (٤) أي لم يفقد منها بعض الذم بتجاوزها القصد أو بالمغالاة فيها .
 (٥) الغبا : عدم الفطنة ، غبي الشيء . وعنه كفرح غبا وغباوة وعبارة النسخ « أن الكرم يسبب الغنى وأن الغنى ... » .
 (٦) البله : ضعف العقل وبابه فرح .
 (٧) في النسخ « المعتوه » والعتة : نقص العقل أو فقده ، والمراد هنا الثاني .
 (٨) أسف : انحط إلى دنياوات الأمور .

ولن يكون الجود إذا كان معصيةً كرماً ، وكيف يتكرم من يتوسل بأياديك إلى معصيتك ، وبنعمك إلى سُخْطِك ، فليس الكرم إلا الطاعة ، وليس اللؤم إلا المعصية ، وليس بجود ما جاوز الحق ، وليس بكرم ما خالف الشكر ، ولئن كان مجاوز الحق كريماً ليكون المقتصرونه كريماً^(١) ، فإن قضيتم بقول العامة^(٢) فالعامّة ليست بقُدوة . وكيف يكون قُدوةً مَنْ لا ينظر ، ولا يُحصّل ، ولا يفكر ولا يمثّل^(٣) ، وإن قضيتم بأقارب الشعراء وما كان عليه أهل الجاهلية الجهلاء ، فما فَبَّحوه مما لا يُشكّ في حسنه أكثر من أن نقف عليه أو نتشاغل باستقصائه .

على أنه ليس بجودٍ إلا ما أوجب الشكر ، كما أنه ليس يُبخل إلا ما أوجب اللؤم ، ولن تكون العطيّة نعمةً على المعطى حتى تُراوَدَ بها^(٤) نفسُ ذلك المعطى ، ولن يجب عليه الشكر إلا مع شريطة القصد ، وكلُّ مَنْ كان جوده يرجع إليه - لولا رجوعه إليه لَمَّا جادَ عليك ، ولو تهيأ له ذلك المعنى في سواك ، لَمَّا قَصَدَ إليك - فإنما^(٥) جعلك مِعْبَرًا لدرك حاجته ، ومَرَّةً كَبَا لبلوغ محبته ، ولولا بعض القول^(٦) لوجب لك عليه حق يجب به الشكر ، فليس يجب لمن كان كذلك شكراً ، وإن انتفعت بذلك منه ، إذ كان لنفسه عمل ، لأنه لو تهيأ له ذلك النفع في غيرك لَمَّا تخطأه إليك .

وإنما يوصف بالجود في الحقيقة ، ويُشكر على النفع في حُجَّةِ العقل ، الذي إن جاد عليك ، فلك جاد ، ونفعك أراد ، من غير أن يرجع إليه جوده بشيء من المنافع

(١) أي إذا عد مجاوز الكرم إلى السرف كريماً ، جاز أن يعد المقتصرون حد الكرم كريماً مادام معنى الكرم لا يدرك لإدراك صحبياً .

(٢) وهو صدم كل سرف كرماً .

(٣) لا يمثّل : أي لا يصور الحقائق تصويراً صادفاً .

(٤) تراود : أي تقصد وتبغى ، أي لا إذا أريد بها نفس الآخذ لا ما ينتظر منه من فائدة .

(٥) جملة فإنما خبر للمبتدأ « وكل من كان جوده » وقرن الخبر بالفاء لدلالة المبتدأ على العموم .

(٦) أي ولولا الخوف من بعض القول وهو أن تنهم بالمغالاة لفلنا بوجوب شكر الأواد للمجود عليه ،

على جهة من الجهات ، وهو الله وَحْدَهُ لا شريك له ، فإن شَكَرْنَا للناس على بعض ما قد جَرَى لنا على أيديهم ، فإنما هو لأمرين : أحدهما التَعَبُّدُ ، وقد نَعْبُدُ الله بتعظيم الوالدين وإن كنا شيطانيين ، وتعظيم مَنْ هو أَسْنُ (۱) مِنَّا ، وإن كنا أفضلَ منه ، والآخرُ لأن النفس ما لم تحصلِ الأمورَ وتميزِ المعانيَ ، فالسابقُ إليها حُبٌّ مَنْ جَرَى لها على يده خيرٌ ، وإن كان لم يُرِدْها ولم يقصِدِ إليها .

ووجدنا عطية الرجل لصاحبه لا تخلو أن تكون لله ، أو لغير الله ، فإن كانت لله فتوابه على الله ، وكيف يجب علىَّ في حُجَّةِ العقل شُكْرُهُ ، وهو لو صادف ابن سبيلٍ غيري لما حَمَلَنِي (۲) ولا أعطاني ، وإما أن يكون إعطاؤه إياي للذِّكْر ، فإذا كان الأمر كذلك فإنما جعلني سُؤماً إلى تجارتِه ، وسَبَباً إلى بُغْيَتِه ، أو يكون إعطاؤه إياي من طريق الرحمة والرِّفَّة ، ولما يجد في فؤاده من الغُصَّةِ والألم ، فإن كان لذلك أعطى فإنما دَاوَى نفسه من دائه ، وكان كالذي رَفَّهَ مِنْ خِنَاقِه ، وإن كان إنما أعطاني على طلب المجازاة وحُبِّ المكافأة ، فأمرٌ هذا معروف ، وإن كان إنما أعطاني من خوف يدي أو لساني ، أو اجترار معونتي ونُصْرَتِي (۳) ، فسبيله سبيلُ جميع ما وصفنا وفَصَّلْنَا .

فلا سَمَّ الجود موضعان : أحدهما حقيقةٌ ، والآخر مجاز ، فالحقيقة : ما كان من الله ، والمجاز : المشتقُّ من هذا الاسم (۴) ، وما كان لله كان ممدوحاً ، وكان لله طاعةً ، فإذا لم تكن العطية من الله ، ولا لله ، فليس يجوز هذا فيما سَمَّوه جوداً ، فما ظنك بما سَمَّوه سرفاً ؟ .

(۱) كذا في عيون الأخبار ، وفي النسخ « من هو شر منا وإن كنا أفضل منهم » .

(۲) حمله : أعطاه ظهراً بركبه .

(۳) كذا في عيون الأخبار ، وفي النسخ « أو صرف معونتي وحضرتي » .

(۴) قسم الجود قسمين : حقيقي وهو ما كان من الله مباشرة ، ومجازي وهو ما كان مشتقاً ومتفرعاً من جود الله وآتياً على يد مخلوق .

افهم ما أنامُورِدُهُ عليك ، وواصفُهُ لك إن التريُّح والتكسب والاستئصال^(١) بالخديعة والطعم الخبيثة فاشيةٌ غالبية ، ومستفيضةٌ ظاهرة ، على أن كثيراً ممن يضافُ اليوم إلى النزاهة والتكريم ، وإلى الصيانة والتوقى ، ليأخذُ من ذلك بنصيب وافٍ ، ويمدُّ وافي^(٢) ، فما ظنك بدَهْماءِ الناس ومُجهورهم ، بل ما ظنك بالشعراء والخطباء الذين إنما تعلموا المنطق لصناعة التكتب ؟ وهؤلاء قومٌ يؤدِّهم أن أرباب الأموال قد جاوزوا حدَّ السلامة إلى الغفلة ، حتى لا يكونَ للأموال حارسٌ ، ولا دونها مانعٌ ، فاحذرهم ، ولا تنظرُ إلى بزة^(٣) أحدهم ؛ فإن المسكين أقنعٌ منه ، ولا تنظرُ إلى موكبه ، فإن السائلَ أعفٌ منه ، واعلم أنه في مَسْكِ^(٤) مسكينٍ ، وإن كان في ثياب جوادٍ^(٥) ، وروحه رُوح نذلٍ ، وإن كان في جِرمِ مَلِكٍ ، وكلُّهم وإن اختلفت وجوهُ مسائلهم ، واختلفت أقدارُ مطالبهم ، فهو مسكينٌ إلا أن واحداً يطلب العلق^(٦) ، وآخر يطلب الخرق ، وآخر يطلب الدَّوانيق^(٧) ، وآخر يطالب الألوْف ، فجبهةٌ هذا هي جهةٌ هذا ، وطُعْمَةٌ^(٨) هذا هي طُعْمَةٌ هذا ، وإنما يختلفون في أقدارٍ ما يطلبون على قدرِ الخدق والسبب^(٩) ، فاحذر رُقاهم^(١٠) وما نصَّبوا لك من الشَّرِك ، واحرس نعمتك وما دَسَّوا لها من الدواهي ، واعمل على أن سحرهم يسترقُّ الذهن ، ويختطف البصر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ من البيان لسِحْرًا » وسَمِعَ عمر بن عبد العزيز رجلاً يتكلم في حاجة فقال : « هذا والله السِّحْرُ الخلال » وقد قال رسول الله

(١) استأكل : أخذ أموال الضعفاء كالنساء واليتامى ونحوهم وعاش عليها .

(٢) المد : مكيال مقداره رطل وثلاث عند أهل الحجاز ، والمراد به هنا مطلق مقدار .

(٣) البزة : حسن الهيئة . (٤) المسك : الجلد .

(٥) في بعض النسخ « جناد » .

(٦) العلق بالكسر ويفتح : النفيس من كل شيء .

(٧) الدائق بكسر النون وتفنج والدائق : سدس الدرهم .

(٨) الطعْمَةٌ : وجه المكسب . (٩) السبب : الوسيلة .

(١٠) الرق جمع رقية ، وهي كلمات تقرأ للمحوم والمصروع ليثني . والمعنى أن لهم كلاماً كالسحر .

حصى الله عليه وسلم : « لا خِلافةَ (١) » واحذر احتمال مديحهم ، فإن محتَمِل المديح في وجهه كإدح نفسه .

إن مالك لا يسع مُريدِهِ ، ولا يبلغ رضا طالبِهِ ، ولو أرضيتهم بإسقاطِ مثلهم لكان ذلك خُسْرانا مُبيناً ، فكيف ومن يسخطُ أضعافُ من يَرْضَى ؟ وهجاء الساطِطِ أضرُّ من فقدِ مديح الراضى ، وعلى أنهم إذا اعتوروك بمشاقصهم (٢) ، وتداولوك بِمِسامِهِم ، لم ترَ من أرضيته بإسقاطهم أحداً يناضل عنك . ولا يُهاجى شاعرا دونك ، بل يُخلِّيك غرَضا لسهامهم ، ودَرِيثَةً (٣) لِنِبالهم ، ثم يقول : وما كان عليه لو أرضاهم ! فكيف يُرضيهم ، ورضا الجميعِ شىءٌ لا يُنال ؟ وقد قال الأول : وكيف يتفقُ لك رضا المختلفين ؟ وقالوا : منعُ الجميعِ أرضى للجميع ، إني أحذرك مصارعَ المخدوعين ، وأرفَعُك عن مضاجع المغبونين ، ولست (٤) كمن لم يزل يُقامى تعذُّرَ الأمور ، ويتجرَّع مرارة العيش ، ويتحمل ثِقَلَ الكدِّ ، ويشرب بكأسِ الذلِّ ، حتى يكاد يَمْرُن على ذلك جِلْدُهُ ، ويسكنُ عليه قلبُهُ ، وفقرُ مثلك مضاعفُ الألم ، وجزعُ من لم يعرف الألمَ أشدُّ ، ومن لم يزل فقيرا فهو لا يعرف الشامتين ، ولا يدْخُلُه المكروه من سرور الحاسدين ، ولا يُلام على فقره ، ولا يصير موعظةً لغيره ، وحديثاً يبتى ذكره ، وبلعنه بعد المات ولده .

ودعنى من حكايات (٥) المستأكيين ، ورُقى الخادعين ، فما زال الناسُ يحفظون أموالهم من مواقع السَّرَفِ ، وبجنبونها وجوهَ التبذير ، ودعنى مما لا نراه إلا في الأشعار المتكافئة ، والأخبار المولدة ، والكتب الموضوعة ، فقد قال بعض أهل زماننا : ذهبَتِ المكارمُ إلا من السكتُب .

(١) الخِلافة : الخداع ، وفي الحديث « إذا بايعت فقل : لا خِلافةَ » .

(٢) المشاقص : جمع مشقص كمنبر ، وهو النصل العريض . (٣) ما يستتر به .

(٤) في النسخ لك كمن الخ وهو غير مناسب لسياق المعنى ، لأنه يريد أن يقول : لأنك لم تعتد

الفقر حتى يكون ألمه خفيفاً ، وفقر مثلك بعد الغنى يكون مضاعف الآلام . شديد الوقع .

(٥) أى ما اخترعونه من حكايات مكذوبة في الكرم الذى تجاوز الحد لخداع ضعفاء العقول .

(٧ - جبهة رسائل العرب - رابع)

نخذ فيما تعلم ، ودع نفسك مما لا تعلم ، هل رأيت أحدا قط أنفق ماله على قوم كان غنهم سبب فقره أنه سلم^(١) عليهم حين افتقر فردوا عليه ، فضلا على غير ذلك^(٢) ؟ أولست قد رأيتهم بين محققٍ ومحتجبٍ عنه ، وبين من يقول : فهلا أنزل حاجته بفلان الذي كان يُفضله ويقدمه ، ويؤثره ويخصه ؟ ثم لعل بعضهم أن يتجنى عليه ذنوبا ليجمعها عذرا في منعه ، وسببا إلى حرمانه ، قال الله جل ذكره : « يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ . خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ ذُلًّا وَقَدْ كَانُوا يَدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَائِمُونَ^(٣) » فأنا القائم عليك بالوعظة والزجر والأمر والنهي ، وأنت سالم العقل والعرض ، وافر المال ، حسن الحال ، فائق أن أقوم غدا على رأسك بالتقريع والتعيير ، وبالتوبيخ والتأنيب ، وأنت عليل القلب ، مختل العرض ، عديم من المال ، سبي الحال ، ليس جُهدُ البلاء^(٤) مدَّةَ الأعناق ، وانتظار وقوع السيوف ، لأن الوقت قصير ، والحس مغمور ، ولكن جُهدُ البلاء أن تظاهر الخلة^(٥) ، وتطول المدَّة ، وتعجز الحيلة ، ثم لا تعدم صديقا مؤنبا ، وابن عم شامتا ، وجارا حاسرا^(٦) ، ووليا قد تحوّل عدوا ، وزوجة مختلعة^(٧) ، وجارية مستبيعة^(٨) ، وعبدا يحقرك ، وولدا يتهرك ، فانظر أين موقعُ فَوْتِ الثناء من موقع ما عددنا عليك

(١) المصدر المؤول بدل من أحدا .

(٢) أي فضلا على الإيذاء والتشنيع وعدم الوفاء له .

(٣) سياق الآية الكريمة أن من استطاع أن يعمل شيئا ولم يعمله ، أسف عند فوات الفرصة على

هجزه عن عمله .

(٤) جهد البلاء : غاية ما نصل إليه المصيبة .

(٥) الخلة : الفاقة والحاجة .

(٦) الحاسر : المتلهف الحزين .

(٧) المختلعة : من دفعت إلى زوجها مالا فطلتها .

(٨) استباعه الشيء : سأله أن يبيعه لإياه . والجارية المستبيعة : هي التي سألت سيدها أن يبيعها

والسبب هنا فقره وضيق الحياة عنده .

من هذا البلاء؟ على أن الثناء طَعْمٌ (١) ، ولعلَّكَ أَلَّا تُطْعَمَهُ (٢) ، والحمدَ أَرْزَاقٌ ولعلَّكَ أَلَّا تُجْرَمَهُ ، وما يَضِيعُ من إحسانِ الناسِ أَكْثَرُ (٣) .

وعلى أن الحفظ (٤) قد ذهب بموت أهله ، أَلَا تَرَى أَنَّ الشَّعْرَ لَمَّا كَسَدَ أُخِيمَ أَهْلُهُ ، ولَمَّا دَخَلَ النِّقْصُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ أَخَذَ الشَّعْرُ مِنْهُ بِنَفْسِهِ ؟ ولَمَّا تَحَوَّلَتِ الدَّوْلَةُ فِي الْعِجْمِ - وَالْعِجْمُ لَا تَحُوطُ الْأَنْسَابَ ، وَلَا تَحْفَظُ الْمَقَامَاتِ ، لِأَنَّ مِنْ كَانَ فِي الرَّيْفِ (٥) وَالْكَفَايَةِ ، وَكَانَ مَغْمُورًا بِسُكْرِ الْغِنَى ، كَثُرَ نَسْيَانُهُ ، وَقَلَّتْ خَوَاطِرُهُ ، وَمِنْ أَحْتِاجِ تَحْرِكِ هِمَّتِهِ ، وَكَثُرَ تَنْقِيرُهُ (٦) ، وَعَيْبُ الْغِنَى أَنَّهُ يورثُ الْبِلَادَةَ ، وَفَضِيلَةُ الْفَقْرِ أَنَّهُ يَبْعَثُ الْفِكْرَ ، وَإِنْ أَنْتِ صَحِيبَتِ الْغِنَى بِإِهْمَالِ النَّفْسِ أَسْكَرَكَ الْغِنَى ، وَسُكْرُ الْغِنَى سَبَبُ الْمَسْتَأْكِلِينَ ، وَنَهْزَةُ الْخَدَّاعِينَ ، وَإِنْ كُنْتَ لَا تَرْضَى بِحِظِّ النَّائِمِ ، وَبِعَيْشِ الْبِهَائِمِ ، وَأَحْبَبْتَ أَنْ تَجْمَعَ مَعَ تَمَامِ نَفْسِ الْمُثْرَى ، وَمَعَ عِزِّ الْغِنَى وَسُرُورِ الْقُدْرَةِ ، فِطْنَةٌ الْمَخِيفِ ، وَخَوَاطِرُ الْمُتَمَلِّقِ ، وَمَعْرِفَةُ الْهَارِبِ ، وَاسْتِدْلَالُ الطَّالِبِ ، اقْتَصَدْتَ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَكُنْتَ مُعِدًّا لِلْخَدَّاعِينَ ، وَمَحْتَرِسًا مِنْ كُلِّ خَدَّاعٍ .

لست تباع حِجَلِ اصْوَصِ النَّهَارِ ، وَحِجَلِ سُرَّاقِ اللَّيْلِ ، وَحِجَلِ طُرَّاقِ الْبُلْدَانِ ، وَحِجَلِ أَصْحَابِ الْكِيمِيَاءِ ، وَحِجَلِ التَّجَّارِ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَالصَّنَائِعِ فِي جَمِيعِ الصَّنَاعَاتِ ، وَحِجَلِ أَصْحَابِ الْحُرُوبِ ، وَحِجَلِ الْمَسْتَأْكِلِينَ وَالْمَتَكَسِّبِينَ ، وَلَوْ جَمَعْتَ الْخُبْرَ (٧) وَالسَّحْرَ وَالتَّمَامَ (٨) وَالسَّمَّ ، لَكَانَتْ حِيَلُهُمْ فِي النَّاسِ أَشَدَّ تَغْلُفًا ، وَأَعْرَضَ وَأَمْرَى فِي عُتْقِ

(١) جمع طعمة : وهي الأكلة .

(٢) أي إن جدت وأسرفت» وقوله «ألا تجرمه» أي إن بخلت وأمسكت ، وربما كان الأصل «أن تطعمه» على تقدير «إن بخلت» كما هو التقدير في الثاني .

(٣) أي أن الضائع من أخبار الإحسان أكثر مما يبقى منها ، فلا تغتر بأن الإحسان يبقى لك حسن الذكر فإنه عرضة للذيان .

(٤) أي حفظ الجليل والمعروف أو حفظ أخبار الكرماء .

(٥) الريف : الأرض فيها زرع وخصب .

(٦) أي بجمته عن الأنساب ومنازل الرجال وأخبار الناس وبإهمهم ليتخذ من ذلك بضاعة المديح .

(٧) الخبر : تمام المعرفة .

(٨) التمام : جمع تيممة ، وهي خرزة أو نحوها يعلتها الأعراب على أولادهم لدفع الشر .

البدن ، وأدخلَ إلى سُوَيْدَاءِ القلبِ وإلى أُمِّ الدِّمَاغِ ، وإلى صَمِيمِ الكَبِدِ ، وَلَهِيَ أَدَقُّ مَسَدَكَا ، وَأَبْعَدُ غَايَةٍ مِنَ العِرْقِ ^(۱) السَّارِي ، وَالشَّبَهُ النَّازِعِ ^(۲) ، وَلَوْ آتَخَذْتَ الحِيطَانَ الرَفِيعَةَ الثَّخِينَةَ ، وَالْأَقْفَالَ المُحْكَمَةَ الوَثِيقَةَ ، وَلَوْ آتَخَذْتَ المَآرِقَ ^(۳) والجَوَاسِقَ ^(۴) والأبوابَ الشَّدَادَ ، وَالْحُرْسَ المَقْنَاوِيبِينَ بِأَغَظِ المُوْنِ ، وَأَشَدَّ الكَلْفِ ، وَتَرَكْتَ التَّقَدَّمَ فِيمَا هُوَ أَحْضَرُ ضَرَرًا ^(۵) ، وَأَدْوَمُ شَرًّا ، مَوْلَا غُرْمَ عَلِيكَ فِي الحِرَاسَةِ فِيهِ ، وَلَا مَشَقَّةَ عَلِيكَ فِي التَّحْفِظِ مِنْهُ ^(۶) ، إِنْكَ إِنْ فَتَحْتَ لَهُمْ عَلَى نَفْسِكَ مِثْلَ سَمِّ الخِيَاطِ جَعَلُوا فِيهِ طَرِيقًا نَهَجًا ، وَلُتِيَ ^(۷) رَحْبًا ، فَأَحْكِمِ بَابَكَ ، ثُمَّ أَدِمِ ^(۸) إِصْفَاقَهُ ، بَلْ أَدِمِ إِغْلَاقَهُ ، فَهُوَ أَوْلَى بِكَ ، وَإِنْ قَدَّرْتَ عَلَى مُصَمَّتٍ ^(۹) لَا حِيلَةَ فِيهِ فَذَلِكَ أَشْبَهُ بِحَزْمِكَ ، وَلَوْ جَعَلْتَ البَابَ مُبْهِمًا ، وَالْقُفْلَ مُصَمَّتًا ، لَتَسَوَّرُوا عَلَيْكَ مِنْ فَوْقِكَ ، وَلَوْ رَفَعْتَ سَمَكَهُ إِلَى العِيُوقِ ^(۱۰) لَنَقَبُوا عَلَيْكَ مِنْ تَحْتِكَ ، قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ : « نِعِمَّ صَوْمَعَةُ المُوْمِنِ بَيْتُهُ » وَقَالَ ابْنُ سِيرِينَ : « العُرْزَةُ عِبَادَةٌ » .

وَحِلَاوَةُ حَدِيثِهِمْ ^(۱۱) تَدْعُو إِلَى الاستِكْثَارِ مِنْهُمْ ، وَتَدْعُو إِلَى إِحْضَارِ ^(۱۲) غَرَائِبِ شَهْوَاتِهِمْ ، فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : « كُلُّ رِخْلَةٍ ^(۱۳) وَاشْرَبَ مِشْعَلًا ^(۱۴) ،

- (۱) العرق : جذر النبات .
(۲) أى شبه الأبناء بأبائهم وأجدادهم ، فإن الشبه قد يسرى إلى غاية بعيدة في النسب .
(۳) المارق : جم مرق بالفتح ، هو هنا المكان الخفي للفرار .
(۴) جم جوسق بالفتح : وهو القصر .
(۵) هو حيل المستأكلين وتعلق المجتدين .
(۶) جواب لو آتخذت المارق مخدوف يدل عليه ما قبله : أى لكانت حيلهم أشد .
(۷) اللقي في الأصل : اللقاء ، والمراد به هنا مكان اللقاء .
(۸) إصفاق الباب : رده بعد أن كان مفتوحا .
(۹) المصمت والمبهم : الباب أو القفل لا يهتدى إلى طريقة فتجه إلا صاحبه .
(۱۰) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن يتلو النرياء .
(۱۱) أى حديث المستأكلين والمتكسبين .
(۱۲) أحضر الفرس : عدا ، وإحضار غرائب الشهوات : تسابقها في الظهور .
(۱۳) الرخلة : الأنثى من أولاد الضأن .
(۱۴) المشعل : شئ يتخذُه أهل البادية من جلود يخرز بعضها إلى بعض ، ثم يشد إلى أربع قوائم من خشب فيصير كالخوض يذبذبه فيه ، يقول : اشرب قدر ماني مشعل من نبيذ .

ثم تجشأ واحدة لو أن عليها رحنى لطحننت^(۱) ، ومن ذلك قول الآخر حين دخل على قوم وهم يشربون ، وعندهم قيان^(۲) ، فقالوا : أقرح أي صوت شئت ، قال : « أقرح أشيش^(۱) مقلّي » ومن ذلك قول المديني^(۲) : « من تصبّح بسبع مؤزات ، وبقدح من لبن^(۳) الأوارك ، تجشأ بخور^(۴) الكعبة » . ومن ذلك قولهم لبعض هؤلاء - وقد أمهم خبيص^(۵) - : « أيما أطيب : أهذا أم الفالوذج^(۶) ، أم اللوزينج^(۷) ؟ قال : « لا أقضي على غائب » ومن ذلك كلام الجارود بن أبي سبرة لبلال بن أبي بردة حين قال له : صف لي عبد الأعلى^(۸) وطعامه ، قال : « يأتيه الخبز فيمثل بين يديه ، فيقول : ما عندك ؟ فيقول : عندي جدى كذا ، وعناق^(۹) كذا ، وبطة كذا ، حتى يأتي على جميع ما عنده » قال : وما يدعو إلى هذا ؟ قال : « ليقتصد^(۱۰) كل أمرى في الأكل ، حتى إذا أتى بالذى يشتهي بلغ منه حاجته » قال : ثم ماذا ؟ قال : « ثم يؤتى بالمائدة فيتضايقون^(۱۱) حتى يخوى^(۱۲) الخوية الظلم^(۱۲) ، فيجدون ويهزل ،

(۱) النشيش : صوت غليان القدر والمقلّي ونحوها .

(۲) قال في القاموس : « والنسبة إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم مدني ، وإلى مدينة المنصور وأصفهان وغيرها مديني » .

(۳) الإبل الأوارك : التي اعتادت أكل الأراك ، وفي النسخ « من لبن الأوداك » .

(۴) في النسخ « بحوز » وهي غير مفهومة .

(۵) الحبيص : نوع من الحلواء ، قال صاحب القاموس : يعمل من التمر والسمن .

(۶) الفالوذج والفالوذج والفالوذق : حلواء ، قال صاحب اللسان : تسوى من لب الخنطة ، فارسي

معرب ، وسمي الحسن رجلا يعيب الفالوذج فقال : لباب البر بلباب النحل بخالص السمن ، ما عاب هذا مسلم (العقد الفريد ۳ : ۳۱۲ وعيون الأخبار ۹ : ۲۰۳) وقال الجاحظ في البخلاء ص ۱۹۳ : ومدحه أمية بن أبي الصلت فقال :

لما رده من الشيزى عليها لباب البر يلبك بالشهاد

(۷) اللوزينج : حلواء شبه القطائف تؤدم بدهن اللوز ، فارسي معرب .

(۸) يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر .

(۹) العناق : الأنثى من ولد المعز .

(۱۰) في الأصل « ليقتصر » وهو تحريف .

(۱۱) أي أخذ كل واحد يضيق مكانه حول المائدة حتى تتسع لهم جميعا .

(۱۲) الضمير في يخوى يعود إلى عبد الأعلى ، وخوى : فرج ما بين عضديه وجنبه ، والظلم : ذكر النعام .

حتى إذا فتروا أكل أكلَ الجائع المَقْرور^(۱) » وقال آخر : « أشتبى ثريدةً
دَكناء^(۲) من الفلفل ، ورقطاء^(۳) من الحمص ، ذاتَ حِفَافَيْنِ^(۴) من اللحم ، لها
جَنَاحان من العُراق^(۵) ، أُضْرِبُ فيها ضربَ اليتيم عند وصي السوء^(۶) . »

وسئل بعضهم عن حظوظ البلدان في الطعام ، وما قسِم لكل قوم منه ؟ فقال :
« ذهبَت الروم بأجشم^(۷) والحشو ، وذهبت فارس بالبارد والحلو » وقال عمر لفارس
الشُّفَارِجِ^(۸) والحموض^(۹) « فقال دَوَسِر المديني : « لنا الهرائس^(۱۰) والقلايا ، ولأهل
البدو اللَّبَأُ^(۱۱) والسَّلاهِ^(۱۲) والجرادُ والسكَّامَةُ^(۱۳) والخُبْزَةُ في الرائب والتَّمْرُ بالزُّبْدِ ،
وقد قال الشاعر :

(۱) المَقْرور : الذي أصابه القَر وهو البرد - اقرأ خبر هذا الحديث أيضا في العقد الفريد ۳ : ۳۱۲
وعيون الأخبار ۹ : ۲۱۵ .

(۲) دَكناء : يضرب لونها إلى السواد .

(۳) رِقْطَاء : أي سوداء يشوبها نقط بيضاء ، أو بيضاء يشوبها نقط سوداء .

(۴) الحِفَاف : الجانب .

(۵) قال في اللسان « العرق بالفتح : العظم أخذَ عنه معظم اللحم وبقي عليه لحوم رقيقة طيبة فتكسر
وتطبخ وتؤخذ لهاؤها من طفاحتها ويؤكل ما على العظام من لحم دقيق وتتمشش العظام ، ولحمها من أطيب
اللحمان عندهم ، وجمعه عراق بالضم » قال ابن الأثير : وهو جمع نادر .

(۶) انظر هذا الحديث أيضا في العقد الفريد ۳ : ۳۱۳ - ۳۱۴ ، وعيون الأخبار ۹ : ۱۹۸ ،
وفيهما « كما يضرب ولي السوء في مال اليتيم » وهو أولى .

(۷) أجشم : الجوف أو الصدر بضلوعه ، وفي عيون الأخبار ۹ : ۲۰۴ « أما الرومي فذهب
بالحشو والأحشاء ، وأما الفارسي فذهب بالبارد والحلواء » .

(۸) في النسخ « الشفارج » وقال صاحب القاموس واللسان : « الشفارج : الطبق فيه الفيخات
والسكرجات فارسي معرب » - والفيخة : (بالفتح) السكرجة ، (بضمت وتثنية الراء) فهو عطف
مرادف - قال صاحب اللسان : « السكرجة : لئاء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ، وهي فارسية ،
وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ ونحوها » - وقال صاحب التاج في السكرجة . « إن العرب كانت تستعملها
في الكوامخ وأشباهاها من الجوارش على الموائد حول الأطعمة للتنهي والهضم » .

(۹) الحموض : جمع حمض بالفتح ، وهو كل نبت في طعمه حموضة ، والمالوحة تسمى الحموضة .

(۱۰) الهرائس : جمع هريسة ، وهي طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم ، والقلايا : جمع قلية كرزية
وهي مرقة تتخذ من لحوم الجزور وأكبادها .

(۱۱) اللَّبَأُ : أول اللبن في التناج .

(۱۲) سَلا السمن كمنع : طبخه وعالجه ، والاسم السلاء : ككتاب .

(۱۳) نبات بالبادية يقال له : شعهم الأرض .

أَلَا لَيْتَ خَبْزَا قَدْ تَسْرَبِلَ رَائِبًا وَخَيْلًا مِنَ الْبَرْنِيِّ فُرْسَانِيهَا الزُّبْدُ (١)
 وَلَهُمُ الْبُرْمَةُ (٢) وَالْخَلَّاصَةُ (٣) وَالْحَيْسُ (٤) وَالْوَطِيئَةُ (٥) .

وقال أعرابي : « أُتِينَا بَبْرًا كَأَفْوَاهِ الْبُعْرَانِ (٦) نَحْبِزْنَا مِنْهُ خُبْزَةَ زَيْتٍ (٧)
 فِي النَّارِ ، فَجَعَلَ الْجُرُّ يَتَحَدَّرُ عَنْهَا تَحَدُّرَ الْحَشْوِيِّ عَنِ الْبِطَانِ (٨) : ثُمَّ ثَرَدْنَاهَا فَجَعَلَ
 الثَّرِيدُ يَجُولُ فِي الْإِهَالَةِ (٩) جَوْلَانَ الضُّبْعَانَ فِي الضَّفِرَةِ (١٠) ، ثُمَّ أُتِينَا بِتَمْرٍ كَأَعْيَانِ
 الْوَرَلَانِ (١١) يَوْحَلُ فِيهِ الضَّرْسُ » .

وَنُعِتِ السَّوِيْقُ (١٢) بِأَنَّهُ مِنْ عُدَدِ الْمَسَافِرِ ، وَطَعَامُ الْعَجَلَانِ ، وَغِذَاءُ الْمَبَكَّرِ (١٣) ،
 وَبُلْغَةُ الْمَرِيضِ ، يَشُدُّ فُؤَادَ الْحَزِينِ ، وَيُرُدُّ مِنْ نَفْسِ الْمَحْدُودِ (١٤) ، وَحَيْدٌ فِي السَّمِينِ (١٥) ،
 وَمَنْعُوتٌ فِي الطَّيِّبِ ، قَفَارُهُ يَجْلُو الْبَلْغَمَ ، وَمَسْمُونُهُ (١٦) يَصْفِي الدَّمَ ، إِنْ شَتَّتْ
 كَانَ ثَرِيدًا ، وَإِنْ شَتَّتْ كَانَ خَبِيصًا ، وَإِنْ شَتَّتْ كَانَ طَعَامًا ، وَإِنْ شَتَّتْ
 كَانَ شَرَابًا .

- (١) البرني : نوع من التمر ، معرب .
 (٢) قدر من حجارة ، ولعلها تطلق على اسم طعام يطبخ فيها .
 (٣) خلاصة السمن : ماخلص منه .
 (٤) الحيس : تمر يخالط بسمن وأقط [والأقط مثلثة ويحرك و ككتف ورجل وابل : شئ . يتخذ
 من الخيض الغنمي] فيعجن شديدا ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق .
 (٥) الوطيئة : تمر يخرج نواه ويعجن بلبن ، والأقط بالسكر .
 (٦) يشبه البر في بياضه بأفواه البعران (جمع بعير) لما يهلوها من الرغوة والزبد .
 (٧) أي خبزة عجنت بزيت .
 (٨) البطان : حزام قتب البعير . (٩) الإهالة : الشحم للذباب .
 (١٠) الضبع بضم الباء وسكونها مؤنثة ، والذكر ضبعان بالكسر والأنثى ضبعانة أيضا . والضفرة
 من الرمل : ما عظم وتجمع .
 (١١) الورلان جمع ورل كدب : وهو زاحف كالضب .
 (١٢) السويق : ما يعمل من الخنطة والشعير .
 (١٣) من يقوم في بكرة النهار ، وفي النسخ « المنكره » .
 (١٤) المحرود : المحروم .
 (١٥) أي خير أنواع الطعام السمين ، وفي عيون الأخبار « وهو جيد في التسمين » اقرأ هذا
 الوصف فيه ج ٩ : ص ٢٠٦ .
 (١٦) سمن الطعام : لته بالسمن فهو مسمون .

وقيل لبعض هؤلاء اللعامة^(١) والمستأكرين والسفانين^(٢) المقففين - ورئي
 سمينا - ما أسمىك؟ قال : « أكلت الحار ، وشربني القار ، والاتكاه على شمالي ،
 وأكلت من غير مالي^(٣) » وقد قال الشاعر :
 وإن امتلاء البطن في حسب الفتى قليل الغناء وهو في الجسم صالح^(٤)
 وقيل لآخر : ما أسمىك؟ قال : « قلة الفكرة ، وطول الدعة ، والنوم على
 الكظة^(٥) » وقال الحجاج للفضبان^(٦) بن القبةثري : ما أسمىك؟ قال : القيد
 والرتعة^(٧) ، ومن كان في ضيافة الأمير سمن^(٨) « وقيل لآخر : إنك لحسن السحنة^(٨) ،
 قال : « آكل لباب البر ، وصفار الميز ، وأدهن بنجام^(٩) البنفسج ، وأبس
 الكتان » والله لو كان من يسأل يعطى لما قام كرم العطية بلوم المسألة .
 ومدار الصواب على طيب المكسبة والاقتصاد في النفقة ، وقد قال بعض العرب « اللهم
 إني أعوذ بك من بعض الرزق » حين رأى نافية^(١٠) من ماله من صدق أمه .

- (١) اللعامة : جمع لعمة كجعفر ، وهو الحريص الشهوان النهم كالعموظ (كصفور) .
 (٢) في النسخ « السفانين » والمقفم : المنكس الرأس أبدا .
 (٣) اقرأ في عيون الأخبار ٩ : ٢٢٤ .
 (٤) أي أن كثرة الأكل لا تفيد في إعلاء شرف الفتى ، ولكنها تفسد الجسم ، وفي النسخ
 « الفتى » بدل « الفتى » .
 (٥) وهذا أيضا في عيون الأخبار ، والكظة : شيء يعتري الإنسان عند الامتلاء من الطعام .
 (٦) من خبره أنه لما هلك بشر بن مروان وولى الحجاج العراق بلغ ذلك أهل العراق فقام الفضبان
 خطيبا بالكوفة يؤايبهم على الحجاج ، فكان فيما قال لهم « فاعترضوا هذا الحبيث في الطريق فاقتلوه » فأطيعوني
 وتعدوا به قبل أن يتعمشى بكم » فلما قدم الحجاج الكوفة بلغته مقالته ، فأمر به فأقام في حبسه ثلاث سنين -
 اقرأ خطبته في جمهرة خطب العرب ٢ : ٣٢٠ .
 (٧) الرتعة : الاتساع في الحصب ، وهو مثل . وأول من قاله عمرو بن الصعق بن خويلد بن نفيل
 ابن عمرو بن كلاب ، وكانت شاكر من همدان أسروه فأحسنوا إليه وروحوا عنه وقد كان يوم
 فارق قومه نجيفا ، فهرب من شاكر فلما وصل إلى قومه قالوا : أي عمرو ، خرجت من عندنا نجيفا وأنت
 اليوم بادن ، فقال : القيد والرتعة ، فأرسلها مثلا ، وهذا كقولهم : العز والمنعة ، والنجاة والأمنة ، وفي
 عيون الأخبار (٩ : ٢٢٥) القيد والدعة .
 (٨) السحنة بالفتح وتحرك : الهيئة واللون وابن البشارة ، وفي عيون الأخبار « الشحمة » .
 (٩) الحام : الريح الطيبة تعبق بالثوب .
 (١٠) يقال : اللابل التي يرثها الرجل فنكثها لابله « نافية » .

وأى سائل كان الحفّ مسألةً من الحطيئة والأأم؟ ومن الأُم من جرير
ابن الحطّاف وأبجل؟ ومن أمتع من كثير، وأشحّ من ابن هرمة^(١)؟ ومن كان
يشقّ غبار ابن أبي حفصة^(٢)؟ ومن كان يصطلي بنار أبي العتاهية؟ ومن كآبي نوايس
في بخله؟ أو كآبي يعقوب الخزيمي في دقة نظره وكثرة كسبه؟ ومن كان أكثر
تحرّاً لجزرة^(٣) لم تُخلق من ابن هرمة؟ وأطعن برمّح لم يثبت، وأطعم إطعام
لم يزرع، من الخزيمي^(٤)؟ فأين أنت عن ابن يسير؟ وأين تذهب عن ابن أبي كريمة؟
ولم تقصر في ذكر الرّقائبي، ولم تذكر شرّه؟

إن الأعرابي شرّ من الحاضر^(٥)، ساثل جبار، وثابة ملاق، إن مدح كذب،
وإن هجأ كذب، وإن أيس كذب، وإن طبع كذب، لا يعرفه إلا نطف^(٦)
أو أحق، ولا يعطيه إلا من يحبه، ولا يحبه إلا من هو في طباعه.

ما أبطأكم عن البذل في الحق، وأسرعكم إلى البذل في الباطل! فإن كنتم
الشعراء تفضلون، وإلى قولهم ترجعون، فقد قال الشاعر:

قليلُ المالِ تُصْلِحُه فيبقي ولا يبقى الكثيرُ على الفسادِ

وقد قال الشّماخ بن ضَرَّار:

آمالُ المرءِ يُصلِحُه فيُغني مفاقرَه ، أعفُ من القنوعِ^(٧)

(١) هو إبراهيم بن هرمة شاعر عباسي، وكان مواعا بالشراب، وما ولي المنصور شخص إليه
فامتدحه فاستحسن شعره ووصله، وسأله ابن هرمة أن يبيح له الشراب لأنه مغرم به فقال: ويحك هذا
حد من حدود الله وما كنت لأعطله، قال: فاحتل لي فيه يا أمير المؤمنين، فكتب إلى عامله بالمدينة:
من أنك يا ابن هرمة سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين، فجعل الجلواز إذا مر بابن هرمة
سكران قال: من يشتري ثمانين بمائة؟ - انظر ترجمته في الأغاني ٤: ١٠١، والشعر
والشعراء ص ٢٨٩.

(٢) يعني مروان بن أبي حفصة، وهو شاعر عباسي مشهور.

(٣) الجزرة: الشاة السمينة، وجمعها جزر.

(٤) يقول: إن الشعراء يتخيّلون وينسبون إلى أنفسهم كثيرا من أعمال الكرم والشجاعة.

(٥) الحاضر: ساكن الحضر.

(٦) النطف: التهم بريئة.

(٧) المفال: قيل جمع فقر على غير قياس، وقيل جمع لا واحد له، والقنوع: السؤال والتذلل.

وقال أحيحة بن الجلاح :

استغن أو مت ولا يغررك ذو نشب
إني أكب على الزوراء أعمرها
وقال أيضا :

استغن عن كل ذي قربي وذى رحم
والبس عدوك في رفق وفي دعة
ولا يغرنك أضغان مزملة

وقال سهل بن هرون :

إذا امرؤ ضاق عني لم يضق خلقي
فلا يراني إذا لم يرع آعرتي
لا أطلب المال كي أغنى بفضلته

وقال أبو العتاهية :

أنت ما استغنيت عن صا
فإذا احتجت إليه

حبك الدهر أخوه
ساعة تجبك فوه

وقال أحيحة بن الجلاح :

فلو أني أشاء نعمت بالآ
وبا كرتني صبوح أو نشيل^(٦)

(١) الزوراء : أرض كانت لأحيحة بن الجلاح ، سميت بيئر كانت فيها (والزوراء : البئر البعيدة

العقر) - انظر معجم البلدان ٤ : ٤١٢ - والبيت فيه :

إني أقيم على الزوراء أعمرها لأن الحبيب إلى الإخوان ذو المال

(٢) الإربة : الدهاء .

(٣) مزملة : دفينه خفية ، من الترميل وهو الإخفاء واللف في الثوب ، والدبر : البعير أصيب بقرحه

من الرجل ، والأحلاس : حم حاس كقرد ، وهو ما يوضع على ظهر البعير تحت الرجل .

(٤) الأصرة : صالة المودة أو القرابة ، والمستمرى : الحالب ، والدرر : اللبن ، والإبس :

التلطف بالناقة عند الحلب بأن يقال لها بس بس تسكينها لها .

(٥) ماني « ما كان » مصدرية ظرفية أي مدة كون طلبه بعد فقرا إلى الناس .

(٦) با كرتني : جاءني في بكرة النهار ، والصبوح : ما حلب من اللبن بالغداة ، والنشيل : اللحم

ملطبوخ : بغير تابل ، أو اللبن ساعة يحلب .

ولاعبني على الأنماط لُفْسٌ
على أنيابهنَّ الزُّنْجِيلُ (١)

وايكني خُلِقْتُ إزاء مالٍ
فأبخلُ بعد ذلك أو أنيلُ

وقال آخر :

أيامُ صلحٍ أصلحُ ولأنك مُفسداً
فإن صلاح المال خير من الفقر

ألم ترَ أن المرءَ يزداد عِزَّةً
على قومه أن يعلموا أنه مُثْرَى ؟

وقال عروة بن الورد :

ذَرِينِي لِلغني أسمى ذَانِي
رأيت الناسَ شَرُّهمُ الفقيرُ

وأبعدهمُ وأهمُّهمُ عليهم
وإن أُمِّي له نَسَبٌ وخيرُ (٢)

وَبِقَعِي فِي النديِّ وتزدرية
حَلِيلَتُهُ وَبَنَاهُ الصغِيرُ

وتَلَقَى ذَا الغنيِّ وله جَلالُ
يكاد فؤادُ صاحبه يطيرُ

قليلُ ذنبُهُ ، والذنبُ جَمٌّ
ولكنَّ الغنيَّ ربُّ غفورُ

وقال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل :

تلك عِرْساي تنطقان على عَمٍّ—
دي لي اليومَ قولَ زورٍ ودتر (٣)

سألتاني الطلاقَ أن رَأَتَا ما
لي قليلاً، قد جئتماني بُكْرًا (٤) !

فلعلِّي أن يَكْثُرَ المالُ عندي
ويُعْرَى من المغارمِ ظَهري

ويُرَى أعْبُدُ لفا وأواقِ
ومناصيفُ من خوادِمِ دَشْرٍ (٥)

(١) الأنماط : جمع نمط كسبب ، وهو ثوب صوف ذو لون يفرش ، لعس : أي نساء لعس جمع النساء . وصف من اللعس بالتحريك ، وهو سواد مستحسن في الشفة .

(٢) الحبر : الكرم والشرف ،

(٣) العرس : الزوجة ، والهتر : تمزيق العرض ، هتره كضرب وهتره : مزقه .

(٤) سال من باب خاف لغة في سأل المحموز .

(٥) الأواق : جمع واقية ، وهي الحافظة الصائنة ، ويريد بها الخادمة . ومناصيف : جمع منصف ككبير ومقعد ، وهي الخادم ، وجها مناصف ومناصيف .

وَتُجْرَةُ الْأَذْيَالُ فِي نِعْمَةٍ زَوْ ل ، تقولان ضَعُ عَصَاكَ لِدهْرٍ (١)
 وَى كَأَنَّ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْسَبُ بِبَبْ ، ومن يفتقر بعش عيش ضُرِّ (٢)
 وَيُجَنَّبُ مِيرَ النَّجِيِّ وَلَكِنْ أَخَا الْمَالِ مُحْفَرٌ كُلَّ سِرِّ (٣)
 وقال الآخر :

والمال منى جانب لا أضيعة وللهو منى والبطالة جانب (٤)
 وقال الأحنس بن شهاب :

وقد عشتُ دهرا والغواة صحابتي فأدبت عني ، ما استعرت من الصبا
 وأولئك إخواني الذين أصاحبُ والمال منى اليوم راع وكاسبُ
 وقال ابن أذينة الثقفى :

أطعت النفس في الشهوات حتى إذا ما جئتها قد بعثت عتقا
 أعادتني عسيفاً عبداً عبداً (٥) فمن وجد الغنى فليصطنعه
 تعانق أو تقبل أو تفدى (٦) ذخيرته ويجهد كل جهداً
 وقال :

مَنْ يَجْمَعُ الْمَالَ وَلَا يَتَّبِعُهُ (٧) وَيَتْرِكُ الْعَامَ لِعَامٍ جَدُّهُ (٨)

* يَهْنُ عَلَى النَّاسِ هَوَانٌ كَلْبِهِ *
 وقد قيل في المثل : « الكدُّ قبل المدِّ (٩) » وقال لقيط : « ألقم وأذر للقاح ،
 وأحد السلاح (١٠) » .

(١) الزول : الحسننة العجيبة ، ومعنى الشطر الثاني ، تقولان : ألق عصاك لدهرك فلا تكدر فيه ،
 ولا تنقل في طلب الرزق فقد تمت عليك النعمة .

(٢) وى بمعنى أتعجب ، وكان مخففة من الثقيلة ، وهى هنا بمعنى حقا ، والنشب : المال الأصيل .

(٣) فى النسخ « شر النجى » و « محضر كل شر » وفيها أيضا « أخا الفقر » والنجى : من تساره .

(٤) الرواية المشهورة « والله منى » . (٥) العسيف : الأجير ، والعبد المستهان به .

(٦) العتق : الشرف والحريية ، أى إذا ما جئت النفس وقد بعثت شرفى وحرييتى تسربى .

(٧) ثبى المال : جمعه و كثره .

(٨) أى أنه إذا كان فى عام خصب ترك الادخار حتى يحل به عام قد يكون جدبا .

(٩) الكد : التعب ، والمد : البسط والسعة .

(١٠) أى ألقم إيلك بيدك إذا أبت أن تأكل بنفسها ، وأذر : أى ألق الغذاء - من ذرت الريح
 الشىء تذروه وأذرتة وذرتة إذا أطارته - للقاح : وهى النوق التى لقيحت أى حملت ، وأحد السلاح : أى
 سنه ، والغرض من ذلك : العناية بالمال وأخذ العدة لحوادث الدهر .

وقال أبو المعافى :

إن التواني أنكح العجز بنته وساق إليها حين زوجه مهرًا^(١)
فراشا وطيبًا ثم قال لها اتكبي فقصر كما لا بد أن تلدا الفقرا^(٢)
وقال عثمان بن أبي العاص : « ساعة لدياك وساعة لآخرتك » .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنها كم عن قيل وقال ، وكثرة
السؤال ، وإضاعة المال » وقال : « خير الصدقة ما أبقي غني ، واليد العليا خير
من اليد السفلى^(٣) ، وابدأ بمن تعول » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الثالث ،
والثالث كثير ، إياك أن تدع ولدك أغنياء خير من أن يتكففوا الناس »
وقال ابن عباس : « وددت أن الناس غصوا من الثالث شيئًا ، لقول النبي صلى الله
عليه وسلم : « الثالث ، والثالث كثير » وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء
إثما أن يضيع من يموت » .

وأنتم ترون أن المجد والكرم أن أفقر نفسى بإغناء غيرى ، وأن أحوط عيال
غيرى بإضاعة عيالى ، وقال فى ذلك ابن هرمة :

كتاركة بيضها بالعراء ومأبسة بيض أخرى جناحًا^(٤)
وقال آخر :

كفسي أدناه ومضج غيره ولم ياتر في ذاك أمر صلاح

(١) أى أن التواني زوج ابنته للعجز ولم يكافه مهرًا ، بل بعث إليه بابنته وساق معها مهرها .
(٢) فراشا بدل من مهرًا : أى ثم قال لها اتكبي على هذا الفراش الوثير واستريحى ولا تعملى شيئًا ،
وقصرك أن تفعل كذا ، وقصارك بالفتح وبضم وقصيرك وقصارك بضمهما : أى جهدك وغايتك ، أى
غاية أمر كما لا مناس منها أن تلدا مولودا اسمه الفقير .

(٣) اليد العليا : المعطية . والسفلى : الممطاة .

(٤) يعنى النعامة ، وقد ضربوا بها المثل فى الحق فقالوا « أحق من نعامة » قال الميدانى فى شرحه
« وذلك أنها تنتشر للطعم فربما رأيت بيض نعامة أخرى قد انتشرت لمثل ما انتشرت هى له فتحضن بيضها
وتنسى بيض نفسها ، ثم تجىء الأخرى فتزى غيرها على بيض نفسها ، فتمر لطيبها (أى لوجهها) وإياها
عى ابن هرمة بقوله : كتاركة بيضها . . . » ثم قال « وزعم أبو عبيدة أن ابن هرمة عفى بقوله : كتاركة
بيضها الحمامة التى تحضن بيض غيرها وتضع بيض نفسها » .

وقال آخر :

كُرِّضِعَةَ أَوْلَادٍ أُخْرَى وَضِيَعَتُ بَنِيهَا وَلَمْ تَرْقَعْ بِذَلِكَ مَرَّةً قَطًّا
 وقال الله تبارك وتعالى : « وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
 الشَّيَاطِينِ » وقال : « وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ (۱) » فَأَذِنَ فِي الْعَفْوِ
 وَلَمْ يَأْذِنَ فِي الْجَهْدِ ، وَأَذِنَ فِي النَّضُولِ وَلَمْ يَأْذِنَ فِي الْأَصُولِ (۲) ، وَأَرَادَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ
 أَنْ يَتَّصِقَ بِمَالِهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أُمْسِكْ عَلَيْكَ مَالَكَ » فَالْتَمَسَ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْنَعُهُ مِنْ إِخْرَاجِ مَالِهِ فِي الصَّدَقَةِ . وَأَنْتُمْ تَأْمُرُونَهُ بِإِخْرَاجِهِ فِي السَّرْفِ
 وَالتَّبْذِيرِ ! . وَخَرَجَ غَيَّالَانُ بْنُ سَلَمَةَ مِنْ جَمِيعِ مَالِهِ ، فَأَكْرَهَهُ عُمَرُ عَلَى الرَّجُوعِ فِيهِ ،
 وَقَالَ : « لَوْ مِتَّ لَرَجَمْتُ قَبْرَكَ كَمَا يَرْجَمُ قَبْرُ أَبِي رِغَالٍ (۳) » وَقَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ :
 « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُيْنَفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ » وَقَالَ النَّبِيُّ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَكْفِيكَ مَا بَلَغَكَ الْمَحَلَّ (۴) » وَقَالَ : « مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا
 كَثُرَ وَأَهْلَى » وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا
 وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا » وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا

(۱) العفو : ما يفضل عن الحاجة .

(۲) الفضول جمع فضل : وهو الزيادة ، والمراد بالأصول : المال المحتاج إليه في حياة الرجل ،
 أو صناعته أو تجارته .

(۳) قال صاحب الفاموس : « وأبو رغال ككتاب ، في سنن أبي داود ودلائل النبوة وغيرهما عن
 ابن عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه إلى الطائف فررنا بقبر فقال هذا قبر
 أبي رغال ، وهو أبو ثقيف وكان من ثمود . وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النقرة التي أصابت
 قومه بهذا المكان فدفن فيه » وقال صاحب اللسان : « أبو رغال : اسمه زيد بن محلف ، عبد كان لصالح
 النبي على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، بمته صدقا ، وأنه أتى قوما ليس لهم لبن إلا شاة واحدة ولهم مبي
 قد ماتت أمه فهم يعاجونه بلبن تلك الشاة - يعنى يغذونه ، والعجى كفى : الذى يغذى بغير لبن أمه -
 فأبى أن يأخذ غيرها ، فقالوا : دعها نحايي بها هذا الصبي . فأبى فيقال : لأنه نزلت به قارعة من
 السماء ، ويقال : بل قتله رب الشاة ، فلما فقده صالح قام في الموسم يشد الناس فأخبر بصنيعة فاعنه ،
 فقهره بين مكة والطائف يرحمه الناس » - وقد قدمنا عنه كلمة في نسب ثقيف في الجزء الثانى ص ۱۴۶ .

(۴) يروى في خطبة أكرم بن صيني أمام كسرى « يكفيك من الزاد ما بلغك المحل » - انظر

قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى^(۱) » وقال الله جل ذكره : « وَلَا تَجْمَعَنَّ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا » ولذلك قالوا : « خير مالك ما نفعك ، وخير الأمور أوساطها ، وشرُّ السَّيْرِ الْحَقِيقَةُ^(۲) ، والحسنةُ بين السَّيْتَيْنِ » وقالوا : « دين الله بين اللِّقْصَرِ وَالغَالِي^(۳) » وقالوا في المثل : « بينهما يرمى الرامي^(۴) » وقالوا : « عليك بالسَّداد والاعتقاد ، لا وكسَ ولا شَطَطَ^(۵) » وقالوا : « بين المُمِخَّةِ وَالعَجْفَاءِ^(۶) » وقالوا : « لا تكن حُلُومًا فَتُبْتَاعَ ، ولا مُرًا فَتُلْفَظَ » وقالوا في المثل : « ليس الرُّمِيُّ عَنِ النَّشَافِ^(۷) » وقالوا : « يا عاقِدُ اذْ كَرَحَلًا^(۸) » وقالوا : « الرَّشْفُ^(۹) »

(۱) المنبت المنقطع عن أصحابه في السفر ، والظهر الدابة ، قاله صلى الله عليه وسلم لرجل اجتهد في العبادة حتى هجمت عيناه : أي غارتا ، فلما رآه قال له : إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، إن المنبت : أي الذي يجرد في سيره حتى ينبت أخيرا - سماه بما تشول إليه عاقبته كقوله تعالى : « إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ » مثل يضرب لمن يبالغ في طلب الشيء ويفرط حتى ربما يفوته على نفسه .

(۲) الحقيقة : أشد السير وأتعبه للظهر ، أو أن يلج في السير حتى تعطب راحلته أو تنقطع ، قال صاحب اللسان : « وتعبد عبد الله بن مطرف بن الشخير فلم يقتصد ، فقال له أبوه : « يا عبد الله العلم أفضل من العمل ، والحسنة بين السَّيْتَيْنِ ، وخير الأمور أوساطها ، وشرُّ السَّيْرِ الْحَقِيقَةُ » هو إشارة إلى الرفق في العبادة . يعني : عليك بالقصد في العبادة ، ولا تحمل على نفسك فتسأم ، وخير العمل ما ديم وإن قل ، وإذا حملت على نفسك من العبادة مالا تطيقه انقطعت به عن الدوام على العبادة وبقيت حسيرا ، فتكلف من العبادة ما تطيقه ولا يحسرك . »

(۳) أي أن الدين هو الطريقة المثلى بين التقصير والمغالاة .

(۴) أي بين التقصير والمغالاة الاعتدال الذي يجب أن يقصد إليه القاصد .

(۵) الوكس : النقص ، والشطط : الجور .

(۶) أمخت الشاة : سميت ، والعجفاء : الهزيلة ، وهو مثل يضرب في التوسط .

(۷) الاشتفاف والنشاف : أن تشرب جميع ما في الإناء مأخوذ من الشفافة بالضم ، وهي بقية الماء في الإناء ، يقول : ليس من لا يشتف لا يروى ، فقد يكون الري دون ذلك . وهو مثل يضرب في قناعة الرجل ببعض ما ينال من حاجته : أي ليس قضاؤك الحاجة أن لا تدع قليلا ولا كثيرا إلا نلته ، فإذا نلت معظمها فاقتم به .

(۸) ويروي « يا حامل » فإذا قلت يا عاقِدُ فقولك حلا يكون تقيض العقْدِ ؛ وإذا رويت يا حامل فالحل بمعنى الحلول ، يقال حل بالمكان يحل حلا وحلولا ومحلا . وأصل المثل في الرجل يشد حمله فيسرف في الاستيناف حتى يضر ذلك به وبراحلته عند الحلول ، يضرب مثلا للنظر في العواقب .

(۹) الرشف : التأني في الشرب ، أقمع : أذهب وأقطع للعطش ، مثل يضرب في ترك العجلة .

أَنْفَعُ لِلظَّامَانِ « وقالوا : « القليلُ الدائمُ أكثرُ من الكثيرِ المنقطعِ » وقال أبو الدرداءِ
« إني لأستَجِمُّ نفسي ببعضِ الباطلِ ، كراهةً أن أحِلَّ عليها من الحقِّ ما يُملِّها »
وقال الشاعر :

وإني حلُّوْتُ تعترِبِي مرارةً وإني لصعبُ الرأسِ غيرِ جموحٍ^(١)
وقالوا في عَذْلِ الْمُصْلِحِ ولأئمةِ المقتصدِ : « الشحيحُ أعذرُ من الظالمِ^(٢) » وقالوا :
« ليس من العَدْلِ سُرعةُ العَدْلِ » وقالوا : « لعلَّ له عذرا وأنت تلوم^(٣) » وقالوا :
« رَبِّ لَأَمِّ مُلِيمٍ^(٤) » وقال الأحنفُ : « رَبِّ مَلُومٍ لا ذنبَ له^(٥) » وقال : « إعطاءُ
السائلِ تضريةً^(٦) ، وإعطاءُ المُلجِفِ مشاركةً^(٧) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم :
« لا تصلِحُ المسألةُ إلا في ثلاثٍ : فقيرٌ مُدقِّعٌ^(٨) ، وغريمٌ مُنظِّعٌ ، ودمٌ هُوَجِيعٌ^(٩) »
وقال الشاعر :

الْحَرُّ يُلجِي والعصا للعبدِ وليس المُلجِفِ غيرُ الرَّدِّ^(١٠)
وقالوا : « إذا جدَّ السؤالُ جدَّ^(١١) المنعُ » وقالوا : « احذر إعطاءِ المخدوعين^(١٢) ،

(١) ويروى لسان بن ثابت :

وإني حلُّوْتُ تعترِبِي مرارةً وإني لترك لما لم أعود

(٢) يقول : لأنهم حين تجنوا على المقتصد ولاموه ووصفوه بالشح كذبا ، جعلوا له في شحه عذرا
أقوى من عذر الظالم .

(٣) مثل يضرب لمن يلوم من له عذر لا يعلمه اللأم ، وهو عجز بيت وصدوره :

* تَأْنٍ ولا تعجل بلومك صاحباً *

(٤) ألام : أتى بما يلام عليه ، والمثل لأكم بن صيفي .

(٥) قال الميداني « هذا من قول أكم بن صيفي ، يقول : قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه
وهم لا يعرفون حجته وعذره فهو يلام عليه . وذكروا أن رجلا في مجلس الأحنف بن قيس قال : ليس
شيء أبغض لي من التمر والزبد فقال الأحنف « رب ملوم لا ذنب له » .

(٦) التضرية : التعويد والإغراء . وأصله من ضرى الكلب بالصيد كفرح : تعود ، وأضرأه
صاحبه به وضراه : عوده وأغراه .

(٧) أي مشاركة له في الإخاف لأنك بإعطائه عاونه وأجرته .

(٨) أي شديد ملصق بالدقماء ، وهي الأرض .

(٩) أي في حال جمع المال لدية القليل .

(١٠) يلجى : يلام ، لحاه يلجأه : لأمه . (١١) أي قوى واشتد .

(١٢) المصدر مضاف لفاعله : أي احذر أن تعطى وأنت مخدوع .

« بذل المغبونين ، فإن المغبون لا محمود ولا مأجور » ، ولذلك قالوا : « لاتكن أدنى العيرين ^(۱) إلى السهم » يقول : إذا أعطيت السائلين مالك صارت مقاتلك أظهر لأعدائك من مقاتلتهم ، وقالوا : « الفرار بقرب أ كيس ^(۲) » وقال أبو الأسود : « ليس من العز أن تتعرض للذل ، ولا من الكرم أن تستدعى اللؤم » ومن أخرج ماله من يده افتقر ، ومن افتقر فلا بد له من أن يضرع ^(۳) ، والضرع لؤم . وإن كان الجود شقيق الكرم ، فالأنفة أولى بالكرم ^(۴) ، وقد قال الأول : « اللهم لاتنزلني ^(۵) ماء سوء ، فأكون امرأ سوء » .

وقد قال الشاعر :

واخطُ مع الدهر إذا ما خطاً واجر مع الدهر كما يجري

وقد قال الآخر :

يأليت لي نعاين من جلد الضبع وشراً كما من ثغرها ^(۶) لاتنقطع
كل الحذاء يحتذى الحافي الوقع ^(۷)

وقد صدق قول القائل : « من احتاج اغتفر ، ومن افتضى ^(۸) تجوز » وقيل

(۱) العير : الحمار ، والعيران هنا السائل والمسئول ، فإذا أعطى المسئول كل ماله للسائل تعرض لسهام أعدائه ولم يقو على نزاهم .

(۲) القرباب : الغمد ، والمثل لجابر بن عمرو المازني . وذلك أنه كان يسير يوماً في طريق إذ رأى أثر رجلين ، وكان عاتفاً قائفاً (والعائف : المتكهن بالطير أو غيرها ، والقائف : من يعرف الآثار) فقال : أرى أثر رجلين شديداً كليهما عزيزاً سلبهما والفرار بقرب أ كيس . أراد ذو الفرار أي الذي يفر ومعه قراب سيفه إذا فاته السيف أ كيس ممن يفيت القرباب أيضاً .
(۳) أي بدل .

(۴) يقول : إذا كان الجود شقيق كرم النفس ، وجب على الجواد ألا يسمي في إذلال نفسه ، وأن يحافظ على أنفها وإباؤها ، وإنما يكون ذلك بالمحافظة على ماله .

(۵) هكذا في الحيوان للجاحظ ، وفي النسخ « لاتنزلني » .

(۶) هكذا في جمع الأمثال ، وفي النسخ « من استها » والشرك جمع : شرك ككتاب ، وهو سير النعل .

(۷) وقم الرجل كفرح : إذا حنى من مره على الحجارة ، وهو مثل يضرب عند الحاجة تحمل على التعلق بما يقدر عليه .

(۸) اتضى دينه وتقاضاه بمعنى .

لِدِيسِيمُوسُ (۱) : تَأْكُلُ فِي السُّوقِ ! قَالَ : « إِنَّ جَاعَ [دِيسِيمُوسُ (۲)] فِي السُّوقِ ،
أَكَلَ فِي السُّوقِ » وَقَالَ (۳) : « مِنْ أَجْدَبَ انْتَجَعَ ، وَمَنْ جَاعَ جَشِعَ » وَقَالَ :
« احذروا نِفَارَ النِّعْمَةِ فَإِنَّهَا نَوَارٌ (۴) ، وَإِسْ كُلَّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ ، وَلَا كُلَّ نَادَةٍ (۵)
بِمَصْرُوفٍ » وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : « قَلَّمَا أُدْبِرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ » وَقَالُوا : « رَبُّ
أَكْلَةٍ تَمْنَعُ أَكْلَاتٍ (۶) ، وَرَبُّ عَجَلَةٍ تَهْبُ رَيْثًا (۷) » وَعَابُوا مِنْ قَالَ : « أَكْلَةٌ
وَمَوْتَةٌ (۸) » وَقَالُوا : « لَا تَطْلُبُ أَثْرًا بَعْدَ عَيْنٍ (۹) » وَقَالُوا : « لَا تَكُنْ كَمَنْ تَغْلِبُهُ

(۱) جاء في كتاب الحيوان للجاحظ : « حدثني العتبي قال : كان في اليونانيين ممرور (وهو الذي غلبت عليه المرة بالكسر : أي معتوه) له نوادر عجيبة وكان يسمى ديسيموس ، قال : والحكام يروون له أكثر من ثمانين نادرة » .

(۲) الزيادة بين القوسين من الحيوان للجاحظ .

(۳) القائل صعصعة بن صوحان ، تغذى عند معاوية فتناول من بين يديه شيئاً ، فقال معاوية : يا بن

صوحان : انتجعت من بعد ، فقال : من أجذب انتجع .

(۴) النوار كسحاب : المرأة النفور من الريبة .

(۵) ند البعير كضرب : نثر وذهب على وجهه شارداً .

(۶) أول من قاله عامر بن الظرب المدونى ، وهو مثل يضرب في ذم الحرص على الطعام .

(۷) أول من قاله مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن محلم الشيباني ، وكان سنان بن مالك

ابن أبي عمرو بن عوف بن محلم شام غيباً فأراد أن يرحل بامرأته - وهي أخت مالك بن عوف - فقال له مالك : أين نظمن يا أخى ؟ قال : أطلب موقع هذه السحابة ، قال : لا تفعل فإنه ربما خيلت وليس فيها

قطر ، وأنا أخاف عليك بعض مقاب العرب (جمع مقنب كبير : وهو جماعة الخيل والفرسان) قال :

لكنني لست أخاف ذلك فضي ، وعرض له مروان الفرظ بن زنباع العبسي ، فأعجله عنها وانطلق بها

وجعلها بين بناته وأخواته ولم يكشف لها سترها ، فقال مالك بن عوف لسنان : ما فعلت أختي ؟ قال :

نفتني عنها الرماح ، فقال مالك : رب عجلة تهب ريثاً ، ورب ذبوقة يدعى ليثاً (والفروقة بالفتح :

الجبان الشديد الفرع) ورب غيث لم يكن غيثاً ، فأرسلها مثلاً . يضرب للرجل يشتد حرصه على حاجة

ويخرق فيها حتى تذهب كلها .

(۸) أي آكل وأملاً بطني ولو كان في ذلك الموت .

(۹) من أمثالهم « تطلب أثراً بعد عين » و « لا أطلب أثراً بعد عين » يضرب لمن ترك شيئاً يراه

ثم تبع أثره بعد فوت عينه ، وأول من قاله مالك بن عمرو العاملي ، وذلك أن بعض ملوك غسان كان

يطلب في عاملة ذحلاً (أي نأراً) فأخذ منهم رجلين يقال لهما مالك وسماك ابنا عمرو ، فاحتبسهما عنده

زماناً ثم دعاهما فقال لهما : إني فأنزل أحدكما فأبكمما أقتل ؟ فجعل كل واحد منهما يقول : اقتلني مكان أخى ،

فإما رأى ذلك قتل سماكاً وخلى سبيل مالك ، فقال سماك حين ظن أنه مقتول أباناً منها :

وأقسم لو قتلوا مالكا
لكننت لهم حية راصده

وانصرف مالك إلى قومه ، فلبث فيهم زماناً ، ثم إن ركبا مروا وأحدهم يتغنى بهذا البيت فسمعت =

نفسه على ما يظن ، ولا يغلبها على ما يستيقن « فانظر كيف تُخرج الدرهم؟ ولم تُخرجه؟
وقالوا : « شرٌّ من المرزئة سوء الخلف (۱) » وقال الشاعر :

إن يكن ما به أصبت جليلاً فذهاب العزاء فيه أجلُّ

ولأن تفقر بجائحة نازلة خير لك من أن تفقر بجناية مكتسبة ، ومن كان سبباً
لذهاب وفره ، لم تعدمه الحسرة من نفسه ، واللائمة من غيره ، وقلة الرحمة ، وكثرة
الشماتة ، مع الإثم الموبق والهوان على الصاحب ، وذکر عمر بن الخطاب فتیان قريش
وسرفهم في الإنفاق ، ومسابقتهم في التبذير ، فقال : « نُحْرَقَةُ (۲) أحدهم أشدُّ على من
عَيَّاتُه » يقول : إن إغناء الفقير أهون على من إصلاح الفاسد :

ولا تكن على نفسك أشام من خوتعة (۳) ، وعلى أهلك أشام من البسوس (۴) ،

== بذلك أم سماك ، فقالت : يامالك قببح الله الحياة بعد سماك ، اخرج في الطلب بأخيك ، فخرج في الطلب فلقى
قاتل أخيه يسير في ناس من قومه ، فقال : من أحس لي الجمل الأحمر ؟ فقالوا له - وعرفوه - : يامالك له
مائة من الإبل فكف ، فقال لا أطلب أثراً بعد عين ، فذهبت مثلاً ، ثم حمل على قاتل أخيه . فقتله ، والمعنى :
لا آخذ الدية وهي أثر الدم وتبعته ، وأترك العين يعني القاتل .

(۱) المرزئة : المصيبة ، وسوء الخلف ما تخلفه من الجزع ، أي إذا فقدت مالك كان جزعك على
ضياعه أشد من ضياعه .

(۲) الحرقه : الحمق ، وسوء التصرف في الأمور . والعيلة : الفقر .

(۳) هو رجل من بني غفيلة كجهمينة دل كثيف (كزبير) بن عمرو التغابي وأصحابه على بني الزبان
(بالفتح) الدهلي ، لثرة كانت له عند عمرو بن الزبان ، فأتوهم وهم قد جلسوا على الغداء ، فقال عمرو لانشب
الحرب يبتنا وبينك ، قال : كلا ، بل أقتلك وأقتل لإخوتك ، قال : فإن كنت فاهلاً فأطلق هؤلاء الغفيلة
الذين لم يتلبسوا بالحروب ، فإن وراءهم طالبا أطلب مني ، يعني أباهم ، فقتلهم وجعل رءوسهم في مخللة ،
وعلقها في عنق ناقة لهم يقال لها الدهيم (كزبير) فجاءت الناقة والزبان جالس أمام بيته ، فبركت ، فقال :
ياجارية هذه ناقة عمرو ، وقد أبطأ هو وإخوته ، فقامت الجارية جست المخللة فقالت : قد أصاب بنوك
بيض نعام ، وأدخلت يدها فأخرجت رأس عمرو أول ما أخرجت ، ثم رءوس لإخوته ، ففسلها الزبان
ووضعها على ترس وقال : آخر البر على الفلوس ، فأرسلها مثلاً - والبر : الفلوس - أي هذا آخر عهدى
بهم لا أراهم بعده . وخبر أن خوتعة هو الذي دل على ولده ، فأثنى في بني غفيلة حتى أبادهم - اقرأ المثل
مطولاً في مجمع الأمثال ۱ : ۲۵۵ .

(۴) هي البسوس بنت منقذ التميمية خالة جساس بن مرة قاتل كليب ، والتي من أجلها نشبت حرب
البسوس المشهورة بين بكر وتغلب - اقرأ المثل مفصلاً في مجمع الأمثال ۱ : ۲۵۴ .

وعلى قومك أشام من عطر منشيم^(۱) ، ومن ساط الشهوات على نفسه ، وحكم الهوى
في ذات يده ، فبقي حسيرا ، فلا يلومن إلا نفسه ، وطوبى لك يوم تقدر على قديم^(۲)
تنتفع به ، وقال بعض الشعراء :

أرى كل قوم يمنعون حريمهم وليس لأصحاب النبيذ حريم
أخوهم إذا مادارت الكأس بينهم وكلمهم رث الوصال سنوم
فهذا بياني لم أقل بجهالة ولسكنى بالفاسقين علم

وقد كان هذا المعنى في أصحاب النبيذ أوجده^(۳) ، فأما اليوم فقد استوى الناس ،
قال الأضبط بن قرين لما انتقل في القبائل فأساءوا جواره بعد أن تأذى بيني سعد .
« بكل واد بنو سعد » .

خذ بقولى ودع قول أبي العاص ، وخذ بقول من قال : « عَشٌّ ولا تغتر^(۴) »
ويقول من قال : « لا تطلب أثرا بعد عين » وبقول من قال : « املاً حُبِّكَ^(۵) من
أول مطرة ، ودع ما يريبيك إلى مالا يريبيك ، أخوك من صدقك ، ومن أتاك من
جهة هقلك ، ولم يأتك من جهة شهوتك ، وأخوك من احتمل ثقل نصيحتك في
حظك^(۶) ، ولم تأمن لائمه إياك في غدك » .

(۱) ويقال : « أشام من منشيم » وكانت منشيم امرأة عطارة تباع الطيب ، فكانوا إذا قصدوا
الحرب غمسوا أيديهم في طيبها وتحالفوا عليه أن يستميتوا في تلك الحرب ، ولا يولوا أو يقتلوا ، فكانوا إذا
دخلوا الحرب بطيب تلك المرأة يقول الناس : قد دقوا بينهم عطر منشيم ، فلما كثر منهم هذا القول سار
مثلا ، فمن تمثل به زهير بن أبي سلمى حيث يقول :

تداركتما عيسا وذبيان بعدما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشيم
وقيل : إن منشيم كانت امرأة تباع الحنوط ، وإنما سموا حنوطها عطرا في قولهم : قد دقوا بينهم عطر
منشيم ، لأنهم أرادوا طيب الموتى .

(۲) يراد بالقديم : المال المدخر ، وفي النسخ « على قدم » .

(۳) أى أكثر وجودا فيهم .

(۴) مثل يضرب في الحث على الحيلة . وأصله أن رجلا أراد أن يفوز بإبله ليلا ، واتكل على عشب

يجده في الطريق ، فقبل له : عش ولا تغتر « وفوز بإبله : ركب بها المفازة » .

(۵) الحب : وعاء كبير للماء .

(۶) أى في سبيل سعادتك .

وقال الآخر :

إِنْ أَخَاكَ الصَّدُوقُ مِنْ لَمْ يَخْدَعَكَ وَمَنْ يَضِيرُ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ^(۱)

وقد قال عبيد بن الأبرص :

وَاعْلَمَنَّ عِلْمًا يَقِينًا أَنَّهُ لَيْسَ يُرْجَى لَكَ مَنْ لَيْسَ مَعَكَ

ولا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك ، وعين من عقلك على طباعك ،
أوز ما كان لك أخ نصيح ، ووزير شفيق ، والزوجة الصالحة عون صدق ، والسعيد
من وعظ بغيره ، فإن أنت لم ترزق من هذه الخصال^(۲) خصلة واحدة ، فلا بد لك من
نكبة موجعة ، يبقئ أثرها ، ويلوح لك ذكرها ؛ ولذلك قالوا : « خير مالك ما نفعك »
ولذلك قالوا : « لم يذهب^(۳) من مالك ما وعظك » .

إن المال محروص عليه ، ومطلوب في قعر البحار ، وفي رءوس الجبال ، وفي دغل
الغياض^(۴) ، ومطلوب في الوعورة كما يطلب في السهولة ، وسواء فيها^(۵) بطون
الأودية ، وظهور الطرق ، ومشارك الأرض ومغاربها ، فطلبت بالعز ، وطلبت بالذل ،
وطلبت بالوفاء ، وطلبت ، بالفدر ، وطلبت بالنسك كما طلبت بالفتك ، وطلبت بالصدق
كما طلبت بالكذب ، وطلبت بالبذاء ، وطلبت بالملق ، فلم تترك فيها حيلة ولا رقية

(۱) يقال : هذا الرجل الصدق بالفتح ، فإذا أضفت إليه كسرت الصاد ، وقوله لم يخدعك بنصب
الفعل بعد لم ، قال صاحب المعنى : « وزعم اللحياني أن بعض العرب ينصب بها كقراءة بعضهم
« ألم نشرح » وقوله :

فِي أَي يَوْمٍ مِنَ الْمَوْتِ أَمْرٌ أَيُّ يَوْمٍ لَمْ يَقْدِرْ أَمْ يَوْمٌ قَدَرٌ
وخرجا على أن الأصل نشرحن ويقدرن ثم حذفت نون التوكيد الخفيفة وبقيت الفتحة دليلا عليها ،
وفي هذا شدوذان : توكيد المنفى بلم ، وحذف النون لغیر وقف ولا ساكنين ، اه . وربما كان الأصل
« من لن يخدعك » ويضير نفسه : يضرها ، والمثل في بجم الأمثال « إن أخا الهيجاء من يسمى معك ،
ومن يضر نفسه لينفعك » يضر في المساعدة .

(۲) أي الخصال التي ذكرت آنفا ، وهي أن يكون له واعظ من نفسه الخ .
(۳) ويروى « لم يضع » وهو مثل لأكرم بن صيني ، قال المبرد : أي إذا ذهب من مالك شيء فخذرك
أن يحل بك مثله ، فتأديبه إليك عوض من ذهابه .

(۴) الدغل : الشجر الكثير اللث . والغياض : جم غيضة بالفتح ، وهي الأجمة ومجتمع الشجر .
(۵) فيها : أي في الأموال ، والمراد في طلبها ، فهي مطلوبة في بطون الأودية الخ .

حتى طُلِبَت بالكفر بالله ، كما طُلِبَت بالإيمان ، وطُلِبَت بالشُّخْف كما طُلِبَت بالنُّبْل ،
فقد نصبوا الفِخاخ بكل موضع ، ونصبوا الشَّرْكَ (١) بكل رَبْع ، وقد طلبك مَنْ لا يقصُر
دون الظفر ، وحَسَدك من لا ينام دون الشِّفاء .

وقد يهدأ الطالبُ الطَّوَائِلَ (٢) والمطلوبُ بذات نفسه ، ولا يهدأ الحريصُ ، يقال:
إنه ليس في الأرض بلدة واسطة (٣) ، ولا بادية شاسعة ، ولا طَرَف من الأطراف ،
إلا وأنت واجدٌ بها المدينيَّ والبصرىَّ والحيرىَّ ، وقد ترى شَنَفَ (٤) الفقراءِ للأغنياء ،
وتسرُّعَ الرغبة إلى الملوك ، وبُغْضَ الماشي للراكب ، وعمومَ الحسد في المتفاوتين ،
وإن لم تستعمل الحذرَ ، وتأخذُ بنصيبك من المداراة ، وتتعلمَ الحزمَ ، وتُجالِسَ أصحابَ
الاقتصاد ، وتعرفَ الدهورَ ودهرَكَ خاصَّةً ، وتمثَّلَ لنفسك الغيرَ (٥) حتى تتوهمَ نفسك
فقيراً ضائعاً ، وحتى تتهمَ شمالَكَ على يمينك ، وسمعتك على بصرِكَ ، ولا يكون أحد
أَتَمَّ (٦) عند نفسك من نفسك ، ولا أولى بأخذ الحذر منه من أمينك ، أختطفتَ
اخطافاً (٧) ، واستتلبتَ اسقلاباً ، وذوَّبوا مالك وتحيَّفوه (٨) ، وألزموه الشَّلَّ ولم
يُداووه ، وقد قالوا : « بِلِي المَالِ رَبُّهُ وَإِنْ كَانَ أَحَقَّ » فلا تكوننَّ دون ذلك
الأحقِّ ، وقالوا : « لا تَعْدَمِ صِنَاعُ نَلَّةٍ (٩) » فلا تكوننَّ دون تلك الصناعات ، وقد
قال الأول في المال المضيع المساطِّ عليه شهواتُ العيال : « ليس لها راجع ، ولكنَّ
حَلْبَةَ (١٠) » .

(١) الشرك : حباثل الصائد ، واحدته شركة كقصة ، ويجمع على شرك كعق نادرا .

(٢) الطوائل : جمع طائلة ، وهي النار . (٣) أي متوسطة .

(٤) شنف له شنفاء كفرح : أبغضه وتنكره . (٥) حوادث الدهر المغيرة .

(٦) أي أكثر لاتهماً ، من أتهمه كأكرمه إذا أتهمه .

(٧) في بعض النسخ « واحتفظت احتفاظاً » .

(٨) أي تنقصوه ، من حيفه . والحيف كعنب جمع حيفة بالكسر : وهي الناحية .

(٩) امرأة صناع اليمين : حاذقة ماهرة بعمل اليمين . والنلثة : الصوف تغزله المرأة ، مثل يضرب

لمن إذا عدم عملاً أخذ في آخر لحذقه وبصيرته .

(١٠) الحلبة : جمع حالب ، مثل يضرب للرجل يؤكل ولايس له من يبقى عليه ، وفي النسخ « خلية » .

وليس مالك المال المعفى من الأضرار فيقال فيه : مرعى ولا أكلة^(١) ،
وعشب ولا بعير ، فقصاراك مع الإصلاح أن يقوم ببطنك وبحوائجك وبما يفوبك ،
ولا بقاء للمال على قلة الرعى وكثرة الحلب ، فكس^(٢) في أمرك ، وتقدم في حفظ
مالك ، فإن من حفظ ماله فقد حفظ الأكرمين ، والأكرمان : الدين ، والعرض ،
وقد قيل : « للرمي يرأس السهم^(٣) » و « عند النطاح تغلب القرناه^(٤) » .

وإذا رأت العرب مستأكلا وافق غمرا^(٥) قالت : « ليس عليك نسجه فاستحب
وخرق^(٦) » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الفاس كلهم سوا كآسنان
المشط^(٧) والمرء كثير بأخيه ، ولا خير لك في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى
لنفسه ، فتعرف شأن أصحابك ومعني^(٧) جلسائك ، فإن كانوا في هذه الصفة فاستعمل
الحزم ، وإن كانوا في خلاف ذلك عملت على حسب ذلك .

إني لست أمرك إلا بما أمرك به القرآن ، ولست أوصيك إلا بما أوصاك به
الرسول ، ولا أعظك إلا بما وعظ به الصالحون بعضهم بعضا ، قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « اعقلها وتوكل^(٨) » وقال مطرف بن الشخير : « من نام تحت صدفي^(٨)
مائل وهو ينوي التوكل ، فليزم بنفسه من طمار^(٩) وهو ينوي التوكل » فأين

(١) الأكلة: الشاة التي تعزل للأكل وتسمن ، مثل يضرب للمتمول لا آكل لاله .

(٢) أمر من الكيس بالفتح ، وهو العقل والفتنة .

(٣) راس السهم يرشه : ألقى عليه الريش ، ورواه الميداني في جمع الأمثال « قبل الرمي يرأس
السهم » مثل يضرب في تهيئة الآلة قبل الحاجة إليها ، وهو مثل قولهم « قبل الرما تملأ الكنائن » أي
تؤخذ الأهبة للأمر قبل وقوعه .

(٤) أي ذات القرن ، ومن أمثالهم « عند النطاح يغلب السكبش الأجم » ويغلب البناء للمجهول ،
والنيس الأجم : الذي لا قرن له ، يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعده له .

(٥) الغمر بالفتح والضم وكبب وكتف . من لم يجرب الأمور :

(٦) رواه الميداني « ليس عليك نسجه فاستحب وجر » أي أنك لم تنصب فيه فإذالك تفده .

(٧) معنى : مقصد . (٨) الصدف : كل شيء مرتفع من حائط ونحوه .

(٩) طمار : اسم للسكان العالي ، قال الشاعر :

« وآخر يهوى من طمار قنيل » .

ينشد من طمار بفتح الراء ومن طمار بكسرهما منونا وغير منون ، وقيل هو اسم جبل .

التوقى الذى أمر الله به ، وأين التفرير الذى نهى عنه ؟ ومن طمِع فى السلامة من غير تسلم (۱) ، فقد وضع الطمع فى موضع الأمانى ، وإنما يُنجِزُ اللهُ الطمعَ إذا كان فيما أمرَ به ، وإنما يحقق من الأمل ما كان هو المسبب له ، وفرَّ عمر من الطاعون فقال له أبو عبيدة : « أتفرُّ من قدر الله ؟ » قال : « نعم إلى قدر الله » وقيل له : « هل ينفع الحذر من القدر ؟ » فقال « لو كان الحذر لا ينفع لكان الأمر به كنعو » فأبلاء العذر (۲) هو التوكل ، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال فى خصومة : حسبي الله : « أبلِ الله عذرا ، فإذا أعجزك أمرٌ فقل : حسبي الله » .

وقال الشاعر :

ومن يكُ مثلى ذا عيالٍ ومُقترا
من المال يطرح نفسه كل مطرح
ليُنبلي عذرا أو ليُباغِ حاجةً
ومُبلغُ نفسٍ عذرها مثلُ منجِحِ

وقال الآخر :

فإن يكن القاضى قصى غير عادٍ
فبَعْدَ أمورٍ لا ألومُ لها نفسى
وقال زهير البابى (۳) : « إن كان التوكل أن أكون متى أخرجتُ مالى أيقنتُ بالخلف ، وجعلت الخلفَ مالا يرجع فى كيسي ، ومتى مالم أحفظه أيقنتُ بأنه محفوظ ، فإني أشهدكم أنى لم أتوكل قط ، وإنما التوكل أن تعلم أنك متى أخذت بأدب الله تتقلب فى الخير فتجزي بذلك إما عاجلا وإما آجلا » ثم قال : فلم تجر أبو بكر؟ ولم تجر عمر؟ ولم تجر عثمان؟ ولم تجر الزبير؟ ولم تجر عبد الرحمن (۴)؟ ولم علم عمرُ الناس يتجرون ، وكيف يشترون ويبيعون؟ ، ولم قال عمر : « إذا اشتريت جملا

(۱) المراد بالتسلم هنا : الأخذ بأسباب السلامة والعمل لها .

(۲) إبلاء العذر : تقديمه ، وكل من لم يقصر فى عمل شئ ولم ينجح فيه فقد أبل عذرا .

(۳) قال ياقوت فى معجم البلدان ۲ : ۱۳ وينسب إلى باب الأبواب جماعة منهم زهير بن نعيم البابى

وفى بعض النسخ « الثانى » وهو تصحيف .

(۴) أى عبد الرحمن بن عوف .

فاجعله ضَخْمًا ، فإن لم يبعه الخُبْرُ^(۱) باعه المنظرُ ؟ ، ولم قال عمر : « فرّقوا بين المنايا ، واجعلوا الرأس رأسين^(۲) » ؟ ولم قال عثمان حين سئل عن كثرة أرباحه : « لم أروّ من ربح قطُّ » ؟ ولم قيل : « لا تشتر عيبا ولا شيئا^(۳) » ، وهل حَجَرَ على بن أبي طالب على ابن أخيه عبد الله بن جعفر إلا في إخراج المال في غير حقه ، وإعطائه في هواه ؟ وهل كان ذلك إلا في طلب الذكر ، والتباس الشكر ؟ وهل قال أحد إن إنفاقه^(۴) كان في الخمر والقيمار ، وفي الفسولة^(۵) والفجور ؟ وهل كان إلا فيما تسمونه جودا ، وتعدّونه كرما ؟ ومن رأى أن يججر على الكرام لكرمهم رأى أن يججر على العلماء لعلمهم^(۶) ! وأى إمام بعد أبي بكر تريدون ؟ وبأى سلف بعد علي تفتدون ؟ .

وكيف نرجو الوفاء والقيام بالحق والصبر على النائبة من عند لعمووظ^(۷) مستأكل وملاقى مخادع ، ومنهوم بالطعام شره لا يبالي بأى شيء أخذ الدرهم ، ومن أى وجه أصاب الدينار ؟ ولا يكثر للمنة ، ولا يبالي أن يكون أبداً منهوما منعوما عليه ، وليس يبالي إذا أكل كيف كان ذلك الطعام ؟ وكيف كان سببه ؟ ، وما حكمه .

فإن كان مالك قليلا فإنما هو قوام عيالك ، وإن كان كثيرا فاجعل الفاضل لعدّة نوائبك ، ولا يأمن الأيام إلا المضلل ، ولا يفتر بالسلامة إلا المغفل ، فاحذر

(۱) الخبر : العلم والمعرفة .

(۲) انظر ص ۳۹۱ من الجزء الثالث .

(۳) الشيب معروف ، والمراد هنا لازمه . وهو الضعف ، وكبر السن ، أى لا تشتر ذا عيب ولا ذا ضعف .

(۴) الضمير فيه يعود إلى عبد الله بن جعفر .

(۵) الفسولة : الدناءة .

(۶) أى لو كان حجر على رضى الله عنه على عبد الله بن جعفر لكرمه لساغ الحجر على الحليم ، وساغ الحجر على كل ذى فضيلة ، يريد أن يقول : إن إنفاق ابن جعفر لم يكن كرما .

(۷) الحريس الشهوان .

طوارق البلاء ، وخُدع رجال الدهاء ، سَمْنُكَ في أديمك (١) ، وغثك خير من سمين
غيرك (٢) لو وجدته ، فكيف ودونه أسل (٣) حِدَادٌ ، وأبوابٌ شداد؟ قالت امرأة
لبعض العرب : « إن تزوجتني كفتيتك » فأنشأ يقول :

إذا لم يكن لي غيرُ مالكِ مَسْنَى خصَّاصٌ وبانِ الحمدِ مِنِّي والأجرُ (٤)

وما خيرُ مالٍ ليس نافعَ أهله وليس لشيخِ الحى في أمره أمرٌ ؟

وقال المعلِّوطُ القرَبيُّ :

أبا هانيءٍ لا تسألِ الناسَ والتيسَ بكفِّيكِ سترَ اللهِ فاللهُ واسعُ

فلو تسألُ الناسَ الترابَ لأوشكوا إذا قيلَ هاتُوا أن يَمَلُّوا فيمَنَعوا (٥)

(كتاب البلاء ص ١٢٩)

(١) من أمثالهم « سَمْنُكُمْ هَرِيْقٌ فِي أَدِيمِكُمْ » وكثيراً ما يقولون « سَمْنُهُمْ فِي أَدِيمِهِمْ » يضرب للذي
لا يتجاوز خيره ، قال أبو عبيدة : الأديم : المأدوم من الطعام ، أى جعلوا سَمْنَهُمْ فِيهِ ولم يفضلوا به .
وقال الأصمعي : أصله في قوم سافروا ومعهم نحى سمن ، فانصب على أديم لهم ، فكروهوا ذلك ، فقيل لهم :
ما نقص من سَمْنِكُمْ زَادٌ فِي أَدِيمِكُمْ .

(٢) أول من قال هذا المثل معن بن عطية المدحجي . وذلك أنه كانت بينهم وبين حى من أحياء
العرب حرب شديدة ، فرمعن في حملة حماتها برجل من حزبه صريعاً فاستغاثه وقال : ابنى على كفتيت
البلاء ، فأرسلها مثلاً ، فأقامه معن وساربه حتى بلغه ، آمنه ، ثم عطف أولئك القوم على مدحج فهزموهم
وأسروا معن ، وأخاله يقال له روق - وكان يضعف ويحمق - فلما انصرفوا إذا صاحب معن الذى نجاه أخو
رئيس القوم فناداه معن ، وقال : يا خير جاز بيد أوليتها نج منجيك .

فعرفه صاحبه فقال لأخيه : هذا المان على ومنقذى بعد ما أشرفت على الموت . فبه لى ، فوهبه له فخلى سبيله ،
وقال : لاني أحب أن أضعف لك الجزاء ، فاختر أسيراً آخر ، فاختر معن أخاه روقاً ، ولم يلتفت إلى سيد
مدحج وهو في الأسارى ، ثم انطلق معن وأخوه راجعين ، فرى بأسارى قومهما ، فسألوا عن حاله فأخبرهم
الحير ، فقالوا لمن : قبجك الله ! تدع سيد قومك وشاعرهم لا تنك وتفك أخاك هذا الأنوك الغسل الرذل ،
فوالله ما نكأ جريحاً ، ولا أعمل ربحاً ، ولا ذعر سرحاً ، ولانه لقبيح المنظر ، سبي الخمر ، لئيم ، فقال
معن . « غثك خير من سمين غيرك » فأرسلها مثلاً .

(٣) الأسل : الرماح ، واحدته أسلة .

(٤) الخصاص : الفقر كالخصاصة .

(٥) اطاعت في خلال اشتغالى بهذا المؤلف على تحقيق وشرح كتاب البلاء لأستاذي الجليلين على
بك الجارم ، وأحمد بك العوامري ، وقد استعنت بمجهودهما الموفق في هذه الرسالة ، فلهما منى ومن قراء
العربية جزيل الشكر .

۷۲ - کتاب عمرو بن عثمان القینى

إلى محمد بن عبید الله العتبی

وكان محمد (۱) بن عبید الله العتبی صديقا لعمرو بن عثمان القینى ، فكتب إليه العتبی كتابا فزاده فى الدعاء ، فكتب إليه عمرو :

يا بن الذوائب من قريش والذرى
حاشا لملك أن يرانى قائلا
لم تررض إذ كنيتهنى وبدأت بى
ولو اقتصرت على التى هى قيمتى
لكتبت لى : « عمرو بن عثمان » ولم
فاترك جمعت فذاك - إكرامى بما
فالعين تصغر أن تقدمها على
حلوا من العز المنيع زيافه
وسليل سادة سا كنى البطحاء (۲)
بكرامة تزرى لديه برأى
حتى دعوت الله لى ببقائى
فما تبت قضية الحكماء
تدبعه فى العنوان حرف دعاء
أخشى به عند الورى اسغبائى (۳)
أولاد « حرب » السادة الكرماء
يحمون غيرهم ذرى العلياء (۴)
(أدب الكتاب س ۱۵۹)

(۱) هو محمد بن عبید الله بن عمرو بن معاوية بن عمر بن عتبة بن أبى سفيان بن حرب بن أمية ، وكان أدبيا فاضلا وشاعرا مجيدا ، والعتبی : نسبة لى جده عتبة بن أبى سفيان . قال ابن خلكان : ويجوز أن تكون نسبه لى عتبة التى كافى يقول الشعر فيها ، وتوفى سنة ۲۲۸ - انظر ترجمته ووفيات الأعيان ۱ : ۵۲۲ .

(۲) الذوائب : جمع ذؤابة بالضم ، وذؤابة كل شئ : أعلاه . والبطحاء : بطحاء مكة ، أى سبيل وادبها .

(۳) أى عدى من الأغبياء .

(۴) النياب : الجبل العالى الطويل ، والمراد هنا : القمة والذروة ، ويقال أيضا جل نياى : أى طويل فى ارتفاع ، وقصر نياى : أى مرتفع ، قال فى اللسان : « وقد يجوز أن يكون نياى مصدرا ووصف به كما يوصف بالصادر » .

۷۳ - كتاب المتوكل في الإعلان بلقبه

ولما مات هرون الواثق بن المعتصم سنة ۲۳۲ هـ ببيع بالخلافة أخوه جعفر ، وأُتِبَ المتوكلَ على الله ، فأحضر محمد بن عبد الملك الزيات وأمر بالكتاب بذلك إلى الناس ، فنفَذَتْ إليهم الكتب ، نسخة ذلك :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أَمَرَ - أبقاك الله - أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - أن يكون الرِّسْمُ الذي يجري به ذِكْرُهُ على أعماد منابره ، وفي كُتُبِهِ إلى قُضائِهِ وكتابه وعماله وأصحاب دواوينه وغيرهم من سائر مَنْ تجرى المكاتبَةُ بينه وبينه : « من عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين » فرَأَيْكَ في العمل بذلك وإعلامي بوصول كتابي إليك موفِّقاً إن شاء الله .

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۲۶)

۷۴ - كتاب المتوكل إلى عماله في النصارى وأهل الذمة

وفي سنة ۲۳۵ هـ كتب المتوكل إلى عماله في الآفاق ، بشأن النصارى وأهل الذمة :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أما بعدُ ، فإن الله تبارك وتعالى بعِزَّتِهِ التي لا تحاوُل ، وقدرته على ما يريد ، اصْطَفَى الإسلامَ فرضِيه لنفسه ، وأَكْرَمَ به ملائِكَتَهُ وبَعَثَ به رُسُلَهُ ، وأَيَّدَ به أوليائه ، وكنَّفَهُ بالبرِّ ، وحاطه بالنصر ، وحرَّسَهُ من العاهة ، وأظهره على الأديان ، مُبْرَأً من الشُّبُهَاتِ ، معصوماً من الآفات ، مَحْبُوباً بمناب الخير ، مخصوصاً من الشرائع بأطهرها وأفضلها ، ومن الفرائض بأزكاها وأشرفها ، ومن الأحكام بأعدلها وأقنعها ، ومن الأعمال بأحسنها وأقصدِها ، وأَكْرَمَ أهله بما أحلَّ لهم من حلاله ، وحرَّم عليهم من حرامه ، وبين لهم من شرائعه وأحكامه ، وحدَّ لهم من حدوده ومناهجه ، وأعدَّ لهم من سَعَةِ جَزَائِهِ وثوابه ، فقال في كتابه فيما أمر به

ونهى عنه ، وفيما حَصَّ عليه فيه ووعظ : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » وقال فيما حرَّم على أهله مما عمَّط (١) فيه من ردىء المطعم والمشرب والمنكح ، لينزَّههم عنه ، وليطهرَّ به دينهم ليفضلهم عليهم تفضيلاً : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ (٢) وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّبَةُ وَالنَّطِيحَةُ ، وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ » ثم ختم ما حرَّم عليهم من ذلك في هذه الآية بحراسة دينه ممن عند (٣) عنه ، وبإتمام نعمته على أهله الذين اصطفاهم ، فقال عز وجل : « الْيَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي ، الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » وقال عز وجل : « حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ، وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ ، وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَّاتُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ، وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ

(١) أى عابه وثلبه .

(٢) أى ما رفع الصوت لغير الله به فذبح على اسم غيره ، كقولهم : باسم اللات والذى عند ذبحه . والمنخنقة : التى ماتت بالحنق : والموقوذة . المقتولة ضرباً بجشبة أو حجر . والمتردبة : التى تردت وسقطت من علو فانت . والنطحة : التى نطحتها أخرى فانت . وما أكل السبع : أى وما أكل منه السبع فانت ، إلا ما ذكيت : التذكية : الذبح ، أى إلا ما أدركتم فيه الروح من هذه الأشياء فذبحتموه ، وما ذبح على النصب : وهى أحجار كانت منصوبة حول الكعبة يذبحون عليها ويعدون ذلك قرية ، وقيل هى الأصنام ، أى وما ذبح على اسم النصب ، وأن تستقسوا : أى تطلبوا معرفة ما قسم لكم ، والأزلام : جمع زلم بفتح الزاى وضمها مع فتح اللام ، وهو قدح (كقرد) صغير لاريش له ولا نصل ، وكانوا إذا قصدوا فعلاً أجالوا ثلاثة قداح ، مكتوب على أحدها أمرنى ربى ، وعلى الثانى نهانى ربى ، والثالث غفل . فإن خرج الأول مضوا فى الأمر ، وإن خرج الثانى تجنبوه ، وإن خرج الثالث أجالوها ثانية .

(٣) أى مال عنه .

مِنْ أَصْلَابِكُمْ ، وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَأَفَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا » وقال « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ (۱) مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ » .

فحرّم على المسلمين من ما كلّ أهل الأديان أُرْجَسَهَا وَأَنْجَسَهَا ، ومن شرابهم أَدْعَاهُ إِلَى الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ ، وَأَصَدَّهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ مَنَّا كَيْفِهِمْ أَعْظَمَهَا عِنْدَهُ وَزُرًا ، وَأَوْلَاهَا عِنْدَ ذَوِي الْحِجَابِ وَالْأَلْبَابِ تَحْرِيمًا ، ثُمَّ حَبَّاهُمْ مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ ، وَفَضَائِلَ الْكِرَامَاتِ ، فَجَعَلَهُمْ أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالْأَمَانَةِ ، وَالْفَضْلِ وَالتَّرَاحُمِ ، وَالْيَقِينِ وَالصِّدْقِ ، وَلَمْ يَجْعَلْ فِي دِينِهِمُ التَّقَاطُعَ وَالتَّدَابُرَ ، وَلَا الْحَمِيَّةَ وَلَا التَّكْبُرَ ، وَلَا الْخِيَانَةَ وَلَا الْغَدْرَ ، وَلَا التَّبَاغِيَّ وَلَا التَّظَالُمَ ، بَلْ أَمَرَ بِالْأَوْلَى ، وَنَهَى عَنِ الْآخِرَى ، وَوَعَدَ وَأَوْعَدَ عَلَيْهَا جَنَّةً وَنَارَهُ ، وَثَوَابَهُ وَعِقَابَهُ ، فَالْمُسْلِمُونَ بِمَا اخْتَصَّاهُمْ اللَّهُ مِنْ كِرَامَتِهِ وَجَعَلَ لَهُمْ مِنَ الْفَضِيلَةِ بِدِينِهِمُ الَّذِي اخْتَارَهُ لَهُمْ ، بِأَيْتُونِ عَلَى الْأَدْيَانِ بِشِرَائِعِهِمُ الزَّاكِيَةِ ، وَأَحْكَامِهِمُ الْمَرْضِيَّةِ الطَّاهِرَةِ ، وَبِرَاهِينِهِمُ الْمُنِيرَةِ ، وَبِقَطْعِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمْ بِمَا أَحَلَّ وَحَرَّمَ فِيهِ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ، قَضَاءً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِعْزَازِ دِينِهِ حَتْمًا ، وَمَسْئِلَةً مِنْهُ فِي إِظْهَارِ حَقِّهِ مَاضِيَةً ، وَإِرَادَةً مِنْهُ فِي إِتْمَامِ نِعْمَتِهِ عَلَى أَهْلِهِ نَافِذَةً « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيْتِنَا » وَلِيَجْعَلَ اللَّهُ النُّورَ وَالْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ، وَالْخِزْيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عَلَى الْكَافِرِينَ .

وقد رأى أمير المؤمنين - وبالله توفيقه وإرشاده - أن يحمل أهل الذمة جميعا بحضرتة وفي نواحي أعماله أقربها وأبعدها ، وأخصهم وأخسهم ، على تصيير

(۱) الرجس : القدر .

طَيَالِسْتِهِمْ^(١) التي يلبسونها ، مَنْ لَبَسَهَا مِنْ تِجَارِهِمْ وَكِتَابِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ ، عَلَى
أَلْوَانِ الثِّيَابِ الْعَسَلِيَّةِ ، لَا يَتَجَاوَزُ ذَلِكَ مِنْهُمْ مَتَجَاوِزٌ إِلَى غَيْرِهِ ، وَمَنْ قَصُرَ عَنْ هَذِهِ
الطَبَقَةِ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ وَأَرْذَالِهِمْ وَمَنْ يَقْعُدُ بِهِ حَالَهُ عَنْ لُبْسِ الطَيَالِسَةِ مِنْهُمْ ، أُخِذَ بِتَرْكِيْبِ
خِرْقَتَيْنِ ، صَبِغُهُمَا ذَلِكَ الصَّبْغَ ، يَكُونُ اسْتِدَارَةٌ كُلٌّ وَاحِدَةً مِنْهُمَا شِبْرًا تَامًا فِي مِثْلِهِ ،
عَلَى مَوْضِعٍ أَمَامَ ثَوْبِهِ الَّذِي يَلْبَسُهُ تِلْقَاءَ صَدْرِهِ وَمِنْ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، وَأَنْ يُؤْخَذَ الْجَمِيعُ
مِنْهُمْ فِي قَلَانِسِهِمْ^(٢) بِتَرْكِيْبِ أَزْرَةٍ عَلَيْهَا ، يَخَالِفُ أَلْوَانُهَا أَلْوَانَ الْقَلَانِسِ ، تَرْتَفِعُ
فِي أَمَا كِنِهَا الَّتِي تَقَعُ بِهَا ، لِثَلَا ثَلَاثُ فَتُسْتَرُ ، وَلَا مَا يَرْكَبُ مِنْهَا عَلَى حَبَاكٍ^(٣)
فِيخْفَى ، وَكَذَلِكَ فِي سُرُوجِهِمْ بِاتِّخَاذِ رُكْبٍ^(٤) خَشَبٍ لَهَا ، وَنَصَبِ أَكْرٍ عَلَى
قَرَابِيسِهَا^(٥) تَكُونُ نَائِثَةً عَنْهَا وَمُؤَفِّفَةً عَلَيْهَا ، لَا يُرَخَّصُ لَهُمْ فِي إِزَالَتِهَا عَنْ قَرَابِيسِهِمْ
وَتَأْخِيرِهَا إِلَى جَوَانِبِهَا ، بَلْ تَتَفَقَّدُ ذَلِكَ مِنْهُمْ لِيَقَعَ مَا وَقَعَ مِنَ الَّذِي أَمَرَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
بِحَمَلِهِمْ عَلَيْهِ ظَاهِرًا بِتَبْيِينِهِ النَّاطِرُ مِنْ غَيْرِ تَأْمَلٍ ، وَتَأْخِذِهِ الْأَعْيُنُ مِنْ غَيْرِ طَلَبٍ ،
وَأَنْ تُؤْخَذَ عَبِيدُهُمْ وَإِمَاؤُهُمْ وَمَنْ يَلْبَسُ الْمَنَاطِقَ مِنْ تِلْكَ الطَّبَقَةِ بِشَدِّ الزَّنَانِيرِ
وَالكَسَاتِيْجِ^(٦) مَكَانَ الْمَنَاطِقِ الَّتِي كَانَتْ فِي أَوْسَاطِهِمْ ، وَأَنْ تُوعِزَ إِلَى عَمَّاكٍ فِيمَا
أَمَرَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ إِعَازًا تَحْذَرُهُمْ^(٧) بِهِ إِلَى اسْتِقْصَاءِ مَا تَقَدَّمَ إِلَيْهِمْ فِيهِ ،

(١) الطيالة جمع طيلسان بفتح الطاء وتثايت اللام : ضرب من الأكسية أسود ، فارسي .عرب .

(٢) القلانس : جمع قلنسوة بفتح نون فسكون فضم ففتح ، وهي لباس الرأس .

(٣) الحباك : حبل يشد به على الوسط .

(٤) الركب ، جمع ركاب بالكسر ، والركاب للسرج كالفرز للرحل .

(٥) القرابيس : جمع قربوس بفتح أوله وثانيه ، وهو حنو السرج (بكسر الحاء) ، وله قربوسان
والكرة : معروفة ، وأصلها كرة خذفت الواو ، وتجمع على كرات وكرين ، وتجمع أيضا
على أكر وأصله موكر ، مقلوب اللام إلى موضع الفاء ، ثم أبدلت الواو همزة لانضمامها ، ونائثة :
مرتفعة .

(٦) الناطق : جمع منطقة كمكنة ، وهي ما يشد على الوسط ، والزنانير : جمع زنار كتفاح ، وهو
ما يشد على وسط النصارى والمجوس ، والكساتيج جمع كستيج بالضم : وهو خيط غليظ يشده الذمي فوق
ثيابه دون الزنار .

(٧) أي تسوقهم .

وتحذّرهم إذهانا^(۱) وميلاً ، وتتقدّم إليهم في إنزال العقوبة بمن خالف ذلك من جميع أهل الذمة عن سبيل عنادٍ ، وتهوينٍ إلى غيره ، ليقصر الجميع منهم على طبقاتهم وأصنافهم على السبيل التي أمر أمير المؤمنين بحملهم عليها ، وأخذهم بها إن شاء الله .

فاعلم ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره ، وأنفذ إلى عمّالك في نواحي عمّالك ما ورد عليك من كتاب أمير المؤمنين بما تعمل به إن شاء الله ، وأمير المؤمنين يسأل الله ربّه ووليّه أن يصليّ على محمد عبده ورسوله ، صلى الله عليه وملائكته ، وأن يحفظه فيما استخلفه عليه من أمر دينه ، ويتولّى ما ولّاه مما لا يبلغ حقه فيه إلا بعونه ، يحفظه بحمل به ما حمّله ، وولايةً يقضى بها حقه منه ، ويوجب بها له أكل ثوابه ، وأفضل مزيده ، إنه كريم رحيم .

وكتب إبراهيم بن العباس في شوال سنة خمس وثلاثين ومائتين .

(تاريخ الطبرى ۱۱ : ۳۶)

۷۵ - كتاب المتوكل بولاية العهد لبنيه

وفي سنة ۲۳۵ هـ أيضاً عقد المتوكل البيعة لبنيه الثلاثة - المنتصر والمعتز والمؤيد - بولاية العهد ، وضم إلى المنتصر إفريقية والمغرب وما يضاف إليها ، وإلى المعتز كورخراسان وما يضاف إليها ، وإلى المؤيد الشام ، وكتب بينهم كتاباً نسخته :
« هذا كتاب كتبه عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ، وأشهد الله على نفسه بجميع ما فيه ، ومن حضر من أهل بيته وشيعته وقواده وقضاته وكفاته وفقهائه وغيرهم من المسلمين ، لحمد المنتصر بالله ولأبي عبد الله المعتز بالله ، وإبراهيم المؤيد بالله بنى أمير المؤمنين ، في أصالة من رأيه ، وشموم من عافية بدنه ،

(۱) الإذهان : الغش .

واجتماع من فهمه ، مختاراً لما شهد به ، متوخياً بذلك طاعة ربه ، وسلامة رعيته واستقامتها ، وانقياد طاعتها ، واتساع كلمتها ، وصلاح ذات بينها ، وذلك في ذى الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين ، إلى محمد المنتصر بالله بن جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ولاية عهد المسلمين في حياته ، والخلافة عليهم من بعده ، وأمره بتقوى الله التي هي عصمة من اعتصم بها ، ونجاة من لجأ إليها ، وعز من اقتصر عليها فإن بطاعة الله تتم النعمة ، وتجب من الله الرحمة ، والله غفور رحيم ، وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين الخلافة من بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، إلى أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، ثم من بعد أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين الخلافة إلى إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين .

وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين لمحمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، على أبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله أبنى أمير المؤمنين : السمع والطاعة والنصيحة والمشايع والموالات لأوليائه ، والمعاداة لأعدائه ، في السر والجهر ، والفضب والرضا ، والمنع والإعطاء ، والتمسك ببيعته ، والوفاء بعهده ، لا يبغيانه غائلة (۱) ، ولا يحاولانه مخانلة ، ولا يمالئان (۲) عليه عدواً ، ولا يستبدان دونه بأمر يكون فيه نقص لما جعل إليه أمير المؤمنين ، من ولاية العهد في حياته والخلافة من بعده .

وجعل عبد الله جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، لأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله أبنى أمير المؤمنين : الوفاء بما عقده لهما ، وعهد به إليهما ، من الخلافة بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين - وإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخليفة من بعد أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين - والإمام على ذلك ، ولا يخلعهما ، ولا واحدا منهما ، ولا يعقد دونهما

(۱) الغائلة : الداهية . والمخانلة : الخادعة .

(۲) مالأه على الأمر : ساعده وشايعه .

ولا دون واحدٍ منهما بيعةً لولد ولا لأحدٍ من جميع البرية ، ولا يؤخرُ منهما مقدماً ، ولا يقدمُ منهما مؤخرًا ، ولا ينقصُهما ، ولا واحداً منهما شيئاً من أعمالهما التي ولأها عبدُ الله جعفرُ الإمامُ المتوكلُ على الله أميرُ المؤمنين ، وكلُّ واحدٍ منهما ، من الصلاة والمعاون والقضاء والمظالم والخراج والضِّياع والغنيمات والصدقات وغير ذلك من حقوق أعمالهما ، وما في عمل كلِّ واحدٍ منهما من البريد والطرَّاز^(١) وخزن بيوت الأموال والمعاون ودور الضرب ، وجميع الأعمال التي جعلها أميرُ المؤمنين ويجعلها إلى كل واحدٍ منهما ، ولا ينقلُ عن واحدٍ منهما أحداً من ناحيته من القواد والجند والشاكرية^(٢) والموالي والغلمان وغيرهم ، ولا يعترضُ عليه في شيء من ضياعه وإقطاعه وسائرِ أمواله وذخائره وجميع ما في يده وما حواه وملكته يده ، من تاليد وطارف ، وقديم ومستأنف ، وجميع ما يستفيدة ويستفادله ، بنقض ، ولا بخرم ، ولا بجنف^(٣) ، ولا يعرضُ لأحدٍ من عماله وكتابه وقضاته وخدمه ووكلائه وأصحابه وجميع أسبابه ، بمناظرة ولا محاسبة ، ولا غير ذلك من الوجوه والأسباب كلها ، ولا يفسخُ فيها وكده أميرُ المؤمنين لهما في هذا العقد والعهد بما يُزيل ذلك عن جهته ، أو يؤخره عن وقته ، أو يكون ناقضاً لشيء منه .

وجعل عبد الله جعفر المتوكلُ على الله أميرُ المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، إن أفضت إليه الخلافةُ بعد محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين ، مثل الشرائط التي اشترطها على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، بجميع ما سُمي فيه ووصف في هذا الكتاب ، وعلى ما بين وفسر ، مع الوفاء من أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، بما جعله أمير المؤمنين

(١) انظر ص ١٩٥ من الجزء الثالث .

(٢) الشاكري : الأجير والمستخدم .

(٣) أصل الحرم : فسم الحُرزة . ومعناه هنا : النقص . والجنف : الميل والجور ، وفي الأصل « ولا يحرّم ولا يجنف » وأراه مصحفاً .

لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين من الخلافة وتسليم ذلك رَضِيًّا تَمَضِيًّا له مقدما
ما فيه حق الله عليه وما أمره به أمير المؤمنين ، غير ناكث ولا ناكب^(۱) بذلك ولا
مبدل ، فإن الله تعالى جدُّه ، وعزَّ ذِكْرُهُ ، يتوعد من خالف أمره ، وعند^(۲) عن
سبيله في مُحْكَم كتابه : « فَمَنْ بَدَّلَهُ مِنْ بَعْدِ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ
يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

على أن لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، ولإبراهيم المؤيد بالله ابن
أمير المؤمنين ، على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين [إذا أفضت الخلافة إليه^(۳)]
وهما مقيمان بحضرته ، أو أحدهما ، أو كانا غائبين عنه ، مجتمعين كانا أو متفرقين ،
وليس أبو عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بخراسان وأعمالها المتصلة
بها والمضمومة إليها ، وليس إبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين في ولايته بالشام
وأجنادها ، فعلى محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين أن يُمَضِيَ أبا عبد الله المعتز بالله
ابن أمير المؤمنين إلى خراسان وأعمالها المتصلة بها والمضمومة إليها ، وأن يسلم له
ولايتها وأعمالها كلها وأجنادها ، والكور الداخلة فيما ولى جعفر الإمام المتوكل
على الله أمير المؤمنين أبا عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين ، فلا يعوقه عنها ،
ولا يجبسه قباه ، ولا في شيء من البلدان دون خراسان والكور والأعمال المضمومة
إليها ، وأن يُعَجَّلَ إشخاصه إليها ، وإليها على جميع أعمالها ، مُفْرَدًا بها ، مفوضاً إليه
أعمالها كلها ، لينزل حيث أحب من كور عمله ، ولا ينقله عنها ، وأن يُشَخِّصَ معه
جميع مَنْ ضَمَّ إليه أمير المؤمنين ، وَيَضُمُّ من مواليه وقواده وشاكريته وأصحابه
وكتابه وعماله وخدمه ، ومن اتبعه من صنوف الناس بأهاليهم وأولادهم وعيالهم
وأموالهم ، ولا يجبسُ عنه أحدا ، ولا يُشْرِكُ في شيء من أعماله أحدا ، ولا يوجه عليه

(۱) نكب عنه كنصر وفرح : عدل .

(۲) عند عن الطريق كنصر وسمع وكرم : مال .

(۳) ما بين القوسين ساقط من الأصل ، والسياق يقتضيه ، وسبرد نظيره في الرسالة نفسها بعد .

أمينا ولا كاتباً ولا بريداً ، ولا يضرب^(١) على يده في قليل ولا كثير ، وأن يُطلق
محمد المنتصر بالله لإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين الخروج إلى الشام وأجنادها ،
فيمين ضم أمير المؤمنين ويضمه إليه ، من مواليه وقواده وخدمه وجنوده وشاكريته
وصحابته وعماله وخدمته ، ومن اتبعه من صنوف الناس بأهاليهم وأولادهم وأموالهم
ولا يجبس منهم أحداً ، ويسلم إليه ولايتها وأعمالها وجنودها كلها ، لا يعوقه عنها ولا
يجبسه قبله ، ولا في شيء من البلدان دونها ، وأن يعجل إشخاصه إلى الشام وأجنادها ،
والياً عليها ، ولا ينقله عنها ، وأن عليه له فيمين ضم إليه من القواد والموالي والغلمان
والجنود والشاكريّة وأصناف الناس ، وفي جميع الأسباب والوجوه مثل الذي اشترط
على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين لأبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين
في خراسان وأعمالها ، على ما رسم من ذلك وبيّن وأخصّ وشرح في هذا الكتاب .

ولإبراهيم المؤيد بالله ابن أمير المؤمنين على أبي عبد الله المعتز بالله ابن أمير المؤمنين
إذا أفضت الخلافة إليه وإبراهيم المؤيد بالله مقيم بالشام أن يقره بها ، أو كان بحضرته أو كان
غائباً عنه ، أن يمضيه إلى عمله من الشام ، ويسلم إليه أجنادها وولايتها وأعمالها كلها ، ولا
يعوقه عنها ، ولا يجبسه قبله ولا في شيء من البلدان دونها ، وأن يعجل إشخاصه
إليها ، والياً عليها وعلى جميع أعمالها ، على مثل الشرط الذي أخذ لأبي عبد الله المعتز بالله
ابن أمير المؤمنين على محمد المنتصر بالله ابن أمير المؤمنين ، في خراسان وأعمالها ، على
ما رسم ووصف وشرط في هذا الكتاب لم يجعل أمير المؤمنين لواحد ممن وقعت عليه
وله هذه الشروط ، من محمد المنتصر بالله وأبي عبد الله المعتز بالله وإبراهيم المؤيد بالله
بني أمير المؤمنين ، أن يزيل شيئاً مما اشترطنا في هذا الكتاب ووكدنا ، وعليهم
جميعاً الوفاء به ، لا يقبل الله منهم إلا ذلك ولا التمسك إلا بعهد الله فيه ، وكان
عهد الله مسئولاً .

(١) ضرب على يده : منعه من أمر أخذ فيه ، كحجر عابه .

أَشْهَدَ اللهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعْفَرُ الْإِمَامِ الْمُتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ حَضَرَ
مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِجَمِيعِ مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ ، عَلَى إِمضائه إياه ، عَلَى مُحَمَّدِ الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ
وَأَبِي عَبْدِ اللهِ الْمُعْتَزِ بِاللَّهِ وَإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَيَّدَ بِاللَّهِ بَنِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، بِجَمِيعِ مَا سَمِّيَ
وَوَصَّفَ فِيهِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا وَمُعِينًا لِمَنْ أَطَاعَهُ رَاجِيًا ، وَوَفَى بِعَهْدِهِ خَائِفًا ؛ وَحَسِيبًا
وَمُعَاقِبًا مَنْ خَالَفَهُ مُعَانِدًا ، أَوْ صَدَفَ (۱) عَنْ أَمْرِهِ مُجَاهِدًا .

وَقَدْ كُتِبَ هَذَا الْكِتَابُ أَرْبَعَ نُسَخَ ، وَوُقِّعَتْ شَهَادَةُ الشُّهُودِ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
فِي كُلِّ نَسْخَةٍ مِنْهَا ، فِي خِزَانَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَسْخَةٌ ، وَعِنْدَ مُحَمَّدِ الْمُنْتَصِرِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
نَسْخَةٌ ، وَعِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْمُعْتَزِ بِاللَّهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَسْخَةٌ ، وَنَسْخَةٌ عِنْدَ إِبْرَاهِيمَ
الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

وَقَدْ وُلِّيَ جَعْفَرُ الْإِمَامِ الْمُتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ أَبَا عَبْدِ اللهِ الْمُعْتَزِ بِاللَّهِ ابْنَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
أَعْمَالَ فَارِسَ وَأَرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيْجَانَ إِلَى مَا بَلَى أَعْمَالَ خِرَاسَانَ وَكُورَهَا وَأَعْمَالَهَا
الْمُتَّصِلَةَ بِهَا وَالْمُضْمُومَةَ إِلَيْهَا ، عَلَى أَنْ يُجْعَلَ لَهُ عَلَى مُحَمَّدِ الْمُنْتَصِرِ بِاللَّهِ ابْنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
فِي ذَلِكَ ، الَّذِي جَعَلَ لَهُ فِي الْحِيَاظَةِ فِي نَفْسِهِ ، وَالْوِثَاقِ فِي أَعْمَالِهِ وَالْمُضْمُومِينَ إِلَيْهِ وَسَائِرِ
مَنْ يَسْتَعِينُ بِهِ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا ، فِي خِرَاسَانَ وَالْكُورِ الْمُضْمُومَةِ إِلَيْهَا وَالْمُتَّصِلَةَ بِهَا ،
عَلَى مَا سَمِّيَ وَوَصَّفَ فِي هَذَا الْكِتَابِ . (تاريخ الطبري ۱۱ : ۳۹)

۷۶ - كتاب عبيد الله بن يحيى بن خاقان

إلى الحسن بن عثمان

وَفِي سَنَةِ ۲۴۱ هـ ضُرِبَ عَيْسَى بْنُ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَاصِمٍ ، صَاحِبِ خَانَ عَاصِمٍ
بِبَغْدَادِ أَلْفِ سَوْطٍ فِيمَا قِيلَ .

وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ شَهِدَ عَلَيْهِ عِنْدَ أَبِي حَسَّانِ الزِّيَادِيِّ قَاضِي الشَّرْقِيَّةِ ، أَنَّهُ

(۱) صدف منه كضرب : أهرس .

شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة (١) ، سبعة عشر رجلا ، شهاداتهم فيما ذكر مختلفة من هذا النحو ، فكتب بذلك صاحب بريد بغداد إلى عبيد الله (٢) بن يحيى بن خاقان ، فأنهى عبيد الله ذلك إلى المتوكل (٣) ، فأمر المتوكل أن يكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر (٤) يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط ، فإذا مات رمى به في دجلة ، ولم تدفع جيفته إلى أهله ، فكتب عبيد الله إلى الحسن بن عثمان (٥) جواب كتابه إليه في عيسى :

بسم الله الرحمن الرحيم : أبقاك الله وحفظك ، وأتم نعمته عليك ، وصل كتابك في الرجل المسمى عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب الخانات ، وما شهد به اليهود عليه من شتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعنهم وإكفارهم ورميهم بالكبائر ، ونسبتهم إلى النفاق ، وغير ذلك مما خرج به إلى المعاندة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، وتثبتك في أمر أولئك اليهود وما شهدوا به ، وما صحَّ عندك من عدالة من عدل منهم ، ووضَّح لك من الأمر فيما شهدوا به ، وشرحك ذلك في رُقعةٍ درج (٦)

(١) هي حفصة بنت عمر بن الخطاب .

(٢) وزير المتوكل - انظر الفخرى ص ٢١٦ ، ذكر الطبرى أنه استكتبه سنة ٢٣٦ هـ - تاريخ

الطبرى ١١ : ٤٤ .

(٣) وكان مقر الخلافة يومئذ مدينة سر من رأى (سامرا) بفتح الميم ، وهي مدينة بين بغداد وتكريت على شرفي دجلة . وذلك أن جيوش المعتصم كانوا قد كثروا حتى بلغ عدد مماليكهم من الأتراك سبعين ألفا ، فدوا أيديهم إلى حرم الناس ، وسعوا فيها بالفساد ، وضائق عنهم بغداد ، وكان إذا ركب مات جماعة من الصبيان والعميان والضعفاء لآزدحام الخيل وضغطهم ، فاجتمع أهل الخير على باب المعتصم وقالوا له : إما أن تخرج من بغداد فإن الناس قد تأذوا بعسكرك ، وإما أن نحاربك ، فقال : كيف نحاربونى ؟ قالوا : نحاربك بسهام السحر ، قال : وما سهام السحر ؟ قالوا : ندعوك عليك ، فقال : لا طاقة لى بذلك ، وخرج من بغداد وبني سر من رأى سنة ٢٢١ هـ ونزل بها ، وأقام بها ابنه الواثق ثم المتوكل ، وبني بها قصورا كثيرة - ولم يكن بها أحد من الخلفاء من الأبنية الجليلة مثل ما بناه المتوكل ، ولم تنزل في صلاح وزيادة وعمارة إلى آخر أيام المنتصر بن المتوكل ، ثم أخذت في التناقص إلى أن كان آخر من انتقل إلى بغداد من الخلفاء وأقام بها وترك «سر من رأى» المتضد بالله المتوفى سنة ٢٨٩ هـ - انظر معجم ياقوت ٥ : ١٢ والفخرى ص ٢١١ .

(٤) قال الطبرى (١١ : ٤٥) « وفى سنة ٢٣٧ قدم محمد بن عبد الله بن طاهر من خراسان ،

فولى الشرطة والجزية وأعمال السواد وخلافة أمير المؤمنين بمدينة السلام ، ثم صار إلى بغداد » .

(٥) صاحب بريد بغداد . (٦) الدرج : الذى يكتب فيه .

كتابك ، فعرضتُ على أمير المؤمنين - أعزّه الله - ذلك ، فأمر بالكتاب إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر مولى أمير المؤمنين - أبقاه الله - بما قد نفذ إليه مما يُشبهه ما عنده - أبقاه الله - من نُصرة دين الله وإحياء سنته ، والانتقام من ألدّ فيه ، وأن يُضرب الرجل حدّاً في جَمع الناس حدّ الشتم ، وخمسمائة سوط بعد الحدّ للأمور العظام التي اجترأ عليها ، فإن مات أُلقي في الماء من غير صلاة ، ليكون ذلك ناهياً لكل مُلحد في الدين ، خارج من جماعة المسلمين ، وأعلمتُك ذلك لتعرفه إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وذكر أن عيسى هذا لما ضرب ترك في الشمس حتى مات ، ثم رمى به في دجلة .
(تاريخ الطبرى ۱۱ : ۵۱)

۷۷ - كتاب أبي العيناء إلى عبید الله بن يحيى بن خاقان

وحمل محمد بن عبید الله بن يحيى بن خاقان أبا العيناء (۱) على دابة زعم أنه غير فارِه (۲) ، فكتب إلى أبيه عبید الله :

« أعلمُ الوزير - أعزّه الله - أن أبا على محمداً أراد أن يبرّني فعقني ، وأن يرّكبنى فأرّجاني ، أمرّ لي بدابة تمف للنبرة (۳) ، وتعثر بالبعرة ، كالتضيب اليابس

(۱) هو محمد بن القاسم بن خلاد ، وكان فصيحاً بليغاً شاعراً ، وكان من طرفاء العالم ، وفيه من اللسن وسرعة الجواب والذكاء ما لم يكن في أحد من نظرائه ، وله مع المتوكل مجالس ، ولد سنة ۱۹۱ هـ وعمى وعمره أربعون سنة وتوفى سنة ۲۸۲ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۵۰۴ ، وزهر الآداب ۱ : ۲۸۹ - ۲۹۶ . والفهرست لابن النديم ص ۱۸۱ .

(۲) الدابة : مادب من الحيوان ، وغلب على ما يركب ، ويقع على الذكر ، والفاره من الدواب الجيد السير ، قالوا : ويقال للبغل والحمار والبرذون : فاره ، ولا يقال للفرس فاره ، ولكن رائع وجواد .

(۳) يقال : نبر الرجل نبرة : إذا تكلم بكلمة فيها علو ، والنبرة : صيحة الفرع ، ونبرة المنى : رفع صوته عن خفض .

عَجْفًا (۱) ، وكان عاشق المهجور دَنَفًا (۲) ، قد أذكَرَتِ الرَّثْوَةَ عُرْوَةَ (۳) العُذْرِيَّ ،
 والمجنونَ العامريَّ (۴) ، مساعِدٌ أعلاه لأسفله ، حُبَّافُهُ (۵) مقرون بسُعاله ، فلو أَمَسَكَ
 لترجَّيْتُ ، ولو أفردَ لتعزَّيْتُ ، ولكنه يجمعهما في الطريق المعمور ، والمجلس المشهور ،
 كأنه خطيبٌ مُرَشِدٌ ، أو شاعرٌ مُنْشِدٌ ، تضحك من فعله الذَّنْوَانُ ، وتتناغى (۶) من
 أجله الصَّبَّيَانُ ، فَمِنْ صَائِحٍ يصيح دَاوِهَ بالطَّبَّاشِيرِ (۷) ، ومن قائل يقول : نوَّله (۸)
 الشعيرَ ، قد حفظ الأشعارَ ، وَرَوَى الأخبارَ ، وَلِحِقَ العلماءَ في الأمصارَ ، فلو أُعِين
 بنطق ، لَرَوَى بحقِّ وِصْدُقٍ ، عن جابر الجعفيِّ ، وعامر الشعبيِّ (۹) .
 وإنما أُوتيتُ مِنْ كَاتِبِهِ الأَعْوَرِ ، الذي إذا اختار لنفسه أطابَ وأَكْثَرَ ، وإن
 اختار لغيره أَخْبَثَ وَأَنْزَرَ (۱۰) ، فإن رأى الوزير أن يُبَدِّلَنِي بِهِ ، وَيُرِيحَنِي مِنْهُ بِمَرْكُوبٍ .

(۱) العجف : الهزال .

(۲) الدنف : المرض الملازم .

(۳) في الأصل « عذرة » وهو تحريف وصوابه « عروة » وهو عروة بن حزام بن مهاصر
 العذري صاحب عفراء بنت عقال بن مهاصر - بنت عمه - وهو شاعر إسلامي ، وأحد المتيمين الذين
 قتلهم الهوى ، مات من حب ابنة عمه عفراء - انظر ترجمته في الأغاني ۲۰ : ۱۵۲ ، والشعر والشعراء
 ص ۲۳۷ ، وقرأ قصيدته النونية في الأغاني ، وفي كتاب النوادر لأبي علي القالي عقب ذيل الأملی ،
 والعذري نسبة إلى عذرة : قبيلة من اليمن ، وهم مشهورون بالعشق والشفقة ، ومنهم جميل بن عبد الله
 ابن معمر العذري صاحب بئينة ، وخبره مشهور - انظر ترجمته في الأغاني ۷ : ۷۲ ، ووفيات الأعيان
 ۱ : ۱۱۵ .

(۴) هو قيس بن الملوح مجنون بن عامر ، صاحب ليلى ، وخبره مشهور أيضا - انظر خبره

في الأغاني ۱ : ۱۶۱ ، ۲ : ۲ .

(۵) الحباق : الضراط .

(۶) فاغت المرأة الصبي : كلمته بما يعجبه ويسره .

(۷) الطباشير : دواء يكون في جوف القنا الهندي .

(۸) نوَّله : أعطاه .

(۹) الجعفي : نسبة إلى جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج ، أبو حنيفة باليمن ، وأعقب جعفي من ولديه

حمران (كرمان) وصرم (كزبير) ومن ولد مران جابر بن يزيد الفقيه - انظر شرح القاموس ۶ : ۷۵ ،

وعامر الشعبي : هو عامر بن سراجيل (بفتح الشين) كوفي تابعي جليل القدر وافر العلم ، قال الزهري :

« العلماء أربعة : سعيد بن المسيب بالمدينة ، والشعبي بالكوفة ، والحسن البصري بالبصرة ، ومكحول

بالشام » والشعبي نسبة إلى شعب ، وهو بطن من همدان ، وكانت أمه من سبي جلولاء ، وتوفي سنة

۱۱۰ هـ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۲ : ۴۴ .

(۱۰) أنزره : قلله .

يُضْحِكُنِي كَمَا أَضْحَكَ مَنِي ، وَيَمْحُو بِحُسْنِهِ وَفِرَاحَتِهِ ، مَاسِطَرَّهُ الْمَعِيبُ بِقَبْحِهِ
وَدَمَامَتِهِ^(١) ، وَلَسْتُ أَذْكَرُ أَمْرَ سَرَجِهِ وَجِلَامِهِ ، فَإِنَّ الْوَزِيرَ أَكْرَمَ مَنْ أَنْ يَسْأَبُ
مَإْيَهُدِيهِ ، أَوْ يَنْقُضَ مَا يُمِضِيهِ .

فَوَجَّهَ عَبِيدَ اللَّهِ إِلَيْهِ بِرِذْوَانَا^(٢) مِنْ بَرَاذِينِهِ بِسَرَجِهِ وَجِلَامِهِ ، ثُمَّ اجْتَمَعَ مَعَ مُحَمَّدِ
ابْنِ عَبِيدِ اللَّهِ عِنْدَ أَبِيهِ ، فَقَالَ عَبِيدُ اللَّهِ : شَكَوْتَ دَابَّةَ مُحَمَّدٍ ، وَقَدْ أَخْبَرَنِي الْآنَ أَنَّهُ
يَشْتَرِيهِ مِنْكَ بِمِائَةِ دِينَارٍ ، وَمَا^(٣) هَذَا ثَمَنُهُ لِأَيْشَتِكِي ! فَقَالَ : أَعْزَّ اللَّهُ الْوَزِيرَ ، لَوْ لَمْ
أَكْذِبْ مُسْتَزِيدًا^(٤) ، لَمْ أَنْصَرِفْ مُسْتَفِيدًا ، وَإِنِّي وَإِيَاهُ لَكَمَا « قَالَتْ أَمْرَأَةٌ الْعَزِيزِ :
الآنَ حَصَّحَصَّ^(٥) الْحَقُّ ، أَنَا رَأَوْدَتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ » فَضَحِكَ
عَبِيدُ اللَّهِ وَقَالَ : حُجَّتْكَ الدَّاحِضَةُ^(٦) ، بِمَلَا حَتَّكَ وَظَرَ فِكَ ، أَبْلَغُ مِنْ حِجَّةِ غَيْرِكَ الْبَالِغَةِ .
(زَهْرُ الْأَدَابِ ٢ : ١٦٥)

٧٨ - كِتَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَاقَانَ إِلَى أَبِي الْجَهْمِ

وَعَبِيدُ اللَّهِ^(٧) بِنِ خَاقَانَ إِلَى أَبِي الْجَهْمِ .

« أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي إِنِ بَدَأْتُ بِصِفَةِ فَضْلِكَ ، وَمَا خَصَّكَ اللَّهُ بِهِ ، فَانْتَ أَفْضَلُ مِمَّا
أَصِفُكَ ، وَإِنِ قَدَّمْتُ الصِّفَةَ لِنَفْسِي فِي الْإِخْبَارِ عَنْهَا بِمَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْمَوَدَّةِ وَالْهَوَى ،
رَأَيْتُكَ قَدْ ابْتَدَأْتَ مُتَفَضِّلًا مُتَطَوِّلًا بِمَا لَا يُؤْمَلُ أَكْثَرُ مِنْهُ ، وَلَا يُلْتَمَسُ عَلَى
الْإِسْتِحْقَاقِ فِي حُدِّ الْجُزْءِ » .
(اخْتِيَارُ النُّظُومِ وَالْمُنْتَوَرِ ١٣ : ٣٩٤)

(١) الدمامة : القبح .

(٢) البراذين من الخيل : ما كان من غير نتاج العراب .

(٣) « ما » هنا موصولة .

(٤) استزاد فلان فلانا : إذا عتب عليه في أمر لم يرضه .

(٥) حصحص : تبين وظهر .

(٦) حجة داحضة : باطلة .

(٧) ربما كان « عبيد الله » .

۷۹ - كتاب أبي العيناء إلى أبي نوح

وكتب أبو العيناء إلى أبي نوح يهنئه بإسلامه :

« لقد عظمت نعمة الله عليك ، في منافذة^(۱) أهل الذلة والصغار ، والكفر والإصرار ، الذين أحلوا قومهم دار البوار ، جهنم يصلونها وبئس القرار ، والذين جعلوا لله أنداداً ، ودعوا للرحمن ولداً ، وما يدبغى للرحمن أن يتخذ ولداً ، إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً ، ولئنه نعمة الله عليك في أخوة المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، فقد أصبحت لهم أخاً ، وأصبح الدعاء لهم عليك من الله فرضاً ، قال الله عز وجل : « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ » .

ولله أبوك ! لقد قدحت فأوريت ، واستقضت فاهتديت ، ومخضت الأمر ثم افتنيت ، لا كمن فكر وقدّر فقتل كيف قدر ، فالحمد لله الذي أفاض^(۲) قدحك ، وأعلى كعبك ، وأنقذ من النار شلوك^(۳) ، وخلصك من لبس الخيرة ، وجرة الشرك ، إن الشرك لظلم عظيم . ومن يشرك بالله فكأباً ثماً خراً من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق^(۴) ، فأصبحت أكرمك الله . وقد استبدلت بالبيع المساجد ، وبالآحاد الجمع ، وبقبلة الشام البيت الحرام . وبتحريف الإنجيل صحة التنزيل ، وبارتياب المشركين يقين الموحدين ، وبمحكم الأسقف رأس الموحدين ، حاكم أمير المؤمنين ، وسيد المرسلين ، فهناك الله بما أنعم به عليك ، وأحسن فيه إليك ، وأوزعك^(۵) شكره ، وزادك بشكره من فضله » .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۰۵)

(۱) أي مخالفة .

(۲) أي جعل الفوز من نصيبه ، يقال : أفاضه الله بكذا : أي أظفره .

(۳) الشلو : الجسد . (۴) أي بعيد . (۵) أي ألهمك .

۸۰ - کتاب أبي علي البصير إلى عبید الله بن يحيى بن خاقان

وكتب أبو علي البصير^(۱) إلى عبید الله بن يحيى بن خاقان :

« وإن أمير المؤمنين لنا استخلصك لنفسه ، وأتمنك على رعيتك ، فنطق بلسانك وأخذ وأعطى بيدك ، وأورد وأصدر عن رأيك ، وكان تفويضه إليك بعد امتحانه إليك ، وتسليط الحق على الهوى فيك ، وبعد أن مئيل^(۲) بينك وبين الذين سموا لم تبتك ، وجروا إلى غابتك ، فأسقطهم مضمارك^(۳) ، وخفوا في ميزانك ، ولم يزدك - أكرمك الله - رفعةً وتشريفًا ، إلا ازددت له هيبةً وتعظيمًا ، ولا تسليطًا وتمكينًا ، إلا زدت نفسك عن الدنيا عزوفًا^(۴) وتنزيهاً ، ولا تقريبًا واختصاصًا ، إلا ازددت بالعامه رافةً ، وعليها حدًا^(۵) ، لا يخرجك فرط النصح له عن النظر لرعيته ، ولا إشارته ، عن الأخذ بحمتها عنده ، ولا القيام بما هو له عن تضمن ما هو عليه ، ولا يشغلك معاناة كبار الأمور عن تفقد صغارها ، ولا الجد في إصلاح ما يصلاح منها عن النظر في عواقبها ، تمنني ما كان الرشد في إمضائه ، وترجي^(۶) ما كان الحزم في إرجائه ، وتبذل ما كان الفضل في بذله ، وتمنع ما كانت المصلحة في منعه ، وتلين في غير تكبر ، وتخص في غير ميل ، وتعم في غير تصنع ، لا يشقى بك المحق وإن كان عدوًا ، ولا يسعد بك المبطل وإن كان وليًا ، فالسلطان يعتد لك من الغناء^(۷) والكفاية ، والذب والحياطة ، والنصح والأمانة ، والعفة والنزاهة ، والنصب فيما أدى

(۱) هو أبو علي الضمير «الفضل بن جعفر» ، شاعر بليغ متصل . وهو أحد من جمع له حظ البلاغة في الموزون والمنثور ، وكان بينه وبين أبي العيناء مهاجاة ومكاتبات طيبة - انظر الفهرست لابن النديم ص ۱۷۸ ، ووفيات الأعيان ۱ : ۵۰۴ ، وزهر الآداب ۱ : ۳۴۰ .

(۲) التميل بين الشئبين كالترجيح بينهما ، وفي الأصل « مثل » .

(۳) المضمار : غاية الفرس في السباق .

(۴) عزفت نفسه عنه كضرب عزوفًا : زهدت فيه وانصرفت عنه .

(۵) حدب عليه كفرح : عطف .

(۶) أرجأه : أخره . (۷) الغناء : الكفاية .

إلى الراحة ، بما يراك معه ، حيث انتهى إحسانه إليك ، مستوجباً للزيادة ، وكافّة الرعية - إلا من غمط (١) منهم النعمة - مُثْنُونَ عليك بحسن السيرة ، وَيُؤْمِنُ النَّقِيبَةَ (٢) ، وَيَعُدُّونَ مِنْ مَّا بَرِّكَ أَنْكَ لَمْ تُدْحِضْ (٣) لِأَحَدٍ حُجَّةً ، ولم تدفع حقاً لشبهة ، وهذا يسيرٌ من كثير ، لو قصدنا لتفصيله ، لأنفدنا الزمان قبل تحصيله ، ثم كان قصدنا الوقوف دون الغاية منه » . (زهر الآداب ١ : ٣٤١)

٨١ - كتابه إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان

وكتب إليه أيضاً :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أوجبُ المعروفِ شكراً ، وأحسنُهُ عند الأحرار مَوْقِعاً ، معروفُكَ عندي ، وذلك أنك تطوّعتَ به مُبْتَدِئاً ، وشفقتَ مانقداً منه متفضلاً ، عن غير كدٍّ لي أَلْزَمَكَ دَيْنًا . أو أوجب عليك حقاً ، ثم يقطعني عن الأخذ بحظّي من لقائك ، وتعريفك ما أنا عليه من شكر إنعامك ، والانتساب إلى نعمتك ، وإفرادي إياك بالتأميل دون غيرك ، تخلفني عن منزلة الخاصة ، ورغبتني عن مشاركة العامة (٤) ، وأني لست معتاداً للخدمة ، ولا الملازمة ، ولا قوياً على المغادرة والمرأوحة ، فلا يَمْنَعُنِكَ ارتفاعُ قدرك ، وعلوُّ منزلتك ، وما تُعَانِي من جلائل الأمور التي تشغلُ عن قَدَمَتِ حُرْمَتِهِ ، ووجب حقه ، ونسي أن يذكرَ بنفسه ، من أن تتطوّل (٥) بتجديد ذكرى وخبري ، والإصفاء إلى مَنْ يَحْتَكُ عَلَى وَصْلِي وَبِرِّي ، ويرغبك في الصنعة عندي ، وأنا أسأل الذي وهب ذلك عنك بغير سعي مني له ، ولا نصب

(١) غمط النعمة كضرب وسمع : بطرها .

(٢) النقيبة : النفس والطبيعة .

(٣) أدحض الحجة . أبطلها .

(٤) وفي زهر الآداب : « ورغبتني عن الحلول محل العامة » .

(٥) أي تمنّ وتفضل .

كابدته فيه ، أن يُنسى^(١) لك ولكافة الأحرار في أجلك : وأن يَمُنَّ عليك بحياطة نعمتك ، وكتب^(٢) عدوك ، والزيادة في القدرة لك ، ولا يُخلى مكانك منك ، والله يعلم أني لا أحبُّ أن أتحمّل مِنَّةً إلا لك . ولا أعتدُّ عارفةً مذكورة إلا منك .
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٤ ، وزهر الآداب ١ : ٣٤١)

* * *

وله إليه آخر فصل من كتاب :

« وأنا أسأل الذي رَحِمَ العبادَ بك ، على حين افتقارٍ منهم إليك ، أن يُعيدهم من فُقدك ، ولا يُعيدهم إلى المكارِه التي استنقذهم منها بيدك .
(زهر الآداب ١ : ٣٤١)

٨٢ - كتاب أبي علي البصير إلى أبي العيناء

وكتب أبو علي البصير إلى أبي العيناء :

« من أبي علي البصير ، ذي البرهان المنير ، المبلغ في التحذير ، المُعذِر في النكير ، إلى أبي العيناء الضرير ، ذي الرأي القصير ، والخطل الكثير ، والإقدام بالنعير . »

سلامٌ على المخصوصين بالسلام ، من أجل حقيقة الإسلام ، المؤمنين بالحلال والحرام ، والفرائض والأحكام ، فإني أحمّدُ الله إلى نفسه وأوليائه من خلقه ، على ما هداني له من دينه ، وعرفني من حقه ، وامتَنَّ عليّ به من تصديق رُسله ، والأخذ بسُننه واتِّباع سبيله ، وصلى الله على محمد نبي الرحمة ، الداعي إلى ربه بالحكمة .

أما بعدُ ، فإنك الرجل الدقيق^(٣) حسبه ، الردي مذهبهُ ، الدني مَكسبُهُ ، الخسيس مُطلبُهُ ، البدي لسانهُ ، المقلبي^(٤) مكانهُ ، المبلؤ به إخوانهُ ، أخصمهم بذلك

(١) أي يطيل ويمد . (٢) كبت العدو كضرب : أخزاه وأذله ورده بغيظه .

(٣) وربما كان « الرقيق » .

(٤) قلاه كرماء ورضيه قلى : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

مَنْ عَظُمَتْ [عِنْدَهُ] نِعْمُهُ وَتَظَاهَرَ إِحْسَانُهُ ، قَدْ صَيَّرَتِ الْقِيَحَةَ (١) جُنَّةً ، وَشَتَمَ
 الْأَعْرَاضَ سُنَّةً ، وَالْاِقْتِصَادَ فِي ذَلِكَ مِنَّةً ، عَدُوَّكَ بِمَعَزِلِ عُنُقِكَ ، وَصَدِيقُكَ عَلَى وَجَلِ
 مِنْكَ ، إِنْ شَاهَدَتْهُ عَافُكَ ، وَإِنْ غِيَبَتْ عَفَا خَافُكَ ، تَسْأَلُهُ فَوْقَ الطَّاقَةِ ، وَتُرْهِقُهُ عِنْدَ
 الْفَاقَةِ ، فَإِنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ لَمْ تُعْذِرْهُ ، وَإِنْ اسْتَنْظَرَكَ لَمْ تُنْظِرْهُ (٢) ، وَإِنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ
 لَمْ تُشْكُرْهُ ، لَا تَزِيدُكَ السُّنَّ إِلَّا نَقْصًا ، وَلَا يُفِيدُكَ الْغِنَى إِلَّا حِرْصًا ، تَسْمُو إِلَى
 الْكَبِيرِ ، بِقَدْرٍ صَغِيرٍ ، وَتُسِفُ إِلَى الطَّافِيْفِ ، لَا لِلتَّخْفِيفِ ، وَتَعْرِضُ لِلنَّاسِ بِالسُّؤَالِ ،
 غَيْرَ مُحْتَشِمٍ مِنَ الْإِمْلَالِ ، وَلَا كَارِهِ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْكَ بِالِاسْتِقْلَالِ ، حَتَّى لَقَدْ أُخْرِجَتْ
 الْأَضْغَانَ ، وَقَبَّحَتْ الْإِحْسَانَ ، وَزَهَّدَتْ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِ ،
 وَعَدَرَتْ النَّاسَ فِي خُلْفِ الْعِدَاتِ ، وَدَفَعَتْ مُمَكِّنَ الْحَاجَاتِ ، وَأَغْرَبَتْهُمْ بِبُغْضِ
 الْعُمَيَّانِ دُونَ أَهْلِ الْعَاهَاتِ ، مَنْ أَطَاعَكَ فِي مَالِهِ حَرْبَتَهُ (٣) ، وَمَنْ مَنَعَكَ بِعَذْرِ وَاضِحٍ
 سَبَبَتَهُ ، إِذَا عَنَّ لَكَ طَمَعُ كَنْتَ عَبْدَهُ ، بِتَدَلُّلٍ وَتَمَشُّعٍ لِمَنْ هُوَ عِنْدَهُ ، وَتَغْوِيٍّ قَبْلَ
 إِحْرَازِهِ جَعْدَهُ ، مَنْ أكرمَكَ أَهْنَتَهُ وَتَطَاوَلَتْ عَلَيْهِ ، وَمَنْ أَهَانَكَ اسْتَكْنَتْ (٤) لَهُ
 وَلِئِنْتَ فِي يَدَيْهِ ، وَمَنْ سَأَلَكَ لَمْ تَسْأَلْهُ ، وَمَنْ نَاجَزَكَ لَمْ تَقَاوِمْهُ ، النَّاسُ مِنْكَ بَيْنَ
 أَمْرٍ أَوْ تَفْشِيٍّ ، وَبِوَاتِقٍ (٥) تُخْشَى ، وَشِنَاعَاتٍ وَارِدَةٍ ، وَنَوَادِرَ بَارِدَةٍ ، تُدْرِجُ (٦)
 كَلَامَكَ خَوْفَ التَّحْصِيلِ ، وَتَوَرَّى عَنِ عِيَّتِكَ بِالْقَالَ وَالْقَيْلِ ، مَعَاشِرَاتِكَ مَتَجَنَّبَةً ،
 وَأَحَادِيثِكَ مَمَكَّدَةً ، لَا يُسْتَجَنَّبُ بِهَا فَهْمٌ ، وَلَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا عِلْمٌ ، تَهَامَسَ بِسُقُوطِهَا
 فَلَا يَحْشَمُكَ ، وَتَتَلَقَّى بِالرَّدِّ لَهَا فَلَا يُؤْمَلُكَ ، تَسْمَعُ كَلَامَ خِيَارِ السَّلَفِ فَتَدَّعِيهِ ، إِفْسَادًا
 وَإِلْحَادًا فِيهِ ، وَالتَّمَاصًا لِإِبْطَالِ حُجَجِ الدِّينِ ، وَتَشْكِيكَ لِأَهْلِ الْبَصِيرَةِ وَالْيَقِينِ ، فَإِنْ

(١) الفحة : الوقاحة . والجنة : الوقاية .

(٢) أنظره : أخره .

(٣) حربته حربا كطلبه طلبا : سلب ماله .

(٤) في الأصل « استكنت » .

(٥) جمع بائقة : وهي الداهية .

(٦) أي تطوى .

امْتَحِنْتَ بَدُونَ مَا ادَّعَيْتَ ، أَحْبَبْتُمْ وَتَعَادَيْتُمْ^(۱) ، وَإِنْ كَلَّفْتُمْ مِضَاهَاتَهُ هَدَيْتُمْ
 وَعَوَيْتُمْ ، ظَاهِرُ إِسْلَامِكُمْ تَقِيَّةٌ ، وَسِرِّيْرَتُهُ مَدْخُولَةٌ رَدِيَّةٌ ، تَضَعْتُمْ^(۲) فِي الْخَبْرِ عَنِ
 الرَّسُولِ ، وَتَدْفَعُ الْمَعْرُوفَ مِنْهُ بِالْمَجْهُولِ ، وَدُكُّ تَخْلُقُ ، وَشُكْرُكَ تَمَلُّقُ ، وَلُطْفُكَ
 مَتَعَسَّفٌ ، وَظَرْفُكَ مَتَمَكَلَّفٌ ، أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ عِنْدَكَ نَيْلُ حُرْمَتِهِ ، لَا تَحْفَلُ مَعَ
 إِدْرَاكِهِ بِشَيْءٍ عَدِمْتَهُ ، إِرْتُكُكَ عَنِ أَبِيكَ السَّعَايَةَ ، وَنَقْلُ الْأَخْبَارِ وَالْوَشَايَةَ ، لَا يُعْرَفُ
 لَهُ غَيْرُهَا طُعْمَةٌ^(۳) ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا بِهَا نِعْمَةٌ ، مَشْهُورٌ بِذَلِكَ فِي مِصْرِهِ ، غَيْرُ مَرْتَابٍ
 مِنْ أَمْرِهِ ، ثُمَّ أَنْتَ تَبْسُطُ لِسَانَكَ فِي الْأَحْرَارِ ، وَتَتَطَاوَلُ عَلَى ذَوِي الْمُرُوءَاتِ وَالْأَقْدَارِ ،
 فَلَا أَصْلَ رَاسِخٍ ، وَلَا فِرْعَ شَامِخٍ ، وَلَا نَسَبَ مَعْرُوفٍ ، وَلَا أَدَبَ مَوْصُوفٍ ،
 أَغْرَاكَ حِلْمُنَا [عَلَيْكَ بِالنَّطَاوُلِ]^(۴) عَلَيْنَا ، وَإِبْطَاؤُنَا عِنْدَكَ بِالتَّسْرُوعِ إِلَيْنَا ، فَتَأْنِيْدُنَا^(۵)
 وَرَاقِبِنَا ، وَاحْتِجَبْنَا عَلَيْكَ [فَلَمْ تُنْكِرْ مَعْتَدِرًا] وَلَمْ تُقْصِرْ مُزْدَجِرًا ، بَلِ^(۶) لَمْ
 تُجِبْنِي عَنْ وَاحِدٍ مِنْهَا ، تَعَابِيًّا^(۷) بِهَا وَعَجَزًا عَنْهَا ثُمَّ أَوْهَمْتَ أَخْلَاطًا مِنَ النَّاسِ
 أَهْلَ جَهْلِ بِالتَّمْيِيزِ وَالْقِيَاسِ - لَا يَنْظُرُونَ بِفَهْمٍ . وَلَا يَحْكُمُونَ بِعِلْمٍ ، وَلَا يُنْزِلُونَ
 الْأُمُورَ مَنَازِلَهَا ، وَلَا يَعْرِفُونَ حَقَّهَا وَبَاطِلَهَا ، يَظُنُّونَ الْبَلَاغَةَ فِي الْهَذَرِ^(۸) ، وَيَكْتَفُونَ
 بِالْمَنْظَرِ مِنَ الْخَبْرِ - أَنْتَ مَتَرَفِّعٌ^(۹) عَنِ جَوَابِي . وَغَيْرُ مُحْتَفِلٍ بِعِتَابِي ، وَمَنْتَقٌ نَفْسُكَ -

(۱) تعادى : تباعد .

(۲) ضفت الحديث كنع : خلطه ، وفي الأصل « تصفت » وهو تصحيف .

(۳) الطعمة : وجه المكسب .

(۴) ما بين القوسين بياض بالأصل ، وقد أتممت الجملة بما يناسب المقام .

(۵) تأنيته : انظرته وتأخرته في أمره ولم أعجل ، وفي الأصل هكذا « فاندسك » .

(۶) في الأصل : « ولم تقصر مزدجرا بتا لم تجبني عن واحد منها . . . » ويظهر أنه قد سقط من

الناسخ هنا كلام ، بدليل أن الضمير في « منها » لم يتقدم له مرجع ، وأن كلمة « بتا » إن صححت فليس لها موقع في معنى العبارة .

(۷) عى بالأمر وعى كرضى وتعابيا واستعيا وتعيا : ولم يهتد لوجه مراده ، أو عجز عنه ولم يطلق أحكامه .

(۸) الهذر : سقط الكلام .

(۹) في الأصل « متوقع » وهو تحريف .

وقد بما أغرتك ، فجئت عليك وضررتك - أنى أعذرك فيما تركت ، وأمسكُ عنك ما أمسكت ، وأقِف عند أول هذا الأمر دون آخره ، وأكتفى بباطنه من ظاهره ، وهياتَ لظنك الكاذب ، وتباً لرأيتك العازب^(١) ، كلاً والله دون أن أغصك بالريق ، وأضطرَّك إلى المضيِّق ، وأهدمَ ما أسستَ ، وأكشِف ما لبثتَ^(٢) ، وأظهر ما جمجتَ ، وأبطل ما أوهمتَ ، وأبين^(٣) الشريف منك ، وأخذل^(٤) اللفيف عنك ، حتى تعودَ إلىَّ وتزِع عن غيك ، وتقيمَ جورَكَ ، ولا تعدوَ طورَكَ ، وحتى تمتعِطَ الناس في حوائجك إليهم ، وتدعَ العنفَ بهم والتسحبَ^(٥) عليهم .

وسيقراً كتابي هذا الكاتبُ الأديب ، والفقيرُ اللبيب ، والشاعرُ الأريب ، والمصنِّع^(٦) الخطيب ، والظريف الممتع ، والخصيف المقتنع ، وكل هؤلاء وكيلي عليك في طلب الجواب ، من طريق التطوُّع والاحتساب ، محمودين ماجورين ، مسئولين غير مأمورين .

وقد نفذتُ لي إليك رسالة العتاب ، على مخرج ألفاظ الكتاب ، ظلمتُك في المطالبة بالإجابة عنها ، وبهظمتُك^(٧) بما حمأتُك منها ، وتناولتُك بالشعر وأنت مُفحِّم^(٨) ، وأنا لك في ذلك أظلم ، وقد ملتُ إلى السجعِ على علمي بخساسة حظِّه ، ورَكَ كَاكَة

(١) تبا له . أى ألزمه الله هلاكاً وخسرانا ، العازب . أى الغائب البعيد عن الصواب .

(٢) التلبيس : التخليط والتدليس ، وفى الأصل مالبتت « وهو تحريف . والجمجمة : إخفاء

الشيء فى الصدر .

(٣) أى أقطعه عنك ، وفى الأصل « وأبين للشريف منك » وهو معنى صحيح أيضاً : أى أظهر له

مساوئك فيتجنب مخالطتك .

(٤) فى الأصل « واحدل » وهو تصحيف .

(٥) تسحب عليه : تدل .

(٦) المصنِّع : البائع ، أو العالى الصوت ، أو من لا يرتج عليه فى كلامه ولا ينتفع ، وحصف

ككرم : استحك عقله ، فهو حصيف .

(٧) بهظه الأمر : كنع ، غلبه وأقل عليه وبلغ به مشقة .

(٨) المفحِّم : العبي ، ومن لا يقدر أن يقول شعراً .

معانيه والفظه ، إذ كفتَ تَلَوِي به لسانك ، وَتَذَنِي إِلَيْهِ عِنَانِكَ ، قَطْعًا لِحُجَّتِكَ ، وإِزَاحَةً لِمَلَّتِكَ ، فَإِنِ أَجِبْتَ فَقَدْ كَشَفْتَ لَنَا مَا لَدَيْكَ ، وَإِنِ اعْتَرَفْتَ بِالْعَجْزِ عَطَفْنَا هَذَا عَلَيْكَ ، وَالسَّلَامُ .
(اختيار المنظوم والمثبور ١٣٤ : ٤١٧)

٨٣ - كتاب لأبي علي البصير في الاعتذار

وكتب أبو علي البصير يعتذر عن هفوة :

« ذَكَرْتَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ - فِي كِتَابِكَ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ اغْتِمَامِي بِهِ ، وَلَسْتُ كَانَتِي لَهُ ، هُوَ قَلْبِي عِنْدَ مَا وَرَدَ عَلَيَّ مِنْهُ ، وَإِ كِبَارِي قَدَرَ الْبَلِيَّةِ بِهِ وَالْمَصِيبَةِ فِيهِ ، وَالْعَالَمُ بِالسَّرَائِرِ ، الْمَطَّلِعُ عَلَى الضَّمَائِرِ ، يَشْهَدُ - وَكَفَى بِهِ شَهِيدًا - أَنِّي مَا أَقِفْتُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ وَلَا أَتَوَّهُمُ ، وَلَا يُؤَمِّئُ لِي ظَنُّ إِلَيْهِ ، وَإِنِّي لِأَفْكَرُ مُذْ وَرَدَ كِتَابُكَ بِمَا وَرَدَ بِهِ ، فَمَا أَجِدُ ذِكْرِي (١) يُحِيطُ بِشَيْءٍ مِنْهُ ، وَإِنِ أَقْصَى حِفْظِي بِمَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْجَلِيسِ لَفَلْبَةً الشُّكْرِ عَلَيَّ ، ثُمَّ خَانَنِي فَهَمِي ، فَمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي بَغِيرِ عَلِيٍّ ، وَلَا قَصْدٍ مِنِّي .
وَمَا زَادَ فِي غَمِّي ، وَضَاعَفَ الْمَكْرُوهَ عَلَيَّ ، تَحَقُّقُكَ لِلْأَمْرِ وَهُوَ خَبْرٌ مَعْتَرِضٌ الشُّكَّ فِيهِ وَالْبُطْلَانَ أَوْلَى بِهِ ، حَقِّي أَلْزَمْتَنِي إِيَّاهُ ، وَقَرَّ عَيْنِي (٢) بِهِ كَأَنَّهُ قَرَعَ سَمْعَكَ ، فَإِنِ ذَلِكَ أَرَانِي صُورَةَ الْمَقْتِ مِنْكَ لِي ، وَالغِلَظَةَ عَلَيَّ ، وَالْإِمْرَاعَ إِلَى قَبُولِ الْقَبِيحِ الْمُضَافِ إِلَيَّ ، وَوَاللَّهِ لَوْ وَاجَهْتُكَ عَلَيَّ تِلْكَ الْحَالِ بِمَا أَنْهَيْتَنِي إِلَيْكَ - وَبِاللَّهِ أَهْوَذُ مِنْ ذَلِكَ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ هُوَ دُونَكَ عِنْدِي مِنْ إِخْوَانِي - لَسَكَانَ فِيمَا أَطْلَعْتَنِي عَلَيْهِ الْعِشْرَةُ الطَّوِيلَةَ ، وَالْخُبْرَةَ الْقَدِيمَةَ ، مِنْ إِجْلَالِي إِيَّاكَ ، وَخَالِصِ مَحَبَّتِي لَكَ ، مَعَ مَا يَضْطَرُّنِي إِلَيْهِ مُتَقَدِّمٌ بَرِّكَ وَإِحْسَانِكَ ، وَمَرَضِيَّاتُ أَخْلَاقِكَ مِنَ الْبُعْدِ بِقَابِي وَلِسَانِي مِنْ كُلِّ مَسَاءِكَ مَا يَدُلُّكَ عَلَيَّ أَنَّ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ كَانَ آفَةً نَالَتْنِي فِي عَقْلِي ، وَمِرْزَاجًا فَاسِدًا رَدِيثًا

(١) الذكر بالضم ويكسر : للتذكير .

(٢) قرعه : لامه وعنفه .

استولى على . ووالله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، ما كتبتُ إلا بالحقيقة
عندي ، ولا تحريبتُ زيادة ولا نقصا ، فإن تقبلتُ بذلك عندي يدا ، وتوجب
على شكرا مُجددا ، وإن تقم على موجدتك^(۱) أقم على نصفك واستعطافك
والتذلل لك ، والتضرع إليك ، والتحمل عليك ، حتى يعدل حكمك ، ويبنى به
كرمك .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۷)

۸۴ - كتاب آخر

وكتب أيضا :

قد كنت أرجو أن أكون قد أبرأتُ صدرك ، وأن ما كتبتُ به قد أتى من
وراء ما في نفسك ، فامتحننتُ ذلك بلزوم منزلي ، وحبسني كتيبي ورسلي ، لأفريق
بين رغبتك في قربي وبين زهدك ، ولأرى صورة حالي عندك ، فإذا تنصلي واعتذاري
لم يبلغنا بي استيجاب رضاك - أطال الله بقاءك - وإذا أيماني غير البرية^(۲) المصدقة
في حديثي إياك ، على طول مدة صحبتي لك ، دون ما أتحرى الصدق فيه ، وأجتهد حلفاً
عليه ، إلا أن يكون عن علة عرّضت لك منعتك مما كنت تتطوّل به من الأمر
بتعريف خبري عند انقطاعي عنك ، فقدم الإشفاق على ممانتي منك سوء الظن بصحة
عذرك ، وسلامة صدرك ، وبالله العظيم قسماً ثالثاً ، لا كاذباً ولا حائثاً ، إني للخالص
لك كله . سيرته وجهه ، وغيبه ومشهده ، البعيد بقلبه ولسانه مما نُفِثَ في سمعك ،
ووقر في قلبك ، وعلمك بحاجتي إلى حسن رأيك ، ودوام الحال عندك . شاهد عدل
على صدقي إياك ، إن استخبرته شفاك ، وإن اقتصرت عليه كفاك ، هذا إذا كنت
لنفسى دون صديقي ، ولم أكن أعمل إلا على سوق بومي ، ولا أصالح إلا لمن صلح به

(۱) الموجدة : الغضب . وتنصفه : سأله أن ينصفه .

(۲) مسهل من البرية .

معاشي ، وكيف وقد علمت مجانبتي لهذه الصفة^(١) ، ودوام عهدي للصديق على الحرمان
والجفوة ، وأنت لا تعلم من جهل بك ، ولا تنبّه من غفلة فيك ، وليس مثلك من
جرح يقينه الظن ، ولا أفسد الحرّ عنده العبد ، ولو صح مني الذنب إليك لكان الصفح
عني أولى بك ، فإن رأيت أن تعود كعهدي كان بك ، قبل التكبّر عليّ عندك ،
وأن تمنّ بذلك كلّ من يُقدّم إخاءك في مودتك ، وعندك^(٢) في إجلالك وتعظيمك
والمسارعة إليك والطاعة لك ، فعلت ، ذا منّة عظيمة إلى منن لك قدية إن شاء الله ،
ووهب لي عطفك ورضاك .

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٨٦)

٨٥ - كتاب آخر

وله أيضا جواب اعتذار إليه :

« بلغني اعتذارك ، ووافي مني تطلعا شديدا إليه ، وكانا قد قدّمتُ المواطنة^(٣) له
عندي . فسكن النفرة ، وأذهب الوحشة ، وجدّد عهد المودة ، وأوجبتُ لك به التطوّل
والمنّة واليد المشكورة ، ولم أكن كالمتمنّئ المتسجّب^(٤) الذي يطلب العلة ، ويفتنم
الزلة ، ويصدف^(٥) عن الحجّة ، وتضيقُ عنه المذرة ، وما نظرتُ لك إلا كلّ نفسي ،
ولا بدأتُ إلا بحظي فيما استثبتُ من رأيك ، وحاميتُ عليه من إخائك ، والله أسألُ
حسن المدافعة عنك ، وامتناعي بها وهب لي منك ، والسلام . »

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٨٨)

(١) في الأصل « الطبقة » وأراه محرفا .
(٢) العند مثلثة : الناحية ، وبالتجريك : الجانب .
(٣) واطنه على الأمر : وافقه .
(٤) تسجّب عليه : تدلّل .
(٥) أي يعرض .

٨٦ - كتابه إلى علي بن يحيى

وكتب إلى علي (١) بن يحيى يشكر ويعتذر :

« النعمة شفيحٌ صدقٍ عند وليِّها ، تقتضيه ربَّابَتها (٢) ، والزيادة فيها ، والمحافظة عايتها
وإرغام أعدائها وحسادها الملتَمسين لإفسادها وإزالتها ، والإغضاء على ما يُغضِي الحُرُّ على
مِثله في استتمامها ، سِيماً إذا كانت عند أهلها ، وفي موضعها ومحلِّها ، وكان المقلد لها مَنْ
يقوم بشكرها ونشرها ، ويُشيد بذكرها ، ويستفرغُ المجهودَ من نفسه في شكرها ،
ويعطيها ما يجب لها من الاعتراف بها ، والانتساب إليها ، والمحاماة عليها ، وأنا أحدُ
من أسكنته ظلك ، وأعلنته (٣) حبائك ، وحبوتَه بلطيفِ بركٍ وخاصِّ عنايتك ،
فانتصفتُ بك من الزمان ، واستغنيتُ بك عن الإخوان ، فأنا لا أرغب إلا إليك ،
ولا أعتدُّ إلا عليك ، ولا أستنجحُ (٤) طلباً إلا بك ، والله أسأل البقاء لك ،
ودوام عزِّك وعزِّنا بك ، وحِراسةَ النعمة عندك وعندنا فيك .

وكان فرطاً مني قول إن تأولته (٥) لى أراك وجه عذرى ، وقام عندك بمجتي ،
وأغناني عن توكيد الأيمان على حسن نيتي ، وإن تأولته على - وبالله أعوذ من ذلك -
الحقَّ بى لأتمتك (٦) ، وجننى على حالى ومنزلتى عندك ، وقد أتيتك ممتريفاً بالزلة ،

(١) هو أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم ، وكان من خاصة ندماء المتوكل ، وخص به
وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتد ، وكان مقدما عندهم ، يفضون إليه بأسرارهم ، ويأمنونه على أخبارهم ،
وكان راوية للأشعار والأخبار شاعرا محسنا ، وتوفى سنة ٢٧٥ - انظر الفهرست ص ٢٠٥ .

(٢) رب النعمة كنصر ربا بالفتح وربابا وربابة بكسر الراء فيها وربيبا : نأها وزادها وأتمها
وأصلحها وحفظها ورعاها .

(٣) أى وصلته بحبال ودك وعطفك . وحبوته : منحته .

(٤) أى أطلب نجحه .

(٥) أول الكلام وتأوله : فدره ، وفى الأصل « إن تأملته » وقد أصلحته كما ترى ، ويؤيد ذلك

مقابله بما بعده .

(٦) اللأمة : اللوم .

مستكينا للموجدة^(١) ، عائذا بالصفح والإقالة ، فإن رأيتَ ألا تُقرِّ عينا قذبتَ^(٢) ،
بنعمتك عندي ، ولا تسلبني منها ما ألبستني ، وأن تقتصرَ من عقوبتي على المكروه
الذي نابني بسبب عنتك ، وتأمرَ بتعريفني من رأيتَ ما يطمئن^(٣) حشأى ، وتسكن
إليه نفسي ، ويأمن به روعي^(٤) » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٨)

٨٧ - كتاب آخر

وله في الصفع :

« إن الذي فرط منك وإن تجاوز مني ما أرضى لك ، لم يبلغ ما يفضيني عابك ،
وحيث انتهى ما يخالفني من قولك وفعلك ، فإن وراءه تغمداً^(٥) مني لإساءتك ،
وصفحا عن زلتك ، فإن تأمنا لا نخنك ، وإن يسؤ ظنك فإنما نحتاج إلى إصلاحه منك . » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٢ : ٢٦٠)

٨٨ - فصول لأبي علي البصير

فصل له :

« قد أكد الله يئنا من المودّة ما نأمن الدهر على حلّ هقده ، ونقض مرّه^(٦) ،
وما يستوى منه نقتنا بأنفسنا لك ، ولأنفسنا بما عندك » .

* * *

(١) استكان : خضع . والموجدة : الغضب .

(٢) أي تأذت ، والقذى : ما يقع في العين ، وقذبت حينه كرضى : وقع فيها القذى .

(٣) أي يسكن .

(٤) الروع بالفتح : الفزع ، وبالضم : القلب وجواب الشرط محذوف للعلم به أي فعلت .

(٥) أي ستر .

(٦) في الأصل « مزاره » وهو تحريف ، وأرى أن صوابه « مره » والمر بالفتح : الجبل ، أو
« مراره » بالكسر ، جاء في اللسان : « والمر بضم ففتح : الجبل الذي أجيد فنتله ، ويقال المرار بالكسر
والمر بالفتح ، وفي الحديث أن رجلاً أصابه في سيره المرار : أي الجبل ، قال ابن الأثير : هكذا فسّر ، وإنما
الجبل المر ولعله جمع » اه أو صوابه « مرره » بكسر ففتح جمع مرة بالكسر : وهي طاقة الجبل ، أو
« مراره » جمع مريرة أو مرير : وهو الجبل الشديد القتل .

وفصل له :

« الحال فيما بيننا يحتمل الدالة ، ويوجب الأُنس والثقة وبَسْطَ اللسان بالاستزادة ،
وأنا أُمْتُ إِلَيْكَ بِالْحُرْمَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ ، والأسباب المؤكدة ، حتى تُحِلَّ صَاحِبَهَا مُحَلًّا
خَاصَّةً الْأَهْلَ بِالْقَرَابَةِ . (العقد الفريد ٢ : ١٩٢)

١٩ - كتاب لغسان بن عمرو الباهلي في الهم

« إنه انتهى إلى ما بلغك فلان ، وقد كفاني سقوطه مَثُونَةَ إسقاطه ، وشدة
تعدُّيه لِقَدْرِهِ الوصفَ لإفراطه ، فمعرفةُك بحاله عُدْرٌ لِي عِنْدَكَ يَدْحِضُ^(١) حِجَّتَهُ ،
ويكذِّبُ قَوْلَهُ ، وعتوبةٌ مثله الصفعُ عن ذنبه إذا قَصُرَ عن المجازاة قدره ، ولم يحتمل
المعاتبةَ عقله ، فصَفَحْتُ عن سبيله رغبةً بِنَفْسِي عن ذكْرِهِ ، ولولا ذلك لَنَضَحْتُهُ^(٢) بِسَهَامٍ
نَافِذَةٍ ، وَأَكْذَبْتُ مَقَالَتَهُ بِجُجَجٍ واضحةٍ ، والسلام .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٤٢١)

٩٠ - كتاب آخر له في الهم

« فلان ممن شَرَّفَتْ أَمْرَهُ ، وأعليت ذِكْرَهُ ، وولَّيْتَهُ نَشْرَ مَكَارِمِكَ فَطَوَّأَهَا ،
وإظهارَ مَحَاسِنِكَ فَأَخْفَاها ، وَعَمَدَ إِلَى أُمُورِكَ فَتَعَدَّأَهَا ، اسْتَخْفَاها بِالْحَرَمِ ، وَقَلَّةَ
شُكْرِكَ لِلنِّعَمِ ، صَرَّتْ إِلَيْهِ فَوَجِدْتُهُ ظَاهِرَ الْعَدْرِ ، عَظِيمَ الْكِبَرِ ، أَسْوَدَ الْقَلْبِ ،
لَمْ يُشْرِقْ نُورُ الْحِكْمَةِ فِي قَلْبِهِ ، وَلَمْ يَجْرِ مَاءُ الْحَيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ ، فِيهِ ثَلَاثَةٌ أُمُورٌ :
الْفَسَادُ وَالْحُبُّ^(٣) وَالْكَذِبُ ، (قَدْ أَخْرَجَ النَّاسَ^(٤)) مِنْ فُسْحَةِ الْعَدْلِ إِلَى ضَيْقِ

(١) أدحض حجته : أبطلها .

(٢) نضح به بالنبل : رماه .

(٣) الحب : الخداع والمحبت والنفس .

(٤) في الأصل « الفساد والحب والكذب من فسحة العدل إلى ضيق الجور » وقد زدت ما بين

القول - بن ليستقيم المعنى .

الجور، حتى باعوا الطاريف والتلاد، وهموا ببيع النساء والأولاد، إذعانا للقهر، واستبسالا للجهد، ومخالفة للذل، ثم لم يقنعوا ذلك حتى أخذ منهم ما كان الله قد وضع ثقله عنهم، ولم تعمل به الولاة قبله، تضعيفا للبلاء، واستعمالا للأواء (۱).

وجعلك عرضة لدعاء المظلومين، وسمنة في قلوب المؤمنين، فأيس الملهوف من روح (۲) عدلك، والمكروب من رجاء فضلك، وفعل « كذا » تكريرا للشنع (۳)، وأخذاً بالبدع، وإماتة للسنان، وجعل منزله مغيضا (۴) لما جبي، وسيرة لما حوى، ليختزن الفضول (۵)، ويسترد ذلك عن العيون، حتى إذا حملهم الجهد فنفدت الطاقة، وماتت الحيلة، وترحت النفوس، كشف لهم عن خطة الجور، نايبة الأطراف، متراخية الشقة (۶)، يعجز عن تجشها ذو القدرة الغني، وذو المنة (۷) القوي، وأبرز لهم غرة السيف ذي الشطب (۸)، وهامة الجرز (۹) ذي الشعب، فخبروه بجهدهم، وكشفوا له عن عذرهم، ففعل بهم « كذا »، حتى أعطوا المقادة كارهين، وعلى أنفسهم خائفين، لما عابوا من القول الشنيع، والأمر الفظيع، فأرخص (۱۰) بذلك قلوب المؤمنين، وكرة جواره أهل النضل والدين، إذ لم يستطيعوا لما صنع تغييرا، ولم يجدوا إلى أمره بالمعروف سبيلا، فإن رأيت أن تنصف كرمي من لومه، وتعي من دعة، وعسرى من سعة، فقد خالف طاعتك وأمرك، وتحامل على أهل مودتك وشكرك، فعلت » . (اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۲۱)

- (۱) الأواء : الشدة . (۲) الروح : الرحمة . (۳) في الأصل « للشبع » وهو تحريف .
 (۴) كذا في الأصل والهاء عليه صحيح ، وربما كان « مقبضا » وكلاهما اسم مكان .
 (۵) الفضول : جمع فضل ، وهو الزيادة . وفي الأصل « لتحرك » وهو تحريف وصوابه « ليختزن »
 (۶) ترح : ضد فرح . والشقة : المسافة . (۷) المنة : القوة .
 (۸) شطوب السيف وشطبه (بضمين) وشطبه (بضم ففتح) : طرائفه التي في منته ، واحده شطبة بضم ، وبضم ففتح ، وبكسر .
 (۹) الجرز كقفل وعنق : العمود من الحديد ، وفي الأصل « الحزر » وهو تصحيف .
 (۱۰) أرمضه : أوجعه وأحرقه .

۹۱ - کتاب آخر له

وله أيضاً :

« إنك صرفت حاجتي إلى فلان ، فوجدته ظاهراً الغدر ، عظيم الكبر ، فاشي النوك^(۱) ، لا تقوى له وجوه الأحرار ، فرأيتك في عزله عن أياديك ، وصرف حاجتنا إلى وجه قريب ، موقفاً ، إن شاء الله . »

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۲۲)

۹۲ - كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل

ركتب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل يعزّيه بابن له :

« إني أعزّيك ، لا أئني على ثقة من الحياة ، ولكن سنة الدين
أيس المعزّي بياق بعد ميته ولا المعزّي ، وإن عاشا إلى حين »

(الفقد الفريد ۲ : ۳۶)

۹۳ - تحميد لإبراهيم بن العباس صدر رسالة الخميس

وكتب إبراهيم بن العباس للمتوكل رسالة للخميس صدرها :

« أما بعد ، فالحمد لله الذي جلت نعمه ، وتظاهرت مننه ، وتتابعت أيديه ،
وعم إحسانه ، إله كل شيء وخالقه وبارئته ومصوره ، والكائن قبله ، والباقي بعده ،
كما قال في كتابه : « كُله شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون »
العالى فى مشيئته ، والقاهر فوق عباده ، المتعالى عن شبه خلقه « ليس كمثله شيء »
وهو السميع البصير » خلق العباد بقدرته ، وهداهم برحمته ، وأوضح لهم السبيل

(۶) اللوك بالضم والفتح : الخنى .

إلى معرفته ، بما نصب لهم من دلائله ، وأراهم من عبره ، وصرفهم فيه من صنعه
كما قال جل جلاله : « الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ .
ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ . ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوْحِهِ وَجَعَلَ
أَكْسَمُ السَّمْعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ قَابِلًا مَا تَشْكُرُونَ » .

وذلك كله من خلقه إياهم بتمثيله ما مثل لهم من الدلائل التي نصبها لهم ،
والأعلام التي جعلها إزاء قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم ، وبسر لهم خواطرم
وفكرهم ، والهيئة التي هيأهم لها ، ليقع الأمر والنهي عليهم ، فلا يكلفهم فوق
طاقهم ، ولا يجشمهم ما يقهر عنه وسوءهم ، نظرا منه تبارك وتعالى إليهم ، ورحمة
بهم ، ليؤمنوا به ويعبدوه ، فيستحقوا به رحمته ورضوانه ، والخلود في النعيم المقيم ،
والظلم المديد ، والعيش الدائم ، كما قال تعالى ذكره : « إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ
وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ » . وكان من نظره ورأفته بهم أن بعث فيهم أنبياءه ورسله ،
يدعونهم إلى طاعته ، ويبينون لهم هداه ، ويوضحون لهم سبيله ، ويهدونهم إلى رحمته ،
ويعدونهم ثوابه ، ويُنذرونهم عقابه ، ويبدئون لهم توبته ، ويحذرونهم سُخطه ،
ويبينون لهم سننه وشرائعه ، ويكشفون لهم مواعظه ، ويملمونهم كتابه وحكمته ،
كما قال تبارك وتعالى : « إِيَّاكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَاهُ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ،
وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » . وكان من رأفته بهم ونظره لهم أن بعثهم إليهم بالحجج
الظاهرة ، والأعلام البينة ، والشواهد الناطقة ، التي أظهر بها صدقهم ، وأقام بها
برهانهم ، وأوضح بها دليلهم ، وأثابهم عمل سواهم ليكون أدعى لهم إلى تصديقهم
والقبول عنهم ، وأوكد للعجبة على من أبى ذلك منهم » .

(اختيار النظوم والمنثور ۱۳ : ۲۷۲)

٩٤ - تحميد لابراهيم بن العباس

في فتح اسحق بن اسماعيل

« الحمد لله مُعِزُّ الْحَقِّ وَمُدْبِلُهُ ^(١) ، وَقَامِعُ الْبَاطِلِ وَمُزِيلُهُ ، الطَّالِبِ فَلَا يَفُوتُهُ
مَنْ طَلَبَ ، وَالغَالِبِ فَلَا يُعْجِزُهُ مَنْ غَابَ ، مُؤَيِّدِ خَائِفَتِهِ وَعَبِيدِهِ ، وَنَاصِرِ أَوْلِيَائِهِ
وَحِزْبِهِ ، الَّذِينَ أَقَامَ بِهِمْ دَعْوَتَهُ وَأَعْلَى بِهِمْ كَلِمَتَهُ ، وَأَظْهَرَ بِهِمْ دِينَهُ ، وَأَدَالَ بِهِمْ حَقَّهُ
وَجَاهَدَ بِهِمْ أَعْدَاءَهُ ، وَأَنَارَ بِهِمْ سَبِيلَهُ ، حَمْدًا يَتَقَبَّلُهُ وَيَرْضَاهُ ، وَيُوجِبُ أَفْضَلَ
عَوَاقِبِ نَصْرِهِ ، وَسَوَابِغِ ^(٢) نِعْمَاتِهِ » .

(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٢٦٩)

٩٥ - ومن رسالة له في قتل اسحاق بن اسماعيل ^(٣)

« وَقَسَمَ اللَّهُ عَدْوَهُ أَقْسَامًا ثَلَاثَةً : رُوحًا مُعْجَلَةً إِلَى عَذَابِ اللَّهِ ، وَجُتَّةً مَنْسُوبَةً
لأَوْلِيَائِهِ اللَّهِ ، وَرَأْسًا مَنْقُولًا إِلَى دَارِ خِلَافَةِ اللَّهِ ، اسْتَنْزَلُوهُ مِنْ مَعْقِلٍ إِلَى مَعْقَالٍ ^(٤) ،
وَبَدَّلُوهُ آجَالًا مِنْ آمَالٍ ، وَقَدِيمًا غَذَّتِ الْمَعْصِيَةَ ^(٥) أَبْنَاءَهَا ، فَحَلَبَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ دَرِّهَا ^(٦)
مُرْضِعَةً ، وَبَسَطَتْ لَهُمْ مِنْ أَمَانِيَّتِهَا مُطْمَعَةً ، وَرَكَبَتْ بِهِمْ مَخَاطِرَهَا مُوَضِعَةً ^(٧) ،
حَتَّى إِذَا وَثَقُوا ^(٨) فَأَمِنُوا ، وَرَكَبُوا فَاطِمَاتُنَا ، وَانْقَضَى رِضَاعُ وَأَنْ فِطَامَ ، سَقَّتْهُمْ
سُمًّا فَفُجِّرَتْ مَجَارِي أَلْبَانِهَا مِنْهَا دَمًا . وَأَعْقَبَتْهُمْ مِنْ حُلُوِّ غَدَائِهَا مَرًّا ، وَنَقَلَتْهُمْ مِنْ عِزِّ
إِلَى ذُلِّ ، وَمِنْ فَرَحَةٍ إِلَى تَرَحُّمَةٍ ، وَمِنْ مَسَرَّةٍ إِلَى حَسْرَةٍ ، قَتَلَا وَأَسْرَا ، وَغَلَبَةَ ^(٩)

(١) أداله الله عليه : نصره .

(٢) نعمة سابقة : أي تامة .

(٣) الظاهر أن التحميد السابق صدر لتلك الرسالة .

(٤) المعقل : الملجأ ، والعقال : الحبل الذي يعقل به البعير ، والمراد الذل والإسار .

(٥) وفي الطبري « العصبية » .

(٦) الدر : اللبن .

(٧) أوضعت الناقة ووضعت : أسرع في سيرها .

(٨) وفي مروج الذهب « رثعوا » .

(٩) وفيه « وإباحة » . وقسمه على الأمر كضرب : أكرهه عليه وقهره .

وَقَمَرًا ، وَقَالَ مَنْ أَوْضَعَ فِي الْفِتْنَةِ مُرْهَبًا^(١) ، وَاقْتَحَمَ لَهَا مُؤَجَّجًا ، إِلَّا اسْتَلْحَمَتْهُ
أَخِذَةً بِمُخَنَّفَةٍ^(٢) ، وَمُوهِنَةٍ^(٣) بِالْحَقِّ كَيْدَهُ ، حَتَّى جَعَلْتَهُ لِعَاجِلِهِ جَزْرًا^(٤) ، وَلَا جِلَّهُ
حَطَابًا ، وَلِلْحَقِّ مَوْغِظَةً ، وَعَنِ الْبَاطِلِ مَزْجَرَةٌ^(٥) ، أُولَئِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ،
وَأَعْدَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ .

(تاريخ الطبري ١٢ : ٧٩ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٨٣)

٩٦ - تحميد له

« الحمد لله الغالب ذي القدرة ، والقاهر ذي العزة ، الذي لم يقابل بالحق باطلاً
في موطن من مواطن التعاكف بين عباده ، إِلَّا جَعَلَ أَوْلِيَاءَ الْحَقِّ مِنْهُمْ حِزْبَهُ
وَجُنْدَهُ ، وَجَعَلَ الْبَاطِلَ بِهِمْ فَلًّا^(٦) مَنْكُوبًا ، وَدَحِيضًا^(٧) زَهُوقًا ، إِنْ نَهَضَ بِهِ
أَوْلِيَاؤُهُ كَانَتْ مَرَاصِدُ عَوَاقِبِهِ مَفْرَقَةً مَا جُمِعَ ، وَمُجَبَّرَةً^(٨) مَا أُعِدَّ ، وَقَائِدَةٌ بِأَشْيَاعِهِ
إِلَى مَصْرَعِ الظَّالِمِينَ ، حَتَّى يَكُونَ الْحَقُّ الطَّالِبَ الْأَعَزَّ ، وَالْبَاطِلُ الْمَطْلُوبَ الْأَذْلَّ ،
وَأَوْلِيَاءَ الْحَقِّ الْأَعْلَى يَدًا وَأَيْدًا^(٩) ، وَأَشْيَاعُ الضَّلَالِ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا وَكَيْدًا ،
قَضَاءُ اللَّهِ وَسُنَّتُهُ ، وَعَادَةُ اللَّهِ وَإِرَادَتُهُ ، فِي الْفِيئَةِ الْمَنْصُورَةِ ، أَنْ تَعَزَّ فَلَ تَرَامَ ، وَأَنْ
يَمَكِّنَ لَهَا فِي الْأَرْضِ كَمَا مَكَّنَ لِلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهَا ، وَفِي النَّيْمَةِ النَّا كِبِينَ عِنْدَهُ ، أَنْ تَذَلَّ ،
فَتَكُونَ كَلِمَتِهَا السُّفْلَى ، وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٦٩)

(١) الرهج كشمس وسبب : الغبار ، وأرهج : أثار الغبار . وأجج النار : ألهبها .

(٢) استلهم الطريدة : تبعها ، والمخنف : الخلق .

(٣) أوهنه : أضعفه .

(٤) يقال : تركوم جزر السباع : أي قطعاً من اللحم تأكلها السباع .

(٥) وفي مروج الذهب « وللباطل حجة » .

(٦) قوم فل : منهزمون .

(٧) دحیضا : أي مدحوضا باطلا ، من دحضت الحججة إذا بطلت ، وزهوقا : أي مضمحلا .

(٨) من بتره : أي قطعه واستأصله .

(٩) الأيد : القوة .

۹۷ - تحمید له فی فتح

«أما بعد، فالحمد لله الذي حمده نفسه، وفرّض حمده على خلقه، وأعزّ دينه، وأكرم بطاعته أوليائه، وأكرم طاعته بأوليائه فجعل جنده منهم المنصورين، وحزبه منهم الغالبين، نهج^(۱) بهم سبيله، وأقام بهم حجته، وجاهد بهم أعداءه، وأظهر بهم حقه، وقمع بهم الباطل وأهله، وأعلى كلمتهم، وأبد نصرهم، وألف لهم وبهم، ومكّن لهم في الأرض، فجعلهم أئمةً وجعاهم الوارثين.

والحمد لله المعزّ لدينه، المظهر لحقه، الناصر لخلفائه، الممكن لحزبه، المنتقم بهم من صدّف عنه، مؤيداً دينه بالنصر، ليظهره على الأديان، وحفّه بالعز، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وجنوده بالفلج^(۲) فهم الأعلون إن استنصر بهم، والأعزّون إن كاد بهم، والأقربون منه لإخلاقاً وعملاً، حمداً يوازي نعمه، ويمتري^(۳) بمثله فواضله ومزيده.»

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۲۷۱)

۹۸ - تحمید آخر له

وله في فتح ابن البعيث لما ظفر به :
«أما بعد، فالحمد لله ناصر أنبيائه وخلفائه، وهادي أوليائه، أولياء الحق وحزب الهدى، الذين أقام بهم سبيل الرشاد، ونصب بهم مناهج الدين، فأظهره على الدين كله ولو كره المشركون.»

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۲۷۲)

(۱) نهج : أوضح .
(۲) الفلج : الظفر والفوز .
(۳) يمتري : أي يطلب ، من امتري الشيء إذا استخرجه ، والريح تمتري السحاب : أي استخرجه وتستدره .

٩٩ - تحميد له

« الحمد لله الذي أنجز وَعَدَّه ، ونصر عبده ، وأيد جفده ، وجعل فتوح أمير المؤمنين شرقا وغربا مشفوعة بين إقامة حق ، وإدالة^(١) باطل ، وإزالة عائد ، وإبادة عائد ، وإقالة مُستقيل ، ويسأل الله أمير المؤمنين مسألة العبد سيده ومولاه ، رغبة إليه ، متذللا له ، أن يصلي أفضل صلواته عنده على أكرم أنبيائه » .
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٩٦)

١٠٠ - تحميد له في فتح

« والحمد لله بجميع محامده التي حُمد بها ، على جميع آلائه وجميع بلائه ، فيما ولى به خليفته ، ونصر به دينه ، وأقام به حقه ، وأعز به وليه ، وقمع به من أخلد عن صبيه ، حمدا يؤدى حق نفعته ، ويوجب به أفضل مزيده ، بمنه وطوله » .
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ١٩٥)

١٠١ - تحميد له في آخر كتاب فتح

« فالحمد لله المزبل لما يمهّد المبطلون ، ويمكر به الماكرون ، ويكيد به الملحدون ، تمكيننا لعبده وخليفته ، وذبّا عن دينه وحقه ، وإظهارا لأوليائه وحزبه ، وإمضاء لمزائمه وقدرته ، مُنعما قادرا ، ومُمليا^(٢) مُمهلا ، عدلا إذا استدرج ، متفضلا إذا أنعم ، حمدا يُستنزَل به نصره ، ويُبلّغ به رضوانه ، ويُمتري بمثله فواضل مزيده » .
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٩٥)

(١) الإدالة : الغلبة . والعائد : المائل ، وفي الأصل « مشفوعة بين حق وإدالة باطل ، وإزالة عائد وإبادة ومستقيل وإقالة » .
(٢) أملى له : أمهله .

١٠٢ - كتابه إلى بعض إخوانه في شفاعته

وكتب شفاعته لرجل إلى بعض إخوانه :

« فلان ممن يزكو^(١) شكره ، ويحسن ذكره ، ويعفاني أمره ، والصنيعة
عنده واقعة موقعها ، وسالكه طريقها .

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجى إصابة شكر لم يضع معه أجر »

(الأغاني ٩ : ٢٥ ، ومعجم الأدباء ١ : ١٧٨)

١٠٣ - كتابه عن المتوكل إلى أهل حمص

ولما قرأ إبراهيم بن العباس على المتوكل رسالته إلى أهل حمص ، الخارجين عليه ،
والداعين إلى العصبية ، وهي :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه ، مما قوم به من أود^(٢) ،
وعدل به من زئج ، ولم به من منتشر ، استعمال ثلاث ، يقدم بعضهم على بعض ،
أولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف ، ثم ما يستظهر^(٣) به من تحذير وتخويف ،
ثم التي لا يقع بحسب الداء غيرها^(٤) .

أناة ، فإن لم تغف عقب بعدها ، وعيدا ، فإن لم يغن عزاءه »

عجب المتوكل من حسن ذلك ، وأوما إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان : أما تسمع !
فقال : يا أمير المؤمنين ، إن إبراهيم فضيلة خبأها الله لك ، وذخيرة ذخرها على دولتك .
(معجم الأدباء ١ : ١٨٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ١٠)

(١) زكازكو : نما .

(٢) الأود : الاعوجاج . (٣) أى يستعين .

(٤) كذا في الأصل ، وهو على تضمين يقع معنى يقوم ، وربما كان « لا يتم حسب الداء غيرها » .

۱۰۴ - كتابه عن المنتصر إلى طاهر بن عبد الله

وكتب عن المنتصر بالله بن المتوكل إلى طاهر بن عبد الله يعزیه عن محمد ابن إسحاق :

« أما بعد ، تولى الله توفيقك وحياطتك ، وما يرتضيه منك ويرضاه عنك . إن أفضل النعم نعمة تُلقيت بحق الله فيها من الشكر ، وأوفر حادثة ثواباً حادثة أدنى حق الله فيها من الرضا والتسليم والصبر ، ومثلك من قَدَّم ما يجب لله عليه في نعمة فشكرها ، وفي مصيبة فأطاعه فيها ، وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن إسحاق (۱) مَوَلَى أمير المؤمنين - عفا الله عنه - قضاءه السابق والمتوقع ، وفي ثواب الله ورضا أمير المؤمنين - أدام الله عزه - وتقديم ما يقدم مثله أهل الحجة والفهم ، ما اعتاضه معترض ، وقدمه فوق ، فليكن الله عز وجل ، وما أطعته به ، وقدَّمت حقه فيه ، أولى بك في الأمور كلها ، فإنك إن تقرب إليه في المكروه بطاعته ، يُحسِّن ولايتك في توفيقك لشكر نعمه عندك . »

(اختيار المظلوم والمنثور ۱۳ : ۳۰۷)

۱۰۵ - كتابه عن المعتز ولي العهد إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إبراهيم بن العباس عن المعتز ولي العهد إلى طاهر بن عبد الله يعزیه عن محمد بن إسحاق :

فإن أولى حق خصصت وقدمت ، حقتك ، بمحلك الذي أحلك به ، ومكانك الذي لك عندي ، والله عليك نعمة أنت حقيق بشكرها ، وامتراه (۲) مزیده بها ، والله في خَلال نعمه مُلِمَاتٌ ، مثلك قدم طاعته فيها فرضى مستدعياً بالرضا ثوابه ، وسلم

(۱) هو ابن عم طاهر بن عبد الله ، وذلك أن طاهرا هو ابن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ابن رزيق بن ماهان ، ومحمدا هو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب بن رزيق بن ماهان .
(۲) مرى الشيء وامتراه : استخرجه .

حسنة دعيا بالتسليم ما يقرب به منه ، وقد قضى الله عز وجل في محمد بن اسحق قضاءه الآتي على من مضى ، والمكتوب على من بقي ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، فأرض بثواب الله عوضا من مصيبتك ، وارجع إلى ما وهب لك من خليفته - أدام الله تأييده - من إشاره واختصاصه ، فاجعل ذلك أولى ما عزاك عن مصائبك ، وقدمت به الشكر في حق الله عنك ، واستصحب في أمورك كلها نية الشاكر عند النعمة ، والراضى عند المحنة ، تزد وتكف إن شاء الله .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٠٧)

١٠٦ - كتابه عن المؤيد وهو ولي عهد

إلى طاهر بن عبد الله

« فإن من حق الله على أهل النعم تقديم طاعته عند مصائبهم ، والتقرب إليه فيما يعزروهم منها بالرضا والتسليم ، وقد قضى الله عز وجل في محمد بن إسحق - عفا الله عنه - قضاءه في جميع خلقه حتى يبقى ويرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، فتلق - أمتع الله بحسن توفيقك - قضاء ربك بالتسليم له ، وتعز عن مصابك بطاعته ، فإن مثلك من اكتفى بما فهم ، من أن يعزى ، واستغنى بما علم ، عن أن يؤعظ إن شاء الله والسلام » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٠٧)

١٠٧ - كتابه إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إبراهيم بن العباس إلى طاهر بن عبد الله يعزیه :
« أما بعد ، فإن أحق من أرضى الله في نعمته بشكره ، وفي مصائبه بالتسليم له ، من فهم ما في شكر النعم من استدعاء تامها ، وما في التذلل للمقادير من استحقاق رضوانه ، وقد جعل الله محلك من الحالتين جميعا محل المتقدم بنيته ومعرفته ،

والله يمتع أمير المؤمنين فيك بصالح قسمة فيمن مضى ، والجارى على من بقى ويبقى ، حتى يودى الفناء الذى لا بقاء معه ، إلى البقاء الذى لا فناء بعده .

وأمر المؤمنين يعظك بالله ، وهو أحق من وعظ به ، ويرشدك من إبطار الله لما ندبك له منه ، وسهل له ظم نعمته عليك ، فى هذه النازلة ، بما صحب به على بن طاهر مولى أمير المؤمنين أيامه ، ومضى عليه من بصيرته وطاعته ، فقدم حق الله عليك بطاعتك له فيما أمرك به ، وائق الله فى مواقع أقداره بك ، تقتض بذلك من ثواب الله أفضل عوض الصالحين ، وبارك الله لعلى فيما أصاره إليه ، وأحسن الله لما قربك منه توفيقك ، وعلى أرضاه عنك عونك^(۱) ، والسلام .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۲۷)

۱۰۸ - كتابه إلى طاهر بن عبد الله

وكتب إلى طاهر بن عبد الله فى وفاة إسحق بن إبراهيم .
« أما بعد ، فإن الله عز وتعالى توحد بتقدير عباده ، وإمضاء إرادته فيهم ، وجعل لكل منهم نهاية إليها يجرى بهم منقلبهم ومتصرفهم ، فإذا جاء أمر الله ، وانقضت مدة البقاء ، سعد أهل الحق بحققهم ، وكانت العاقبة للتقوى ، وخير الملتحدون .

وإن إسحق بن إبراهيم مولى أمير المؤمنين - أبقاه الله ، وأحسن سعيه وعمله - كان عبدا من عباد الله أيد الله به خلفاءه ، وخليفته كنف^(۲) ، فصحب عمره ذابا عن دين الله ، محافظا عليه ، مطيعا لله فى حقه ، ناصرا له متقربا إلى الله فى خلفائه ، بما يرضاه منهم ، ويرضاهم به عنه ، إلى أن قبضه الله على أحسن حالاته التى تسره

(۱) توفيقك مفعول أحسن ، وعونك مطروف عليه ، وأرضى : أفل تفضيل .

(۲) كنفه : صانه وحفظه وحاطه وأعاناه ، أى أيد به خلفاءه الماضين ، وكنف به خليفته الحاضر ، وفى الأصل « وخايفته وكيف .. »

أيام لقائه ، من طاعة ومناصحة وإخلاص عمل فكانت المصيبة به - عفا الله عنه - مصيبة خصَّ أمير المؤمنين موقعها ، ثم وصلت من بعد أمير المؤمنين إلى من وصلت إليه فيك من ولده وأهله .

وأمير المؤمنين يعزى نفسه عن إسحق ، بما سبق من اختيار الله له في مثله من أوليائه و (ذوى) إخوانه ، ثم يعزى بك عنه إذا كانت مصيبتك به أولى مصائبك بأن تُرمضك (١) جلالاً وموقفاً ، وأولى مصائبك بأن يعزى بك (فيها) إذ كنت منها بين ثواب الله ورضا خليفته ، ولو استغنى ذو نازلة ومصيبة عند أمير المؤمنين عن تعزيبته بفضل ما جعله الله عنده ، كنت بما منحك الله عن ذلك غنياً ، ولولا أن أمير المؤمنين أوجب لك حق التعمرية ، لكان في علمه ما أغناه عن تفاولك بها .

متع الله أمير المؤمنين بك ، ووفقك لرشدك بهذه النازلة الواقعة بحق الله فيها عليك وارض ثواب الله منها عوفاً ، وما جعل الله لك عند أمير المؤمنين خلفاً كريماً ، وقعت به مقادير الله من ذلك ، بحيث اختيار المطيع لربه ، والمقدم لغده ، والراضى ما رضى الله له ، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يسررك الله له عند انتهاء الخبر إليك ، مؤيدك (٢) ومسدّدك .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٢٨)

١٠٩ - كتابه إلى طاهر

وكتب إلى طاهر أيضاً :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يُوجب لك من كل فائدة نعمة ، وحادث (رزيق) تهنتك بتجدد مواهب الله عز وجل ، وتعزيتك عن ملهات أقداره ، وقد قضى الله في محمد بن إبراهيم مولى أمير المؤمنين ، ما هو قضاؤه في عباده ، حتى يكون الفناء لهم

(١) أرمضه : أوجعه وأحرقه .

(٢) حال من لفظ الجلالة .

والبقاء (له) ، وأمير المؤمنين يعزبك عن محمد بما أوجب الله لمن أمره (بالصبر^(١)) في مصائبه ، من جزيل ثوابه وأجره ، فليكن الله وما قرّبك منه ، أولى بك في أحوالك كلها ، فإن مع شكر الله مزيداً ، ومع التسليم لأمر الله رضا ، وبالله توفيق أمير المؤمنين ، والسلام .
(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٢٨)

١١٠ - كتابه إلى طاهر

وكتب إلى طاهر يعزبه :

« أما بعد ، فإن أحق من أطاع الله في مصائبه ، من حسن بلاه الله عنده في نعمته وعلى حسب مواهب المعرفة تؤكّد الحجة ، وقد انتهى إلى أمير المؤمنين قضاء الله في محمد بن الحسن بن مُصعب ، وفرّ الله لك ثواب رزقه ، فقدّم حق الله فيما أصابك منه مسأماً ، وفيما جدّد لك شاكراً ، وارض بالله مُنجزاً لك ، واعلم أنك لم تُرزأ من أهلك من هو أمضى^(٢) لسبيل مُنقلبه على سبيل سيرة واستقامة منه ، والله يُحسن توفيقك وعونك ، والسلام .
(اختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٣٢٩)

١١١ - كتابه إلى عبد الرحمن بن خاقان

وكتب إلى عبد الرحمن بن خاقان يعزبه عن أبي زكريا يحيى بن خاقان :
« أما بعد ، فقد جرى من قضاء الله في وفاة يحيى بن خاقان - على أحسن ما يتوفى عليه ذو طاعة ونصيحة وقيام بحق إمامه وسلطانة ورعيته - ما جرى على الأولين ، وهو جارٍ على الآخرين ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .
وأمير المؤمنين يأصرك بالرجوع إلى أمر الله ، والرضا بقضائه ، وتلقى النعمة

(١) ما بين الأقواس الثلاثة ساقط في الأصل .

(٢) في الأصل « من مضى » .

برضا الله عن يحيى ، وما تبعه من الدعاء ، وخالته في عقبه بما يستديمها به من الصبر والتسليم ، وبالشخص إلى باب أمير المؤمنين إذا ورد عليك كتابه هذا ، بعد أن تخلف في عملك من يقوم فيه مقامك ، مُنْبَسِطَ الأمل ، منفسح الرجاء ، واثقاً بما يرعى أمير المؤمنين منك بنفسك في طاعته وموالاته ، وأسبابك ، والسلام .

* * *

وانسخة التوقيع بخط أمير المؤمنين في هذه التعمية :

« يا عبد الرحمن ، ثق بالله وبالذي لك عند أمير المؤمنين ، وطب نفساً ، ولا تحمل على نفسك من الغم ما لا ينفك ، لا بل يضرك ، وبغتم به أمير المؤمنين ، وهذا خط أمير المؤمنين إليك والسلام . » (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٢٩)

١١٢ - كتابه إلى الحسن بن رجاء

« أنت والله يا أبا علي (١) مصدراً عن محاطٍ لنفسه فيها) المتقدم بفتته وأثره وجميل ما أبلى (٢) الله به وعرف منه ، فأحسن الله جزاءك عن خليفتك ولياً مجتهداً ، وأحسن الله جزاءك عنا أماً متفضلاً ، وبلغنا محبتنا فيما قلدت ، وبالله أن كنت على أفضل حد (٣) (إني (٤)) لعلني نهاية مما عليه المعتمد بنعمتك ، السرور بما أجرى الله لك به ، وإني لأرجو ألا أكون مقصراً في حقك عن حقك . » (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٦١)

(١) أي وتلك بين ... والجملة اعتراضية .

(٢) الإبلاء : الإنعام .

(٣) الحد : منتهى الشيء ، وربما كان « على أفضل جد » والجد بفتح الجيم : الحظ والحظوة والعظمة ، والاول أولى لقوله بعد « لعلني نهاية » .

(٤) ما بين القوسين بياض بالأصل .

۱۱۳ - كتابه إلى محمد بن الحسن بن الفياض

ووقع إلى محمد بن الحسن بن الفياض وقد حمل مالا :
« إذا جزى الله ولياً ، بأداء الفرض عليه ، وتأدية حق الشكر عن نفسه خيراً ،
فأحسن الله جزاءك ، فبالله لئن كنا قد منّا حسن الظن بك ، لقد وصلت ذلك بكفاية
حسنة ، وأثر صالح ، وأمور أقل منها يزيد في الثقة بك ، وإني لأرجو أن يسرك الله
به إن شاء الله ، ووافيت الأموال حاجة منا إليها ، وموئناً تراجعمت ، أعان الله على
أكثرها بعنايتك وتسويدك ، والسلام » .
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۶۱)

۱۱۴ - كتابه إلى عامل له

ووقع إبراهيم بن العباس في كتاب عامل له يعتدُّ بحسن أثره ، ويمت
بمقام محمود :
« يا هذا ، لست أشك أن لك أثراً في التوفير ، كان من تقدمك مقصراً عنه ،
وأنت معنيٌّ ومحطاط ، غير أنك عفت^(۱) على ما أحمدتُ منك ، بما يتناهى إلى عنك ،
على السن المتظلمين وأصحاب الأخبار .
وذكر لي فلان ما جرى بينك وبين أخيه مما كثر وصفه له ، وقام منه وقعد ،
وتالله لأكوننَّ الباحث عليك ، والمطالب لك دونه ، لإقدامك على شيخ ابن ستين
سنة ، بما أقدمت به عليه ، وأف لدنيا اضطرت إليكم ، فكنتم خيار من يعمل فيها !
وأبرأ إلى الله من أعمالكم التي رجعت بها إلى أنفسكم ونياتكم » .
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۶۳)

(۱) أي محوته وأزله .

۱۱۵ - کتاب له فی السلامة

« أما بعد ، فإن أوّلَى نعمةٍ تُشكر ، سلامةٌ شملت ، عزّاً فيها الحقُّ فوقَ مواقعِهِ ،
وذلاً فيها الباطلُ فوقَ أشياعِهِ ، وتقلبَ في سترها وأمنها خاصّةً وعمامةً ، فانبسطَ
في تأميلِ فضلها وعائدتها رعيّةً حاضرةً وقاصيةً .

وأمرُ المؤمنين حيثُ كتبتُ إليك ، في أعمّ السلامة أمنا وعزّاً وأدومِ نعمةٍ
موقعا وخطراً ، وفي أجملِ بلاءٍ^(۱) الله ، يتعرّفه في نفسه وولده وأوليائه وعوامّه ،
وبالله عونُ أميرِ المؤمنين على شكرِ نعمِهِ ، وتأدية حقه .

أعلمك أميرِ المؤمنين ذلك لتعرفه ولتعتدّ النعمةَ به ، ولتكتب إلى عمالك
في فواحي أعمالك ، فيشكروا الله ومن قبلهم بلاء الله في خليفتهم ، مما وهب لهم منه ،
وأجرى لهم به .

وأمرِ المؤمنين معنيّ بما يرد عليه من أخبارك وأعمالك وأمورك: خاصّها وعامّها ،
ولطيفها وجليلها ، وفي أوليائه ورعيته قبلك ، فاكتب إلى أميرِ المؤمنين من ذلك
عما هو متطلع إليه ، متابعا كتبك إليه على شرح خبرك وتاخيصه إن شاء الله .
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۶۶)

۱۱۶ - کتاب له فی السلامة

« أما بعد ، فإن لكل فرعٍ أصلاً ، عنه مؤداه^(۲) ومستنبطه ، وإليه مرجعه
ومؤثله ، ومتى رُجع من أصول الأمور إلى تأثلها^(۳) وتمكّنها ، رُجع من فروعها
إلى استنبابها واستقامتها ، وأفضل ما تدبّره : أمورُ دينِ الله وخلافته ، وحقوقُ الله

(۱) أي نعمته .

(۲) والأصل « مواده » وأراه محرّفاً عن « مؤداه » وربما كان الأصل « مورده » .

(۳) تأثل : تاصل .

وعبادِهِ ، فكان الأصلُ وزَ كَاؤُهُ (۱) ما جَمَعَ يَأْذَنُ اللهُ سَكُونَ الدَّهْمَاءِ (۲) ، وَصَلَاحَ
الْبَيْضَةِ (۳) وَأَمَّنَ السَّرْبِ (۴) ، وتَظَاهَرَ النِّعَمِ نِيْمًا قَرُبٌ وَبَعْدُ ، وَدَنَا وَنَأَى ،
وَبَلَاةُ اللهِ حَمِيداً هُوَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مَعَ كِتَابِهِ هَذَا إِلَيْكَ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ ، وَفِي
أَحْبَابِهِ وَخَاصَّتِهِ وَقَاصِبَتِهِ ، وَفِي أَنْصَارِهِ ، مِنْ عَمُومِ الْأَمْنِ وَشُمُولِهِ ، وَصَلَاحِ الْحَالِ
وَاسْتِقَامَتِهَا ، (بَلَاةٌ يَرْبُو^(۵)) عَنِ الْإِحْلَاطَةِ بِذِكْرِهِ دُونَ شُكْرِهِ ، وَعَنِ إِحْصَاءِ مَوَاهِبِ
اللهِ فِيهِ دُونَ إِحْصَائِهِ :

أَعْلَمَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ مَعْتَدًا بِنِعْمَةِ اللهِ فِيهِ ، وَمُشِيدًا بِذِكْرِهِ ، وَمَنْبِهَا عَلَى
جَمِيلِ آلَاءِ اللهِ ، وَمُسْتَدِيمًا حَمْدَهُ بِهِ ، لِتَأْمَرَ بِإِنْفَازِ كُتُبِكَ إِلَى عَمَّاكَ فِي نَوَاحِي أَعْمَالِكَ
بِمَا يُنْسَخُ مِنْ كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذَا إِلَيْكَ ، لِتَقْرَأَهُ عَلَى مَنْ بَحْضَرْتَهُمْ وَأَطْرَافَهُمْ
مِنْ قَوَادِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَجُنُودِهِ وَأَوْلِيَاءِهِ وَرَعِيَّتِهِ وَخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ، فَيَحْمَدُوا اللهُ عَلَى
مَا أَبْنَى (۶) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفْسِهِ وَفِيهِمْ ، لِيَجِدُوا مِنْ شُكْرِ اللهِ عَلَى ذَلِكَ مَا يَمِثِلُهُ
اسْتِدْمِيتِ النِّعْمَةَ ، وَامْتَرِي (۷) صَالِحُ الْمَزِيدِ ، فَافْعَلْ ذَلِكَ مُعَانًا عَلَى أَمْرِكَ ،
مُتَحَرِّبًا لِأَدَاءِ حَقِّ اللهِ عَلَيْكَ ، وَالسَّلَامُ .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۶۷)

۱۱۷ - كتاب آخر

وكتب في سلامة الأضي :

« فَإِنْ أَحَقَّ مَنْ أَشَادَ بِنِعْمِ اللهِ نَاطِقًا بِأَسَانِ شُكْرِهَا ، وَقَائِلًا بِأَحْسَنِ نَشْرِهَا ،
وَمُتَدِّمًا حَقَّ اللهُ بِذَلِكَ فِيهَا ، مَنْ أَلْبَسَ مِنْ نِعَمِ اللهِ أَعَزَّ مَلَابِسَهَا ، وَحَبِيَّ مِنْهَا
بِأَفْضَلِ مَوَاهِبِهَا ، وَمَنْ لَمْ تَزَلْ عَادَةُ اللهِ هُنْدَهُ فِي مُتَجَدِّدِ نِعْمِهِ عَلَيْهِ ، بِتَيْسِيرِهِ لِأَدَاءِ

(۱) الزكاء : الصلاح والنماء ، وفي الأصل ور كاوها ، وأراه محرفا .

(۲) الدهماء : جماعة الناس . (۳) البيضة : حوزة كل شيء . (۴) السرب : النفس .

(۵) في الأصل « بد ... » وقد أتممت العبارة كما ترى .

(۶) أي أنعم عليه . (۷) امتري الشيء : استخرجه .

حقه فيها ، ذلك أمير المؤمنين فيما يعتدُّ به من جليل آلاء الله لديه فيما يخصه ، وجيله
فضله عليه فيما وفقه له ، وباللَّه عونُ أمير المؤمنين بتبليغه شكره ، واستحقاقه مزيده ،
وإحراز ما هو أرضى وأزكى له عنده .

وكتابُ أمير المؤمنين إليك يوم النحر ، اتصرافه من المصلى ، وقد عرفه الله
في عيده ونحرجه ، من السلامة وعمومها ، والنعم وتظاهرها في نفسه وولده وقواده
وأولياؤه وفي خاصته وعامته ، أفضل مالم يزل يعرفه إياه أمنا (۱) كنف به ، وعزاً
ألبسه ، وشكراً وفق له ، ونعماً أيد بها وقع ، وأعلى بها ووضَع ، فجعل لأولياء دينه
وحقه من العلو والكرامة ، وعلى أعدائه من الذلة والحسرة ، ما قد يما تفضل به على
أمير المؤمنين بما استخلفه عليه واستحفظه فيه ، تفضلاً منه وإحساناً ، وحياطة وإنعاماً ،
ولله بذلك أرضى شكر ، وله أفضل ما قرب منه وأزلف (۲) عنده .

أحب أمير المؤمنين الكتابَ بذلك إليك ، لتعرفه وتحمداً الله عليه ، وتنفسه
فيمن قبلك ، فيحمدوا الله ويعتدوا نعمه عليهم فيه ، فإن مع معرفة النعمة شكرها ،
ومع التوفيق لشكرها حراستها ووجوب مزيدها ، وأمير المؤمنين يأمر بالكتاب
إليه بخبرك وخبر من قبلك بما هو متطلع إليه وإلى معرفته ، بهيج بما يرد عليه
منه ، فتابع - أصلح الله بك - إلى أمير المؤمنين كتبك إن شاء الله .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۶۷)

۱۱۸ - ومن فصوله

« المودةُ تجمنا محبتهم ، والصناعةُ تؤلفنا أسبابها ، وما بين ذلك من تراخ
في لقاء ، أو تخلف في مكانة ، موضوع بيننا ، يوجب العذر فيه . »
(القمد الفريد ۲ : ۱۹۲)

(۱) في الأصل « منا » وأراه محرفاً . (۲) أى قرب .

۱۱۹ - ومن كلامه

« ووجدَ أعداءَ الله زُخْرُفَ باطلهم ، وَتَمْوِيهَ كَذِبِهِمْ ، سَرَابًا بِقِيَعَةٍ (۱) يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا » وَكَوَهِيضَ بَرَقٍ عَرَضٍ فَاسْرَعَ ، وَلَمَعَ فَاطْمَعَ ، حَتَّى إِذَا انْحَسَرَتْ (۲) مَفَارِبُهُ ، وَتَشَقَّبَتْ مَوْلِيَةَ مَذَاهِبِهِ ، وَأَيَقَنَ رَاجِيهِ وَطَالِبُهُ ، أَنْ لَا مَلَاذَ وَلَا وَزَرَ ، وَلَا مَوْرِدَ وَلَا صَدَرَ ، وَلَا مِنْ الْحَرْبِ مَفْرًا ، هُنَالِكَ ظَهَرَتْ عَوَاقِبُ الْحَقِّ مُنْجِيَةً ، وَخَوَاتِمُ الْبَاطِلِ مُرْدِيَةً ، سُنَّةُ اللَّهِ فِيمَا أزاله وَأَدَالَهُ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ، وَلَا عَنْ قَضَائِهِ تَحْوِيلًا .

(معجم الأدباء ۱ : ۱۹۰)

۱۲۰ - كتاب الفضل بن حباب

إلى إبراهيم بن العباس

قال إبراهيم بن العباس الصولي : كاتبت القاضي أبا خليفة الفضل بن حباب الجعفي في أمور أرادها ، فأغفلت التاريخ منها في كتابين ، فكتب إلي بعد الثاني :

« وصل كتابك - أعزك الله - مبهم الأوان ، مُظْلِمَ الْمَكَانِ ، فَأَدَى خَبْرًا مَا الْقَرَبُ فِيهِ بِأَوْلَى مِنَ الْبُعْدِ ، فَإِذَا كَتَبْتَ - أكرمك الله تعالى - فلتكن كتبك موسومة بتاريخ ، لِأَعْرِفَ أَدْنَى آثَارِكَ ، وَأَقْرَبَ أَخْبَارِكَ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(زهر الآداب ۳ : ۱۴۳)

(۱) القبة جمع قاع : وهو ما انبسط من الأرض وفيه يكون السراب نصف النهار ، قال في اللسان : « ولا نظير له إلا جار وجيرة ، وذهب أبو عبيد إلى أن القبة تكون للواحد .

(۲) أي انكسفت .

۱۲۱ - کتاب رجل إلى المتوكل

وكتب رجل إلى المتوكل على الله ، وقد أهدى إليه قارورة من دهن

لأنه ترجح :

« إن الهدية يا أمير المؤمنين ، إذا كانت من الصغير إلى الكبير ، كما
لطفت^(۱) ودقت كانت أبهى وأحسن ، وإذا كانت من الكبير إلى الصغير ، كما
عظمت وجلت كانت أنفع وأوقع ، وأرجو ألا تكون قصرت بي همة أصارتني
إليك ، ولا أخرنى^(۲) إرشاد دلتني عليك ، وأقول :

ما قصرت همةً بلغتُ بها بابك يا ذا النداء والكرم^(۳)
حسبي بودك إن ظفرتُ به ذخرًا وعزًا يا واحد الأمم

(العقد الفريد ۳ : ۳۰۹)

۱۲۲ - کتاب رجل إلى مالك بن طوق

وكتب رجل إلى مالك بن طوق^(۴) لما عزل عن عمله .

« أصبحت والله فاضحاً مُتعباً : أمّا فاضحاً فلكل وال قبلك بحسن سيرتك ،
وأمّا مُتعباً فلكل وال بعدك أن يلدحك » .

(اختيار المنظوم والمشور ۳ : ۳۰۰)

(۱) لطف الشيء ككرم : صغر ودق .

(۲) في الأصل « ولا أخرى » وهو تحريف .

(۳) الندى بالقصر : الكرم والجود ، ومدته للشعر .

(۴) كان أميراً على الأهواز في خلافة المتوكل - انظر الأغاني ۱۳ : ۲۲ .

١٢٣ - كتاب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق

وكتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشَّيْص :
« كتابي إليك كتاب خَطَطَةٌ بيميني ، وفرَّغت له زِهْنِي ، فما ظنك بحاجة :
هذا مَوْقِعُها مني ؟ أتراني أقبلُ العذرَ فيها ؟ أو أقصرُ في الشكرِ عليها ،
وإبن أبي الشَّيْص قد عرَّفت حاله ونسبه وصفاته^(١) ، ولو كانت أيدينا تنبسط بیره
ما عدَّانا إلى غيرنا ، فاكتفِ بهذا منا . »

(العقد الفريد ٢ : ١٩٣ ، واختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٩٤)

١٢٤ - كتاب أحد السكتاب إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر

وكتب بعض السكتاب إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر^(٢) وقد نالتهما مِحْنَةٌ ،
ثم ردَّ قَتْمًا نعمة :

(١) وفي المنظوم والمنثور « وكفايته » .

(٢) قال ابن النديم في الفهرست ص ١٧٨ . « بنو المدبر : أحمد ومحمد وإبراهيم ، وجميعهم شاعر
منسل بليغ » ، وقال أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني - في ترجمة إبراهيم بن المدبر ج ١٩ ص ١١٤ -
« إبراهيم بن المدبر شاعر كاتب متقدم من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوى الجاه والمتصرفين
في كبار الأعمال ومذكور الولايات ، وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله » وقال : « كان أحمد بن
المدبر ولي لعبيد الله بن يحيى بن خافان عملاً ، فلم يحمد أثره فيه . وعمل على أن ينسكه ، وبلغ أحمد ذلك
فهرب ، وكان عبید الله منحرفاً عن إبراهيم شديد النفاضة عليه لرأى المتوكل فيه ، فأغراه به وعرفه خبر
أخيه ، وادعى عليه مالا جليلاً ، وذكر أنه عند إبراهيم أخيه ، وأوغر صدره عليه حتى أذن له في حبسه
ولإبراهيم في حبسه أعمار كثيرة حسان مختارة أورد صاحب الأغاني بعضها - وطال حبسه ، فلم يكن
لأحد في خلاصه منه حيلة ، حتى خلاصه محمد بن عبد الله بن طاهر ، وبذل أن يحتمل في ماله كل ما يطالب
به ، فأعفاه المتوكل من ذلك ، ووجه له » .

وقال ياقوت في معجم الأدباء ج ١ : ص ٢٢٦ : « هو إبراهيم بن محمد بن عبید الله بن المدبر ،
تولى الولايات الجليلة ، ثم وزير المعتمد ، ومات سنة ٢٧٩ وهو يتقلد للمعتضد ديوان الضياع ببغداد »
أقول : وأكبر ظني أنه « المدبر » بفتح الباء . وهو الصواب إذ رأيت بعد في كتاب المشبه في أسماء
الرجال للذهبي ص ٤٧٢ طبع أوربة « إبراهيم بن المدبر (بفتح الباء الموحدة) الأخبارى يحكى
عنه ججظة » .

« بسم الله الرحمن الرحيم : لو قُبِلْتُ فيكما ، ودانيتُ قدرَينكما ، لقلتُ :
جعلاني الله فداكما ، ولكن أُخِرْتُ عنكما ، فلا أُقْبَلُ فيكما^(۱) ، وقد باغتني المحنةُ
التي لو مات إنسان غمًّا بها لَكُنْتُهُ ، ثم انصَلتُ بي النعمة التي لو طار^(۲) إنسان فرحاً
بها لَكُنْتُهُ . »

وكتب تحته :

وليس بتزويق اللسان وصورغِه ولكنه قد خالط اللحم والدِّمَا
(زهر الآداب ۳ : ۱۶ ، وأدب الكتاب ص ۱۵۳)

۱۲۵ - كتاب عمر بن أيوب إلى أحمد بن المدبر

وكتب أبو حفص عمر بن أيوب إلى أبي الحسين أحمد بن محمد بن المدبر ، بعاتبه
في أن دعاه مدًّا الله في عمرك :

« يا جواداً بالثنا وبخيلاً بالعطاء

إن : « مدًّا الله في عمرك » من كتب الجفأ

ليس يستعمل هذا الصِّدْرُ بين الأصفياً

فتفضل يا فتى الفأ من بتفخيم الدعاء »

(أدب الكتاب ص ۱۶۰)

۱۲۶ - كتاب أبي العباس المبرد إلى إبراهيم بن المدبر

وقال أبو الحسن الأخفش^(۳) علي بن سايان : استهدى إبراهيم بن المدبر

(۱) وفي أدب الكتاب : « ولكني لا أجزى عنكما ، ولا أقتل بكما . »

(۲) في الأصل « أدب الكتاب » طال وهو تحريف .

(۳) هو الأخفش الأصغر النحوي المعروف ، توفي ، سنة ۳۱۵ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان

۱ : ۳۳۲ ، والفهرست لابن النديم ص ۱۲۳ ، ونزهة الألبا في طبقات الأدبا ص ۳۱۲ .

أبا العباس^(١) محمد بن يزيد جيسا يجمع إلى تأديب ولده الإمتاع بإيناسه^(٢) ، فنَدَبَني لذلك وكتب إليهِ مَعِي :

« قد أنفدتُ إليك - أعزك الله - فلانا وَجُمَلَةُ أمرِهِ أنه كما قال الشاعر :

إذا زرتُ الملكَ فإن حَسْبِي شفيعاً عندهم أن يُخَبِّرُونِي »

(زهر الآداب ١ : ١٤٤)

١٢٧ - كتاب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون

قال صاحب الأغاني :

وكتب إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون في أيام نكبته يسأله إذ كان المتوكل والفتح بن خاقان بأمره :

كَمْ تَرَى يَبْقَى عَلَيَّ ذَا بَدَنِي ؟ قَدْ بَلَى مِنْ طُولِ هَمِّ وَضَنِي

(١) هو أبو العباس المبرد النحوي المشهور صاحب كتاب الكامل ، كان إماماً في النحو واللغة ، روى عنه الأخفش المذكور ، وتوفي سنة ٢٨٥ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٤٩٥ والفهرست لابن النديم ص ٨٧ ، ونزهة الألباء - ص ٢٧٩ .

جاء في وفيات الأعيان ١ : ٤٩٧ « والمبرد بضم الميم وفتح الباء والراء المشددة لقب عرف به ، واختلف العلماء في سبب تاقبيه بذلك ، فالذي ذكره ابن الجوزي في كتاب الألقاب أنه قال : سئل المبرد لم لُقب بهذا اللقب؟ فقال : كان سبب ذلك أن صاحب الشرطة طلبني للمنادمة والذاكرة فكروهت الذهاب إليه ، فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني ، فجاء رسول الوالي يطلبني ، فقال لي أبو حاتم : ادخل في هذا ، يعني غلاف مزمل (وهي البرادة التي يبرد فيها الماء) فارغاً ، فدخلت فيه وغطى رأسه ، ثم خرج إلى الرسول ، وقال : ليس هو عندي ، فقال : أخبرت أنه دخل إليك ، فقال : أدخلت الدار وفتشها ، فدخل فطاف كل موضع في الدار ولم يفتن لغلاف المزمل ، ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزمل المبرد المبرد ، وتسامع الناس بذلك فلم يجوابه ، وقيل إن الذي لقبه به شيخه أبو عثمان المازني ، وقيل غير ذلك » وجاء في المزهرة للسيوطي ٢ : ٢٦٧ في « فصل في معرفة الألقاب وأسبابها » : « قال السيرافي : لما صنف المازني كتابه الألف واللام سأل المبرد عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب : فقال له : قم فأنت المبرد بكسر الراء أي المثبت للعق ، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء » .

(٢) ذكر صاحب الأغاني في ترجمة ابن المدبر أنه كان يتولى البصرة (ج ١٩ : ص ١٢٤) فالظاهر أن ذلك الاستهداء كان لإبان توليه إياها ، وقد كان المبرد من أئمة النحويين البصريين .

أنا في أمرٍ وأسبابٍ رَدَى وَحَدِيدٍ فَادِحٍ بِكَلِمَتِي (١)
 يابنَ حَمْدُونَ فَتَى الْجُودِ الَّذِي أنا منه في جَنَى وَرَدٍ جَنِي (٢)
 ما الذي تَرَقُّبُهُ ، أم ما تَرَى في أخٍ مَضْطَهَدٍ مَرْتَهَنٍ ؟
 وأبو عِمْرَانَ مَوْسَى حَنِيقٌ حَاقِدٌ يَطْلُبُنِي بِالْإِحْنِ (٣)
 وَعُبَيْدُ اللَّهِ أَيْضًا مِثْلُهُ وَنَجَاحٌ بِي مُجِدُّ مَا بِنِي (٤)
 لَيْسَ يَشْفِيهِ سِوَى سَفْكِ دَمِي أو يراني مُدْرَجًا في كَفَنِي
 وَالْأَمِيرُ الْفَتْحُ إِنْ أَذْكَرْتَهُ حُرْمَتِي قَامَ بِأَمْرِي وَعُنِي
 قَالَ : صِدْقٌ حِينَ أَدْعُو بِاسْمِهِ وَمَرُورٌ حِينَ يَعْرُو حَزَنِي
 قُلْ لَهُ : يَا حُسْنَ مَا أَوْلَيْتَنِي مَا يَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ تَمَنٍّ
 زَادَ إِحْسَانَكَ عِنْدِي عِظَمًا أَنَّهُ بَادٍ إِنْ يَعْرِفَنِي
 لَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ أَجْزِيكَ بِهِ غَيْرَ أُنِّي مُثَقَّلٌ بِالْمِنَنِ
 مَا رَأَى الْقَوْمُ كَذَنبِي عِنْدَهُمْ عِظَمُ ذَنْبِي أَنِّي لَمْ أَخُنْ
 ذَاكَ فَعَلِي وَتُرَاثِي عَنْ أَبِي وَاقْتَدَائِي بِأَخِي فِي السُّنَنِ
 سُنَّةٌ صَالِحَةٌ مَعْرُوفَةٌ هِيَ مِنَّا فِي قَدِيمِ الزَّمَنِ
 ظَفَرَ الْأَعْدَاءِ بِي عَنْ حِيلَةٍ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُظْفِرَنِي
 لَيْتَ أَنِي وَهُمْ فِي مَجَاسٍ يَظْهَرُ الْحَقُّ بِهِ لِلْفِطَنِ
 فَتَرَى لِي وَلَهُمْ مَلْحَمَةٌ يَهْلِكُ الْخَائِنُ فِيهَا وَالذَّنِي (٥)
 وَالَّذِي أَسْأَلُ أَنْ يُنْصِفَنِي حَاكِمٌ يَقْضِي بِنَا يَلْزُمُنِي

(١) فدحه كمنه : أثقله . وكله كضربه : جرحه .
 (٢) الجنى كفتى : كل ما يجنى ، وثمر جنى كفتى : جنى من ساعته .
 (٣) في الأصل « حاقن » وأراه محرفا ، والإحن : جمع إحنة بالكسر : وهي الحقد .
 (٤) أي ما يفتر . وفي الأصل « ونجاح في ... » وهو تحريف .
 (٥) الملحمة : الوقعة العظيمة القتل .

قل الحمدون خليلي وابني واعيسى حرّ كوه يا بني^(۱)
فلم يزالوا في أمره حتى خلاصوه .
(الأغاني ۱۹ : ۱۱۹)

۱۲۸ - كتابه إلى عريب

وكان بين إبراهيم بن المدبر وبين عريب^(۲) المغنية حال مشهورة ، كان يهواها
وتهواه ، ولهما في ذلك أخبار كثيرة .
وقد كتبت إليه من سرّ من رأى كتابا تشوقه فيه ، وتخبره باستيحاشها له ،
واهتمامها بأمره ، وأنها قد سألت الخليفة في أمره ، فوعدها بما تحب .
فأجابها عن كتابها ، وكتب في آخر الكتاب :

لعمرك ما صوتٌ بديعٌ لمعبدي^(۳) بأحسنَ عندي من كتاب عريب
تأمّلت في أثنائه خطّ كاتب ورقةً مشتاقٍ ، ولفظَ خطيبٍ
وراجعتني من وصلها ما استرقتني وزهدني في وصل كلّ حبيبٍ
فصرت لها عبداً مقراً بملكها ، وستمسكاً من ودّها بنصيب^(۴)
(الأغاني ۱۹ : ۱۱۶)

۱۲۹ - كتاب لابن المدبر

ولابن المدبر :

« وصل كتابك المفتوح بالعتاب الجميل ، والتقرير اللطيف ، فلولا ما غلب على
من السرور بسلامتك ، لتقطعتُ غمّاً بعتابك ، الذي لطف حتى كاد يخنني عن أهل

(۱) قال صاحب الأغاني : يعني يابني الزانية .

(۲) انظر أخبارها في الأغاني ۱۸ : ۱۷۵ .

(۳) هو معبد بن وهب المغني المشهور ، كان في عهد الدولة الأموية ، ومات في أيام الوليد بن يزيد
بدمشق - انظر ترجمته في الأغاني ۱ : ۱۸ .

(۴) وقد أورد صاحب الأغاني مكاتبات شعريّة بين إبراهيم بن المدبر وبين عريب وغيرها فارجع إليها فيه

الرقة والفطنة ، وغاظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله ، فلا أعدتهنى الله رضاك مجازيا به على ما استحقته عقبك ، فأنت ظالم فيه ، وعتابك ولى المخرج منه .

(العقد الفريد : ۲ : ۱۹۴)

۱۳۰ - الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر

وهى رسالة فى موازين البلاغة وأدوات الكتابة ، كتب بها أبو اليسر إبراهيم ابن محمد بن المدبر :

« بسم الله الرحمن الرحيم : وفق الله بالحكمة ذهنك ، وشرح بها صدرك ، وأنطق بالحق لسانك ، وشرف به بيانك . وصل إلى كتابك العجيب الذى استفهمتنى فيه - بجوامع كلك - جوامع أسباب البلاغة ، واستمكشفتنى عن غوامض آداب أدوات الكتابة : سألتنى أن أقف بك على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته ، وحدود فخامة المعنى وجزالة ، ورشاقة نظم الكتاب ، ومشاكلة برده ، وحسن أفتتاحه وختمه ، وانتهاء فصوله ، واعتدال وُصوله ، وسلامتهما من الزلل ، وبُعدهما من الخطل^(۱) ، ومتى يكون الكتاب مستحقا اسم الكتابة ، والبليغ مسلما له معانى البلاغة ، فى إشارته واستعارته ، وإلى أى أدواته هو أحوج ، وبأى آلاته هو أعمل ، إذا حصص^(۲) الحق ، ودعى إلى السبقي ، وفهمته .

وأنا رايم لك - أيدك الله - من ذلك ما يجمع أكثر شرائطك ، ويعبر عن جملة سؤالك ، وإن طوّات فى الكتاب وعرضت ، وأظنبت فى الوصف وأسهببت ، ومُسْتَقْص على نفسى فى الجواب ، على قدر استقصائك فى السؤال ، وإن أخلّ به التيات^(۳) الحال ، وسكون الحركة ، وفتور النشاط ، وانتشار الروية ، وتقسّم الفكر ، واشتراك القلب ، والله المستعان .

(۱) الخطل : الخطأ . (۲) حصص : وضع واستبان .

(۳) الالتيات : الاختلاط والالتفاف .

اعلم - أيديك الله - أن أدوات ديوان جميع المحاسن ، وآلات المكارم ، طائفة مُنقادةٌ لهذه الصناعة التي خطبتها ، وتاليةٌ تابعة لها ، وغيرُ خارجة إلى جَعْد أحكامها ، ولا دافعة إياها بلزمتها الإقرارُ به لها ، إضراراً منها إليها ، وعجزاً عنها ، فإن تقاضتكَ نفسك علمها ، ونازعتكَ همتك إلى طلبها ، فاتخذ البرهان دليلاً شاهداً ، والحق إماماً قائداً ، بقرَّب مسافة ارتيادك ، وبسهل عليك سُبُل مطالبتها ، واستوهب الله توفيقاً تستنجحُ به مطالبك ، واستمنحه رشداً يُقبل إليك بوجه مذهبك ، فاقصد في ارتيادك ، وتأمل الصواب في قولك وفعلك ، ولا تسكن إلى جحود قصد السابق باللجاج ، ولا تخرج إلى إهمال حق المصيب بالمعاندة والإنكار ، ولا تستخف بالحكمة ولا تُصنرها حيث وجدتها ، فتزحل نافرة عن مواطنها من قبلك ، وتظعن شاردة عن مكانها من بالك ، وتتعق (١) بعد العِمارة من قلبك آثارها ، وتنطمس بعد الوضوح أعلامها .

واعلم أن الاكتساب بالتعلم والتكليف ، وطول الاختلاف إلى العلماء ، ومدارسة كتب الحكماء ، فإن أردت خوض بحار البلاغة ، وطلبت أدوات الفصاحة ، فتصفح من رسائل المتقدمين ما تعتمد عليه ، ومن رسائل المتأخرين ما ترجع إليه ، في تلقيح ذهنك ، واستنجاح بلاغتك ، ومن نوادر كلام الفاس ما تستعين به ، ومن الأشعار والأخبار والسِّير والأشعار (٢) ما يتسع به منطقتك ، ويعذبُ به لسانك ، ويطول به قلبك ، وانظر في كتب المقامات والخطب ، ومحاورات العرب ، ومعاني المعجم ، وحدود المنطق ، وأمثال الفرس ورسائلهم وعهودهم ، وسيرهم ووقائعهم ، ومكايدهم في حروبهم ، بعد أن تتوسط في علم الفحو والتصريف واللغة والوثائق والسور والشروط ككتب السجلات والأمانات ، فإنه أول ما يحتاج إليه الكاتب ، وتمهراً (٣) في نزع

(٢) في الأصل « والأشعار » وهو تحريف .

(١) تبنى الأثر : درس واحى .

(٣) وفي القصد « لتكون ماهراً » .

آي القرآن في مواضعها ، واجتلاب الأمثال في أما كنا ، واختراع الألفاظ الجزلة ،
وقرض الشعر الجيد وعلم العروض ، فإن تضمن المثل السائر ، والبيت الغابر البارع ،
مما يزين كتابتك ، ما لم تخاطب خافية أو ملكا جميل القدر ، فإن اجتلاب الشعر
في كتب الخلفاء والجلّة الرؤساء ، عيب واستهجان للكتّاب ، إلا أن يكون الكاتب
هو القارض للشعر والصانع له ، فإن ذلك مما يزيد في أبهته ، ويدل على براعته ، وإن
شدوت^(١) من هذه العلوم مالا يشغلك محله ، وتفخيت من هذه الفنون ما تستعين به
على إطالة قلبك ، وتقويم أود^(٢) بياك .

بمد أن يكون الكاتب صحيح القرينة ، حلو الشائل ، عذب الألفاظ ، دقيق
الفهم ، حسن القامة ، بعيدا من الفدامة^(٣) ، خفيف الروح ، حاذق الحس ، محنكا
بالتجربة ، عالما بحلال الكتاب والسنة وحرامهما ، وبالملك وسيرها وأيامها ، وبالدهور
في تقلبها وتداولها ، مع براعة الأدب ، وتأليف الأوصاف ، ومشكاة الاستعارة ،
وحسن الإشارة ، وشرح المعنى بمثله من القول ، حتى تنصب صورًا منطقيّة تُعرب عن
أنفسها ، وتدل على أعيانها ، لأن الحكماء قد شرطوا في صفات الكتّاب : اعتدال^(٤)
القامة ، وصغر الهامة^(٥) ، وخفة اللهازم^(٦) ، وكثافة اللحية ، وصدق الحس ، وأطف
المذهب ، وحلاوة الشائل ، وخفة الإشارة ، وملاحة الزمى ، حتى قال بعض المهالبة^(٧)
لولده : « تزبوا بزى الكتّاب ، فإن فيهم أدب الملوك ، وتواضع السوقة » .

ومن كمال آلة الكتابة : أن يكون الكاتب بهي الملبس ، نظيف المجلس ، ظاهر
المروءة ، عطر الرائحة ، دقيق الذهن ، صادق الحس ، حسن البيان ، رقيق حواشي

(١) شدا : أخذ طرفا من الأدب . (٢) الأود : الاعوجاج .

(٣) الفدامة : العى عن الكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم ، قدم ككرم فهو قدم كصعب .

(٤) في رسائل البلغاء « طول القامة » .

(٥) الهامة : الرأس .

(٦) اللهازم : نانثان تحت الأذنين من أعلى اللحيين والمدين .

(٧) المهالبة : بنو المهلب بن أبي صفرة .

اللسان ، حلو الإشارة ، ما يوح الاستعارة ، لطيف المسالك ، مُستفزة^(۱) المرز كَب ، ولا يكون مع ذلك فضاء الجئة ، متفاوت الأجزاء ، طويل اللحية . عظيم الهامة ؛ فإنهم زعموا أن هذه الصورة لا يابق بصاحبها الذكاء والفطنة .

وإذا احتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتّاب والخطباء والأدباء والشعراء وأوساط الناس وسوقهم ، فخطب كُلاً على قدر أئبته وجلالته ، وعلوه وارتفاعه ، وتفطنه وانتباهه ، واجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام ، فأربعة منها للطبقة العلوية ، وأربعة دونها ، ولكل طبقة منها درجة ، ولكل قسمة حظ لا يتسع للكتّاب البليغ أن يقصر بأهلها عنها ، ويقاب معناها إلى غيرها . فالطبقة العليا : الخلافة التي أجل الله قدرها ، وأعلى شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير والمخاطبة والترسل . والطبقة الثانية الوزراء والكتّاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم ، ويرتقون الفتوق بأرائهم ، ويتجملون بأدابهم . والطبقة الثالثة : أمراء ثغورهم وقواد جيوشهم ، فإنه يجب مخاطبة كل امرئ منهم على قدره وموضعه وحظه وغفائه^(۲) وجزائه واضطلاعه بما حمل من أهباء أمورهم ، وجلائل أعمالهم . والطبقة الرابعة : القضاة ، فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء ، فمعهم أبهة السلطنة ، وهنية الأمراء .

أما الطبقات الأربع الأخرى ، فهم الملوك الذين أوجبت نعمهم تعظيمهم في الكتب إليهم ، وأفضالهم تفضيلهم فيها . والثانية : وزراءهم وكتّابهم وأتباعهم الذين بهم تُقرع أبوابهم ، وبعنائيتهم تستباح^(۳) أموالهم . والثالثة : هم العلماء الذين يجب توقيرهم في الكتب ، إشرف العلم وعلو درجة أهله . والرابعة : أهل القدر والجلالة والظرف والحلاوة والطلاوة^(۴) والعلم والأدب ، فإنهم يضطرونك بحدة أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم وأدبهم وتصفحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مكاتبتهم .

(۱) الفاره من الدواب : الجيد السير ، واستفزهها : استكرمها أي انتقاها كريمة فارهة .

(۲) أي كفايته . (۳) استباحه : سأله العطاء ، وفي المقدم « تسباح » وهو تحريف .

(۴) الطلاوة مثلثة : الحسن والبهجة .

واستغفنا عن الترتيب للتجار والسوقة والعوام رتبة ، لاستغفناهم بتجارتهن
عن هذه الآلات ، واشتغالهم بمهماتهن عن هذه الأدوات .

ولكل طبقة من هذه الطبقات معانٍ ومذاهبٌ يجب عليك أن تراعيها في مراسلتك
إياهم في كتبك ، فتزِن كلامك في مخاطبتهم بميزانه ، وتُعطيَه قِسْمه ، وتوفِّيَه نصيبه ،
فإنك متى أهملت ذلك وأضعته ، لم آمن عليك أن تعدل بهم عن طريقهم ، وتسلك بهم
في غير مسالكهم ، وتجرى شعاع بلاغتك في غير مجراه ، وتنظم جوهر كلامك
في غير مسلكه .

فلا تعتد^(۱) بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظاً جزلاً لا ثقاً بمن كاتبته ، ومشابها لمن
راسلته ، فإن إلباسك المعنى - وإن شرف وصلح - لفظاً مختلفاً عن قدر المکتوب
إليه ، لم تجر به عادتهم ، تهجين^(۲) للمعنى ، وإخلال بقدره ، وظلم لحق المکتوب
إليه ، ونقص مما يجب له ؛ كما أن في اتباع^(۳) تعارفهم ، وما انتشرت به عادتهم ،
وجرت به سنتهم ، قطعاً لعذرهم ، وخروجاً من حقوقهم ، وبلوغاً إلى غير غاية مرادهم ،
وإسقاطاً لحجة أدبهم ، فمن^(۴) الألفاظ المرغوب عنها ، والصدور المستوحش منها ،
في كتب السادات والأمراء والملوك - على اتفاق المعاني - مثل : « أبقاك الله طويلاً »
و « عمرك ملياً^(۵) » وإن كنا نعلم أنه لا فرقان بين قولهم : « أطال الله بقاءك »
وبين قولهم : « أبقاك الله طويلاً » ولكنهم جعلوا هذا أرجح وزناً ، وأنبه قدراً ،
في مخاطبة الملوك ، كما أنهم جعلوا : « أكرمك الله وأبقاك » أحسن منزلةً في كتب
الفضلاء والأدباء ، من « جِئْتُ فداك » على اشتراك معناه ، واحتماله أن يكون فداءً
من الخير ، كما يحتمل أن يكون فداءً له من الشر ، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(۱) في رسائل البغاء « فلا يفيد المعنى الجزل » . (۲) التهجين : التقبيح .
(۳) في رسائل البغاء « كما أن في امتناع تعارفهم ... وضعاً لفدركم » وهو تحريف .
(۴) في العقد « ضمن » وهو تحريف .
(۵) عمره الله وعمره : أبقاه ، وملياً : أى دهرأ طويلاً ، والفرق والفرقان واحد .

قال سعد بن أبي وقاص : « ازم ، فذاك أبي وأمي » لكرهت ، أن يكتب بها أحد .
على أن كتاب العسكر وعوامهم قد أولعوا بهذه اللفظة ، حتى استعملوها في جميع
محاوراتهم ، وجملوها هجيراً^(۱) في مخاطبة الشريف والوضيع ، والكبير والصغير
ولذلك قال محمود الوراق :

كُلُّ مَنْ حَلَّ « سُرَّ مَنْ رَا » مِنَ الْفَا س ، وَمَنْ يُصَاحِبِ الْأَمْلَا كَا
لَوْ رَأَى الْكَلْبَ مَائِلًا فِي طَرِيقِ قَالَ لِلْكَلْبِ : يَا جُعِلْتُ فِدَا كَا
وكذلك لم يُجيزوا أن يكتبوا بمثل « أبقاك الله وأمتع بك » إلا إلى الحرمة
والأهل والتابع المنقطع إليك ، وأما في كتب الإخوان فغير جائز ، بل مذمومٌ
مرغوبٌ عنه ؛ ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أَحَلَّتْ عَمَّا عَهَدْتُ مِنْ أَدَبِكَ أَمْ نِلْتِ مُدَاكَ فِتْهَتْ فِي كُتُبِكَ؟^(۲)
أَمْ هَلْ تَرَى أَنَّ فِي التَّوَاضُعِ لِلْإِخْوَانِ نَقْصًا عَلَيْكَ فِي حَسَبِكَ؟
أَنْعَبْتَ كَفَيْكَ فِي مَكَاتِبِي حَسْبُكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي تَعْبِكَ
إِنَّ جَفَاءَ كِتَابُ ذِي أَدَبٍ يَكْتُبُ فِي صَدْرِهِ : « وَأَمْتَعْ بِكَ »^(۳)
فكتب إليه محمد بن عبد الملك :

أَنْكَرْتَ شَيْئًا فَاسْتُ فَاعِلُهُ فَإِنْ تَرَاهُ يُخَطُّ فِي كُتُبِكَ
فَاعْفُ - فَدَتِكَ الْفَنُوسُ - عَنْ رَجُلٍ يَبِشُ حَقِي الْمَاتِ فِي أَدَبِكَ
كَيْفَ أَخُونُ الْإِخَاءَ يَا أَمَلِي وَكُلُّ شَيْءٍ أَنْالُ مِنْ سَبَبِكَ
إِنْ بِكَ جَهْلًا أَنْتَاكَ مِنْ قَبْلِي فَعُدْ بِفَضْلِ عَلِيٍّ مِنْ حَسَبِكَ

(۱) يقال : هذا هجيراً : أي دابه وشأنه .

(۲) حال يحول : تحول وتغير ، والتيه بالكسر : الكبر والصفاء .

(۳) وفي رواية العقد الفريد :

أكان حفا كتاب ذي مقة يكون في صدره : « وأمتع بك » ؟

وأما صدورُ السَّلفِ فإنما كانت من فلان بن فلان إلى فلان ، كذلك جَرَتْ
كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العلاء بن الحضرمي ، وإلى أقبال اليماني ،
وإلى كسرى وقنصر ، وكتب أصحابه والتابعين كذلك ، حتى استخلص الكتاب هذه
المُجدَّات من بدائع الصدور ، واستنبطوا لطيف الكلام ، ورتبوا لكل رتبة ،
وجروا على تلك السُّنة الماضية إلى عصرنا هذا في كتب الخلفاء والأمراء ، وثبتوا
على ذلك المنهج في كتب الفتوحات والأمانات والسُّجلات .

ولكل مكتوب إليه قدرٌ ووزنٌ ينبغي للكاتب أن لا يتجاوز به عنه ، ولا
يقصر به دونه ، وقد رأيتهم عابوا الأحوص (١) حين خاطب الملوك بخاطبة العوام في قوله :
وأراك تفعل ما تقول ، وبعضهم مَذِقُ الحديث ، يقول ما لا يفعل (٢)
فهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجَّلوا أقدار الملوك أن يُمدِّحوا بما يمدح به
العوام ، لأن صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان مدحا ، فهو واجب على كل ،
والملوك لا يُمدِّحون بالفروض الواجبة ، وإنما يحسن مدحهم بالنوافل (٣) ، لأن المادح
لو قال لبعض الملوك : إنك لا تزني بحليلة (٤) جارك ، وإنك لا تخون ما استودعت ،
وإنك تصدق في وعدك ، وتفي بهدك ، كان قد أثنى بما يجب ، ولكنه لم يصل
بذئته إلى مقصد ، وقال ما لا يستحسن مثله في الملوك .

ونحن نعلم أن كل أميرٍ تولى من أمور المؤمنين شيئا فهو أمير المؤمنين ، غير
أنهم لم يُطلقوا هذه اللفظة إلا للخلفاء خاصة ، ونعلم أن الكيس هو العقل إذا
عَنوا به ضدَّ الحُقى (٥) ، ولكنك لو وصفت رجلا فقلت : « إن فلانا لعاقل »

(١) شاعر أموي من أهل المدينة توفي سنة ١٠٥ - انظر ترجمته في الأغاني ٤ : ٤٠ ، والشعر
والشعراء ص ٢٠٤ .

(٢) مذاق اللبن كنصر مذاقا فهو ممذوق ومذيق ومذق كفرح : خلطه بالماء ، ومنه قيل : فلان
يمذق الود : إذا لم يخلصه .

(٣) النوافل ، جم نافلة ، وهي ما فعله مما لم يجب . (٤) الحليلة : الزوجة .

(٥) وله معان أخر ، وهي : الجود والطيب والجماع والغلبة بالكياسة .

كنت قد مدحته عند الناس ، ولو قلت : « إنه كَيْسٌ » كنت قد قصرت به عن وصفه ، وصفرت من قدره ، إلا عند أهل العلم باللغة ، لأن العامة لا تلتفت إلى معنى الكلمة إلا إلى حيثُ جرتُ منها العادة في استعمالها في الظاهر ، إذ كان استعمال العامة لهذه الكلمة مع الخدانة والغرّة وخساسة النفس وصغر السنّ ، وقد روينا عن عليّ رضي الله عنه أنه تبجّج^(۱) بالكَيْس حين بنى سجن الكوفة فقال في ذلك :

أما تراني كَيْسًا مُكَيْسًا بنيتُ بعد نافعٍ مُخَيَّسًا^(۲)
* حصنا حصينا وأمينا كَيْسًا^(۳) *

وقال الشاعر :

« ما يصنع الأحقُّ المرزوقُ بالكَيْسِ ، ونَعْلَمُ أن الصلاة رحمة ، غير أنهم قد حرّموها^(۴) » إلا على الأنبياء ، كذلك روى عن ابن عباس رضي الله عنه ، وسمع سعد بن أبي وقاص أخاه يُلبّي ويقول في تليته : « كَبَيْك يا ذا المَعَارِجِ^(۵) » فقال : نحن نعلم أنه ذو المَعَارِجِ ، ولكن ليس كذلك ، كنا نلبي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما كنا نقول : كَبَيْك اللهم كَبَيْك » وكان أبو إبراهيم المزني قال في بعض

(۱) تبجج بالشيء : إذا نخر به ، وفي العقد « أنه تسمى بالكيس » .

(۲) الكيس المكيس . الظريف والمعروف بالكيس ، والمخيس بكسر الباء المشددة وفتحها : السجن ، لأنه يخيس المحبوسين أي يذلهم ، أو هو موضع التخيس ، واسم سجن بناه علي رضي الله عنه بالكوفة ، وكان أولاً بنى سجناً بها سماه نافعاً ، وكان غير مستوثق البناء - وكان من قصب - فكان المحبوسون يهربون منه ، وقيل لأنه نقب وأفلت منه المحبسون ، فهدمه علي وبنى لهم المخيس من مدر، وجاء في شفاء الغليل ص ۱۰۹ : « ولم يكن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم سجن ، وكان يجلس في المسجد أو في الدهاليز حيث أمكن ، فلما كان زمن سيدنا علي رضي الله عنه أحدث السجن ، وكان أول من أحدثه في الإسلام ، وسماه نافعاً ولم يكن حصينا ، فانفلت الناس منه ، فبنى آخر وسماه مخيساً وقال فيه »

(۳) في الأصل « وأميراً » وفي اللسان والقاموس والشفاء « وأمينا » .

(۴) في العقد « كرهوا الصلاة » .

(۵) المَعَارِج بكسر الميم والمَعْرَج بكسرها وفتحها : السلم . والمرقاة ، بالكسر والفتح أيضاً .

ما خاطب به داود بن خائف الأصبهاني : « وإن قال كذا فقد خرج عن الملة ،
والحمد لله » فنقض ذلك عليه داود ، وقال فيما رد عليه : تحمد الله على أن تُخرج امرأ
مسلماً من الإسلام ! هذا موضع استرجاع ، والحمد مكان يليق به وإنما يقال في المصيبة :
« إنا لله وإنا إليه راجعون » .

فامتثل هذه الرسوم والمذاهب ، وأجر على آدابهم ، فلكل رسوم امتثلوها ،
وتحفظ في صدور كتبك وفصولها ، وافتتاحها وخاتمها ، وضع كل معنى في موضع
يليق به ، وتخير لكل لفظة معنى يشاكلها ، وليكن ما تحتم به فصولك في موضع
ذكر الشكوى بمثل : « والله المستعان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » وفي موضع
ذكر البلوى : « نسأل الله دفع المحذور ، ونسأل الله صرف السوء » وفي موضع ذكر
المصيبة بمثل « إنا لله وإنا إليه راجعون » وفي موضع ذكر النعم بمثل : « والحمد لله
خالصاً ، والشكر لله واجباً » فإنها مواضع ينبغي للكاتب تفقدها ، فإنما يكون كاتباً
إذا وضع كل معنى في موضعه ، وعلق كل لفظة على طبيعتها من المعنى ، فلا يجعل أول
ما ينبغي له أن يكتب في آخر كتابه في أوله ، ولا أوله في آخره ، فإن سمعت
جعفر بن محمد الكاتب يقول : « لا ينبغي للكاتب أن يكون كاتباً ، حتى لا يستطيع
أحد أن يؤخر أول كتابه ، ولا يقدم آخره » .

واعلم أنه لا يجوز في الرسائل استعمال ما أتى في آي القرآن ، من الاقتصار
والحذف ، ومخاطبة الخاص بالعام ، والعام بالخاص ، لأن الله سبحانه وتعالى إنما
خاطب بالقرآن قوماً فصحاء ، فهموا عنه جل ثناؤه أمره ونهيه ومُراده ، والرسائل
لها يخاطب بها قوم دُخلوا على اللغة لا علم لهم بلسان العرب ، وكذلك ينبغي
للكاتب أن يتجنب اللفظ المشترك والمعنى الملبس ، فإنه إن ذهب الكاتب على مثل
قوله تعالى : « وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ^(۱) » وقوله :

(۱) تأويله : واسأل أهل القرية .

« بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » احتجاج أن يبين معناه : بل مكركم بالليل والنهار ، ومثل هذا في القرآن كثير لا يتسع الكتاب لذكره .

وكذلك لا يجوز أيضا في الرسائل والبلاغات المشهورة ما يجوز في الأشعار الموزونة ، لأن الشاعر مضطر ، والشعر مقصور^(١) مقيد بالوزن والقوافي ؛ فلذلك أجازوا لهم صرفَ ما لا ينصرف من الأسماء ، وحذف ما لا يحذف منها ، واغتفروا فيه الإغراب وسوء النظم ، وأجازوا فيه التقديم والتأخير ، والإضمار في موضع الإظهار وذلك كله غير مُسَاغ^(٢) في الرسائل ، ولا جائز في البلاغات ، فمما في الشعر من الحذف :

قول الشاعر :

« قَوَاطِنًا مَكَّةَ مِنْ وَرْقِ الحَمِي^(٣) »

يعنى الحمام

وقول الآخر :

« صِفْرُ الوِشَاحِينَ صَمُوتُ الخَلْخَلِ^(٤) »

يريد الخلخال

وكتقول الآخر :

« دَارُ لِيَامِي إِذْهِ مِنْ هَوَا كَأ^(٥) »

يريد إذ هي

(١) أي مقيد ، من القصر وهو الحبس .

(٢) من أساغ فلان الشراب : إذا ابتلعه بسهولة ، وفي القصد « منساع » أي جائز ، بناء من انساع وجعله مطاوعا لساغ ، يقال : ساع له ذلك ، أي جاز فهو سائع أي جائز ، ولاداعي إلى استعمال المطاوع هنا مادام الفعل يؤدي المعنى .

(٣) قاله العجاج ، ويروى في شواهد كتب النحو (باب إعمال اسم الفاعل) « أو القاء » ، وورق : جمع ورقاء ، وهي الحمامة التي يضرب بياضها إلى سواد ، والحمي : أصله الحمام حذفت الميم الأخيرة وقلبت الألف ياء ، وقلبت الفتح كسرة للروى .

(٤) الوشاح : أديم عريض يرصع بالجوهر ، تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها ، والصفير : الخالي ، وصفير الوشاحين : أي ضامرة الحصرين ، وقال صاحب اللسان : « والخلخال كجفرف وبرقع من الحلي : معروف ، قال الشاعر : « براءة الجيد صوت الخلخال » ثم قال : « والخلخال كالخلخال ، والخلخال لفة في الخلخال أو مقصور منه ، واحده خلخال النساء » .

(٥) جاء في شرح التصريح (١ : ١٠٣) : « وفي هو وهي الجميع ضمير ، وهو مذهب البصريين وذهب الكوفيون إلى أن الضمير هو الماء فقط ، والواو والياء لإشباع وفي حاشية الصبان (١ : ٨٩) =

و كقول الحطيئة :

فيه الرماحُ وفيه كلُّ ساِبِغَةٍ جدلاءِ مَسْرُودَةٍ مِنْ صُنْعِ سَلَامٍ (١)

يريد سليمان بن داود ، و كقول النابغة :

« وَاسْجُ سُلَيْمٍ كُلَّ قَضَاءِ ذَائِلِ (٢) »

« وقد تحذف الواو والياء منهما اضطراراً ، وتسكنهما قيس وأسد ، وتشدهما همدان » .

أقول : ومما جاء بالتشديد قول الشاعر : وإن لسانى شهدة يشتقى بها وهو على من صبه الله علقم
وهاك كلمة لصاحب اللسان في هذا الصدد قال : « قال الكسائي : هو ، أصله أن يكون على ثلاثة
أحرف مثل أنت ، فيقال : هو فعل ذلك ، ومن العرب من يخففه فيقول : هو فعل ذلك ، وحكى الكسائي
عن بنى أسد وتيم وقيس . هو فعل ذلك ، باسكان الواو ، وأنشد لعبيد :

وركضك لولا هو لقيت الذى لقوا فأصبحت قد جاوزت قوما أعاديا
وقال الكسائي : بعضهم يلقى الواو من هو إذا كان قبلها ألف ساكنة فيقول : حتاه فعل ذلك وإنما

فعل ذلك ، قال : وأنشد أبو خالد الأسدي : * إذاه لم يؤذن له لم ينبس *
قال : وأنشدني خشاف : إذاه سام الحسف آلى بقسم بالله لا يأخذ إلا بالاحتكم
قال : وأنشدنا أبو مجالد للعجير السلولي :

فبيناه يشرى رحله قال قائل لمن جل رث المتاع نجيب

وقال ابن جني : وإنما ذلك لضرورة في الشعر ، وللتشبيه للضمير المنفصل بالضمير المتصل في عناه وقناه ،
ولم يقيد الجوهري حذف الواو من هو بقوله إذا كان قبلها ألف ساكنة ، بل قال : وربما حذف من هو
الواو في ضرورة الشعر ، وأورد قول الشاعر : فبيناه يشرى رحله ، وكذلك الياء من هي ، وأنشد :
« دار لسعدى إذ من هواكا » اه - لسان العرب ج ٢٠ : ص ٣٦٦ .

(١) الهاء في فيه تعود على قوله في بيت قبله :

وججعل كجهم الليل منتجم أرض العدو بيؤس بعد لانعام

ودرع ساِبِغَةٍ : تامة طويلة ، ودرع جدلاء : محكمة ، والسرد : نسج الدرع ، وسلام : يعنى
سليمان بن داود عليهما السلام - وإنما أراد داود - وكان يصنع الدروع ، قال تعالى فيه :
« وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ » وقال « وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ

لِبُؤْسِ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ » واللبوس : الدرع ، والبيت من قصيدة للحطيئة

في مدح أبي موسى الأشعري - انظر ديوان الحطيئة ص ٣٦ .

(٢) هو شطر بيت من قصيدة للنابغة الذبياني ، قالها في وقعة غزو عمرو بن الحرت الأصغر الفسائي

لبنى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان - انظر ديوان النابغة ص ٩١ - والبيت :

وكل صموت تثلة تبعية ونسج سليم كل قضاء ذائل

والصموت كصبور : الدرع الثقيلة ، والتثلة بالفتح : الدرع الواسعة ، وتبعية نسبة إلى تبسج ،
وسليم : أى سليمان ، يريد داود كما تقدم ، والقضاء : الدرع المحكمة ، ودرع ذائل وذائلة ومذالة
جضم الميم : طويلة .

وقول الآخر : « من نسج داودِ أبي سلامٍ ^(۱) »

وقول الآخر : « والشيخ عثمان أبي عفان »

أراد عثمان بن عفان ، وكما قال الآخر :

وسائلةٍ بشعلبة بن سسيرٍ وقد علقَتْ بشعلبة العلوُق ^(۲)

أراد ثعلبة بن سيار ، وقول الآخر :

ولستُ بآتيه ولا أستطيعه ولاك استقني إن كان ماؤك ذا فضلٍ ^(۳)

أراد ولكن :

وكذلك ينبغي في الرسائل ألا يصغر الأسم في موضع التعظيم ، وإن كان

ذلك جائزا ، مثل قولهم : دُوَيْهِيَّة تصغير داهية ، وجُدَيْل تصغير جدل ، وعُدَيْق

تصغير هذق ، قال لبيد :

وكلُّ أناسٍ سوف تدخل بينهم دُوَيْهِيَّةٌ تصغرُ منها الأنامل ^(۴)

وقال الحباب بن المنذر يوم سقيفة بني ساعدة : « أنا عُدَيْقُهَا المُرْجَبُ ،

وجُدَيْلُهَا المَحْكَكُ ^(۵) » .

(۱) هو شطر بيت للأصود بن يعفر - انظر لسان العرب ١٥ : ١٩٣ - والبيت :

ودعا بمحكمة أمين سكرها من نسج داود أبي سلام

(والسك بالفتح : الدرع الضيقة الحلق) قال صاحب اللسان : وقالوا في سليمان اسم النبي صلى الله

عليه وسلم : سليم وسلام فغيروه ضرورة ، قال : ومثل ذلك في أشعارهم كثير ، واستشهد بالأبيات الثلاثة المذكورة ، وبشاهد آخر وهو :

مضاعفة تخيرها سليم كأن قنبرها حدق الجراد

(والقنبر بالفتح : رهوس مسامير حلق الدرع) .

(۲) العلوُق . المنية ، وجاء في اللسان (٦ : ٥٨) « جعله سيرا للضرورة ، لأنه لم يتمكنه سيار

لأجل الوزن ، قال ابن بري : البيت للفضل السكري بذكر أن ثعلبة بن سيار كان في أسره » .

(۳) البيت للنجاشي من أبيات قالها في ذئب لقيه على ماء فدعاه أن يؤاخيه - انظر الأبيات

في حاشية الأمير على المفتي ج ١ : ٢٠٨ - .

(۴) المراد بالدويهية : الموت .

(۵) قال الحباب ذلك وقد قام يطلب بحق الأنصار في الخلافة - انظر جمهرة خطب العرب ١ : ٦٥ -

والجديل تصغير الجذل (بالكسر) وهو أصل الشجرة ، وعود ينصب للإبل الجربي لتحنك به وتتمرس =

ومما لا يجوز في الرسائل ، وكرهوه في الكلام أيضاً ، مثل قولهم : كَلْتُ إِيَّاكَ
وأعني إياك ، وهو جائز في الشعر ، قال الشاعر :

وأحسِنْ وأجملْ في أسيرك إنه ضعيفٌ ، ولم يأمِرْ كإياك آمِرٌ

وقال الراجز :

« إياك حتى بلغت إياك »

وإساءةُ النظم في التأليف في الشعر كثير .

وتكون الكلمة بشعةً حتى إذا وُضعت موضعها ، وقرنت مع أخوانها ،

حَسُنَ حالها وراقت ، كقول الحسن بن هاني^(١) : « ذُو خَصِيرٍ أَفَلَّتْ مِنْ كَدِّ

الْبَيْلِ^(٢) » والكُدُّ كلمة قَلِقة لا سيما في الرقيق والغزل والتشبيب ، غير أنها لما

وقعت في موضعها حَسُنَتْ ، كما أن اللفظة العذبة إذا لم توضع موضعها نَفَرَتْ ،

قال الشاعر :

رَأْتُ عَارِضًا جَوْنًا فَقَامَتْ غَرِيرَةٌ بِمِسْحَاتِهَا قَبْلَ الظَّلامِ تَبَادِيرُهُ^(٣)

فأوقع الجلف^(٤) الجاني هذه اللفظة غير موقعها ، وظلمها إذ جعلها في غير مكانها ،

لأن المَسَاحِي لا تكون ولا تصلح للغرائر ، وأين كان عن قول الشاعر :

غَرَائِرُ ، مَا حَدَّثَنَ يَهْدِينِ أَنَسُهُ فَمَا فَوْقَهُ مِنْهُنَّ غَيْرُ غَرَائِرِ

حديثٌ لَوْ أَنَّ الْعَصَمَ تَدَعَى بِهِ أَتَتْ وَدُونَ يَدِ الْفَحْشَاءِ حَدُّ الْبَوَاتِرِ^(٥)

فتغَيَّرَ من الألفاظ أرجحها وزنا ، وأجزلها معنى ، وأشرَفها جوهرًا ، وأكرمها

والمحكك : الذي تتحكك به ، والمذيق تصغير المذق (بالفتح) : وهو النخلة ، والمرجب الذي

جعل له رجبة (كركبة) وهي دعامة تبني حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت

تخوفوا عليها أن تنقع من الرياح العواصف ، وهو مثل ، والمراد أنه رجل يستثنى برأيه وعقله .

(١) هو أبو نواس الشاعر العباسي المشهور .

(٢) ذو خصر : أي ذو ثغر خصر أي بارد ، وفي الأصل « حضر » وهو تصحيف .

(٣) العارض : السحاب المعترض في الأفق ، والجون : الأسود (والأبيض أيضاً ، ضد) والمسحاة

ماسحى به الطين ، أي قشر وجرف ، والغريرة : الشابة لا تجربرة لها .

(٤) الجلف : الجال .

(٥) أنسه : أي أنس الحديث ، والعصم : جم أعصم ، وهو الوعل الذي في ذراعيه بياض وسائر أسود

أو أحمر ، والبائر : السيف القاطم .

حَسَبًا، وَأَلْيَقَهَا فِي مَكَانِهَا ، وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا ، وَابْيَضَّ فِي صَدْرِ كِتَابِكَ دَلِيلٌ
وَاضِحٌ عَلَى مُرَادِكَ ، وَافْتِتَاحُ كَلَامِكَ بُرْهَانٌ شَاهِدٌ عَلَى مَقْصِدِكَ ، حَيْثُمَا جَرَيْتَ فِيهِ
مِنْ فَنُونِ الْعِلْمِ ، وَنَزَعْتَ نَحْوَهُ مِنْ مَذَاهِبِ الْخَطْبِ وَالْبَلَاغَاتِ^(۱) ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْزَلُ
لِعِنَاكَ ، وَأَحْسَنُ لِاتِّسَاقِ كَلَامِكَ ، وَلَا تُطَيِّبَنَّ صَدْرَ كَلَامِكَ إِطَالَةً تُخْرِجُهُ عَنْ
حَدِّهِ ، وَلَا تَقْصُرْ بِهِ عَنْ حَقِّهِ ، وَلَوْ صُوِّرَ اللَّفْظُ وَكَانَ لَهُ حَدٌّ ، لَوْ قَفَّتْكَ عَلَيْهِ ، غَيْرَ
أَنَّهُمْ - فِي الْجُمْلَةِ - كَرِهُوا أَنْ يَزِيدُوا صُدُورَ كِتَابِ الْمُلُوكِ عَلَى سَطْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ،
وَهَذِهِ إِشَارَةٌ لَا تَعْبُرُ إِلَّا عَنِ الْجُمْلَةِ مِنَ الْمَقْصُودِ إِلَيْهِ ، لِأَنَّ الْأَسْطُرَ غَيْرَ مَحْدُودَةٍ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَوَّلَ مَا يَنْبَغِي لَكَ ، أَنْ تُصَلِّحَ آلَتَكَ الَّتِي لَا بَدَّ لَكَ مِنْهَا ، وَأَدْوَانِكَ
الَّتِي لَا تَتَمُّ^(۲) صِنَاعَتِكَ إِلَّا بِهَا ، وَهِيَ دَوَانَتُكَ ، فَابْدَأْ بِعِمَارَتِهَا وَإِصْلَاحِهَا^(۳) ، وَتَحْيِزِ
لِهَا لَيْقَةً^(۴) نَقِيَّةً مِنَ الشَّعْرِ وَالْوَدْحِ ، لِثَلَاثِ مَخْرَجٍ عَلَى حَرْفِ قَلَمِكَ مَا يُفْسِدُ كِتَابَتَكَ ،
وَيَسْغَلُكَ بِتَفْقِيئِهِ ، وَخَذْ مِنَ الْمِدَادِ الْفَارِسِيِّ خَمْسَةَ دَرَاهِمٍ ، وَمِنَ الصَّمْغِ الْعَرَبِيِّ دَرَاهِمًا ،
وَعَفْصًا^(۵) مَسْحُوقًا نِصْفَ دِرْهَمٍ ، وَرَمَادَ الْقِرَطَاسِ الْمُحْرَقِ دَرَاهِمِينَ ، ثُمَّ تَسْحَقْهَا
وَتَغْرُبْهَا ، وَتَجْمَعْهَا بِبِيضِ الْبَيْضِ ، ثُمَّ بِنْدِيقِهَا^(۶) وَاجْعَلْهَا فِي الظِّلِّ ، فَإِذَا احْتَجَّتْ
إِلَيْهَا أَخَذْتَ مِنْهَا مِقْدَارَ حَاجَتِكَ فَكَسَرْتَهُ وَحَشَوْتَهُ بِهِ دَوَانَتَكَ ، وَإِذَا نَقَعْتَهُ فِي مَاءِ
السَّلْقِ حَتَّى يَنْحَلَّ وَيَذُوبَ وَيَخْتَمِرَ ، ثُمَّ أَمَدَدْتَ مِنْ مَائِهِ دَوَانَتَكَ ، كَانَ
أَجُودًا وَأَنْقَى .

ثُمَّ اخْتَرْتُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ أَنْيَابِ الْقَصَبِ الَّتِي بِصَاحِجِ لِكِتَابَةِ الْقِرَاطِيسِ ، أَقْلَهُ عُقْدًا ،

(۱) فِي الْعُقْدِ « وَأَفْضَلُ الْكُتُبِ مَا كَانَ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ دَلِيلٌ عَلَى حَاجَتِهِ ، كَمَا أَنَّ أَفْضَلَ الْآيَاتِ مَا دَلَّ
أَوَّلَ الْبَيْتِ عَلَى قَافِيَتِهِ .

(۲) فِي الْعُقْدِ « لَا تَتَمُّ » .

(۳) وَفِي الْعُقْدِ « فَلْيَنْعَمْ رَبُّهَا لِإِصْلَاحِهَا » أَيْ فَلْيَجِدْ .

(۴) اللَّيْقَةُ : الصَّوْفَةُ الَّتِي تَوْضَعُ فِي الدَّوَانَةِ ، وَالْوَدْحُ : مَا تَعْلَقُ بِأَصْوَابِ الْغَنَمِ مِنَ الْبَعْرِ وَالْبُولِ . وَفِي
الْأَصْلِ « الْوَدْحُ » وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(۵) الْعَفْصُ : الَّذِي يَتَّخِذُ مِنْهُ الْحَبِيرُ ، مَوْلِدٌ ، وَبَلِيْسٌ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ .

(۶) أَيْ اجْعَلْهَا بِنَادِقٍ ، وَالْبِنْدِيقُ : الَّذِي يَرْمِي بِهِ وَاحِدَتَهُ بِنَدَقَةٍ .

وأكثفه لحماً ، وأصلبه قشراً ، وأعدله استواءً ، وتجنب الأقلام الفارسية ما استطعت ،
فإنها ما تصلح إلا للكواغيد والرقوق^(١) .

واجعل لقلمك برية حادة ، فإن تمثر يد الكاتب وقت قطع القرطاس ، ناقص
مروءته ، ومخيل بظرفه ، وإن قدرت ألا تقطع القرطاس إذا فرغت من كتابك
إلا بخرطوم قلمك ، فافعل ، فإن ذلك أكمل لمروءتك ، وأبدع لظرفك ،
وقطعك .

واستعمل لبري القلم سيكينا طواويسيا^(٢) ، مذاق الحد ، وميض الطرف ،
فيكون ذلك عوناً لك على بري أقلامك ، فإن محل القلم من السكاتب محل الرمح
من الفارس ، وإن قيل كأنه الرمح الرديني^(٣) ، لقد قال السكاتب كأنه القلم
البحري ، وتفقد الأنوبة قبل بريكها لثلاث جعلها منكوسة ، وأبرها من ناحية
نبات القصب ، وأرهف^(٤) - ما قدرت - جانبي قلمك ، إبرد ما انتشر من المداد ،
ولا تطل شقه . فإن القلم لا يمسح المداد من شقه إلا مقدار ما احتملت شعبتاه^(٥) .
فرفع شعبتيه ليجمعاً لك حواشي تصويره .

(١) الرقوق : جمع رق بالفتح ويكسر : وهو جلد رقيق يكتب فيه .

(٢) نسبة إلى طواويس ، وهي اسم ناحية من أعمال بخارى بينها وبين سمرقند ، وذلك السكين
وذلقه وأذلقه : حده .

(٣) الرديني : نسبة إلى ردينة ، وهي امرأة سمرقند ، وكانا يقومان الرماح بخط هجر .

(٤) رهف كمنغ وأرهف : رفته .

(٥) في الأصل « شبتاه » ، فأرفع شبتيه ليجمعاً لك حواشي تحضيره « وهو تحريف ، جاء في أدب
الكتاب ص ٨٦ : « من كلام مسلم بن الوليد ، في صفة بري القلم قوله : « حرف قطة قلمك قليلاً ليعلق
المداد به ، وأرهف جانبيه ليرد ما استودعته إلى مقصده ، وشق في رأسه شقا - غير عاد - ليجنب
الاستمداد عليه ، ورفع من شعبتيه ليجمعاً حواشي تصويره . . . » وأورد صاحب صبح الأعشى قول
مسلم في ذلك (٣ : ٦) وفيه : « ما خلا قلماً جوف باريه بطنه ليعلق المداد به ، وأرهف جانبيه ليرد
ما انتشر منه إليه ، وشق رأسه ليجنب الاستمداد عليه ، وأربع من شفتيه ليجمعاً حواشي تصويره
إليه . . . » والصواب : ورفع من شعبتيه كما قدمنا .

وأما قَطُّ القلم فعلى قدر القلم الذى يتعاطاه الكاتب من الخطِّ ، غير أن المُسَلَّسَ (١) لا يكاد يتسلسل إلا بالقلم المربع القطِّ ، كما أن كتب الملوك والسجلات لا تحسن إلا بالقلم المحرف الكوفى ، وأما قلم اللازورد فهو المعتمد عليه والمقصود إليه فى النوائب والمهمَّات .

ورأيت كثيرا من الكتاب يختارون قلم التَّرجِسَ - ليجعده وتجانسه ، ومن اللازورد أبسط منه وأقوم حروفا ، وأما الموشع والمولع والمدجج والمنعم والمسهَّم ، فعلى قدر رشاقة خط الكاتب وحلاوة قلمه ، وأما حسن الخط فاستأجدله حدًّا أقف عليه أكثر من قول على النصرَ أباذى (٢) الكاتب ، فإنى سألته واستوصفته الخطِّ ، فقال : أعلمك الخط فى كلمة واحدة ، فقلت له : تفضل بذلك ، فقال : لا تكتبن حرفا حتى تستفرغ مجهودك فى كتابة الحرف المبدوء به ، وتجعل فى نفسك أنك لا تكتب غيره ، حتى لا تعجل (٣) عنه إلى غيره ، وإياك والنقط والشكل فى كتابك ، إلا أن تمر بالحرف المُعْضِل الذى تعلم أن المكتوب إليه يعجز عن استخراجِه ، فإنى سمعت سعيد بن حميد الكاتب يقول : « لَأَنْ يُشَكِّلَ عَلَى الحرف ، أحب إلى من أن يعاب بالنقط والإعجام » وقال المأمون لكتابه : إياكم والشونيز (٤) فى كتبكم ، يعنى النقط ؛ ولذلك قال ابن هانى :

لم ترضَ بالإعجام حين كتبه حتى كتبتَ السَّبَّ بالإعراب

ولا تُغْفَلِ الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام ، فقد قال أبو العيناء : « إن

(١) فصل الفلقشندي فى صبح الأعشى الكلام على أنواع الأقلام فى الفصل الثانى من الباب الثانى فى الخط - اقرأ هذا الفصل فى ج ٣ : ص ٥ - ١٥٢ من باب الخط (ج ٢ : ص ٤٤٠ - ج ٣ : ص ٢٢٦)

(٢) نسبة إلى نصرأباز : محلة بنيسابور ، ومعناها بالفارسية عمارة نصر ، تنسب إلى نصر بن عبد العزيز الخزاعى ، وكان قد ولى الرى فى أيام السفاح ، ولم يزل عليها إلى أن قتل أبو مسلم الخراسانى ، وفى رسائل البلغاء : « على بن زبير النصرانى » وهو تحريف .

(٣) فى العقد « حتى تعجز عنه » .

(٤) الشونيز : الحبة السوداء ، فارسية ، والكلام على التشبيه .

بنی أمیة هم الذین كانوا أمروا کتَابهم فطَرَحوا ذلك من کتَابهم ، فجرت عادةُ
الکتاب إلى یومنا هذا علی ماسنُوهُ « وقد قال علیه الصلاة والسلام : « لا تجعلونی
کقدَح (۱) الراکب ، ولكن اجعلونی فی أول الدعاء وأوسطه وآخره » صلی الله علیه
وعلی آله وسلم أوّلاً وأوسطاً وآخرأ .

وأحبّ أن تجعل بدلَ الإشارةِ (۲) الترابَ ؛ فإن النبی صلی الله علیه وسلم قال :
« أتربّوا کتَابکم ، فإنه أنجح للحاجة » ولا تدع التاريخ ، فإنه يدل علی تحقیق الأخبار
وقربها وبعدها ، وانظر إلى ما مضی من الشهر وما بقی منه ، فإن کان الماضي أقلّ من
نصف الشهر قلت : لكذا لیلَةٌ مَضَتْ من شهر کذا ، وإن کان الباقی أقلّ من
النصف قلت : لكذا أيضاً بقیتُ ، وقد قال بعض الکتاب : إن الماضي من الشهر
تُخصّیه ، والباقی لا تُخصّیه ، لأنک لا تدری : أیتیمُ الشهرُ أو ینقصُ ، وليس هذا بشیء ،
لأن تاریخ الکتاب لیس من الأحکام فی شیء ، وما علی الکاتب أن یکتب إلا بما
ظہر وتبین لا بما یظن .

ولا تجعل سحاة (۳) کتَابک فلیظنّ إلا فی العهود والسجلات التي تحتاج إلى
خواتمها وطوابعها ؛ فإن محمد بن عیسی الکاتب کاتب آل طاهر أخبر عنهم أن
عبد الله بن طاهر کتب إلى العراق فی إشخاصِ کاتب کان کتب إليه ، فکتب
وغلظ سحاة کتَابهِ ، فردَّ الکتاب إليه ، فقدمَ علیه راجیاً لبرّه وجائزته ، فقال
عبد الله بن طاهر : إن کان معک مسحاة (۴) فاقطع خزَمَ کتَابک وانصرف وراءک ،

(۱) معناه : لا تؤخرونی فی الذکر ، لأن الراکب یعاق قدحه فی آخر رحله عند فراغه من ترحاله
ویجمله خلفه ، قال حسان بن ثابت یهجو أبا سفیان بن الحارث بن عبد المطلب :

وأنت زنیم نیط فی آل هاشم کما نیط خلف الراکب القدح الفرد

(۲) أشر الحشبة کقتل : شقها ، لغة فی النون ، والمثار : المنشار ، قال الشاعر :

* أناشر لا زالت یمنک آشره *

تجمع بین لغتی النون والهمزة ، فالأشارة هی المنشارة الدقیقة التي تتخلف عن شق الحشب .

(۳) سحاة القرطاس : ما أخذ منه ، وسحا القرطاس وسحاه : أخذ منه سحاة ، أو شده بها ،

وسحا الکتاب وسعاه وأسحاه : شده بسحاة .

(۴) المسحاة : كالجرقة إلا أنها من حديد .

وكذلك لاتعظم الطيئة ، ففي المثل : « من عظم الطيئة فإنه مظلوم » ولا تطبّعها إلا بعد عنواناتها ، فإن ذلك من أدبهم^(۱) ، وقد يجب عليك علمُ إصاق القراطيس ونحوها ، ولم أر شيئاً في إصاقها أطف من أن يُنقَع الصمغ العربي في الماء ساعة حتى يذوب ، ثم يُلصَق به ، وكذلك ماء الكثيراء والنشاستج^(۲) ، ثم تطويه طياً رقيقاً ، وتجعله في منديل نظيف ، ويُرفع تحت وسادة حتى يجف . وأما نحوها ، فعلى قدر لطف الكاتب وتأنيه ، غير أنه ينبغي له أن لا يلقط السواد من القراطيس إلا بمثل الشمع المسخن واللبن المصوغ ، وما أشبههما ، ثم يكون لفظه رويداً رويداً ، كلما لقط جانبا حوله إلى الجانب الآخر .

وأما قراءة الكتب المختومة والتلطف لنقض خواتيمها ، فما لا نذكره خوفاً

من سفينة .

وأما تضمين الأسرار في الكتب حتى لا يقرأها غير المكتوب إليه ، ففيه أدب يجب معرفته ، وقد تعلق العامة بالمعنى ، قال الأصبغاني^(۳) : وكان أبو حاتم سهل ابن محمد قد وضع منه أشياء جليلة من تبديل الحروف تبديلاً يخفى ، وألطف من ذلك أن تأخذ لبناً حليماً فتكتب به في قرطاس ، فيذُر المكتوب إليه عليه رماداً حاراً من رماد القراطيس ، فإنه يظهر ما كتبت به إن شاء الله ، وإن كتبت بماء الزاج الأبيض وذُر عليه العفص المدقوق بزاج ، أو بماء العفص وذر عليه شيئاً من الزاج ، أو تنقع شيئاً من وُشَق^(۴) ثم تكتب به ، ثم نثرت عليه الرماد فإنه يظهر ، وإن أحببته لا يقرأ بالنهار ويقرأ بالليل فاكتبه بمرارة السلحفاة .

وإن حاولت صنعة رسالة أو إنشاء كتاب ، فزِن اللفظة قبل أن تُخرجها بميزان

(۱) في الأصل « فإن ذلك مراد بهم » وهو تحريف .

(۲) هو النشا ، فارسي حذف شطره تخفيفاً .

(۳) في رسائل البلغاء : « تعلق العامة بالقى والأصبغاني » وهو تحريف .

(۴) الوشق والأشق كسكر : صمغ نبات .

التصريف إذا عرضت ، وعائر الكلمة بمعياره إذا سَنَحْت ، فربما مرَّ بك موضع يكون مخرج الكلام إذا كتبت : « أنا فاعل » أحسن من أن تكتب : « أنا أفعل » وموضع آخر يكون فيه « استفعلت » أحلى من « فعلت » .

فأدر الألفاظ هل أعكأنها^(١) ، وأعرضها على معانيها ، وقلَّبها على جميع وجوهها ، فأى لفظة رأيتها في المكان الذي نَدَبْتها إليه ، فأُنزِعْها إلى المكان الذي أوردتها عليه ، وأوقِعْها فيه ، ولا تجعل اللفظة قَلِقَةً في موضعها ، نافيةً عن مكانها . فإنك متى فعلت هَجَّجْتَ الموضع الذي حاولتَ تحسينه ، وأفسدت المكان الذي أردت إصلاحه ، فإن وضع الألفاظ في غير أماكنها ، وقصدك بها إلى غير نصابها^(٢) ، إنما هو كترقيق الثوب الذي إذا لم تتشابه رِقَاعُهُ ، ولم تتقارب أجزاءه ، خرج من حدِّ الجِدَّة ، وتغير حسنه . كما قال الشاعر :

إن الجديد إذا ما زِيدَ في خَلْقٍ يُبِينُ للنَّاسِ أن الثوب مرقوعٌ
وَأرتصدُّ لكتابك فراغ قلبك ، وساعة نشاطك ، فتجد ما يمتنع عليك بالكَدِّ
والتكلف ، لأن سماحة النفس بمكنونها ، وجود الأذهان بمخزونها ، إنما هو مع
الشهوة المفرطة في الشعر^(٣) ، والحجة الغالبة فيه ، أو الغضب الباعث منه ذلك . قيل
لبعضهم لم لاتقول الشعر؟ قال : كيف أقوله ، وأنا لا أغضب ولا أطرب ! وهذا
كأن جرَّيت من البلاغة على عِرْق^(٤) ، وظهرت منها على حظ ، فأما إن كانت غير
مناسبة لطبعك ، ولا واقعة شهوتك عليها ، فلا تنض^(٥) مطيِّتك في التماسها ، ولا تتعب

(١) الأعكان والعكن (بضم ففتح) : الأطواء في البطن من السمن ، وواحدة العكن عكنة بضم فسكون ، والكلام على التشبيه ، وفي رسائل البلاغ : « فأدر الألفاظ في أماكنها . . . حتى تقع موقعا » .

(٢) النصاب : الأصل .

(٣) في الأصل « الشر » وهو تحريف .

(٤) العرق : الأصل .

(٥) أنضاه : هزله .

بَدَنِكَ فِي اتِّفَافِهَا ، وَاصْرِفْ عَيْنَانِكَ عَنْهَا ، وَلَا تَطْمَعْ فِيهَا بِاسْتِعَارَتِكَ الْفَافِ الْفَافِ
 وَكَلَامِهِمْ ، فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُشْرَكٍ لَكَ ، وَلَا مُجَدِّدٍ عَلَيْكَ ، وَمَنْ كَانَ مَرْجِعُهُ فِيهَا إِلَى
 اغْتِصَابِ الْفَافِ مَنْ تَقَدَّمَ ، وَالِاسْتِضَاءَةِ بِكُوكَبِ مَنْ سَبَقَهُ ، وَمَدْحَبِ ذَيْلِ حُلَّةٍ غَيْرِهِ ،
 وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ أَدَاةٌ تَوْلَدُ لَهُ مِنْ بَنَاتِ قَلْبِهِ ، وَتَنَائِجِ ذَهْنِهِ الْكَلَامِ الْحُرِّ ، وَالْمَعْنَى الْجَزَلِ ،
 لَمْ يَكُنْ مِنَ الصَّنَاعَةِ فِي عَيْرٍ وَلَا نَفِيرٍ (١) ، عَلَى أَنْ كَلَامَ الْعِظَمَاءِ الْمَطْبُوعِينَ ، وَدَرَسَ
 رِسَائِلَ الْمُتَقَدِّمِينَ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِمَّا يَفْتَقُ الْإِنْسَانَ ، وَيُوسِّعُ الْمَنْطِقَ ، وَيَشْحَذُ الطَّبْعَ ،
 وَيَسْتَثِيرُ كُورَامَهُ إِنْ كَانَتْ فِيهِ سَجِيَّةٌ ، قَالَ الْعَتَابِيُّ : « مَا رَأَيْنَا فِيهَا تَصَرُّفًا فِيهِ مِنْ
 فَنُونِ الْعِلْمِ ، وَجَرِيْفًا فِيهِ مِنْ صَنُوفِ الْآدَابِ ، شَيْئًا أَصْعَبَ مَرَامًا ، وَلَا أَوْعَرَ مَسَلَكًا
 وَلَا أَدَلَّ عَلَى نَقْصِ الرِّجَالِ وَرَجَاحَتِهِمْ ، وَأَصَالَةِ الرَّأْيِ وَحَسَنِ التَّمْيِيزِ مِنْهُ وَاخْتِيَارِهِ ،
 مِنَ الصَّنَاعَةِ الَّتِي خَطَبْتَهَا ، وَالْمَعْنَى الَّتِي طَلَبْتَهُ » . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَصْعَبَ مِنْ اخْتِيَارِ الْفَافِ
 وَقَصْدِكَ بِهَا إِلَى مَوْضِعِهَا ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَةَ تَكُونُ أَخْتِ اللَّفْظَةَ وَقَسِيمَتَهَا فِي الْفَصَاحَةِ وَالْحَسَنِ
 وَلَا تَحْسُنُ فِي مَكَانٍ غَيْرِهَا . وَبِتَمْيِيزِ هَذِهِ الْمَعَانِي ، وَمُنَاسِبَةِ طِبَائِعِ جَهَابِذَتِهَا (٢) ،
 وَمَشَاكَلَةِ أَرْوَاحِهِمْ ، جَعَلُوا الْكِتَابَةَ نَسَبًا وَقَرَابَةً ، وَأَوْجَبُوا عَلَى أَهْلِهَا حِفْظَهَا .

قَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهَبٍ : الْكِتَابَةُ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ تَجْزَأُ فِي أَبْدَانٍ مُتَفَرِّقَةٍ ، وَمَنْ لَمْ
 يَعْرِفْ فَضْلَهَا وَجَهْلَ أَهْلِهَا ، وَتَعَدَّى بِهِمْ رُبَّتَهُمُ الَّتِي وَصَفَهُمُ اللَّهُ بِهَا (٣) ، فَإِنَّهُ لَيْسَ
 مِنَ الْإِنْسَانِيَةِ فِي شَيْءٍ .

وَقَالَتِ الْبَرَامِكَةُ : رِسَائِلُ الْمَرْءِ فِي كِتَابِهِ دَلِيلٌ عَلَى عَقْلِهِ ، وَشَاهِدٌ عَلَى غَيْبِهِ .
 وَقَالَ الشَّاعِرُ :

وَتُنْكَرُ وَدَّ الْمَرْءُ فِي لِحَظِ عَيْنِهِ . وَتَعْرِفُ عَقْلَ الْمَرْءِ حِينَ تُكَاتِبُهُ

(١) مِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ : « لَا فِي الْعَيْرِ وَلَا فِي النَّفِيرِ » مِثْلُ يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ بِحِطِّ أَمْرِهِ ، وَيَصْفَرُ قَدْرَهُ ،
 وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُهُ فِي جُمُورَةِ خُطَبِ الْعَرَبِ ٢ : ١٣٧ .

(٢) جَهَابِذَةٌ : جَمْعُ جَهْبِذٍ ، بِكَسْرِ الْجِيمِ وَالْبَاءِ وَهُوَ النِّقَادُ الْحَبِيرُ .

(٣) يَشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « كِرَامًا كَاتِبِينَ » .

وقال آخر :

وشعرُ الفتى يُبدي غريزة طبعه وبالكتب يبدو عقله وبلاغته
وقيل للشَّعبي : أى شيء تعرّف به عقل الرجل ؟ قال : إذا كتب فأجاد .
وقال المُتنبى : عقول الناس مدوّنة في كتبهم ، وقال ابن المقفع : كلام الرجل
وافد عقله .

وشبّهت الحكماء المعاني بالفوانى ، والألفاظ بالمعارض ، فإذا كسا الكاتب البليغ
المعنى الجزل لفظاً رائقاً ، وأعاره مخرجاً سهلاً ، كان للقلب أحلى ، وللصدر أملى (١) ،
ولكنه بقي عليه أن ينظّمه في سلكه مع شقائمه ، كاللؤلؤ المنثور الذى يتولى
نظامه الحاذق ، والجوهريُّ العالمُ يُظهر بإحكام الصنعة له حسنا هو فيه ،
ومنحة بهجة هي له ، كما أن الجاهل إذا وضع بين الجوهرتين خرزةً ، هجّن (٢)
نظامه ، وأطفأ نوره . كان حبيب (٣) بن أوسٍ ربها وقع على جوهرة فجعلها بين
بغرتين ، قال الشاعر :

ولو قرنت بدرٍ فاخِرٍ خرزاً من الزجاج لقلنا بئس ما نظاما
والياقوتُ حسنٌ ، وهو في جيد الحسنة أحسنٌ ، وكذلك الشعرُ الجيّد مُونق (٤)
ولكنه من أفواه العظماء آنقٌ ، والتاجُ الشريف بهى المنظر ، وهو على الملك أبهى ،
كما قال ابن قيس الرُّقيّات (٥) :

(١) سهل عن أملاء . (٢) التهجين : التقييع .
(٣) هو أبو تمام الشاعر العباسى المشهور - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ١٢١ ، والأغاني
١٥ : ٩٦ ، والفهرست لابن النديم ص ٢٣٥ .
(٤) آنقى الشيء : لا ينافا : أعجبني .
(٥) هو عبيد الله بن قيس ، ولما لقب بذلك لأنه شبّ بثلاث نسوة سمين جميعاً رقية ، كان زبير
الهوى ، وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل مصعب وقتل عبد الله بن الزبير
هرب فاجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فسأل عبد الملك في أمره فأمنه - انظر ترجمته في الأغاني
٤ : ١٥٤ ، والشعر والشعراء ص ٢١٢ .

يعتدل التاج فوق مفرقه (١)

قال أبو العتاهية لابن مناذر (٢) : بلغني أنك تقول الشعر في الدهر ، والقصيدة في الشهر ، فقال : نعم ، لو رضيتُ لنفسي أن أوّلف تأليفك ، وأقول : « يا عْتَبَ يادُرّة الغوّاص (٣) » لقلت في اليوم والليلة ألف قصيدة ، وقال عمر (٤) بن لُجأ لشاعر : أنا أشعر منك ، قال : ولم ؟ قال : لأنك تقول البيت وابن عمه ، وأنا أقول البيت وأخاه . فإن مُنيت بحب الكتابة وصناعتها ، والبلاغة وتأليفها ، وجاش صدرك بشعر معقود ، أو دنتك نفسك إلى تأليف الكلام المنثور . وتهيباً لك نظمٌ هو عندك معتدل ، وكلامٌ لديك متّسق ، فلا تدعونك الثقةُ بنفسك ، والعُجبُ بتأليفك ، أن تهجُم به على أهل الصناعة ، فإنك تنظر إلى تأليفك بعين الوالد لولده ، والعاشق إلى عشيقته ، كما قال حبيب :

(١) الفرق كقعد ومجلس : وسط الرأس ، وهو الذي يفرق فيه الشعر ، وهذا صدر بيت وعجزه : « على جبين كأنه الذهب » وهو من قصيدة قالها في مدح عبد الملك ، ولما أنشده إياها ووصل إلى هذا البيت ، قال له عبد الملك : يا ابن قيس تمدحني بالتاج كأنني من المعجم ، وتقول في مصعب :

لأنما مصعب شهاب من الأبرياء تجلت عن وجهه الظلماء

ملكك ملك عزة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن والله لا تأخذ مع المسلمين عطاء أبداً .

(٢) أبو العتاهية شاعر عباسي معروف ، وله ترجمة مطولة في الأغاني ٣ : ١٢٢ ، وفي الشعر والشعراء ص ٣٠٩ ، ووفيات الأغاني ١ : ٧١ ، والفهرست ص ٢٢٧ . وابن مناذر : هو محمد بن مناذر ، شاعر عباسي أيضاً - انظر ترجمته في الأغاني ١٧ : ٩ ، والشعر والشعراء ص ٣٦٤ .

(٣) عتبه التي كان أبو العتاهية يشبب بها : هي جاربة لريطة بنت أبي العباس السفاح ، وكانت تحت المهدي ، فلما بلغ المهدي لأكثاره في وصفها غضب فأمر بحبسها ، ثم شفع له يزيد بن منصور الحميري خال المهدي فأطلقه ، وجاء في الأغاني (١٧ : ١١) « اجتمع أبو العتاهية ومحمد بن مناذر ، فقال له أبو العتاهية : يا أبا عبد الله ، كيف أنت في الشعر ؟ قال : أقول في الليلة إذا صنع القول وانسعت الفواق عشرة أبيات إلى خمسة عشر ، فقال له أبو العتاهية : لكنني لو شئت أن أقول في الليلة ألف بيت لقلت ، فقال ابن مناذر : أجل ، والله إذا أردت أن أقول مثل قولك :

ألا يا عتبه الساعة أموت الساعة الساعة

قلت : ولكنني لا أعود نفسي مثل هذا الكلام الساقط ، ولا أسمع له - ابه ، فحجل أبو العتاهية وقام يجر رجلاه .

(٤) شاعر أموي ، وكان ممن هجا جريراً - انظر خبره في الشعر والشعراء ص ٢٦١ ، وفي الأغاني في ترجمة جرير ٧ : ٣٥ والفرزدق ١٩ : ٢ .

وَيْسِيءٌ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا ، لَا كَمَنْ هُوَ بِأَبْنِهِ وَبَشْعِرِهِ مَفْتُونٌ
 وَلَكِنْ أَعْرِضْهُ عَلَى الْبُلْغَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَالْخَطَبَاءِ مَمْرُوجًا بغيره ، فَإِنْ أَضْغَوْا إِلَيْهِ ،
 وَأَذِنُوا (۱) لَهُ ، وَشَخَّصُوا بِالْأَبْصَارِ ، وَاسْتَعَادُوهُ وَطَلَبُوهُ مِنْكَ وَامْتَزَجَ ، فَكَشِفَ
 مِنْ تِلْكَ الرِّسَالَةِ وَالْخَطْبَةِ وَالشُّعْرَ اسْمَهُ ، وَانْسَبَهُ إِلَى نَفْسِكَ ، وَإِنْ رَأَيْتَ عَنْهُ الْعِيُونَ
 مَمْرُفَةً ، وَالْقُلُوبَ عَنْهُ ذَاهِبَةً (۲) ، فَاسْتَدِلَّ بِهِ عَلَى تَخْلُفِكَ عَنِ الصَّنَاعَةِ ، وَتَقَاصُرِكَ
 عَنْهَا ، وَاسْتَرِبْ رَأْيَكَ عِنْدَ رَأْيِ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الْأَدَبِ وَالْبَلَاغَةِ ، فَقَدْ بَلَغْنِي أَنْ بَعْضَ
 الْمُلُوكِ دَعَا إِنْسَانًا إِلَى مَوَاسِقَتِهِ ، حَتَّى ارْتَفَعَتِ الْحِشْمَةُ بَيْنَهُمَا ، فَأَخْرَجَ لَهُ كِتَابًا قَدْ غَشَاهُ
 بِالْجُلُودِ ، وَجَمَعَ أَطْرَافَهُ بِالْإِبْرَيْسِمِ (۳) ، وَسَوَّى وَرْقَهُ ، وَزَخَرَفَ كِتَابَتَهُ ، وَجَعَلَ يَقْرَأُ
 عَلَيْهِ كَلَامًا قَدْ حَبَّرَهُ (۴) فِيهِ ، وَنَمَّقَهُ عِنْدَ نَفْسِهِ ، وَجَعَلَ يَسْتَحْسِنُ مَا لَا يَحْسُنُ ، وَيَقِفُ
 عَلَى مَا لَا يَسْتَثْقِلُ قِرَاءَتَهُ ، حَتَّى أَتَى عَلَى الْكِتَابِ ، فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ مَا قَرَأْتُ
 عَلَيْكَ ؟ فَقَالَ : أَرَى عَقْلَ صَانِعِ هَذَا الْكَلَامِ أَكْثَرَ مِنْ كَلَامِهِ ، فَقَطِنَ لَهُ وَلَمْ يَعَاوِدْهُ ،
 إِلَى أَنْ وَقَفَ بِهِ عَلَى تَنْوْرِ مَسْجُورٍ (۵) ، ثُمَّ قَذَفَ بِالْكِتَابِ فِي النَّارِ ، وَهَذَا رَجُلٌ فِي عَقْلِهِ
 فَضْلَةٌ ، وَفِيهِ تَمْيِيزٌ .

وَإِنَّمَا الْبَلِيَّةُ فِيمَنْ إِذَا بَيَّنَّتْ لَهُ سَوْءَ نِظْمِهِ وَاخْتِيَارِهِ ، وَوَقَفَتْهُ عَلَى سَخَافَةِ لَفْظِهِ ،
 هَجَرَكَ وَعَادَاكَ ، فَاجْعَلْ هَذَا الْأَصْلَ مِيزَانًا تَزَنُ بِهِ مَذْهَبَكَ فِي رِسَائِلِكَ وَبَلَاغَتِكَ ، وَلَا
 تَخَاطِبَنَّ خَاصًّا بِكَلَامٍ عَامٍ ، وَلَا عَامًّا بِكَلَامٍ خَاصٍّ ، فَتِي خَاطَبْتَ أَحَدًا بِغَيْرِ مَا يَشَاكُلُهُ ،
 فَقَدْ أَجْرَبْتَ الْكَلَامَ غَيْرَ مُجْرَاهُ ، وَكَشَفْتَهُ ، وَقَضَدُكَ بِالْكَلامِ الشَّرِيفِ الرَّجُلِ الشَّرِيفِ
 تَنْبِيهٌ لِقَدْرِ كَلَامِكَ ، وَرَفْعٌ لِدَرَجَتِهِ ، قَالَ :

فَلَمْ أَمْدَحْهُ تَفْخِيمًا لَشِعْرِي وَلَكِنِّي مَدَحْتُ بِكَ الْمَدِيحَا

(۱) أذن إليه وله كفرح : استمع معجبا ، أو عام .

(۲) في الأصل « وإهية » . (۳) الإبريسم : الحرير .

(۴) التجبير : التحسين .

(۵) التنور : الذي يجبر فيه - الفرن - وسجر التنور : أحماه .

فلا تخرجن كلمة حتى تزينها بميزانها ، فتعرف تمامها ونظامها ، ومواردها ومصادرها ، وتجنّب ما قدّرت الألفاظ الوحشية ، وارتفع عن الألفاظ السخيفة ، واقتضب كلاماً بين الكلامين .

قال الجاحظ : « ما رأيت قوماً أمثلَ طريقةً في البلاغة من هؤلاء الكتاب ، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً سوقياً » . وقال خالد ابن صفوان : « أبلغ الكلام ما لا يحتاج إلى كلام ، وأحسنه ما لم يكن بالبدوي المغرب ولا القروي المخدج^(۱) ، الذي صحّت مبانيه ، وحسنت معانيه ، ودار على السنن القائنين ، وخفّ على آذان السامعين ، ويزداد حسناً على تمرّ السنين ، بتجلية الرثوة ، وتنقية السّراة » .

والكتاب المستحق اسم الكتابة ، والبليغ المحكوم له بالبلاغة ، من إذا حاول صيغة كتاب سالت على قلبه عيون الكلام من بناييمها ، وظهرت من معادنها ، وندرت^(۲) من مواطنها ، عن غير استكراه ولا اغتصاب .

حدّثنا صديق للعتّابي قال له : اعمل لي رسالة ، فاستمدّه مدّة بعد أخرى ، فقال له : ما أرى بلاغتك إلا شاردةً عنك ، فقال له العتّابي : إني لما تناوتُ القلم تداعتُ على المعاني من كل جهة ، فأحببتُ أن أترك كل معنى يرجع إلى موضعه ، ثم أجتني لك أحسنها .

وأملّى يزيد بن عبد الله أخو ذبيان^(۳) على كاتب له ، فأعجل الكتاب ، ودارك في الإملاء عليه^(۴) ، فتعثر قلم الكاتب عن تقييد إملائه ، فقال له متحرّشاً : اكتب

(۱) الإعراب : الإنيان بالفريـب ، والمعنى المغرب صاحبه . والمخدج : الناقص ، من قولهم : أخذجت الناقة : أي جاءت بولد ناقص فهي مخدج (بكسر الدال) والولد مخدج (بفتحها) ، ورجل مخدج اليد : ناقصها .

(۲) أي ظهرت ، ندر الشيء ندوراً : سقط من جوف شيء ، أو من بين أشياء فظهر ، وربما كان « بدرت » أي سبقت وعجلت ، وفي رسائل البلغاء « وتدرّب » وهو تصحيف .

(۳) في رسائل البلغاء « أخو دينار » وهو تحريف .

(۴) وفي رسائل البلغاء : « وأعجل عليه الإملاء » وأمل عليه الكتاب بمعنى أمل .

يا حمار ، فقال له الكاتب : أصاح الله الأمير ، إنه لما هطلت شآيب^(١) الكلام ،
وتدافعت سيموله على حرف القلم ، كَلَّ القلمُ عن إدراك ما وجب عليه تقييده ،
فابتدأ الأمير عذري ، فكان حضور جواب الكاتب أبلغ من بلاغة يزيد .

وقال له يوما وقد نطَّ حرفا في غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طُغيان في القلم .
وكما احلوا الكلام وعذبوا ورقا وسهلت مخارجه ، كان أسهلا ولوجا
في الأسماع ، وأشدَّ اتصالاً بالقلوب ، وأخفَّ على الأهواء ، ولا سيما إذا كان المعنى
البديع مترجما بانفطه موني^(٢) شريف ، ومعبرا بكلام مؤلف رشيق ، لم يشنه التكلف
بميسمه^(٣) ، ولم يفسده التعقيد باستهلاكه ، كقول ابن أبي كريمة :

قَفَاهُ وَجْهٌ حَسَنٌ ، وَالَّذِي قَفَاهُ وَجْهٌ يُشْبِهُ الشَّمْسَا

وهجَّن المعنى بتوعر مخارج الحروف ، وأخذ الحسن بن هاني فسهله وقال :
« بَدَّ^(٤) حُسْنَ الوجوه حُسْنُ قَفَا كَا » وكلاهما من حَسَّان حيث يقول :

قَفَاؤُكَ أَحْسَنُ مِنْ وَجْهِهِ وَأَمُّكَ خَيْرٌ مِنَ الْمُنْذِرِ^(٥)

وانظر إلى سلاسة الحسن بن سهل حيث قال :

شَرِسْتِ بِلِ لِفْتِ بِلِ قَابِلْتِ ذَاكَ بَدَا فَأَنْتِ لَأَشْكُ فَيْكَ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

وكتب عيسى بن كهيععة كتابا إلى أخيه أبي الحسن ، فعمد كلامه ، وجاز المقدار

في التنطع ، فوقع في أسفل كتابه :

(١) شآيب : جمع شؤبوب كعصفور ، وهي الدفعة من المطر .

(٢) أي معجب .

(٣) وسمه : أثر فيه بسمة ، أي علامة ، والميسم : الآلة التي يوسم بها .

(٤) بد : فالي .

(٥) القفا قد يمد كما في هذا البيت ، والعرب تؤنثه ، والتذكير أعم . وكان حسان بن ثابت زار الحرث
ابن أبي شمر الغساني - وكان النعمان بن المنذر يساميه - فقال الحرث لحسان : لقد نبئت أنك تفضل النعمان
علي ، فقال : وكيف أفضله عليك ؟ فوالله لثقفاك أحسن من وجهه ، ولأمك أشرف من أبيه ، في كلام
كثير ، فقال له : هذا لا يسمع إلا في شعر ، فنظمه في أبيات منها هذا البيت - انظر ديوان حسان ص ١٨٢
ومروج الذهب ١ : ٢٩٩ .

أَنْ يَكُونَ بَلِيغًا مِّنْ اسْمِهِ كَانَ عِيًّا
وَتَالِثُ الْحَرْفِ مِنْهُ إِذَا كَتَبْتَ مُسِيًّا^(۱)

وبلغني أن بعض الكتّاب عاد بعض الملوك فوجده يئنّ من علة ، فخرج من عنده ،
ومر بباب الطاق ، وإذا بطير يدعى « الشفانين^(۲) » فاشتراه وبعث به إليه ، وكتب
كتابا يتنطع في بلاغته ، وذكر أنه يقال له شفانين ، وأرجو أن يكون شفاء من أنين ،
فوقع في أسفل الكتّاب : « والله لو عطست ضبّا لم تكن عندي إلا نبطيّا^(۳) » ،
فأقصر^(۴) عن تنطعك ، وسهّل كلامك ، وفي هذا المعنى قال مخلد الموصلي يهجو
حبيب بن أوس الطائي :

أنت عندي عربيٌّ ليس في ذاك كلامٌ
شعرُ ساقيك وفخذيك خزاميٌّ ونمام^(۵)
وقدّي عينيك صمغٌ ونواصيك شبّام^(۶)
وضلوع الصدر من شئوك نبعٌ وبشّام^(۷)

(۱) مسيا مسهل عن مسيئا بمعنى سي ، يريد أن النظر الثاني من اسمه « سي » يشبه رسمه
رسم « سي » .

(۲) عده؛ ابا محظ في أنواع الحمام ، وقيل : هو الذي تسميه العامة اليمام - انظر كلمة عنه « في حياة
الحيوان الكبرى » للدميري ۲ : ۷۴ .

(۳) فسره في العقد قال : « قوله : لو عطست ضبا : يريد أن الضباب من طعام الأعراب ، وفي
بلدهم يقال : لو عطست فنثرت ضبا من عداسك لم تلحق بالأعراب ولم تكن إلا نبطيا ، وقد جاء في بعض
الحديث : إن القط من نثرة عطسة الأسد ، وإن الفأر من نثرة عطسة الخنزير ، فقال هذا : لون أن الضب
من نثرتك لم تكن إلا نبطيا » اهـ . والنبط : قوم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقيين .

(۴) أي كف ، وفي الأصل « فأقصر عن بعضك » وهو تحريف .

(۵) الخزامي : نبت زهره أطيب الأزهار نفعه ، والنمام : نبت أيضا .

(۶) في العقد « شمام » وهو محرف ، وأرى أن صوابه « شبام » وهو نبات يشب (أي بحسن)
به لون الحناء .

(۷) الشلو : الجسد من كل شيء ، والنسيم : شجر للقسي والمهمام ، والبشام : شجر عطر الراححة
يستاك بقضبه .

لو تحرَّ كُتَّ كَذَا لَأَنْجَفَلْتُمْ مِنْكَ نَعَامٌ (١)
 وَظَبَّاءٌ رَاتِعَاتٌ وَبِرَابِيعٌ عِظَامٌ (٢)
 وَحَمَامٌ يَتَغَنَّيْنِي حَبَّذَا ذَاكَ الْحَمَامُ
 أَنَا مَا ذُنُبِي إِنْ كَذَّبْتُ ذَنْبِي فِيكَ الْأَنَامُ
 وَقَفًّا يَحْلِفُ مَا إِنْ أَعْرَقْتُ فِيهِ الْكِرَامُ
 ثُمَّ قَالُوا هَاشِمِيُّ مِنْ بَنِي الْأَنْبِاطِ حَامُ
 كَذَّبُوا مَا أَنْتَ إِلَّا عَرَبِيٌّ وَالسَّلَامُ

وسألني بعض أهل العلم أن أكتب له قصة إلى جعفر بن عبد الواحد القاضي ،
 وقال : أكتب لي قصة سهلة بليغة الألفاظ ، فقلت له : دعني أكتب لك ما يصلح
 للقضاة ، فغضب وقال : ما أسأل أن تعطيني شيئاً إنما أسألك هذا المعنى الرخيص ،
 فاحتملت عتبه لذمام (٣) ، فكتبت له قصة لا تصلح أن تدفع إلا لرؤية (٤) بن العجاج
 يقرؤها أو الطرماح (٥) ، فلما حصت بيد القاضي أراد قراءتها فإذا هي مغلقة عليه ،
 فقال له : أنت كتبت هذه القصة ؟ قال : نعم ، قال : إذن فاقرأها ، فذهب ليقرأها ،
 فإذا هي بالشودانية ، استعجاما عليه ، فقال له : أصاح الله القاضي ، إنما أقرؤها في بيتي ،
 فقال له : فاطلب حاجتك إذن في بيتك ، فرجع إلى غضبان أسفاً يشتم وبؤذى ،

- (١) انجفل : أسرع الهرب .
 (٢) البرابيع : جمع يربوع بالفتح ، وهو دويبة نحو الفأرة لكن ذنبه وأذناه أطول منها ، ورجلاه أطول من يديه ، عكس الزرافة .
 (٣) الذمام : الحق والحرمة .
 (٤) هو راجز مجيد مشهور كأبيه العجاج ، وكان بصيراً باللغة عالماً بحوشيتها وغريبها ، وهو من مخضرمي الدواتين ، مدح بن أمية وبني العباس ومات سنة ١٤٥ هـ - انظر ترجمته في الأغاني ٢١ : ٥٧ ، ووفيات الأعيان ١ : ١٨٧ ، والشعر والشعراء ص ٢٣٠ .
 (٥) هو الطرماح بن حكيم ، شاعر أموي مشهور . قال رؤبة : كان الطرماح والكميت بصيران إلى فيسألاني عن الغريب ، فأخبرهما به ، فأراه بعد في أشعارهما . وسئل ابن الأعرابي عن ثمان عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف منها واحدة ، يقول في جميعها : لا أدري لا أدري - انظر ترجمته في الأغاني ١٠ : ١٤٨ ، والشعر والشعراء ص ٢٢٨ .

وسألني أن أكتب له قصة على ما أرى ، فكتبت له كتاباً يشبه أن يكون من مثله إلى القضاة ، فقرأه وقضى حاجته ، وعلم أنه لم يكتب واحدة منهما .
والكتاب إذا لم يكن شديداً بحالة (١) صاحبه ، كان أحد الأسباب المانعة ، والمعاني كلها ممتثلة ، والكلام مُشَبَّع (٢) ، ولكن سياسته صعبة ، وتأليفه شديد ، إلا على جهابذته وفرسانه أمراء الكلام ، بصرفونه كيف شاءوا ، ولا يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، ويكون اللفظ أسبق إلى الأسماع من معناه إلى القلوب (٣) .

قال الجاحظ : كان لفظه في وزن إشارته ، وطبعه في معناه في مطابقة معناه .
وذكر الحسن بن وهب أحمد بن يوسف فقال : ما كنت أدري : أَلْفَظُهُ آتَى أَم مَعْنَاهُ ،
أَوْ مَعْنَاهُ أَجْزَلُ أَمْ لَيْظُهُ ؟

والمعاني وإن كانت كامنة في الصدور ، فإنها مصورة فيها ومتصلة بها ، وهي كاللآلئ المنطوية (٤) في أصدافها ، والنار المخبوءة في أحجارها ، فإن أظهرتها من أكنافها (٥) وأصدافها ، تبين حُسْنُهَا ، وإن قدحت النار من مكافئها وأحجارها انتفعت بها ، وإلا بقيت محجوبة مستورة ، وربما يُسْتَقْتَارُ الكامن منها ، ويُسْتَخْرَجُ المستسر (٦) من جواهرها ، بقدر حدق المستنبط ، وصواب حركات المستخرج ، وقصد إشارته ، ولطف مذاهبه ، وكذلك ليس كل ناطق ولا كاتب يوضح عن المعنى ، ولا يصيب إشارته ، وكلما كان الكلام أفصح ، والبيان أوضح ، كان أدلّ

(١) في الأصل « بحاجة » وأراه محرفاً .

(٢) امثله : تصوره حتى كأنه ينظر إليه ، ومشبع من قولهم : رجل مشبع العقل بفتح الباء أي وافره ، وفي الأصل « مشبعاً » وهو تحريف .

(٣) وجاء في نهاية الأرب ٧ : ٨ « وقالوا : لا يستحق الكلام اسم البلاغة حتى يكون معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك » .

(٤) في الأصل « المنظومة » وهو تحريف .

(٥) الأكنان : جم كن ، وهو الستر ، بالكسر ، فيهما .

(٦) استسر : استتر وخفي .

على حسن وجه المعنى ، وقد رأيتهم شبهوا المعنى الخفي بالزُّوح الخفي ، واللفظ الظاهر بالجُمَان الظاهر ، وإذا لم ينهض بالمعنى الشريف لفظ شريف جَزَل ، لم تكن العبارة واضحة ، ولا النظام مَتَسَقًا ، وتضاهل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح ، كتضاؤل الحسناء في الأطمار^(١) الرِّثْمَة .

وإنما يدل على المعنى أربعة أصناف : لفظ ، وإشارة ، وعُقْدَ وَخَطٌّ ، وقد ذكر أرسطاطاليس صنفًا خامسًا في كتاب المنطق ، وهو الذي يسمى النَّصْبَة ، والنَّصْبَة : الحالُ الدَّالَّة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربعة ، وهي الناطقة بغير لفظ ، والمشييرة إليه بغير يد ، وذلك ظاهرٌ في خلق السموات والأرض ، وفي كل صامت وناطق ، وهي داخلة في جملة هذه المعاني الأربعة ، وخارجة منها بالحِلْمِيَّة ، ولكل واحدة من هذه الدلائل صورة مخالفة لصورة صاحبها ، وحِلْمِيَّة غير مُشَاكلة لحلمية أختها ، غير أنها في الجملة كاشِفة عن أعيان المعاني ، وسافِرة^(٢) عن وجوهها^(٣) . وأوضح هذه الدلائل ، وأفصح هذه الأصناف ، صنفان منها ، وهما اللسان والفم ، وكلاهما يترجمان ويدلان على القلب ، ويستمليان مفعه ، ويؤديان عنه ما لا تؤدي هذه الأصناف الباقية . فأما اللسان فهو الآلة التي يخرج الإنسان بها عن حد الاستبهام إلى حد الإنسانية بالكلام ، ولذلك قال صاحب المنطق : حَدَّ الإنسان : الحى الناطق . وقال هشام ابن عبد الملك « إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه من بين الجوارح بتوحيده ، وما جعل الله مَنْ عَبَّرَ عن شيء مثل مَنْ لم يعبر عنه » . وقال علي بن عبدة : « إنما يُبَيِّن عن الإنسان اللسان ، وعن المودَّة العَيْنان » . وقال آخر : « الرجل مخبوءٌ تحت لسانه^(٤) » . وقالوا « المرء بأصغريه : قلبه ولسانه » .

(١) الأطمار : جمع طمر بالكسر ، وهو الثوب الملق .

(٢) أى كاشفة أيضا .

(٣) وقد عقد الجاحظ فصلا طويلا في الكلام على أصناف الدلالات على المعاني - انظر باب البيان

من كتابه البيان والتبيين ج ١ : ص ٤٢ .

(٤) من الحكم الروية عن الإمام على كرم الله وجهه « المرء مخبوءٌ تحت لسانه » .

وقال الشاعر :

وما المرء إلا الأصفران ، لسانه ومعقوله ، والجسمُ خَلَقُ مصوَّرُ
فإن ترَّها راقَتَكَ يوماً ، فرَّبِّما أمرٌ مَذاقُ العُودِ والعُودُ أخضرٌ^(١)
وقال الأعور التيمي^(٢) :

لسان الفتى نصفٌ ونِصفٌ فؤاده فلم يبقَ إلا صورةُ اللحمِ والدمِ
وقال آخر :

إن الكلام أفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلاً
وقال الطائي :

وما كانت الحكماء قالت لسان المرء من خدامِ الفؤاد

وللخط صورة معروفة ، وحاية موصوفة ، وفضيلة بارعة ، ليست لهذه الأوصاف ، لأنه ينوب عنها في الإيضاح عند المشهد ، ويفضلها في المغيب ، لأن الكتب تُقرأ في الأماكن المتباينة ، والبلدان المتفرقة ، وتُدْرَس في كل عصر وزمان ، وبكل لسان ، واللسان وإن كان ذليلاً فصيحاً لا يمدو سامعه ، ولا يجاوزه إلى غيره ، وكفى بفضيلة العلم والخط قول الله عز وجل : « الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » وأقسم^(٣) به كما أقسم بغيره^(٤) ، ثم أقسم بما يكتبه القلم ، إفصاحاً عن حاله ، وإعظاماً لشأنه ، وتنبيهاً لذكره ، فقال : « وَمَا يَسْطُرُونَ » . ومن فضيلة الخط : أنه لسان اليد ، ورسول الضمير^(٥) ودليل الإرادة ، والناطق عن الخواطر ، وسفير العقول ، ووَخِي الفِكر ، وسلاح المعرفة ، ومحادثة الأخلاء على التناهي ، وأنس الإخوان عند الفرقة ، ومستودع

(١) الضمير يعود على مفهوم من السياق : أي صورته .

(٢) وفي رواية الزوزني أن هذا البيت لزهير بن أبي سلمى من معلقته .

(٣) قال تعالى : « ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ » .

(٤) من السماء والطارق والفجر والشمس والليل والضحى والتين والزيتون . . . الخ مما ورد في القرآن ، والآيات في ذلك معروفة .

(٥) وفي العقد والصبح ونهاية الأرب « وبهجة الضمير » .

الأسرار ، وديوان الأمور ، وترُجُمان القلوب ، والمعبر عن النفوس ، والمُخبر عن الخواطر ، ومُورث الآخِر مكارم الأول ، والناقل إليه مآثر الماضي ، والمخلد له حكمته وعلمه ، والمُسامِرُ للعين بسِرِّ القلب ، والمُخاطِبُ عن الناصت (١) ، والمُجادل عن الساكت ، والمُفصِح عن الأبكم ، والمُتكلِّم عن الأخرس ، الذي تشهد له آثاره بفضائله ، وأخباره بمناقبه .

وقد وضعت البلاغة من القلم (٢) علوَّ القدر ، وباذخ (٣) العز ، كأبي مُسلم صاحب الدولة : فرقت شمله ، وبددت جمعه ، ونقضت برمه (٤) ، وأفسدت صلاحه ، وضعضعت بُنيانه ، مع ذكائه وتفطنه ، ومكايده ودهائه ، وأصالة رأيه وشدة شِكيمته (٥) ، وامتناعه على أبي جعفر ونِفاره عنه ، كيف استفزه ابنُ المقفع ، وصالح بن عبد القدوس ، وجبيل بن يزيد ، واستمالوه بسحر ألفاظهم ، وبلاغة أقلامهم ، حتى نزل من باذخ عزه ، وجاء مبادراً حتى وقع في الشَّرِكِ المنصوب له ، فتفرَّق جمه ، وانطفأ نُوره ، وصار خبِراً سائراً ، ورَسماً دائراً (٦) .

ورَفَعَ القلمُ خاشِعَ الطَّرْفِ ، صغير الخطار (٧) ، لثيم الجنس ، دَرَجَ من عُشِّ التُّجَّار ، ونشأ بين المِكيال والميزان ، كيف شالت (٨) البلاغة بِضْبُعِيهِ ، ورفعت من ناظره ، حتى شافهت به عنان السماء ، ورفعتُ بناءه فوق البناء ، حتى طلبه الراكب ، وقصده الطالب ، وخشعت له الرجال ، وكَلِظَتُهُ العيون بالوقار ، وتمكَّن من الصنائع ،

(١) نصت كضرب ، وأنصت : سكت .

(٢) في رسائل البلغاء : « وقد وقعت البلاغة من العلم وهو تحريف .

(٣) الباذخ : العالى .

(٤) يقال برم الجبل برما وأبرمه إبراهيم .

(٥) الشكيم : الأنفة .

(٦) أى دارساً محجواً .

(٧) الخطر : القدر .

(٨) أشال الحجر ، وشال به يشول شولا : رفعه ، فأنشال هو - ولا يقال شلت بالكسر -

والضبع . العُضد كلها أو وسطها ، والعنان . السحاب واحده عناة .

وَمُدَّتْ نَحْوَهُ الْأَصَابِعُ ، فَشُكِرَتْ مِنْهُ اللَّفْظَةُ ، وَرُجِيَتْ مِنْهُ الْأَحْظَةُ ، كَعَمَدٍ (١)
ابن عبد الملك بن الزيات ، وفيه يقول علي بن الجهم (٢) :

أَحْسَنُ مِنْ عَشْرِينَ بَيْتًا سُدِّي جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي بَيْتِ
مَا أَحْوَجَ الْمَلِكَ إِلَى مَطْرَةٍ تَفْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَّيْتِ (٣)

فأجابه محمد بن عبد الملك :

رَقِيتَ فِي الْقَوْلِ إِلَى خُطَّةٍ قَدَّرَكَ فِيهَا قَدْ تَعَدَّيْتَ

(١) كان جده أبان يجلب الزيت من مواضعه إلى بغداد ويتجر فيه ، وكان أبوه عبد الملك تاجراً من مياسير التجار بالكرخ (محلة ببغداد) فكان يحثه على التجارة ، وملازمتهما ، فبأبي إلا الكتابة ، وطلبها ، وقصد المعالي حتى بلغ مرتبة الوزارة كما قدمنا ، وكان في أول أمره من جملة الكتاب ، وسبب تقدمه أن المعتصم ورد عليه كتاب من بعض العمال ، فقرأه عليه وزيره أحمد بن عمار بن شاذي البصري ، وكان في الكتاب ذكر الكلاء ، فقال له المعتصم : ما الكلاء ؟ فقال لا أدري - وكان قليل المعرفة بالأدب - فقال المعتصم : خليفة أمي ووزير عامي ! - وكان المعتصم ضعيف الكتابة - ثم قال : أبصروا من الباب من الكتاب ؟ فوجدوا ابن الزيات المذكور فأدخلوه إليه ، فقال له : ما الكلاء ؟ فقال : الكلاء المشب على الإطلاق ، فإن كان رطباً فهو الحلا ، فإذا يبس فهو الحشيش ، وشرع في تقسيم أنواع النبات ، فعلم المعتصم فضله فاستوزره وحكمه وبسط يده - انظر الأغاني ٢٠ : ٤٦ ووفيات الأعيان ٢ : ٥٤ ، والفخرى ص ٢١٣ ، وغرر الحقائق الواضحة ص ١٤٣ .

(٢) شاعر عباسي مشهور ، توفي سنة ٢٤٩ - انظر ترجمته في الأغاني ٩ : ٩٩ ، ووفيات الأعيان

١ : ٣٤٩ .

(٣) الوضر : وسخ الدسم ، وفي العقد الفريد (٣ : ١١١) : « وقال محمد بن الجهم يهجو ابن الزيات : أحسن من سبعين بيتاً . . . » وجاء في الأغاني (٢٠ : ٥١) . « كان محمد بن عبد الملك يعادي أحمد بن أبي دواد ويهجوهم ، فكان أحمد يجمع الشعراء ويحرضهم على هجائه ويصلهم ، ثم قال فيه أحمد بيتين كانا أجود ما هجأ به ، وهما : أحسن من خمسين بيتاً . . . وفي وفيات الأعيان : (٢ : ٥٦) « وكان ابن الزيات قد هجأ ابن أبي دواد بتسمين بيتاً ، فعلم القاضي أحمد فيه بيتين وهما : أحسن من تسمين بيتاً . . . » وجاء فيه أيضاً (١ : ٢٥) « وهجأ بعض الشعراء ابن الزيات بقصيدة عدد أبياتها سبعون بيتاً ، فبلغ خبرها القاضي أحمد فقال . . . فبلغ ابن الزيات ذلك - ويقال : إن بعض أحماد القاضي أحمد كان يبيع القار (الزيت) - فقال :

إذا الذي يطعم في هجونا عرضت بي نفسك للون
الزيت لايزري بأحابنا أحابنا معروفة البيت
فيرتم الملك فلم ننقه حتى غسلنا القار بالزيت

وقبه : أطلاه بالقار .

قَوَّيْتُمْ الْمُلْكَ فَلَمْ نُنْقِهِ حَتَّى غَسَلْنَا الْقَارَ بِالزَّيْتِ (١)

وقال حبيب بن أوس يمدحه ويصف قلمه :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَبَابَتِهِ تُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ وَالْمَفَاصِلُ (٢)

وكان محمد من أطف الناس ذهنًا ، وأرقهم طبعًا ، وأصدقهم حسًا ، وأرشقهم
خلمًا ، وأملحهم إشارةً ، إذا قال أصاب ، وإذا كتب أبلغ ، وإذا شعر (٣) أحسن ،
وإذا اختصر أغنى عن الإطالة : أمره الواثق أن يتلطف بعبد الله بن طاهر ، ويعلمه
أنه صرفه عن أمر الجزائر والعواصم (٤) ، وفوض ذلك لابن عمه إسحاق بن إبراهيم ،
فكتب :

« أما بعد ، فإن أمير المؤمنين رأى أن يجمع ما في يمينك ، من أمر الجزائر
والعواصم ، فيجعله في شمالك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته (٥) » .

وقال مهمل بن بركة يهجو أبا نوح النصراني الكاتب :

بِأَبِي وَأُمِّي ، ضَاعَتِ الْأَحْلَامُ أَمْ ضَاعَتِ الْأُذْهَانُ وَالْأَفْهَامُ ؟ (٦)
مَنْ صَدَّ عَنْ دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ اللَّهُ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ قِيَامُ ؟
إِلَّا تَكُنْ أَسْيَافُهُمْ مَشْهُورَةً فِينَا ، فَتَلِكُ سَيُوفُهُمْ أَقْلَامُ

(١) البيتان على هذه الرواية فيهما عيب شعري وهو الإصراف ، لأن حركة روى البيت الأول
فتحة ، وحركة روى البيت الثاني كسرة .

(٢) الشبابة : حد كل شيء ، وهذا البيت هو الأول من أبيات تسعة مشهورة - انظرها ، في
العقد الفريد ٢ : ١٧٩ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٥ ، وصبح الأعشى ٢ : ٤٤٨ ، وأدب الكتاب ص ٧٥
وزهر الآداب ٢ : ٣٥ .

(٣) شعر كنصر وكرم قال شعراً ، أو شعر بالفتح : قال شعراً ، وشعر بالضم : أجاده .

(٤) العواصم : ولاية كانت قصبتهما أنطاكية .

(٥) ليس ابن الزيات في هذا المعنى ببدع ، بل اقتبسه من يحيى بن خالد البرمكي - انظر ما قدمناه

في ص ١٥٥ من الجزء الثالث .

(٦) الأحلام : العقول .

وقال عبد الرحمن بن كيسان : « استعمال الكلام أجدر بإحضار الذهن عند تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام^(١) » .
ولم يُخْتَلَفَ في شرف القلم ، وإنما اختلف في كيفية البلاغة وما هيّتها ، وقد مدحها كل قوم بأوضح عبارتهم ، وأحسن بيانهم ، فقال صاحب اليونانيين : « البلاغة تصحيح الأقسام ، واختيار الكلام » وقال الرومي : « البلاغة وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة ، وحسن الإشارة^(٢) » وقال الفارسي^(٣) : « هي معرفة الفصل من الوصل » وقال الهندي : « هي البصر بالحجة ، والمعرفة بمواضع الفرصة ، ثم إن تدع الإفصاح بها إلى الكفاية عنها ، إذا كان الإفصاح أوعرَ طريقًا ، وربما كان الإطراق عنها أبلغ في الدرك ، وأحق بالظفر » وقال غيره : « جماع البلاغة التماس حسن الموقع ، والمعرفة بساعات القول ، والحذق بما القبس من المعاني وغمض ، وبما شرد عليك من اللفظ وتعذر » ثم قال : « وزين ذلك كله وبهاؤه ، وحلاوته وسناؤه ، أن تكون الشماثل معتدلة ، والألفاظ موزونة ، واللهجة نقية ، فإن جامع ذلك السن والسمت^(٤) والجمال وطول الصمت ، فقد تم كل التمام^(٥) » .

وقيل لهندي ما البلاغة ؟ فأخرج صحيفة مكتوبة عندهم فيها^(٦) : « أول البلاغة

(١) وفي البيان والتبيين ١ : ٤٥ « وقال عبد الرحمن بن كيسان : استعمال القلم أجدر أن يحس الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام » .

(٢) وفي البيان والتبيين ١ : ٤٩ « وقيل للرومي : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة ، والغزارة يوم الإطالة ، وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة ، وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة » (وكذا في زهر الآداب ١ : ١٣٥) . قال الجاحظ : وقال بعض أهل الهند : « جماع البلاغة البصر بالحجة . . . » .

(٣) يعني أبا علي الفارسي . (٤) السميت : هيئة أهل الخير .

(٥) انظر البيان والتبيين ١ : ٤٩ .

(٦) جاء في البيان والتبيين (١ : ٥١) « قال معمر أبو الأشعث : قلت لبهلة الهندي أيام اجتلب يحيى بن خالد أطباء الهند ، ما البلاغة عند أهل الهند ؟ قال بهلة : عندنا في ذلك صحيفة مكتوبة ولكنني لا أحسن ترجمتها لك ، ولم أعالج هذه الصناعة فأتق من نفسي بالقيام بخصائصها ، وتلخيص لطائف معانيها ، قال أبو الأشعث : فلقيت بتلك الصحيفة الترجمة ، فإذا فيها : أول البلاغة اجتماع . . . » انظر أيضا زهر الآداب ١ : ١٢٠ .

اجتماع (١) آلة البلاغة ، وذلك أن يكون البليغ رابطاً الجأش (٢) ، ساكن الجوارح ، قليل اللحظ ، متخير اللفظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة ويكون في قواه فضلُ التصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق ، ولا يفتح الألفاظ كل التنقيح ، ولا يصفئها كل التصفية (٣) ، ولا يهذبها غاية التهذيب ، ولا يكون كذلك حتى يصادف فيلسوفاً حكماً عليماً ، ومن قد تعود حذف فضل الكلام ، وأسقط مشترك اللفظ (٤) وقال أنوشروان بزرجمهر (٥) : متى يكون العبي بليغاً؟ فقال : إذا وصف بليغاً ، وقال أرسطاطاليس : «البلاغة حسن الاستعارة» وقال بشر بن خالد (٦) : «البلاغة التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد عن خسيس الكلام ، والدلالة بالقليل على الكثير» وقال خالد بن صفوان : «ليس البلاغة بحفة اللسان ، ولا بكثرة الهذيان ، ولكنها إصابة المعنى ، والقرع بالحجة» وقال عمر بن عبد العزيز : «البليغ من إذا وجد كثيراً ملاًه ، وإذا وجد قليلاً كفاه» ، وقال ابن عتبة : «البلاغة دنو المأخذ ، وقرع الحجج ، والاستغناء بالقليل عن الكثير» وقال بعضهم : «إني لأكره للإنسان أن يكون مقدار لسانه فاضلاً عن مقدار عقله ، كما أكره أن يكون مقدار عقله فاضلاً عن مقدار لسانه وعلمه ، يكفي من حظ البلاغة

(١) في رسائل البلغاء «احتمال» .

(٢) الجأش : رواع القلب إذا اضطرب من الفزع ، ونس الإنسان . وربط جأشه رباطة (بالكسر) اشتد قلبه .

(٣) في رسائل البلغاء «ويصعبها كل التصعبة» .

(٤) جاء في البيان والتبيين ، وزهر الآداب عقب ذلك «قد نظر في صناعة المنطق على جهة الصناعة والمبالغة ، لاعلى جهة التصفح والاعتراض . ووجه النظر والاستطراف» .

(٥) بزرجمهر : مركب من بزرج معرب بزرك أي الكبير ، ومهر : أي الروح ، وهو : بزرجمهر ابن البختكان وزير كسرى أنوشروان ملك الفرس ، وكان شديد الفكر حصيف الرأي .

(٦) وفي العقد «جعفر بن خالد» وفي زهر الآداب ١ : ١٣٤ «قال أعرابي : البلاغة التقرب من البعيد ، والتباعد من الكفاة ، والدلالة بقليل على كثير» .

أن لا يؤتَى السامعُ من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتَى الناطق من سوء فهم السامع^(١) »
 وقيل لعمر بن عبّيد^(٢) : ما البلاغة ؟ فقال : « ما بلغك الجنة ، وعدل بك عن النار ،
 وما بصرك بمواقع رشدك ، وعواقب غيِّك ، فقال السائل : ليس هذا أريد ، فقال :
 من لم يُحسِّن أن يسكت لم يُحسِّن أن يستمع ، ومن لم يحسن الاستماع لم يُحسِّن القول^(٣) ،
 قال : ليس هذا أريد : قال : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إنا معاشر الأنبياء
 بكاء^(٤) » وكانوا يكرهون أن يزيد منطقُ الرجل على عقله ، فقال له السائل : ليس
 هذا أريد ، قال : كانوا يخافون من فتنة القول ومن سقطات الكلام ، مالا يخافون
 من فتنة السكوت وسقطات الصمت^(٥) ، فقال : ليس هذا أريد ، فقال : فكأنك
 إنما تريد تخيير اللفظ في حسن إفهام ، قال : نعم ، قال : إنك إن أردت تقرير حجة الله
 في عقول المكافئين^(٦) ، وتخفيف الثبوتة على المستمعين ، وتزيين تلك المعاني في قلوب
 المرئيين^(٧) ، بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، المقبولة عند الأذهان ، رغبةً في سرعة
 استجابتهم ، ونفي الشواغل عن قلوبهم ، بالوعظة الحسنة الناطقة عن الكتاب والسنة ،

(١) جاء في البيان والتبيين ١ : ٤٩ « قال الإمام إبراهيم بن محمد : يكفى من حظ البلاغة . . . الخ » انظر أيضا زهر الآداب ١ : ١٣٤ ، وفي نهاية الأرب ٧ : ٧ « وقيل لآخر ما البلاغة ؟ قال : ألا يؤتَى القائل من سوء فهم السامع ، ولا يؤتَى السامع من سوء بيان القائل » .

(٢) وردت هذه المحاوره في زهر الآداب ١ : ١١٧ ، ونهاية الأرب ٧ : ٧ ، وعمر بن عبّيد ابن باب : لإمام من أئمة المعتزلة توفي سنة ١٤٤ - انظر ترجمته في وفيات الأعيان ١ : ٣٨٤ .

(٣) وفي نهاية الأرب : « قال : من لم يحسن أن يسكت لم يحسن أن يسمع ، ومن لم يحسن أن يسمع لم يحسن أن يسأل ، ومن لم يحسن أن يسأل لم يحسن أن يقول » .

(٤) بكأ الرجل بكاءً بالفتح فهو بكى ، من قوم بالكسر : قل كلامه خلفه ، وأصله من بكأت الناقة والشاة كجمل وكرم بكثا وبكاءة بالفتح فيهما ، وبكوا وبكاء بالضم فيهما ، فهي بكى وبكيسة : إذا قل لبنم - وفي الحديث « إنا معاشر النبأ بكاء » وفي رواية « نحن معاشر الأنبياء فينا بك وبكاء » بالضم أى قلته كلام لا فيما نحتاج إليه - انظر لسان العرب والقاموس مادة بكأ .

(٥) في رسائل البلغاء « قال كانوا يخافون من فتنة السكوت وسقطات الصمت » والتصحيح من زهر الآداب .

(٦) وفي نهاية الأرب « المتكلمين » .

(٧) وفيه « المستهين » .

كنت قد أوتيتَ فَصْلَ الخطاب ، واستوجبت من الله سبحانه جزيلَ الثواب (۱) .
وقال الخليل بن أحمد : كلُّ ما أدَّى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة ، فإن استطعت
أن يكون لفظك لمعناك طَبَقًا ، ولتلك الحال وَفَقًا ، وَآخِرَ كلامك لأوله مشابهًا ،
ومواردُه لمصادرِه مُوازِنًا فافعلْ ، واحرصْ أن تكون لكلامك متَّهِمًا ، وإن ظرَّف
ولنظامك مستريبًا ولين لطف . بمواتاة (۲) آلتك لك ، وتصرفُ إرادتك معك ،
فافعل إن شاء الله .

وهذه الرسالة عذراء ، لأنها بكرُ معانٍ لم تفتريَ عنها بلاغةُ الناطقين ، ولا لَمَسَتْها
أَكْفُ المَفَوَّهين ، ولا غاصت عليها فِطْنُ المتكلمين ، ولا سبق إلى ألفاظها أذهان
الناطقين ، فاجعلها مثلاً بين عينيك ، ومصوِّرةً بين يديك ، ومسامرةً لك في ليلك
ونهارك ، تهطلُ عليك شآبيبُ منافعها ، ويُظِلُّك منها بركاؤها ، وتُورِدُك مناهلَ
بلاغتها ، وتدلُّك على مَهَيِّع (۳) رشدِها ، وتُصدِرُك وقد نُقِع (۴) ظمؤك بينابيع بحر
إحسانها إن شاء الله عز وجل ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم (۵) .

(رسائل البلغاء ص ۱۷۶ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۷۱)

(۱) وجاء في زهر الآداب عقب ذلك : « فقبل لعبد الكريم بن روح الفغاري : من هذا الذي
صبر له عمرو هذا الصبر ؟ قال : سألت عن ذلك أبا حفص الشمري فقال : ومن يجترىء عليه هذه الحراة
إلا حفص بن سالم ؟ » أقول : وحفص هذا هو أحد دعاء المعتزلة الذين أنفذهم واصل بن عطاء إلى الآفاق ،
وبتهم في البلاد ، لنشر مذهب الاعتزال ، وقد بعثه واصل إلى خراسان - انظر المنية والأمل ص ۱۹ «
والبيان والتبيين ۱ : ۱۴ .

(۲) المواتاة : الموافقة والمطاوعة . (۳) طريق مهيع : أي بين .

(۴) نقع الماء العطش كقطم : سكنه ، وفي المثل « الرشف أنقع » أي إن الشراب الذي يتشرف
قليلاً قليلاً أقطع للعطش وأنجم ، وإن كان فيه بطن ، مثل يضرب في ترك العجلة .

(۵) ذكر الأستاذ كرد علي في رسائل البلغاء أنه نقل هذه الرسالة من مجموع قديم من كتب الشيخ
طاهر الجزائري ، وقد أورد صاحب العقد الفريد نحواً من شطرها في باب أدوات الكتابة ، وأخبار
الكتاب ، غير أنه لم يوردها على النمط الذي ورد في رسائل البلغاء ، بل تصرف فيها كثيراً بالحذف والزيادة
والنقد والتأخير ، وتراه يلقب إبراهيم بن محمد بن المدبر كاتبها بالشيباني ، فيقول : قال إبراهيم بن محمد
الشيباني وأورد التلقين في صبح الأعشى . فقرأ منها - انظر ج ۲ : ص ۴۵۷ وج ۳ .
ص ۶ ، وكذا النويري في نهاية الأرب - انظر ج ۷ ص : ۱۲ ، ۱۳ ، ۱۹ وكلاهما يلقبه بالشيباني أيضاً ،
والظاهر أنه ينتمي إلى شيبان بالولاء .

١٣١ - كتاب محمد بن مكرم إلى إبراهيم بن المدبر

وكتب محمد^(١) بن مكرم إلى إبراهيم بن المدبر .

« الحمد لله رب العالمين ، حمداً يجوز حمد الحامدين ، الذي جعل قضاءه خيرة لك ، فإن زادك نعمة وفقك لشكرها ، وإن امتحنك ببؤى من نفث^(٢) حاسدٍ ، أو كيدٍ كائدٍ ، أنار برهانك ، وأفاج^(٣) حجتك ، وجمع بين وليك وعدوك في الشهادة لك ، وإن نقل أمراً عن يدك فرما يرجعه إليك مختلاً إفقدك ، هذا إلى ما جعل عندك من خواص النعم التي إن ذكرناها فاطنبتنا ، أو تجوزنا فقصرنا ، كان غابتنا إلى الحسور^(٤) دون مدى غابتك ، وقد زادك الله بهذا الحادث فضلاً عظيماً ، لما ظهر من ولّه العامة إليك ، وتطلّعها إلى ما كانت فيه ، من لين إنصافك وكرم أخلاقك ، ووحشة الخاصة لما فقدت من حسن معاملتك ، وكثير تفضلك ، وأيقن أهل الرأي والتأمل لصفحات الأمور أن كل ما خرج عنك فعائد إليك ، ومتصل به غيره ، حتى تستقر في يدك عراً الأمور ومعاقدها ، وتفتح برأبك وتدير أبوابها ومغالقها ، فليهنئك أن كل ما زاد غيرك نقصاً ، زادك فضلاً ، وكل ما نقص من الرجال وخطأها ، ألحق بك شرفاً فزادك الله وزادنا منك ، وجعلنا ممن يقبله رأبك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموافقتك ، ويجري منها على سبيل طاعتك . »

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٠١)

(١) كاتب بليغ مترسل ، وكان بينه وبين أبي العيناء مداعبات ، انظر أخباره في الفهرست لابن النديم ص ١٧٩ ، وفي خلال ترجمة أبي العيناء في وفيات الأعيان وزهر الآداب كما قدمنا .
(٢) النفث شبيه بالنفخ ، والمصحح مما يصدر عن الحاسد .
(٣) أي نصرها .
(٤) الحسور : الكلال والاقطاع .

١٣٢ - كتابه إلى أحمد بن المدبر

وكتب ابن مكرم إلى أحمد بن المدبر :

« إن جميع أكنفائك ونظرائك يتنازعون الفضل ، فإذا انتهوا إليك أقرؤوا لك ، ويتنافسون المنازل ، فإذا بلغوك وقفوا دونك ، فزادك الله وزادنا بك وفيك ، وجعلنا ممن يقبله رأبك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموقع موافقتك ، ويجرى فيها على سبيل طاعتك » .

(العقد الفريد ٢ : ١٩٦)

١٣٣ - كتابه إلى أحمد بن دينار

وكتب محمد بن مكرم إلى أحمد بن دينار يعزیه بأخيه :

« الذي حرّ كفى للكتاب أيها الأمير تعزيتك بمن لا ترميك الأيام بمثل الحادث فيه ، ولا تعترض مما كان الله جمعه لك عنده ، من الميل إليك ، والاستباق^(١) في صفوك ، والصبر على مكروه جفائك ، مع ما كان الله أعاره من قوة العقل ، وأصالة الرأي ، ومدّ له من عنانه إلى قصى غايات أمله ورجائه ، أبي محمد رضى الله عنه ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، على ما أفاتتنا الأيام منه حين تم واستوى ، وعالَى في الثروة وتناهى ، وعند الله أحسب المصاب به ، وعظم الله لك الأجر ، وأجزل لك العوض والدخر ، فكل ماضٍ من أهلك فأنت سيدادُ ثلثته ، وجابرُ رزيتته ، والمؤنس من وخشته وفقده ، وقد خلف من أنت أحق الناس به : من عجوزٍ وليت تربيتك^(٢) وحياطتك في طبقات سنك ، وولدٍ ربوا في حجرك ، ونبتوا في حوزتك ، وليس لهم بعد الله مرجع سواك ، ولا مقيل إلا في ظلك وذراك^(٣) ، فأشذك الله فيهم ، فإنه

(١) في الأصل « الإساق » وهو تحريف .

(٢) في الأصل « فرسك » .

(٣) الذرى . الظل ، يقال : أنا في ذراه : أى في كنفه وسننه .

رضى الله عنه أخر بهم بعمارة مروة ، وقطعهم بصيلة^(١) فضله ، فالله يجزيه بجميل أثره ، ويخلف عليهم ما هو أهله ، فإن رأى الأمير أن يضمهم إليه ، ويحقق ثمة أبيهم كانت به ، ويجزى هلى أمه ما يقوم بعصمتها وصياتها ، فعل إن شاء الله .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٨)

١٣٤ - كتابه إلى أحمد بن دينار

وكتب إلى أحمد بن دينار :

« نحن من السرور أيها الأمير بما قد استفاض من جميل أترك فيما تبلى من أعمالك ، وزمك إياها بحزمك وعزمك ، واندياشك^(٢) أهلها من جور من وليهم قبلك ، وسرورهم بتناول أيامك ، والكون في ظل يدك وجناحك ، في إعانة من تحضه وتعمه نعمتك ، وتحول به الحول حيث حالت بك ، فالحمد لله الذى جعل العاقبة لك ، ولم يردد علينا آمالنا فيك منكوسة ، كما ردها على غيرنا في غيرك ، ولو ددت أن أباك كان عين آثارك هذه ومناقبك ، وإن كان الافتراق لم يقع بينكما حتى علم أنك خلفه ، وألقى إليك بأمره ومعاقد ثقته ، وجعلك موضع اختصاصه وأثرته ، وصرف ذلك عن كان لا يستحقه ، وذم سالف رأيه فيك وفيه ، وحيد آخره ، ثم نعمة اتصلت لك بما قبلها ، انتظمت بها أمورك فاعتدلت ، وتلاحت عليها وأنسقت : ما منحت في كتابك ، ومستقر ثقتك ، وحامل أعبائك ، من الكفاية والنصيحة ، ووضع عن قلبك مئونة التهمة والقص لأثره ، وإدخاله راحة الطمانينة إليه ، وروح الثقة به ، لا كما ابتلى أخوك^(٣) ، فإنه صحبه فخلط عليه أمره ، وأنشى أسراره إلى صاحب بريده ، فأنفل^(٤) ذلك بينهم ، وقطع حبالهم ، حتى هجنت^(٥)

(١) فى الأصل « بمقالة » . (٢) انتاشه . انتشله واستنقذه .

(٣) جاء فى تاريخ الطبرى ١٠ : ٣٦٢ « وفى سنة ٢٢٤ - فى خلافة المتصم - ولى جعفر بن دينار

اليمين « وجاء فيه أيضا ١١ : ١٨ « وفى سنة ٢٣١ ولى الواثق جعفر بن دينار اليمين » .

(٤) الإنفال : أخذ الرجل الفأس لقطع القناد لإبله ، والمعنى هنا فقطع . (٥) أى قبحت .

آثاره مع حُسْنِهَا ووضوحها ، وصِفِرَتْ يَدُهُ مِنْ حَظِّ عَمَلِهِ ، وَلِزِمَهُ الذَّمُّ مِنْ أَهْلِهِ ،
فهذه كُتِبَتْهُ إِلَى ، فِي اطِّرَاحِ نَصِيحَةٍ لَهُ كَانَتْ فِيهِ ، وَيَسْأَلُنِي أَنْ أُشْخِصَ إِلَيْهِ كَاتِبًا
يَحْمِلُ ثِقَلَهُ ، وَيَفْتَحُ لَهُ مَا أُرْتَجَى (١) مِنْ أَمْرِهِ ، وَهَذَا مِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ ، وَبَيْنَ طَائِرِكَ ،
وَإِقْبَالِ الْأُمُورِ إِلَيْكَ ، وَسَعْيِهَا عَلَى طَرِيقِ مَوَافَقَتِكَ ، وَهَنِيئًا ، هُنَاكَ اللَّهُ نِعَمَهُ خَاصًّا
وَعَامًّا ، وَأَوْزَعَكَ (٢) شُكْرَهَا ، وَأَوْجِبُ لَكَ بِالشُّكْرِ أَحْسَنَ الزَّيْدِ فِيهَا .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٠٠)

١٣٥ - كتابه إلى نصراني أسلم

وكتب محمد بن مكرم إلى نصراني أسلم .

« أما بعد : فالحمد لله الذي وَفَّقَكَ لِشُكْرِهِ ، وَعَرَّفَكَ هِدَايَتَهُ ، فَطَهَّرَ مِنَ الْإِرْتِيَابِ
قَلْبَكَ ، وَمِنَ الْإِفْتِرَاءِ عَلَيْهِ لِسَانَكَ ، وَمَا زَالَتْ نَحَايَةُ بِلْكَ مِمَّا لَنَا جَمِيلٌ مَا وَهَبَهُ اللَّهُ لَكَ ،
حَتَّى كَأَنَّكَ لَمْ تَزَلْ بِالْإِسْلَامِ مُوسِمًا ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى غَيْرِهِ مَقِيمًا ، وَكُنَّا مُؤْمَلِينَ
لِمَا صِرْتَ إِلَيْهِ ، مُشْفِقِينَ لَكَ مِمَّا كَفَتْ عَلَيْهِ ، حَتَّى إِذَا كَادَ إِشْفَاقُنَا يَسْتَعْلِي رِجَاءُنَا ،
أَتَتْ السَّعَادَةُ بِمَا لَمْ تَزَلِ الْأَنْفُسُ تَعِدُّ مِنْكَ ، فَاسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي نَوَّرَ لَكَ فِي رَأْيِكَ ،
وَأَضَاءَ لَكَ سَبِيلَ رَشْدِكَ ، أَنْ يُوَفِّقَكَ لِصَالِحِ الْعَمَلِ ، وَأَنْ يُؤْتِيكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ،
وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَيَقِيكَ عَذَابَ النَّارِ » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٠٥ ، وزهر الآداب ١ : ٣٢٥)

١٣٦ - كتابه إلى حاج

وكتب تهنئة لحاج :

« بَأَعْلَى اللَّهِ الرِّضَا فِي أَمَلِكَ ، مِنْ نُجُوحِ كُلِّ حَاجَةٍ ، وَإِبْلَإِغِ كُلِّ أَمْنِيَّةٍ ،
وَتَقَبُّلِ كُلِّ دَعْوَةٍ خَصَّصْتَ بِهَا نَفْسَكَ أَوْ عَمَمْتَ بِهَا أَحَدًا مِنْ أَهْلِكَ ، فِي تَجَامِعِ

(٢) أي أهلك .

(١) أي ما أغلقه .

وَفُودِهِ ، وَمُعْتَزَلِ قَرَارِهِ . فَكُنْتَ شَافِعَ مَنْ شَاهَدَكَ ، وَوَافِدَ مَنْ غَابَ عَنْكَ ،
يَسْتَفْتِحُ بِدَعَائِكَ ، وَيُرْجِي بِرُكَّةِ مَحْضَرِكَ ، وَالْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِفَضْلِ جَاهِكَ .
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۲۹۹)

۱۳۷ - كتابه إلى بعض الرؤساء

وكتب ابن مكرم إلى بعض الرؤساء يعتذر :
« نَبَيْتُ بِبَيْ عِنْدِكَ (۱) غِرَّةَ الْحِدَاثَةِ ، فَرَدَدْتَنِي إِلَيْكَ التَّجْرِبَةَ (۲) ، وَبَاعَدْتَنِي عَنْكَ
الثِّقَةَ بِالْأَيَّامِ ، فَأَدْنَيْتَنِي إِلَيْكَ الضَّرُورَةَ ، ثِقَةً بِإِسْرَاحِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ ،
وَقَبُولِكَ لِعُذْرِي ، وَإِنْ قَصَّرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ ، وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي قَدْ سَدَّتْ عَلَيَّ
مَسَالِكَ الصَّفْحِ عَنِّي ، فَرَاجِعْ فِيَّ بِمَجْدِكَ وَسُوءِ دُودِكَ ، وَإِنِّي لَا أَعْرِفُ مَوْقِفًا أَذَلَّ مِنْ
مَوْقِفِي ، لَوْلَا أَنْ الْخَاطِبَةَ فِيهِ لَكَ ، وَلَا خُطَّةً أَدْنَى مِنْ خُطَّتِي ، لَوْلَا أَنَّهَا
فِي طَلَبِ رِضَاكَ (۳) » .

(زهر الآداب ۳ : ۳۸۲ ، وعبون الأخبار م ۳ : ۱۰۵)

۱۳۸ - كتابه إلى سليمان بن وهب

وله إلى سليمان بن وهب يعزّيه عن أخيه الحسن :
« لئن أظنبتُ في وصف جلاله المصيبة بفلان ، لَأَجِدَنَّ مِنَ الْقَوْلِ مُسْتَعْرَضًا
فَسِيحًا يَزِيدُ الْإِيمَانَ فِيهِ عَلَى غَايَتِهِ بَعْدًا ، وَلئن أَسْهَيْتُ فِي ذِكْرِ ثَوَابِهَا - الَّذِي إِذَا
خَطَرَتِ الدُّنْيَا لِأَقْلِهِ مَا كَانَتْ بِهِ وَفَاءً وَوَفَاءً لَهُ تَبَعًا (۴) - لَأَجِدَنَّ أَرْحَبَ مِنْهُ مَذْهَبًا ،

(۱) نبا عنه : تجماع وتباعد ، والغرة : الغفلة .

(۲) وفي عبون الأخبار « الحنكة » - بالضم - .

(۳) وفيه : « وإن كانت ذنوبي قد سدت عليك مسالك الصفح ، فأى موقف هو أدنى من هذا
الموقف ، لولا أن الخطابية فيه لك ، وأى خطة هي أودى بصاحبها من خطة أنا رآكها ، لولا أنها
في رضاك ؟ » .

(۴) في الأصل هكذا « معا » .

وأوسع مجالاً ومضطرباً ، فجعل الله حظَّ الصابرين المحتسبين ، الذين عرّفوا
فساموا ، وأيقنوا فصبروا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، أخذاً بأدب الله الذي قرّن به
صلاته ورحمته ، ورحم الله فلاناً رحمة تاني من وراء زلله ، وتعنّى على فرّطات لسانه
ويديه ، فلهذا ظنّ عن الدنيا محموداً مفقوداً ، قد أطل تفجّع عشيره وخليئه ، وصدّع
في قلبه ، وجافى جنبه ، وأعدّمه سلوة العوّض ، وراحة السكون إلى أحد .
وبعد ، فإن الرّمض^(١) والهلع إنما يكونان للمصيبة الخاصة التي لاتعدو صاحبها ،
ولا يجدُ مُعيداً عليها ، ولا شريكاً فيها ، وقد أعانك الله على مصيبتك بالواشج^(٢)
رحماً بك ، والبعيد نسباً منك ، وجمع في ثقلٍ حميلها وألمٍ فجّعها صدبتك وعدوك ،
وكلُّ مُكتسٍ منها سرّاً وبالٍ وحشةً ، ومُنطويٍّ على دخيلٍ حزن ، وناظرٍ من أعقابها
في منظرٍ وعرٍ ، فجميمهم^(٣) فيها مشترك ، وأنت بالتعزّي حقيقٌ قن^(٤) ، على أنها
لو خصّتك لكان في علمك - بأن كل مصيبة سلّمت من شائنةٍ تنقّص نوابها فهي
النعمة الوافية ، وكل مصيبة تحيّف^(٥) جزعها أجرها فهي الرزية الباقية - ما أغفك
وكفك عن أن تعيش من غيرك ، أو تعوّل في حظك على سواك ، وأن يتخطى
الجزعُ نعمة الله عليك إلى قلبك ، أو يجتازها إلى عزمك ، اللهمّ إلا ما لا تملكه
النفس في بدء الصدمة من لوعة الفرقة حتى تقسم أمرها ، وتصير إلى أخذ ما لها
وترك ما عليها ، فتفتناً^(٦) بفوز قدحك ، وبغنى سهمك ، ويبقى الله أثرك منهاجاً
لغيرك ، فقدياً وهب الله لك الخيرة في رأيك ، والتوفيق في إيرادك وإصدارك ،
فله الحمد ومفه المعونة على الشكر ، وبطوله يستحقّ الزيد ، فإن رأيت أن تأمر

(١) الرّمض : حرقة الفيض .

(٢) وشجت بك قرابته كوعد : اشتبكت ، والواشجة : الرحم المشتبكة .

(٣) في الأصل « فمجالك » .

(٤) أي حقيق أيضاً ، بكسر الميم وفتحها وكأمر .

(٥) أي تنقص .

(٦) فتى : كفرح : انكسر غضبه ، وفي الأصل فتناً ، وربما كان « فتناً » .

بالكتاب إلى بما نفسى إليه متطلعةً ، وإليه مرجعى ، مِنْ صَبْرٍ إِنْ كَانَ عَزِيمٌ لَكَ عَلَيْهِ ، أَنْخِذَكَ فِيهِ إِمَامًا ، وَأَرْوِّحْ عَن قَلْبِي بِرَاحَةِ قَلْبِكَ . أَوْ غَيْرِهِ ^(۱) - لَا ابْتِلَاكَ اللَّهُ بِهِ - فَأَقْضِي فِيهِ مَعَكَ ، وَأَحُلَّ فِيهِ مَحَلَّتَكَ ، فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۱۹)

۱۳۹ - كتاب محمد بن مكرم إلى أبي العيناء

وكتب محمد بن مكرم إلى أبي العيناء .

« أما بعد ، فإنى لأعرف للمعروف طريقاً أحزن ^(۲) ولا أوعرَ من طريقه إليك ، ولا مستودعاً أقلَّ زكاً ^(۳) ولا أبعدَ من ثمرة خيرٍ مِنْ مَكَانِهِ عِنْدَكَ ، لِأَنَّهُ يَحْصُلُ مِنْكَ الْمَعْرُوفُ فِي حَسَبِ دَنِيِّ ، وَلِسَانِ بَدِيٍّ ، وَجَهْلٍ قَدْ مَلَكَ عَلَيْكَ هِنَانَكَ ، فَالْمَعْرُوفُ لَدَيْكَ ضَائِعٌ ، وَالشُّكْرُ عِنْدَكَ مَهْجُورٌ ، غَايَتُكَ فِي الْمَعْرُوفِ أَنْ تَجْزُرَهُ ^(۴) ، وَفِي وَائِيهِ أَنْ تَكْفُرَهُ ^(۵) .

(المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۱۱)

۱۴۰ - فصول لابن مكرم

فصل له :

« إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُشْنِيِّ عَلَيْكَ إِلَّا يَخَافُ الْإِفْرَاطَ ، وَلَا يَأْمَنُ التَّقْصِيرَ ، وَيَأْمَنُ

(۱) معطوف على « صبر » .

(۲) أى أوعر ، من الحزن بالفتح : وهو ماغلظ من الأرض .

(۳) الزكاه : النماء والصلاح .

(۴) أى تقطعه وتستأصله . وفي الأصل « تمزره » وهو تصحيف . وربما كان « تحقره » كما في العقد .

(۵) تقدم لك (فى الجزء الثالث ص ۳۸۱) أن صاحب العقد الفريد روى هذا الكتاب - بصورة

أخصر من ذلك - معزوا إلى أحمد بن يوسف . ولم أورد هنا رد أبي العيناء على ابن مكرم لمسا فيه من لإغش صريح لا يليق نشره .

أن تَلَحَّقه نقيصةُ الكذب ، ولا ينتهي به المدح إلى غايةٍ إلا وجدَ فضلكَ تجاوزها ،
ومن سعادةِ جدِّك أن الداعي لا يعدم^(۱) كثرةُ المتابعين له والمؤمنين معه .

وفصل له :

« السيفُ العتيق إذا أصابه الصَّدأ ، استغنى بالقليل من الجلاء ، حتى تعود جدَّته
ويظهر فرندُه^(۲) ، للين طبيعته ، وكرم جَوهره ، ولم أصفِ نفسى لك عَجَباً بك
بل شكراً . »

وفصل له :

« زاد معروفك عندي عِظماً أنه عندك مستور حقير ، وعند الناس مشهور
كبير^(۳) . »

وكتب في التنصل :

« لاقِ عظيمَ أَملى فيك ، ما أتيتُ فيما بيني وبينك ذنباً : مُخِطاً ولا متعمداً ،
ولعلَّ فِدْتةً لم ألقِ لها بالاً ، فأوطى لها اعتذاراً ، وإن تكن ، فبُغية حاسدٍ زخرَ فيها
على لسانٍ واشٍ نبذها إليك في بعضِ غِرَّاتك ، أصابت مني مَقْتلاً ، وشفَّت منك
غَليلاً . »

(العقد للفريد ۲ : ۱۹۴ ، ۱۹۶)

(۱) في الأصل « لا يقدم » وهو تحريف .

(۲) فرند السيف : جوهره .

(۳) أخذه الشاعر فقال :

زاد معروفك عندي عظماً أنه عندك مستور حقير
تناساه كان لم تأته وهو عند الناس مشهور كبير

وله :

« لا تتركني معلقاً بحاجتي ، فالصبر الجميلُ خيرٌ من المَطْل الطويل . »

وله :

« إنه يسهّل عليّ في طلب حاجتي إليك أمران في نفسي ، وأمران فيك فأما اللذان في نفسي فأني لست أضيقُ عنك بعذري ، ولا أصونُ عنك شكري . وأما اللذان فيك ، فسرورك إن أجديتَ (١) ، وصحةُ عذرك إن أكدتَ (٢) . »

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٩٣)

١٤١ - كتاب سعيد بن موسى إلى أبي شراعة

وكتب أبو شراعة (٣) إلى سعيد بن موسى بن سعيد بن مُسَلِّم بن قتيبة يستهديه نبينا ، فكتب إليه سعيد :

« إذا سألتني - جعلني الله فداك - حاجةً فاشطُطْ ، واحتكِمْ فيها حكمَ الصبي على أهله ، فإن ذلك يسرُّني وأسارع إلى إجابتك فيه . »
وأمر له بما التمس من الفبيذ ، فزجه صاحب شرابه وبعث به إليه .

١٤٢ - ردّ أبي شراعة على سعيد بن موسى

فكتب إليه أبو شراعة :

« أستنصيني (٤) الله أجلك ، وأستعيذه من الآفات لك ، وأستعينه على شكر ما وهب

من النعمة فيك ، إنه لذلك وليّ ، وبه مليّ :

(١) أجدي : أعطى . (٢) أكدى : بخل أو قل خيره أو قلل عطاءه .

(٣) هو أحمد بن محمد بن شراعة ، من بكر بن وائل ، شاعر بصرى من شعراء الدولة العباسية ، جيد الشعر ، وهو كالبديوي في مذهبه ، وكان يتعاطى الرسائل والمحطب مع شعره ، وكان صديقاً لإبراهيم ابن المدبر أيام تفلده البصرة أنيرا عنده - انظر ترجمته في الأغاني ٢٠ : ٣٥ .

(٤) أي أسأله أن يطيل أجلك .

أتانى غلامك المليحُ قدّه، السعيدُ بملَككتك^(۱) جدّه، بكتاب قرأته غير مُستكره
 اللفظِ ولا مُزور^(۲) عن القصد، ينطق بحكمتك، ويُبين عن فضلك، فوالله ما أوضَحَ
 لى خزيًا، ولا زادنى بك علما، وإذا أنت تسأل فيه أن تهَبَ، وتحب أن تُحمّد، ولا
 غرو^(۳) أن تفعل ذلك، ومن كُتِب^(۴) أخذته، وعن كلاله^(۵) وغير كلاله ورثته،
 موسى أبوك، وسعيد جدك، وعمرؤ عمك، ولك دار الصلّة ودار الضيافة، وصاحب
 البغلة الشهباء^(۶)، وحُصَيْنُ بن الحُمام^(۷)، وعروة بن الورد^(۸) قفى أى غلوات^(۹) المجد
 يطمع قريبك أن يستولى على المدى والأمد، والأمدُ دونك .
 وكتابك إلى أن أتحمكم عليك تحمكم الصبي على أهله، فلشدّ ماجررت إلى
 معروفك، ودللت على الأنس بك، وحاشا للمحكوم له والمحكوم عليه فى ذات الحسب
 العتيق^(۱۰)، والمنظر الأنيق، الذى يسرّ القلب، ويلأثم الرُوح، ويطرُد الهَمَّ :
 تَدِبُّ خِيَالَ شُؤنِ الفَتَى دَبِيبَ دَبَا النَّمْلَةِ المنتعش^(۱۱)

(۱) الملكة : الملك .

(۲) ازور : مال وانحرف ، والقصد استقامة الطريق .

(۳) لاغرو ولا غروى : لا عجب .

(۴) أى من قرب .

(۵) الكلاله : مالم يكن من النسب لحا ، قال الفرزدق : « ورثم قناة الملك لا عن كلاله » أى

ورثتموها وورثة قرب لا وورثة بعد ، قال عامر بن الطفيل :

وما سودتنى عامر عن كلاله أبى الله أن أسمو بأبى ولا أب

ومنه قولهم : هو ابن عم كلاله ، أى بعيد النسب ، فإذا أرادوا القرب قالوا هو ابن عم دنية

(بكسر الدال) .

(۶) شهباء ذات شهبه بالضم ، وهى بياض يصدعه سواد .

(۷) كان سيد بنى سهم بن مرة ، وكان يقال له : مانع الضيم ، وهو شاعر جاهلى مقل - انظر

ترجمته فى الأغانى ۱۲ : ۱۱۸ ، والشعر والشعراء ص ۲۴۷ .

(۸) شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها ، وكان يلقب : عروة الصعاليك، لسخائه ،

وهو من بنى هبش - انظر ترجمته فى الأغانى ۲ : ۱۸۴ ، والشعر والشعراء ص ۲۶۰ .

(۹) الغلوة : الغاية قدر رمية سهم أبعد ما يقدر عليه، ويقال : هى قدر ثلثمائة ذراع إلى أربعمائة ،

وقد تستعمل الغلوة فى سباق الخيل ، - وهو المقصود هنا - والمدى والأمد : الغاية .

(۱۱) الدبا : أصفر النمل .

(۱۰) يعنى الخمر .

إِذَا فُتِحَتْ فَعَمَّتْ رِيْحُهَا وَإِنْ سِيلَ حَمَارُهَا قَالَ: «خَش»^(۱)،
فَإِنْ كُنْتَ رَعَيْتَ لَهَا عَهْدًا ، وَحَفِظْتَ لَهَا عِنْدَكَ يَدًا ، فَانظُرْ رَبَّ الْخَانُوتِ^(۲) ،
فَامْطُلْهُ دَيْنَهُ ، وَاقْطَعْ السَّبَبَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، فَقَدْ أَسَاءَ صُحْبَتَهَا ، وَأَفْسَدَ بِالْمَاءِ جُمَّتَهَا^(۳) ،
وَسَاطَ عَلَيْهَا عَدُوَهَا ، وَاعْلَمْ بِأَنَّ أَبَاكَ الْمُتَمَثِّلَ بِقَوْلِهِ :

بَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا فَيَقْعُدُ وَسَطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ
وَقَدْ بَسَطَتْ قَدْرَتُكَ لِسَانَكَ ، وَأَكْثَرْتَ لَكَ الْحَمْدَ ، فَدُونِكَ هُرْزَةٌ^(۴) الْبَسِيحَةُ
مِنْهُ فَقَالَ :

وَبَادِرٌ بِمَعْرُوفٍ إِذَا كُنْتَ قَادِرًا زَوَالَ افْتِقَارٍ أَوْ غِنَى عَنكَ يُعْقِبُ
وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ بِقَرَابَةِ^(۵) مَعَ الرَّسُولِ ، وَأَنْشَأَتْ فِي إِثْرِهَا أَقْوَالَ :
إِلَيْكَ ابْنَ مُوسَى الْجُودِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي مُجَلَّلَةً يَضْفُو عَلَيْهَا جِلَالُهَا^(۶)
كَتُومُ الْوَجَى لَا تَشْتَكِي أَلَمَ الشَّرَى سِوَاءِ عَلَيْهَا مَوْتُهَا وَاعْتِلَالُهَا^(۷)
إِذَا شَرِبَتْ أَبْصَرَتْ مَا جَوْفُ بَطْنِهَا وَإِنْ ظَمِئَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهَا هُرْزَالُهَا
وَإِنْ سَحَاتِ حِمْلًا تَكَلَّفُ حِمْلَهَا وَإِنْ حُطَّ عَنْهَا لَمْ أَبْلُ كَيْفَ حَالُهَا^(۸)
بَعَثْنَا بِهَا تَسْمُو الْعَيْونُ وَرَاءَهَا إِلَيْكَ ، وَمَا يُخْشَى عَلَيْهَا كَلَالُهَا^(۹)
وَعَنَى مُغْنِينَا بِصَوْتِ فَشَاقِنِي مَتَى رَاجِعٌ مِنْ أُمِّ عَمْرٍو خِيَالُهَا

- (۱) فغمه الطيب كغم : سد خياشيمه ، وصال يسال : لغة في سأل المهموز ، وخش : كلمة فارسية تفسرها : طيب .
(۲) الخانوت : دكان الخمار ، ويقال : مطله حقه ، وبه .
(۳) وربما كانت « حنبا » .
(۴) النهزة : الفرصة . (۵) أى بنى قرابة .
(۶) الجلال جمع جل بالضم والفتح : وهو ، انلبسه الدابة لتصان به ، وجللها : ألبسها الجل ، وثوب ضاف : أى صابغ .
(۷) الوجى : الخفى أو أشد منه ، والسرى : سير عامة الليل .
(۸) يقال : ما باليته وما باليت به : أى لم أكرت به ، ولم أبال ولم أبل ، حذفوا الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال .
(۹) الكلال : الإعياء .

أَحِبُّ لَكُمْ قَيْسَ بْنَ عَيْلَانَ كُلَّهَا وَيُعْجِبُنِي فُرْسَانُهَا وَرِجَالُهَا^(۱)
وَمَالِي لِأَهْوَى بَقَاءِ قَبِيلَةٍ أَبُوكَ لَهَا بَدْرٌ وَأَنْتَ هَالِكٌ!
فَبِعَثَ إِلَيْهِ بِرَسُولِهِ الَّذِي حَمَلَ إِلَيْهِ النَّبِيذَ ، وَبِصَاحِبِ شِرَابِهِ ، وَكُلِّ مَا كَانَ
فِي خِزَانَتِهِ مِنَ الشَّرَابِ ، وَبِثَمَانِيَةِ دِينَارٍ .
(الأغاني ۲۰ : ۴۰)

۱۴۳ - كتاب البيعة للمنتصر بالله

ومات المتوكل على الله سنة ۲۴۷ هـ فبويع ابنه المنتصر بالله بالخلافة ، وكانت نسخة
البيعة التي أخذت له :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : تُبَايِعُونَ عَبْدَ اللَّهِ الْمُنْتَصِرَ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَبَيْعَةِ
طَوْعٍ وَاعْتِقَادٍ ، وَرِضَا وَرَغْبَةٍ ، بِإِخْلَاصٍ مِنْ سِرَائِرِكُمْ ، وَانْشِرَاحٍ مِنْ صُدُورِكُمْ ،
وَصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِكُمْ ، لَا مُكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ ، بِلِ مُقَرَّرِينَ عَالِمِينَ بِمَا فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ
وَتَأْكِيدِهَا ، مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَتَقْوَاهِ ، وَإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ وَحَقِّهِ ، وَمِنْ عُمُومِ صَالِحِ
عِبَادِ اللَّهِ ، وَاجْتِمَاعِ السَّكَمَةِ ، وَلَمْ الشَّعْثِ ، وَسُكُونِ الدَّهْمِ^(۲) ، وَأَمْنِ الْعَوَاقِبِ ،
وَعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ ، وَقَمَعِ الْمُدْجِدِينَ ، عَلَى أَنْ مُحَمَّدًا الْإِمَامَ الْمُنْتَصِرَ بِاللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ
الْمُقَرَّرُ عَلَيْكُمْ طَاعَتُهُ وَمَنَاصِحَتُهُ ، وَالْوَفَاءُ بِحَقِّهِ وَعَقْدُهُ ، لَا تَشْكُونَ وَلَا تُدْهِنُونَ^(۳)
وَلَا تَعْمِلُونَ وَلَا تَرْتَابُونَ ، وَعَلَى السَّمْعِ لَهُ وَالطَّاعَةِ ، وَالْمَسَالِمَةِ وَاللُّنْصَرَةِ ، وَالْوَفَاءِ
وَالِاسْتِقَامَةِ ، وَالنَّصِيحَةِ فِي النَّسْرِ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْخُفُوفِ^(۴) وَالْوُقُوفِ عِنْدَ كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ
عَبْدُ اللَّهِ الْإِمَامُ الْمُنْتَصِرُ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَلَى أَنْكُمْ أَوْلِيَاءَ أَوْلِيَائِهِ ، وَأَعْدَاءَ أَعْدَائِهِ

(۱) ائكم أى لأجلكم ، وقيس : هو قيس بن عيلان بن مضر . والمعنى : أحب جميع العرب
المضرية لأجلكم (وسعيد المکتوب إليه من باهلة ، وهم بنو مالك بن أعصر بن سعد بن قيس) .
(۲) الدهماء : جماعة الناس .

(۳) الإدهان : إظهار خلاف ما يضر ، والغش .

(۴) الخفوف : العجلة وسرعة السير .

من خاصّ وعامّ ، وأبعد وأقرب ، وتمسّكون ببيعته بوفاء العقد ، وذمّة العهد ، سرائرُكم في ذلك مثلُ علانيتكم ، وضمائرُكم مثلُ السنّتكم ، راضين بما يرضاه لكم أمير المؤمنين في عاجلِكُمْ وآجلِكُمْ ، وعلى إعطائِكُمْ أمير المؤمنين بعد تجديدكم بيعته هذه على أنفسكم ، وتأكيدهم إياها في أعناقكم ، صفةً أيمانِكُمْ راغبين طامعين عن سلامة من قلوبكم وأهوائكم ونيّاتكم ، وعلى ألاّ تسعوا في نقضِ شيء مما أكّد الله عليكم ، وعلى ألاّ يميل بكم تميل^(۱) في ذلك عن نصره وإخلاص ، ونصح ومُوالاة وعلى أن لا تبدّلوا ، ولا يرجع منكم راجع عن نيّته وانطوائه إلى غير علانيته ، وعلى أن تكون بيعتكم التي أعطيتكم بها السنّتكم وعهودكم ، بيعةً يطلع الله من قلوبكم على اجْتِبائها^(۲) واعتقادها ، وعلى الوفاء بدمته بها ، وعلى إخلاصكم في نصرتها ومُوالاة أهلها ، لا يشوب ذلك منكم دغل^(۳) ولا إذهان ، ولا احتيال ولا تأوّل ، حتى تلقوا الله مؤفّين بعهده ، ومؤذنين حقه عليكم ، غير مستشرّفين^(۴) ولا ناكثين ، إذ كان الذين يبايعون منكم أمير المؤمنين إنّما يبايعون الله ، يدُ الله فوق أيديهم فمن نكثَ إنّما ينفكثُ على نفسه ، ومن أوفى بما عاهدَ عليه الله فسيؤتيه أجرًا عظيمًا ، عليكم بذلك وبما أكّدت هذه البيعة في أعناقكم ، وأعطيتكم بها من صفة أيمانكم ، وبما اشترط عليكم بها ، من وفاء ونصر ومُوالاة واجتهاد ونصح ، وعليكم عهدُ الله إن عهده كان مستولا ، وذمّةُ الله وذمّةُ رسوله ، وأشدُّ ما أخذَ على أنبيائه ورسله وعلى أحد من عباده من متأكّد وثائقه ، أن تسمعوا ما أخذَ عليكم في هذه البيعة ولا تبدّلوا ، وأن تطيعوا ولا تعصوا ، وأن تخلصوا ولا ترتابوا ، وأن تمسّكوا بما عاهدتم عليه تمسّك أهل الطاعة بطاعتهم ، وذوى العهد والوفاء بوفائهم

(۱) ميل بالفتح مصدر كميل ، ويصح أن يكون بالضم ، اسم فاعل .

(۲) اجْتِبَاه : اختاره .

(۳) الدغل : الفساد .

(۴) استشرّفه حقه : ظلمه ، وسيأتي في كتاب البيعة للمعتمد غير مستريبين .

وحقهم ، لا يلدنتمكم عن ذلك هوى ولا تميل ، ولا يزيغ بكم فيه ضلال عن هدى ،
باذلين في ذلك أنفسكم واجتهادكم ، ومقدمين فيه حق الدين والطاعة ، بما جعلتم على
أنفسكم ، لا يقبل الله منكم في هذه البيعة إلا الوفاء بها ، فمن نكث منكم ممن بايع
أمير المؤمنين هذه البيعة عما أكد عليه ، مسيراً أو مغليناً ، أو مصراً أو محتملاً ،
فأدهن فيما أعطى الله من نفسه ، وفيما أخذت به موثيق أمير المؤمنين وعهود الله
عليه ، مستعملاً في ذلك الهوى شئى دون الجِدِّ ، والرُّكُونِ إلى الباطل دون نصرة الحق ،
وزاغ عن السبيل التي يعتصم بها أولو الوفاء منهم بعهودهم ، فكلُّ ما يملك كلُّ
واحد ممن خان في ذلك بشيء نقض عهده ، من مال أو عقار أو سائمة أو زرع أو ضرع
صدقة على المساكين في وجوه سبيل الله ، محرَّمٌ عليه أن يرجع شيء من ذلك إلى
ماله ، عن حيلة يقدّمها لنفسه أو يحتمل بها ، وما أفاد^(١) في بقية عمره من فائدة مال يقبل
خطرها أو يجلب قدرها ، فتلك سبيله إلى أن توافيه منيته ، ويأتي عليه أجله ، وكلُّ مملوك
يمسكه اليوم إلى ثلاثين سنة من ذكر أو أنثى ، أحرار لوجه الله ، ونساؤه يوم يلزمه
الحنث ، ومن يتزوج بعدهن إلى ثلاثين سنة ، طوالق البتة طلاق الحرج^(٢) ،
لامثنوية^(٣) فيه ولا رجعة ، وعليه المشى إلى بيت الله الحرام ثلاثين حجة^(٤) لا يقبل
الله منه إلا الوفاء بها ، وهو برىء من الله ورسوله ، والله ورسوله منه بريهان ،
ولا قبل الله منه صرفاً ولا عدلاً^(٥) ، والله عليكم بذلك شهيد ، وكفى بالله شهيداً .

(تاريخ الطبرى ١١: ٧١)

(١) أى استفادة . (٢) انظر ص ١٤٠ من الجزء الثالث .

(٣) أى لا استثناء . (٤) الحجة : السنة .

(٥) الصرف : التوبة ، والعدل : الفدية .

۱۴۴ - کتاب المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وفي سنة ۲۴۸ أغزى المنتصر وصيفاً التركي - أحد كبار الموالى الأتراك - بلاد الروم، وكتب إلى محمد بن عبد الله بن طاهر كتاباً نسخته :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله محمد المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين :

سلام عليك فإن أمير المؤمنين يحمّدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصليَ على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله .

أما بعد : فإن الله - وله الحمدُ على آلائِهِ ، والشكرُ بجميلِ بَلَائِهِ - اختار الإسلامَ وفضله ، وأتمّه وأكمله ، وجعله وسيلةً إلى رضاه ومثوبته ، وسبيلًا نَهَجًا^(۱) إلى رحمته ، وسببًا إلى مَذْخُورِ كرامته ، فقهر له من خالفه ، وأذلَّ له من عندَ عن حقه ، وابتغى غيرَ سبيله ، وخصّه بآتمِّ الشرائعِ وأكملِها ، وأفضلِ الأحكامِ وأعدَّ لها ، وبعث به خيرته من خلقه ، وصفوته من عباده ، محمداً صلى الله عليه وسلم ، وجعل الجهادَ أعظمَ فرائضه منزلةً عنده ، وأعلاها رتبةً لديه ، وأنجَحَها وسيلةً إليه ، لأن الله عزَّ وجلَّ أَعَزُّ دِينِهِ ، وأذلَّ عِتَاةَ الشُّرْكِ ، قال الله عزَّ وجلَّ آمِرًا بالجهادِ ، ومفترضاً له : « انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

وليست تتمضى بالجهادِ في سبيلِ الله حالٌ لا يكابِدُ في الله نصيباً ولا أذى ، ولا يُنْفِقُ نفقَةً ، ولا يقارِعُ عدواً ، ولا يقطعُ بلدًا ، ولا يبطأ أرضاً ، إلا وله بذلك أمرٌ مكتوبٌ ، وثوابٌ جزيلٌ ، وأجرٌ مأمولٌ ، قال الله عزَّ وجلَّ : « ذَلِكَ بِأَنْهُمْ لَا يُصِيدُهُمْ ظَمًا وَلَا نَصَبٌ وَلَا نَخْمَصَةٌ^(۲) فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَّئُونَ مَوْطِنًا

(۲) النخمة : الحجة .

(۱) النهج : الطريق الواضح .

يَفِيضُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ثم أثنى عز وجل بفضل منزلة المجاهدين على القاعدين عنده ، وما وعدهم من جزائه ومثوبته وما لهم من الزُّلْفَى عنده فقال : « لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الصَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً ، وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ، وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » .

فبالجهاد اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، وجعل جَنَّتَهُ تَمَنَّا لَهُمْ ، ورضوانه جزاء لهم على بذلها وَعَدًّا مِنْهُ حَقًّا لَا رَيْبَ فِيهِ ، وَحُكْمًا عَدْلًا لَا تَبْدِيلَ لَهُ ، قال الله عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » وحكم الله عز وجل لأحياء المجاهدين بنصره ، والفوز برحمته ، وأشهد لموتاهم بالحياة الدائمة ، والزُّلْفَى لديه ، والحظ الجزيل من ثوابه ، فقال : « وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ » .

وليس من شيء يتقرب به المؤمنون إلى الله عز وجل من أعمالهم ، ويسعون به في حَطِّ أوزارهم ، وَفَكَالَ^(١) رِقَابِهِمْ ، ويستوجبون به الثواب من ربهم ، إِلَّا وَالْجِهَادُ عنده أعظم منه منزلة ، وأعلى لديه رتبة ، وأولى بالفوز في العاجلة والآجلة ، لأن

(١) فكَالَ الرهن بالفتح ويكسر : ما يفتك به .

أهله بذلوا لله أنفسهم ، لتسكون كلمة الله هي العليا ، وسمعوا بها دون من وراءهم من إخوانهم وحرّيم المسلمين وبيضتهم ، ووقموا^(١) بجهادهم العدو .

وقد رأى أمير المؤمنين - إنا يُحبّه من التقرب إلى الله بجهاد عدوه ، وقضاء حقه عليه فيما استحقّظه من دينه ، والتماس الزُّلفى له في إعزاز أوليائه ، وإحلال البأس والنقمة بمن حادّ عن دينه ، وكذب رسله ، وفارق طاعته - أن يُنهيض « وصيفاً » مؤلّى أمير المؤمنين في هذا العام إلى بلاد أعداء الله الكفّرة الرُّوم غازياً ، إنا عرف الله أمير المؤمنين من طاعته ومناصحته ، ومحمود تعبثته ، وخلص نيته في كل ماقرّبه من الله ومن خليفته .

وقد رأى أمير المؤمنين - والله وليّ معونته وتوفيقه - أن يكون موافاً « وصيف » فيمن أنهض أمير المؤمنين معه من مواليه وجنده وشاكريته^(٢) ثفر مَلَطِيَّة^(٣) ، لِأُنْدَتِي عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وذلك من شهور العجم للنصف من حَزِيران ، ودخوله بلاد أعداء الله في أول يوم من تموز .

فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك على نواحي عمالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا ، ومُرهم بقراءته على من قبلهم من المسلمين ، وترغيبهم في الجهاد وحثهم عليه ، واستنفارهم إليه ، وتعريفهم ما جعل الله من الثواب لأهله ، ليعمل ذو النيات والحسبة والرغبة في الجهاد على حسب ذلك في النهوض إلى عدوهم ، والخفوف إلى معاونة إخوانهم ، والذّيات عن دينهم ، والرمي من وراء حوزتهم ، بموافاة عسكر « وصيف »

(١) أي أذلوا وقهروا .

(٢) الشاكري : الأجير والمستخدم .

(٣) قال ياقوت في معجمه « ملطية » بفتح أوله وثانيه وسكون الطاء وتخفيف الباء ، والعامّة تقوله بتشديد الباء وكسر الطاء : بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تناخم الشام .

مولى أمير المؤمنين مَلْطِيَّةَ في الوقت الذي حدّه أميرُ المؤمنين لهم إن شاء الله ،
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

وكتب أحمد بن الخصب^(١) لسبع ليالٍ خَلَوْنَ من المحرم سنة ثمانٍ وأربعين ومائتين .

(تاريخ الطبرى ١١ : ٧٤)

١٤٥ - رقعة المعتز والمؤيد في خلع أنفسهما من البيعة

وسعى الأتراكُ سَعْيَهُمْ - بتقدير الوزير أحمد بن الخصب - لدى المنتصر ،
في أن يخلع أخويه أبى عبد الله المعتز وإبراهيم المؤيد من الخلافة ، فلم يزالوا به حتى
فعل ، واستكتبَ كلا منهما رُقعةً بخطه أنه خلع نفسه من البيعة ، وقاما فيمن اجتمع
من وجوه الناس فأعلنّا ذلك لهم ، وكانت النسخة التي كتبها .

« بسم الله الرحمن الرحيم : إن أمير المؤمنين المتوكّل على الله رضى الله عنه قلّدى
هذا الأمر ، وبأبى لي وأنا صغير ، من غير إرادتى ومحبتى ، فلما فهمتُ أمرى علمت
أنى لا أقومُ بما قلّدى ، ولا أصلحُ لخلافة المسلمين ، فمن كانت بيعتى في عنقه فهو
من نَقِضِهَا في حِلٍّ ، وقد حلّلتكم منها ، وأبرأتكم من أيمانكم ، ولا عهدَ لي
في رقابكم ولا عقدَ ، وأنتم بُرّاءة من ذلك » .

وكان الذى قرأ الرقعة أحمد بن الخصب ، ثم قام كل منهما فقال لمن حضر :
هذه رقتى وهذا قولى ، فاشهدوا علىّ ، وقد أبرأتكم من أيمانكم وحلّلتكم منها ؛
فقال لهما المنتصر عند ذلك : قد خار الله لكما وللمسلمين .

(تاريخ الطبرى ١١ : ٧٧)

(١) كان وزيراً للمنتصر - انظر خبره في الفخرى ص ٢١٧ ومروج الذهب ٢ : ٢٩٩ .

۱۴۶ - كتاب المنتصر بخلع المعتز والمؤيد

وكتب المنتصر كتابا إلى العمال بخلعها ، وهذه نسخة كتابه إلى أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر في ذلك :

« من عبد الله محمد الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين .

أما بعد ، فإن الله - وله الحمد على آلائه ، والشكرُ بجميل بلائه - جعل ولاةَ الأمر ، من خلفائه القائمين بما بَعَثَ به رسوله صلى الله عليه وسلم ، والذائبين عن دينه ، والداعين إلى حقه ، والمُضِين لأحكامه ، وجعل ما اختصَّهم به من كرامته قواما لعباده ، وصلاحا لبلاده ، ورحمةً عمَّرها خَلَقَهُ ، وافترض طاعتهم ووصلها بطاعته وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وأوجبها في مُحْكَمِ تَنْزِيلِهِ ، لِمَا جَمَعَ فِيهَا مِنْ سُكُونِ الدَّهْمَاءِ ، وَاتِّسَاقِ الْأَهْوَاءِ ، وَلَمِّ الشَّعَثِ ، وَأَمْنِ السُّبُلِ وَوَقْمِ الْعَدُوِّ ، وَحِفْظِ الْحَرِيمِ ، وَسَدِّ الثُّغُورِ ، وَانْتِظَامِ الْأُمُورِ ، فَقَالَ : « أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا الْأَمْرَ مِنْكُمْ » فَمِنَ الْحَقِّ عَلَى خَلْفَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ حَبَّأَهُمْ بِعَظِيمِ نِعْمَتِهِ ، وَاخْتَصَّهم بِأَعْلَى رُتَبِ كِرَامَتِهِ ، وَاسْتَحْفَظَهُمْ فِيهَا جَعَلَهُ وَسِيلَةً إِلَى رَحْمَتِهِ ، وَسَبِيحًا لِرِضَاهِ وَمَثُوبَتِهِ ، أَنْ يُؤَثِّرُوا طَاعَتَهُ فِي كُلِّ حَالٍ تَصَرَّفَتْ بِهِمْ ، وَيُقِيمُوا حَقَّهُ فِي أَنْفُسِهِمْ ، وَالْأَقْرَبِ فَالْأَقْرَبِ مِنْهُمْ ، وَأَنْ يَكُونَ مَحَلُّهُمْ مِنَ الْجَاهِدِ فِي كُلِّ مَا قَرَّبَ مِنْ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ حَسَبَ مَوَاقِعِهِمْ مِنَ الدِّينِ ، وَوَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَسْأَلُ اللَّهَ مَسْأَلَةً ، رَغْبَةً إِلَيْهِ وَتَذَلُّلاً لِعِظَمَتِهِ ، أَنْ يَقُولَ : يَا أَسْرِعْهُ ، وَوَلَايَةَ يَجْمَعُ إِيَّاهُ بِهَا صَلَاحَ مَا قَلَدَهُ ، وَيَحْمِلُ عَنْهُ أَعْيَاءَ مَا حَمَلَهُ ، وَيُعِينُهُ بِتَوْفِيقِهِ عَلَى طَاعَتِهِ ، إِنَّهُ حَمِيمٌ قَرِيبٌ .

وقد علمت ما حضرت من رفع أبي عبد الله وإبراهيم ابني أمير المؤمنين المتوكل
على الله رضى الله عنه إلى أمير المؤمنين رُقعتين بخطوطهما يذكُران فيهما ما هَرَفَهما الله
مِنْ عطف أمير المؤمنين عليهما ورأفته بهما ، وجميلِ نظره لهما ، وما كان أمير المؤمنين
المتوكلُ على الله عَقَدَه لأبي عبد الله من ولاية عهدِ أمير المؤمنين ، ولإبراهيم من ولاية
العهد بعد أبي عبد الله ، وأن ذلك العَقْدَ كان وأبو عبد الله طِفْلٌ لم يبلغ ثلاث سنين ،
ولم يفهم ما عَقَدَ له ، ولا وَقَفَ على ما قُلِّدَ ، وإبراهيم صغير لم يبلغ الحُلْمَ ، ولم تَجْرِ (۱)
أحكامُهما ، ولا جَرَتِ أحكامُ الإسلامِ عليهما ، وأنه قد يجب عليهما إذ بلغا ووقفا على
عجزهما عن القيام بما عَقَدَ لهما من العهد ، وأسند إليهما من الأعمال ، أن ينصحا لله
ولجماعة المسلمين ، بأن يُخْرِجا من هذا الأمر الذي عَقَدَ لهما أنفسهما ، ويعتزلا الأعمال
التي قُلِّدَاها ، ويجعلا كلَّ مَنْ في عُنُقِهِ لهما بيعةٌ وعليه يمينٌ ، في حِلِّ ، إذ كانا
لا يقومان بما رُشِّحَا له ، ولا يصلحان لتقلده ، وأن يُخْرِجَ مَنْ كان ضُمَّ إليهما ممن
في نواحيهما من قواد أمير المؤمنين وهو إليه وغلامانه وجنده وشاكريته وجميع من مع
أولئك القواد بالخضرة وخراسان وسائر النواحي عن رؤسومهما ، وبزوال عنهم جميعا
ذكر الضم إليهما ، وأن يكونا سُوقَةً (۲) من سُوقِ المسلمين وعامتهم ، وبصيفانٍ مالم
يزالا يذكُران لأمر المؤمنين من ذلك ، ويسألانه فيه ، منذ أفضى اللهُ بخلافته إليه ،
وأنهما قد خَافَا أنفسهما من ولاية العهد وخرجا منها ، وجعلا كلَّ مَنْ لهما عايه بيعةٌ
ويمينٌ ، من قواد أمير المؤمنين وجميع أوليائه ورعيته قريبيهم وبعيدهم ، وحاضريهم
وغائبهم ، في حِلِّ وسَعَةِ من بيعتهم وأيمانهم ، ليخلعوهما كما حلَّعا أنفسهما ، وجعلا
لأمر المؤمنين على أنفسهما عهدَ الله وأشدَّ ما أخذ على ملائِكَته وأنبيائه وعباده من

(۱) وربما كان « ولم تجر » .

(۲) السوقة : الرعية ، للا واحد والجمع والذكر والمؤنث ، وقد يجمع على سوق بضم ففتح .

عهد وميثاق ، وجميع ما أكده أمير المؤمنين عليهما من الأيمان ، بإقامتهما على طاعته
ومناصحته وموالاته في السر والعلانية ، وبسالان أمير المؤمنين أن يظهر ما فعلاه
وينشره ، ويحضر جميع أوليائه لسمعوا ذلك منهما ، طالبين راغبين ، طائعين غير
مكرهين ولا مجبرين ، ويقرأ عليهم الرقعتان اللتان رفعاهما بخطوطهما ، بما ذكرنا
من وقوع الأمر لهما من ولاية العهد وهما صبيان ، وخلعهما أنفسهما بعد بلوغهما ،
وما سألنا من صرفهما عن الأعمال التي يتوليانيها ، وإخراج من كان بها ممن ضم
إليهما في نواحيهما من قواد أمير المؤمنين وجنده وغلمانه وشاكريته وجميع من مع
أوائك القواد بالحضرة وخراسان وسائر النواحي عن رسومهما ، وإزالة ذكر الضم
إليهما عنهما ، وأن يكتب الكتاب بذلك إلى جميع عمال النواحي ، وأن أمير المؤمنين
وقف على صدقهما فيما ذكرنا ورفعنا ، وتقدم في إحضار جميع إخوته ، ومن بحضرتهم من
أهل بيته وقواده ومواليه وشيعته ورؤساء جنده وشاكريته وكتابه وقضاته والفقهاء
وغيرهم وسائر أوليائه الذين كانت وقعت البيعة لهما بذلك عليهم . وحضر أبو عبد الله
وإبراهيم ابنا أمير المؤمنين المتوكل على الله رضي الله عنه ، وقرئت رقعتهما بخطوطهما بحضرتهم
في مجلس أمير المؤمنين عليهما وعلى جميع من حضر ، وأعادنا من القول بعد قراءة الرقعتين
مثل الذي كتبنا به ، ورأى أمير المؤمنين أن يجمع في إجابتهما إلى نشر ما فعلاه
وإظهاره وإمضائه ذلك ، قضاء حقوق ثلاثة : منها حق الله عز وجل فيما استحفظه من
خلافته ، وأوجب عليه من النظر لأوليائه فيما يجمع لهم كلمتهم في يومهم وغداهم ،
ويؤلف بين قلوبهم ، ومنها حق الرعية الذين هم ودائع الله عنده ، حتى يكون التقليد
لأمورهم من يراعيهم آناء الليل والنهار ، بعنايته ونظيره وتفقدته وعدله ورأفته ، ومن
يقوم بأحكام الله في خلقه ، ومن يضطلع بثقل (١) السياسة وصواب التدبير ، ومنها حق
أبي عبد الله وإبراهيم فيما يوجبه أمير المؤمنين لهما بأخوتهم وماس رجمهما ، لأنهما
لو أقاما على ما خرجا منه ، مع عجزهما عنه ، لم يؤان تأدى ذلك إلى ما يعظم في الدين

(١) الثقل : الحمل ، واضطاع به : قوى على حمله .

ضرره ، ويعمُّ المسلمين مكرهه ، ويرجع عليهما عظيم الوزر فيه ، فخلعهما أمير المؤمنين
إذ خلعا أنفسهما من ولاية العهد ، وخلعهما جميع إخوة أمير المؤمنين ومن بحضرته
من أهل بيته ، وخلعهما جميع من حضر من قواد أمير المؤمنين ومواليه وشيخته
ورؤساء جنده وشاكريته وكتابه وقضاته والفقهاء وغيرهم من سائر أولياء أمير
المؤمنين ، الذين كانت أخذت لهما البيعة عليهم ، وأمر أمير المؤمنين بإنشاء الكتب
بذلك إلى جميع العمال ، ليقدموا في العمل بحسب ما فيها ، ويخلعوا أبا عبد الله وإبراهيم
من ولاية العهد ، إذ كانا قد خلعا أنفسهما من ذلك ، وحللا الخاص والعام ، والحاضر
والغائب ، والداني والقاصي منه ، ويسقطوا ذكركهما بولاية العهد ، وذكري ما نُسب
إليه من نسب ولاية العهد ، من المعتز بالله والمؤيد بالله من كتبهم وألفاظهم ، والدعاء
لهما على المنابر ، ويسقطوا كل ما ثبت في دواوينهم من رسوماتهم القديمة والحديثة الواقعة
على من كان مضموما إليهما ، ويزيلوا ما على الأعلام والمطارد^(١) من ذكركهما ،
وما وسمت به دواب الشاكريّة والرّابطة من أسمائهما ، ومحلّك من أمير المؤمنين
وحالك عنده على حسب ما أخاص الله لأمر المؤمنين من طاعتك ومناصحتك ومولاتك
ومشايعتك ما أوجب الله لك بسلفك ونفسك ، وما عرف الله أمير المؤمنين من
طاعتك ، ويمن نيتك^(٢) ، واجتهادك في قضاء الحق ، وقد أفردك أمير المؤمنين
بقيادتك ، وإزالة الضم إلى أبي عبد الله عنك ، وعمّن في ناحيتك بالحضرة وسائر
النواحي ، ولم يجعل أمير المؤمنين بينك وبينه أحدا يرأسك ، وخرج أمره بذلك إلى
ولاية دواوينه . فاعلم ذلك واكتب إلى عمالك بنسخة كتاب أمير المؤمنين هذا إليك ،
وأوعز إليهم في العمل على حسبه إن شاء الله والسلام .

(١) المطارد كبير : رمح قصير يطرد به .

(٢) النقية : النفس .

وكتب أحمد بن الخصب يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثمان وأربعين ومائتين .
(تاريخ الطبري ۱۱ : ۷۷)

۱۴۷ - كتاب البيعة للمعتز بالله

وتوفي المنتصر بالله سنة ۲۴۸ هـ فولي الخلافة أحمد بن محمد بن المعتصم ، وأُتِمَّ بالمستعين بالله ، وفي عهده قويت شوكة الأتراك .

وفي سنة ۲۵۱ انحدر المستعين من سامرا^(۱) إلى بغداد ، وما لبث الأتراك أن ثاروا به ، وأخرجوا المعتز^(۲) بالله وبايعوه ، وكانت نسخة بيعته^(۳) :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، تَبَايَعُونَ عَبْدَ اللَّهِ الْإِمَامَ الْمُعْتَزَّ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بِيَعَةَ طَوْعٍ وَاعْتِقَادٍ ، وَرِضًا وَرَغْبَةً وَإِخْلَاصٍ مِنْ سَرَّائِرِكُمْ ، وَأَنْشِرَاحٍ مِنْ صُدُورِكُمْ ، وَصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِكُمْ ، لَا مُكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ ، بَلْ مُقَرَّرِينَ عَالِينَ بِمَا فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ وَتَأْكِيدِهَا مِنْ تَقْوَى اللَّهِ وَإِثَارِ طَاعَتِهِ ، وَإِعْزَازِ حَقِّهِ وَدِينِهِ ، وَمِنْ عُجُومِ صَلَاحِ عِبَادِ اللَّهِ ، وَاجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ ، وَتَلَمُّ الشَّعْثِ ، وَسُكُونِ الدَّهْمِ ، وَأَمْنِ الْعَوَاقِبِ ، وَعِزِّ الْأَوْلِيَاءِ ، وَقَمَعِ الْمُجْدِينَ ، عَلَى أَنْ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْتَزَّ بِاللَّهِ ، عَبْدُ اللَّهِ وَخَلِيفَتُهُ ، الْمَفْتَرَضُ عَلَيْكُمْ طَاعَتُهُ وَنَصِيحَتُهُ ، وَالْوَفَاءُ بِحَقِّهِ وَعَهْدِهِ ، لَا تَشْكُونَ وَلَا تُدْهِنُونَ وَلَا تَمِيلُونَ وَلَا تَرْتَابُونَ ، وَعَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَالْمَشَايِعَةِ وَالْوَفَاءِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَالنَّصِيحَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَالْخُفُوفِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْإِمَامُ الْمُعْتَزَّ بِاللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ مَوَالِيَةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَمُعَادَاةِ أَعْدَائِهِ ، مِنْ خَاصَّةٍ وَعَامَّةٍ ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، مَتَمِّكِينَ بِيَعَتِهِ بِوَفَاءِ الْعَهْدِ ، وَذِمَّةِ الْعَهْدِ ، سَرَّائِرُكُمْ فِي ذَلِكَ كَعَلَانِيَتِكُمْ ،

(۱) سامرا لفة في سر من رأى ، وقد قدمنا كلمة عنها في ص ۱۳۴ .

(۲) وكان المعتز والمؤيد في حبس في الجوسق (أي القصر) في حجرة صغيرة ، مع كل واحد منهما غلام يخدمه ، موكل بهم رجل من الأتراك يقال له عيسى خليفة بلبان ، ومعه عدة من الأعوان .

(۳) هي نسخة بيعة المنتصر مع تغيير طفيف ويظهر أنه من الناسخ .

وَضَمَائِرُكُمْ فِيهِ كَمَثَلِ أَلْسِنَتِكُمْ ، رَاضِينَ بِمَا يَرْضَى بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ بَيْعَتِكُمْ هَذِهِ
عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَتَأْكِيدِكُمْ إِيَّاهَا فِي أَعْنَاقِكُمْ ، صَفْقَةً ، رَاضِينَ طَائِعِينَ ، عَنْ سَلَامَةٍ مِنْ
قُلُوبِكُمْ وَأَهْوَاءِكُمْ وَنِيَّاتِكُمْ ، وَبِوَلَايَةِ عَهْدِ الْمَسْلُومِينَ لِإِبْرَاهِيمَ الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
وَعَلَى أَلَّا تَسْمَعُوا فِي نَقْضِ شَيْءٍ مِمَّا أَكَّدَ عَلَيْكُمْ ، وَطَى أَنْ لَا يَمِيلَ بِكُمْ فِي ذَلِكَ تَمِيلٌ
عَنْ نُصْرَةٍ وَإِخْلَاصٍ وَمُؤَالَاةٍ ، وَعَلَى أَلَّا تُبَدِّلُوا وَلَا تَغَيِّرُوا ، وَلَا يَرْجِعَ مِنْكُمْ رَاجِعٌ
عَنْ بَيْعَتِهِ وَانْطَوَاءَتِهِ إِلَى غَيْرِ عِلَانِيَتِهِ ، وَعَلَى أَنْ تَكُونَ بَيْعَتُكُمُ الَّتِي أُعْطِيَتْهَا بِالْأَلْسِنَتِكُمْ
وَعَهْدُكُمْ بَيْعَةً يَطَّلِعُ اللَّهُ مِنْ قُلُوبِكُمْ عَلَى اجْتِبَائِهَا وَاعْتِمَادِهَا ، وَعَلَى الْوَفَاءِ بِذِمَّةِ اللَّهِ فِيهَا
وَعَلَى إِخْلَاصِكُمْ فِي نُصْرَتِهَا وَمُؤَالَاةِ أَهْلِهَا ، لَا يَشُوبُ ذَلِكَ مِنْكُمْ نِفَاقٌ وَلَا إِدْهَانٌ ، وَلَا تَأْوِيلٌ ،
حَتَّى تَلْقَوْا اللَّهَ مُؤَفِّينَ بِهِدَاهِهِ ، مُؤَدِّينَ حَقَّهُ عَلَيْكُمْ ، غَيْرَ مُسْتَرَبِّينَ وَلَا نَاكِثِينَ ،
إِذْ كَانَ الَّذِينَ يَبَايِعُونَ مِنْكُمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَيْعَةَ خِلَافَتِهِ وَوَلَايَةِ الْعَهْدِ مِنْ بَعْدِهِ لِإِبْرَاهِيمَ
الْمُؤَيَّدِ بِاللَّهِ أَخِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ
نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا
عَظِيمًا ، عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ وَبِمَا أَكَّدْتُ عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْبَيْعَةِ فِي أَعْنَاقِكُمْ ، وَأُعْطِيَتْ بِهَا
مِنْ صَفْقَةِ أَيْمَانِكُمْ ، وَبِمَا اشْتَرَطْتُ عَلَيْكُمْ مِنْ وَفَاءٍ وَنُصْرَةٍ وَمُؤَالَاةٍ وَاجْتِهَادٍ ، وَعَلَيْكُمْ
عَهْدُ اللَّهِ ، إِنْ عَاهَدَ كَانَ مَسْئُولًا ، وَذِمَّةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَذِمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَمَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ وَعَلَى أَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ مِنْ مَوَاكِيدِهِ وَمَوَاقِيْقِهِ ، أَنْ
تَسْمَعُوا مَا أَخَذَ عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ ، وَلَا تَبَدِّلُوا وَلَا تَمِيلُوا ، وَأَنْ تَمَسَّكُوا بِمَا
عَاهَدْتُمْ اللَّهَ عَلَيْهِ تَمَسُّكَ أَهْلِ الطَّاعَةِ بِطَاعَتِهِمْ ، وَذَوِي الْوَفَاءِ وَالْعَهْدِ بِوَفَائِهِمْ ، لَا يَلْفِتِكُمْ
عَنْ ذَلِكَ هَيِّ وَلَا مِيلٌ ، وَلَا يُزَيِّغُ قُلُوبَكُمْ نِقْمَةً أَوْ ضَلَالَةً عَنْ هُدًى ، بِأَذَانٍ فِي ذَلِكَ
أَنْفُسَكُمْ وَاجْتِهَادَكُمْ ، وَمَقَدِّمِينَ فِيهِ حَقَّ الدِّينِ وَالطَّاعَةِ وَالْوَفَاءِ بِمَا جَعَلْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ،
لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْكُمْ فِي هَذِهِ الْبَيْعَةِ إِلَّا الْوَفَاءَ بِهَا ، فَمَنْ نَكَثَ مِنْكُمْ مَنْ بَايَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
وَوَلِيَّ عَهْدِ الْمَسْلُومِينَ أَخَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ ، عَلَى مَا أَخَذَ عَلَيْكُمْ ، مُسِرًّا أَوْ مُعْلِنًا ،

مُصَرَّحًا أَوْ مُحْتَالًا أَوْ مُتَاوَلًا ، وَأُذْهَنَ فِيهَا أُعْطِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَفِيهَا أُخِذَ عَلَيْهِ مِنْ
، وَاتَّبَقَ اللَّهُ وَعَهْدُهُ ، وَزَاغَ عَنِ السَّبِيلِ الَّتِي يَعْتَمِدُ بِهَا أُولُو الرَّأْيِ ، فَكُلُّ مَا يَمْلِكُ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مِمَّنْ خَتَرَ^(١) فِي ذَلِكَ مِنْكُمْ عَهْدَهُ ، مِنْ مَالٍ أَوْ عَقَارٍ أَوْ سَائِمَةٍ أَوْ زَرْعٍ
أَوْ ضَرْعٍ ، صَدَقَةٌ عَلَى الْمَسَاكِينِ فِي وَجْهِ سَبِيلِ اللَّهِ ، مَحْبُوسٌ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَرْجِعَ
شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَالِهِ ، عَنْ حِيلَةٍ يَقْدُمُهَا لِنَفْسِهِ أَوْ يَحْتَالُ لَهَا بِهَا ، وَمَا أَفَادَ فِي بَقِيَةِ عَمْرِهِ
مِنْ فَائِدَةِ مَالٍ يَقِلُّ خَطَرُهَا أَوْ يَجِلُّ ، فَذَلِكَ سَبِيلُهَا إِلَى أَنْ تَوَافِيَهِ مَنِيَّتُهُ ، وَيَأْتِي عَلَيْهِ أَجَلُهُ
وَكُلُّ مَمْلُوكٍ يَمْلِكُهُ الْيَوْمَ وَإِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ ذِكْرٍ أَوْ أَتَى ، أَحْرَارٌ لَوْجَهُ اللَّهُ ،
وَنَسَاؤُهُ يَوْمَ يَلْزَمُهُ فِيهِ الْحِنْتُ وَمَنْ يَتَزَوَّجَ بَعْدَهُنَّ إِلَى ثَلَاثِينَ سَنَةً ، طَوَائِقُ طُلَاقِ
الْحَرَجِ ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ إِلَّا الْوَفَاءَ بِهَا ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ
مِنْهُ بَرِيئَانِ ، وَلَا قَبِيلَ اللَّهِ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا ، وَاللَّهُ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ شَهِيدٌ ، وَلَا حَوْلَ
وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

(تاريخ الطبري ١١ : ٩٨)

١٤٨ - كتاب عن محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أهل بغداد

(كتبه سعيد بن حميد)

ولما بايع الأتراك المعتز بسامراء ، أمر المستعين محمد بن عبد الله بن طاهر بمحصرين
بغداد ، فتقدم في ذلك ، وعقد المعتز لأخيه أبي أحمد بن المتوكل على حرب المستعين
وابن طاهر وولاه ذلك ، فسار إلى بغداد في جمع من الأتراك والمغاربة ، فصدمهم ابن
طاهر وأوقع بهم ودارت عليهم الدائرة .

وأمر ابن طاهر سعيد بن حميد فكتب كتابا يذكر فيه هذه الواقعة ، فقرأ

على أهل بغداد في مسجد جامعها ، ونسخته :

(١) الخنزير : الغدر والخديعة أو أفبح الغدر ، وفعله كضرب ونصر .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أما بعدُ ، فالحمدُ لله المنعمِ فلا يَبْلُغُ أحدٌ شَكَرَ نعمته ،
والقادرِ فلا يعارضُ في قدرته ، والعزیزِ فلا يَدِلُّ في أمره ، والحكمِ العَدْلِ فلا يُرَدُّ
حُكْمُهُ ، والناصرِ فلا يكون نصره إلا للحق وأهله ، والمالكِ لكل شيء فلا يخرج
أحدٌ عن أمره ، والهادي إلى سبيل رحمته فلا يضلُّ من انقادَ لطاعته ، والمقدمِ
إِعْذَارِهِ لِيُظَاهِرَ بِهِ حُجَّتَهُ ، الذي جعل دينه لعباده رحمةً ، وخلافتَه لدينه دِصْمَةً ، وطاعة
خلفائه فرضاً واجباً على كافة الأمة ، فهم المستحفظون في أرضه على ما بَعَثَ بِهِ رِسالَهُ ،
وَأَمَنَّاؤُهُ عَلَى خَلْقِهِ فِيمَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ مِنْ دِينِهِ ، وَالْحَامِلُونَ لَهُمْ عَلَى مِنْهَاجِ حَقِّهِ ، لِئَلَّا تَتَشَعَّبَ
بِهِمُ الطُّرُقُ المَخَالِفَةُ لِسَبِيلِهِ ، وَالهُادُونَ لَهُمْ إِلَى صِرَاطِهِ ، لِيَجْمَعَهُمْ عَلَى الجَادَةِ^(١) الَّتِي
نَدَبَ إِلَيْهَا عِبَادَهُ ، بِهِمُ مُحْيَى الدِّينِ مِنَ البُغَاةِ الطَّاغِينَ ، وَحُفِظَتِ مَعَالِمُ الحَقِّ مِنْ
الغَوَاةِ المَخَالِفِينَ ، مُحْتَجِّينَ عَلَى الأُمَّمِ بِكِتَابِ اللَّهِ الذي اسْتَعْمَلَهُمْ بِهِ ، وَرُعَاةً لِلأَمْرِ بِحَقِّ اللَّهِ
الذي اخْتَارَهُمْ لَهُ ، إِنْ جَادَلُوا كَانَتْ حُجَّةُ اللَّهِ مَعَهُمْ ، وَإِنْ حَارَبُوا حُكِمَ بِالنَّصْرِ
لَهُمْ ، وَإِنْ جَاهَدُوا كَانَتْ فِي طَاعَةِ اللَّهِ نَصْرُهُمْ ، وَإِنْ بَغَاهُمْ عَدُوٌّ كَانَتْ كِفَايَةً^(٢)
أَللَّهُ حَائِلَةً دُونَهُمْ ، وَمَعْقِلًا لَهُمْ ، وَإِنْ كَادَهُمْ كَادٌ فَاللَّهُ مِنْ وِرَاءِ عَوْنِهِمْ ، نَصَبَهُمُ اللَّهُ
لِإِعْزَازِ دِينِهِ ، فَمَنْ عَادَاهُمْ فَإِنَّمَا عَادَى الدِّينَ الذي أَعَزَّهُ وَحَرَسَهُ بِهِمْ ، وَمَنْ نَاوَأَهُمْ^(٣)
فإِنَّمَا طَعَنَ عَلَى الحَقِّ الذي يَكَلِّؤُهُ بِحِرَاسَتِهِمْ . جِيوشُهُمُ بِالرُّعْبِ^(٤) مَنْصُورَةٌ ، وَكِتَابُهُمْ
بِسلْطَانِ اللَّهِ مِنْ عَدُوِّهِمْ مُحُوطَةٌ^(٥) ، وَأَيْدِيهِمْ بِذَبِّهَا عَنِ دِينِ اللَّهِ عَالِيَةٌ ، وَأَشْيَاءُهُمْ
بِتَنَاصُرِهِمْ فِي الحَقِّ غَالِبَةٌ ، وَأَحْزَابُ أَعْدَائِهِمْ بِيَغْيِهِمْ مَقْمُوعَةٌ^(٦) ، وَحُجَّتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ
وَعِنْدَ خَلْقِهِ دَاحِضَةٌ^(٧) ، وَوَسَائِلُهُمْ إِلَى النِّصْرِ مَرْدُودَةٌ ، وَأَحْكَامُ اللَّهِ بِخِذْلَانِهِمْ وَاقِعَةٌ

(١) الجادة : الطريق الواضح ، وندبه إلى الأمر كنصر : دعاه وحثه .

(٢) وفي المنظوم والمنثور « نكاية » .

(٣) ناوأه : عاداه ويكلؤه : يجرسه ويحفظه .

(٤) وفي الطبري « بالنصر والعز » .

(٥) وفيه « محفوظه » وأيديهم عن دين الله دافعة . (٦) قعه كنعه : قهره وأذله .

(٧) دحضت الحججة كنع : بطلت ، وفي الطبري « راحضة » وهو تحريف .

وأقدارُهُ بإسلامهم إلى أوليائه جاريةً ، وعادته فيهم وفي الأمم السالفة والقرون الخالية ماضيةً ، ليكون أهل الحق على ثقةٍ من إنجاز سابق الوعد ، وأعداؤه محجوجين بما قدّم إليهم من الإنذار ، مُعَجَّلَةً لهم نعمةُ الله بأبدى أوليائه ، مُعَدًّا لهم العذابُ عند ربهم ، والخزىُ موصلٌ بنواصيرهم في دنياهم ، وعذابُ الآخرة من ورأسهم ، وما الله بظلامٍ للعبيد ، وصلى الله على نبيه المصطفى ، ورسوله المرتضى ، والمنقذ من الضلالة إلى الهدى ، صلاةً تامّةً ناميةً بركاتها ، دائماً اتصالتها ، وسلم تسليماً ، والحمد لله تواضعاً لعظمته ، والحمد لله إقراراً برؤوس بيته ، والحمد لله اعترافاً بقصور أفصى منازل الشكر عن أدنى منزلةٍ من منازل كرامته ، والحمد لله الهادي إلى حمده ، والموجب به مزيدةً ، والمُجِصِي به عوائد إحسانه ، حمداً يرضاه ويتقبله ، ويوجب طوله وإفضاله ، والحمد لله الذي حكم بالخذلان على من بغى على أهل دينه ، وسبق وعده بالنصر لمن بغى عليه من أنصار حقه ، وأنزل بذلك كتابه العزيز موعظةً للباغين ، فإن أقاموا كانت التذكرة نافعةً لهم ، والحجة عند الله لمن قام بها فيهم ، ثم أوجب بعد التذكرة والإصرار جهادهم ، فقال فيما قدّم من وعده ، وأبان من برهانه : « وَمَنْ بَغَى عَلَيَّ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ » وَعَدًّا من الله حقا ، نهى به أعداءه عن معصيته ، وثبت به أوليائه على سبيله ، والله لا يخلف الميعاد .

والله عند أمير المؤمنين - في رئيس دعوته ، وسيف دولته ، والمحامي عن سلطانه ، ومحل ثقة ، والمتقدم في طاعته ونصيحته لأوليائه ، والذاب عن حقه ، والقائم بمجاهدة أعدائه ، محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين - نعمةٌ يرغب إلى الله في إتمامها ، والترفيق لشكرها ، والتطول بمن أراد المزيد فيها ، فإن الله قدر لآبائه القيام بالدعوة الأولى لآبائهم أمير المؤمنين ، ثم جمع له آثارهم بقيامه بالدولة الثانية ، حين حاول

أعداء الله أن يطمسوا معالم دينه ويُعفوها^(١) ، فقام بحق الله وحق خليفته ، مُحامياً عنها ، ومُرامياً من ورائها ، متناوِلاً للبعيد برأيه ونظريه ، مباشرًا للقريب بإشرافه وتفقدِه ، باذلاً نفسه في كل ما قرَّبه من الله ، وأوجب له الزلفَةَ عنده ، وسيمنعُ الله أمير المؤمنين به وإيماً مُكافئاً^(٢) على الحق ، وناصراً مُوازراً على الخير ، وظهيراً مُجاهداً العدوَّ الدين .

وقد علمتم ما كان كتابُ أمير المؤمنين تقدّم به إليكم فيما أحدثته الفرقة الضالّة عن سبيل ربها ، المفارقة لِامصمة دينها ، الكافرةُ بنعم الله ، ونعم خليفته عندها ، للمباينة لجماعة الأمة التي ألّف الله بخلافته نظامها ، المحاولة لِتشيتِ الكلمة بعد اجتماعها ، الناكثة لبيعتِه ، الخالعة لِربقة^(٣) الإسلام من أعناقها ، الموالى الأتراك وما صارت إليه من نصبِ الغلام المعروف بأبي عبد الله بن المتوكل لإمامتها^(٤) ، عند مَصير أمير المؤمنين إلى مدينة السلام ، محلّ سلطانه ، ومجتمعِ أنصاره وأبناء أنصار آبائه ، وما قابلَ به أمير المؤمنين خيانتهم ، وآثره من الأفة في أمرهم ، ثم إن هؤلاء الناكثين جمعوا جَمعاً من الأتراك والمغاربة ومن وُلج في سوادهم ، ودخل في غمارهم^(٥) مؤاتياً للفقنة من أَلْفِ الغيّ^(٦) ، ورأسوا عليهم المعروف بأبي أحمد بن المتوكل ، ثم ساروا نحو مدينة السلام في الجانب الشرقي ، مُعلّنين للبغي والاقنذار ، مُظهِرين للغيّ والإصرار ، فتأنّاهم^(٧) أمير المؤمنين ، وفسّح لهم في النظرة لهم ، وأمر بالكتاب إليهم بما فيه تبصيرهم الرشد ، وتذكيرهم بما قدّموا من البيعة ،

(١) عفاه كدخل وعفاه : عناه .

(٢) كافه : عاونه وساعده ، والظهير : المعين .

(٣) الربقة واحدة الربق بالكسر ، وهو جبل فيه عدة عرى تشد به البهم ، والمراد هنا العهد .

(٤) في الأصل « تاريخ الطبري » : « من نصر » وفيه أيضاً « لإقامتها » وهو تحريف .

(٥) وُلج يلج : دخل ، وسوادهم : عامتهم ، وغمارهم بالضم والفتح : زحمتهم وكثرتهم .

(٦) مؤاتيا : مطاوعا ، والألفاء جمع لف بالكسر وهو الحزب والطائفة ، من الالتفاف .

(٧) جاء في اللسان « تأنى في الأمر أي ترفق وتنظر ، استأنى به أي انتظر به ، ويقال : تأنيتك

حتى لا أناة بي » ، وفسّح له كمنم : وسع ، والنظرة : التأخير .

وإفهامهم ما لله عليهم وله في ذلك من الحق ، وأن خروجهم مما دخلوا فيه من بيعتهم طَوْعًا خُرُوجٌ من دين الله والبراءةُ منه ومن رسوله ، وتحريمهم أموالهم ونساءهم عليهم ، وأن في تمسكهم به سلامة أديانهم ، وبقاء نعمتهم ، والاحتباس من حلول النقم بهم ، وأن يُبين لهم ما سلف من بلائه عندهم ، من أسنى المواهب ، وأرفع الرغائب ، والاختصاصِ بسنى المراتب ، والتقدم في المحافل ، فأبوا إلا تمادياً ونفاراً ، وتمسكاً بالغي وإصراراً ، فقلد أمير المؤمنين نصيحة المؤمن ووليّه محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين تدير أمورهم ، ودعاهم إلى الحق ما كانت الإنابة ، أو محاربتهم إن جنح بهم غيهم ، وتلقوا (١) في ضلالهم ، فلم يألم (٢) نظراً وإفهاماً ، وتبيناً وإرشاداً ، وهم في ذلك رافعون أصواتهم بالتوعّد لأهل مدينة السلام ، بسفك دماهم ، وسبى نساءهم ، وتغنم (٣) أموالهم ، وقبل ذلك ما كانوا في مسيرهم على السبيل التي يستعملها أهل الشرك في غاراتهم ، ويميلون إليها عند إمكان النهزة (٤) ، لا يجتازون بعامرٍ إلا أخربوه ، ولا بحريم (٥) لمسلمٍ ولا غيره إلا أباحوه ، ولا بمسلمٍ يعجز عنهم إلا قتلوه ، ولا بمال مسلمٍ ولا ذمىٍ إلا أخذوه ، حتى انتقل كثير من سبقت إليه أخبارهم من أممهم عن أوطانهم ، وفارقوا منازلهم ورباعهم (٦) ، وفزعوا إلى باب أمير المؤمنين تحصناً من معرتهم ، لا يرون بغنى إلا خلعوا عنه لباس الغنى ، ولا بمستورٍ إلا هتكوا عن الذرية والنساء سيرته ، لا يرقبون في مؤمنٍ إلا (٧) ولا ذمةً ، ولا يتوقفون عن مسلمٍ بهتك ولا مثله (٨) ، ولا يرغبون عما حرم الله من دمٍ ولا حرمة .

(١) المتلع : الشاخص للأمر والرافع رأسه للنهوض والمتقدم .

(٢) ألا يألم : قصر . (٣) اغتنمه وتغنمه : عده غنيمة .

(٤) النهزة : الفرصة .

(٥) حريمك : ما تحميه وتقاتل عنه .

(٦) الرباع جمع ربيع بالفتح : وهو المنزل . (٧) الإل : العهد .

(٨) مثل به بالتخفيف مثله ، ومثل به بالتشديد تمثيلاً : نكل .

ثم تلقوا التذكرة بالحرب، وقابلوا الموعظة بالإصرار على الذنب، وعارضوا
التبصير بالاستبصار في الباطل، فدلفوا^(١) نحو باب الشماسية، وقد رتب محمد بن عبد الله
مولي أمير المؤمنين بذلك الباب والأبواب التي سبيلها سبيله من أبواب مدينة السلام
الجيوش في العدة الكاملة، والعدة المتظاهرة، معاً قلمهم التوكل على ربهم، وحصونهم
الاعتصام بطاعته، وشعارهم التكبير والتهليل أمام عدوهم، ومحمد بن عبد الله
مولي أمير المؤمنين بأمرهم بتحسين ما يليهم، والإمسك عن الحرب ما كانت
مندوحة^(٢) لهم، فباداهم الأولياء بالموعظة، وبدأهم الفؤاة النا كثون بحربهم،
وغادوهم أياما بجمعهم وعدادهم، مدلين بعدتهم ومقدرين أن لا غالب لهم، ولا
يعلمون بالله أن قدرته فوق قدرتهم، وأن أقداره نافذة بخلاف إرادتهم، وأحكامه
عادلة ماضية لأهل الحق عليهم، حتى إذا كان يوم السبت للنصف من صفر، وافوا
باب الشماسية بأجمعهم، قد نشروا أعلامهم، وتنادوا بشعارهم، وتحصنوا بأسلحتهم،
وبدا الأمر منهم لمن عابنهم، ليس لهم وعيد دون سفك الدماء، وسبى النساء،
واستباحة الأموال، فبدأهم الأولياء بالموعظة فلم يسمعوا، وقابلوهم بالتذكرة فلم
يضعوا إليها، وبدءوا بالحرب مناياها، فتسرع الأولياء عند ذلك إليهم،
واستنصروا الله عليهم، واستحكمت بالله ثقتهم، ونفذت به بصائرهم، فلم تزل
الحرب بينهم إلى وقت العصر من هذا اليوم، فقتل الله من حمايتهم وفرسانهم
ورؤسائهم وقادة باطلهم جماعة كثيراً عددها، ونالت الجراحة المشخنة^(٣) التي تأتي
على من نالته أكثر عامتهم، فلما رأى أعداء الله وأعداء دينه أن قد أ كذب
ظنونهم، وحال بينهم وبين أمانيتهم، وجعل عواقبها حسرات عليهم، استنهضوا
جيشاً من « سامراً » من الأتراك والمغاربة: في العتاد^(٤) والعدة والجلد والأسلحة،

(١) دلفت الكتيبة في الحرب كضرب: تقدمت.

(٢) مندوحة: أي سعة.

(٣) أنخن في العدو: بالغ الجراحة فيهم.

(٤) العتاد: العدة.

في الجانب الغربي طالبين المعرّة ، ومؤملين أن ينالوا نَيْلًا من أهله ، باشتغال إخوانهم في الجانب الشرقي بأعدائهم ، وقد كان محمد بن عبد الله مولى أمير المؤمنين شَحَنَ الجائِزِينَ جميعًا بالرجال والعدّة ، ووَكَّلَ بكل ناحية مَنْ يقوم بحفظها وحراستها ، ويكفُّ عن الرعية بَوَائِقِ (١) أعدائهم ، ووَكَّلَ بكل باب من الأبواب قائدا في جمع كثيف ، ورتَّبَ على السُّور مَنْ يُرَاعِيهِ في الليل والنهار ، وبثَّ الرجال ليعرفَ أخبار أعداء الله في حرّ كاتهم ونهوضهم ، ومُقامهم وتصرفهم ، فيعامل كل حال لهم بحال يفتُّ الله في أعضادهم (٢) بها ، فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر ، وافي الجيش الذي أنهضوه من الجانب الغربي الباب المعروف بباب قُطْرَبِل (٣) ، فوقفوا بإزاء الناكثين المعسكرين بالجانب الشرقي من دجلة ، في عدد لا يسعه إلا الفضاء ، ولا يحمله إلا المجالُ الفسيح ، وقد تواعدوا أن يكون دُنُوم من الأبواب معا ، لشغل الأولياء بحربهم من الجهات ، فيضعفوا عنهم ، ويغلبوا حقهم بباطلهم ، أملا كادهم الله فيه غير صادق ، وظننا خائبا لله فيه قضاء نافذ ، وأنهض محمد بن عبد الله نحوهم محمد بن أبي عون وبنُدار بن موسى الطبري مولى أمير المؤمنين وعبد الله بن نصر بن حمزة من باب قُطْرَبِل ، وأمرهم بتقوى الله وطاعته ، والاتباع لأمره ، والتصرف مع كتابه ، والتوقف عن الحرب حتى تسبق التذكرة الأسماع ، وتنزل الحجة بالتتابع منهم والإصرار ، فنفذوا في جمع يقابل جمعهم ، مستبصرين في حق الله عليهم ، مسارعين إلى لقاء عدوهم ، محتسبين خطاهم ومسيرهم واثقين بالثواب الآجل ، والجزاء العاجل ، فتلقاهم ومن معهم أعداء الله قد أطلقوا نحوهم أعينهم ، وأشرعوا (٤) ليجورهم أسنتهم ، لا يشككون أنهم نهزة المختلس ، وغنيمة المنتهب ، فنادوهم بالموعظة نداء مُسمعا فوجتبا أسماءهم ، وعميت عنها

(١) البوائق جمع بائقة : وهي الداهية .

(٢) فت في عضده : أضعفه .

(٣) اسم قرية بين بغداد وعكبرا ينسب إليها الخمر .

(٤) أشرع نحوه الرمح والسيف وشرعهما : أقبلهما لياه وسددهما له .

أبصارهم ، وصدقهم أولياء الله في لقاءهم بقلوب مستجيبة لهم ، وعلم بأن الله لا يخلف وعده فيهم ؛ فجال الخيل بهم جولة ، وعاودت كربة بعد كرة عليهم ، طعنا بالرمح ، وضرباً بالسيوف ، ورشقا بالسهام ، فلما مسهم ألم جراحها ، وكلمتهم (۱) الحرب بأنيابها ، ودارت عليهم رحاها وصمم عليهم أبناؤها ، ظمأ إلى دماهم ، ولوا أدبارهم ومنح الله أكتافهم ، وأوقع بأسه بهم ، فقتلت منهم جماعة لم يحترسوا من عذاب الله بتوبة ، ولم يتحصنوا من عقابه بإنابة (۲) ، ثم ثابت ثانية فوقنوا بإزاء الأولياء ، وعبر إليهم أشياعهم الغاؤون من عسكرهم بباب الشامية ألف رجل من أنجادهم (۳) في السفن ، معاوين لهم هلى ضلاتهم ، فأنهض محمد بن عبد الله خالد بن عمران والشاه ابن ميكال مولى طاهر نحوهم ، فنقدوا ببصيرة لا يتخونها فتور ، ونية لا يلحقها تقصير ، ومعهما العباس بن قارن مولى أمير المؤمنين فلما وافى الشاه فيمن معه أعداء الله وكل المواضع التي يتخوف منها مدخل الكمناء ، ثم حمل ومن توجه معه من القواد المسمن ماضين لا يعوقهم (۴) الوعيد ، ولا يشكرون من الله في النصر والتأييد ، فوضعوا أسيافهم فيهم ، ثمضى أحكام الله عليهم ، حتى ألحقوهم بالمعسكر الذي كانوا عسكروا فيه وجاوزوه ، وسلبوهم كل ما كان من سلاح وكراع (۵) وعتاد الحرب ، فمن قتيل غودرت جثته بمصرعه ، وقيل هامته (۶) إلى مصير فيه معتبر لغيره ، ومن لاجئ من السيف إلى الفرق ، لم يجره الله من حذاره ، ومن أسير مصفود (۷) يقاد إلى دار أولياء الله وحزبه ، ومن هارب بحشاشة (۸) نفسه ، قد أسكن

(۱) كلمة كضرب : جرحه .

(۲) في الأصل « بأمانة » والظاهر أنها « بإنابة » تناسب قوله قبل « بتوبة » .

(۳) أنجاد جمع نجد ، والنجد كشمس وكتف ورجل : الشجاع الماضي فيما يعجز غيره .

(۴) في الأصل « لا يفوقهم » وأراه محرفاً ومساوياً « لا يفوقهم » .

(۵) الهامة : الرأس .

(۶) الكراع : اسم يجمع الخيل .

(۷) صفده كضربه : شده وأوثقه كأصفده وصفده .

(۸) الحشاشة : بقية الروح في الجريح والمريض .

الله الخوف قلبه ، فكانت النعمة بحمد الله واقعةً بالفريقين : من وافى الجانب الغربي قادمًا ، ومن عبر إليهم من الجانب الشرقي مُنجدًا لم ينجح منهم ناجر ، ولم يعتصم منهم بالتوبة معتصم ، ولا أقبل إلى الله مُقبل ، فرقًا أربعا يجمعها النار « وَيَشْمَلُهَا عَاجِلُ النَّكَالِ ، عِظَةٌ وَمَعْتَبَرًا لِأُولَى الْأَبْصَارِ ، وَكَانُوا كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ (١) ، جَهَنَّمَ يَصَلُّونَهَا وَبَسَّ الْقَرَارُ » ولم تزل الحربُ بين الأولياء وبين الفرقة التي كانت في الجانب الشرقي ، والقتلُ محتفل^(٢) في أعلامهم ، والجراحُ فاشيةٌ فيهم ، حتى إذا عابنوا ما أنزل الله بأشياءهم من البوار ، وأحلَّ بهم من النعمة والاستئصال ، ما لهم من الله من عاصم ، ولا من أوليائه ملجأ ولا موئل ، ولوا منهزمين مفلولين منكوبين ، قد أراهم الله العبر في إخوانهم الغلوية ، وطوائفهم المضلة ، وضلَّ ما كان في أنفسهم ، لما رأوا من نصر الله لجنده ، وإعزازِهِ لأوليائه ، والحمد لله رب العالمين ، قَامِعِ الْغَوَاةِ الْناكِبِينَ عن دينه ، وَالْبُغَاةِ الْناقِضِينَ لعَهْدِهِ وَالْمُرَّاقِ الْخَارِجِينَ من جُمْلَةِ أَهْلِ حَقِّهِ حَمْدًا مُبَلِّغًا رِضَاهُ . وَمُوجِبًا أَفْضَلَ مَزِيدِهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ أَوْلَى وَأَخْرَأَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الْهَادِي إِلَى سَبِيلِهِ ، وَالِدَاعِي إِلَيْهِ بِإِذْنِهِ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

وكتب سعيد بن حميد يوم السبت لسبع خلون^(٣) من صفر سنة ٢٥١

(تاريخ الطبري ١١ : ١٠٦ ، واختيار المنظوم والنثور ١٣ : ٢٨٤)

(١) البوار : الهلاك .

(٢) من احتفل : أي اجتمع .

(٣) هكذا في الأصل وأراه خطأ وصوابه « بقين » لأن الوقعة استمرت إلى « يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر » كما جاء في هذه الرسالة .

١٤٩ - كتاب سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان

وكتب سعيد^(١) بن حميد إلى بعض أهل السلطان في يوم النيروز :
« أيها السيد الشريف ، عشت أطول الأعمار ، بزيادة من العمر موصولة
بفرائضها من الشكر ، لا ينقض حق نعمة حتى يُجدد لك أخرى ، ولا يمر بك يوم
إلا كان مقصرا عما بعده ، مؤفيا عما قبله .
إني تصفحت أحوال الأتباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السادة ، فالتمت
التأسي^(٢) بهم في الإهداء ، وإن قصرت بي الحال عن الواجب ، وإني إن أهديت نفسي
فهى ملك لك ، لاحظ فيها لغيرك ، ورميت بطرفي إلى كرائم مالي فوجدتها منك ،
فإن كنت أهديت منها شيئا فإني لمهد مالك إليك ، ونزعت إلى مودتي فوجدتها
خالصة لك ، قديمة غير مستحدثة ، فرأيت إن جعلتها هديتي لم أجدد لهذا اليوم
الجديد برًا ولا لطفًا ، ولم أميز منزلة من شكرى بمنزلة من نعمتك إلا كان الشكر
مقصرا عن الحق والنعمة ، زائداً على ما تبلغه الطاقة ، فجعلت الاعتراف
بالتقصير عن حقك هدية إليك ، والإقرار عما يجب لك برًا أتوصل به إليك ،
وقلت في ذلك .

إن أهدى مالاً فهو واهبه
أو أهدى شكرى فهو مرتين
وهو الحقيق عليه بالشكر
بجميل فعلك آخر الدهر
والشمس تستغني إذا طلعت
أن تستضيء بسنة البدر^(٣)

(العقد الفريد ٣ : ٣٠٧)

(١) كان كاتب أحمد بن الحبيب ، وقلده المستعين ديوان الرسائل ، وكان كاتباً شاعراً مترسلاً
عذب الألفاظ مقدماً في صناعته ، وهو من أبناء الجوس . وكان يدعى أنه من أولاد ملوك الفرس - انظر
ترجمته في الفهرست لابن النديم ص ١٧٩ ومروج الذهب ٢ : ٤٠٨ وتاريخ الطبري ١١ : ٧٠
والأغانى ١٧ : ٢ .

(٢) قال في اللسان : التأسي في الأمور : الأسوة أي القدوة ، وفلان يأتسى بفلان : أى

(٣) السنة : الوجه .

يقتدى به .

١٥٠ - كتاب سعيد بن حميد إلى صديق له

وكتب سعيد بن حميد إلى صديق له يوم نيروز :

« هذا يومٌ سهَّلتُ فيه السُّنةُ للعبيد الإهداء للملوك ، فتملَّقت كلُّ طائفةٍ من البرِّ بحسب القدرة والهمة ، ولم أجد فيما أملاك ما يبغي بحقك ، ووجدت تقريبك أبلغ في أداء ما يجب لك ، ومن لم يؤت في هديته إلا من جهة قدرته فلا طعن عليه . »
(صبح الأعشى ٢ : ٤٢٠)

١٥١ - كتاب سعيد بن حميد إلى أبي العباس بن ثوابة

وكان سعيد بن حميد صديقا لأبي العباس^(١) بن ثوابة ، فدعاه يوما ، وجاءه رسول « فضل^(٢) » الشاعرة ، يسأله المصير إليها ، فمضى معه وتأخر عن أبي العباس ، فكتب إليه رُقعة يعاتبه فيها معاتبه فيها بعضُ الغلظة : فكتب إليه سعيد :

أقلِّ عتابك ، فالبقاء قليلُ والدهرُ يعدلُ تارةً ويميلُ
لم أبك من زمن ذممتُ صروفه إلا بكيتُ عليه حين يزولُ
ولكلِّ نائبةٍ أملتُ مودةً ولكلِّ حالٍ أقبلتُ تحويلُ
والمنتمون إلى الإخاء جماعةُ إن حصلوا أفهام التحصيل^(٣)
ولعلَّ أحداثَ الليالي والردي يوما ستصدعُ بيننا وتحول^(٤)

(١) آل ثوابة بن يونس من بلفاء الكتاب العباسيين ، منهم أبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة (توفي سنة ٢٧٧) ، وابنه أبو هبذ الله محمد بن أحمد و كان مترسلا بليفا ، وكتب للمعتضد ، وأخوه أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة ، تولى ديوان الرسائل في أيام عبيد الله بن سليمان الوزير ، ثم ابنه أبو الحسين محمد بن جعفر بن ثوابة ؛ ثم ابنه أبو عبد الله أحمد بن محمد بن جعفر بن ثوابة ، ولى ديوان الرسائل بعد أبيه محمد بن جعفر سنة ٣١٢ في أيام المقتدر إلى أن مات وهو متوايه في أيام معز الدولة سنة

٣٤٩ - انظر معجم الأدباء ٤ : ١٤٤ ، ٢٤٣ و ٧ : ١٨٧ والفهرست ص ١٨٧ - ١٨٨

(٢) جارية مولدة من مولدات البصرة ، أهديت إلى المتوكل ولم يكن في نساء زمنها أشعر منها

- انظر أخبارها في الأغاني ج ٢١ ص ١١٤ .

(٤) يصدع : أى يفرق .

(٣) التحصيل : تمييز ما حصل .

فلئن سبقت لتبكين بحسرة وليكثرنَّ علىَّ منك عويلُ
ولتفجعنَّ بمخلص لك وامقٍ حبلُ الوفاءِ بحبله موصولُ^(١)
(الأغاني ١٧ : ٦)

١٥٢ - كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعرة

وغضبت فضل الشاعرة على سعيد بن حميد ، فكتب إليها :
بأيها الظالمُ مالي ولكُ ؟ أهكذا تهجرُ من واصلكُ ؟
لا تصرف الرحمة عن أهلها قد يعطف المولى على من دلك^(٢)
ظلمت نفسك فيك علقتهَا فدارَ بالظلم على الفلك^(٣)
تبارك الله ، فما أعلم الله بما ألقى ، وما أغفلك !
فراجعت وصله وصارت إليه جواباً للرقعة .

(الأغاني ١٧ : ٦)

١٥٣ - كتابه إلى فضل الشاعرة

وكتب سعيد بن حميد رُقعة إلى فضل الشاعرة يعتذر إليها من تغير ظنها به ،
وفي آخرها :

تظنون أني قد تبدلتُ بعدكم بديلاً ، وبعضُ الظنِّ إنمَّ ومنكرُ
إذا كان قلبي في يدك رهينةً فكيف بلا قلبٍ أصافي وأهجرُ ؟
(الأغاني ١٧ : ٤)

(١) الوامق : المحب .

(٢) المولى هنا : السيد .

(٣) علق فلان امرأة (بالبناء المجهول) : أحبها .

١٥٤ - كتابه إلى فضل الشاعرة

وتفاضب سعيد بن حميد وفضل الشاعرة أيا ما ، ثم كتب إليها :
تعالى نُجِدُّ عَهْدَ الرِّضَا وَنَصْفَحُ فِي الْحَبِّ عَمَّا مَضَى
وَنَجْرِي عَلَى سُنَّةِ الْعَاشِقِينَ وَنَضْمُنُ عَنِّي وَعَنْكَ الرِّضَا
وَيَبْدُلُ هَذَا لِهَذَا هَوَاهُ وَيَصْبِرُ فِي حُبِّهِ لِلْقَضَا
وَنَخْضَعُ ذُلًّا خُضُوعَ الْعَبِيدِ لِمَوْلَى عَزِيزٍ إِذَا أَعْرَضَا
فَإِنِّي مُذْ لِحَ هَذَا الْعِتَابُ كَأَنِّي أَبْطِنْتُ جَمْرَ الْغَضَا (١)
فصارت إليه وصالحته (٢)

(الأغاني ١٧ : ٥)

١٥٥ - كتابه إلى أبي هفان

وبلغ أبا هفان (٣) عن سعيد بن حميد كلام فيه جفاء وطمع على شعره ، فتوعدده بالهجاء . وكان الحاكي عن ذلك كاذبا ، فبلغ سعيدا ما جرى ، فكتب إلى أبي هفان .

أَمْسَى يَخُوفُنِي الْعَبْدِي بِصَوَاتِهِ وَكَيْفَ آمَنُ بِأَسِّ الضَّيْفَمِ الْهَصِيرِ (٤)
مَنْ لَيْسَ يُحْرِزُنِي مِنْ سَيْفِهِ أَجَلِي وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي مِنْ كَيْدِهِ حَذْرِي
وَلَا أَبَارِزُهُ بِالْأَمْرِ بِكَرْهُهُ وَلَوْ أُعِنْتُ بِأَنْصَارٍ مِنَ الْغَيْرِ (٥)

- (١) الغضا : شجر له جمر يبقى طويلا .
(٢) وقد أورد صاحب الأغاني عدا ما قدمنا مكاتبات شعرية بين فضل وسعيد بن حميد وبينها وبين غيره ، فارجع إليها في ترجمتهما فيه .
(٣) هو أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب الشاعر - انظر ترجمته في نزهة الألبا في طبقات الأدبا ص ٢٦٧ .
(٤) الضيفم : الأسد ، وكذا الهصر ، من هصره إذا كسره .
(٥) غير الدهر : أحداثه المفيرة .

له سِهَامٌ بلا رِيشٍ ولا عَقَبٍ وقوسه أبدا عَطْلٌ من الوتر (١)
وكيف آمن من نحرى له غرضٌ وسهمه صائبٌ يخفى عن البصر؟
(الأغاني ١٧ : ٧)

١٥٦ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه يهنئه بعزل عن عمله :

« جَعَانِي اللهُ مِنَ السُّوءِ وَالْمَسْكَرِ وَفِدَائِكَ ، وَأَطَالَ فِي الْخَيْرِ وَالسَّرُورِ بَقَاءَكَ ،
وَأَتَمَّ نِعْمَةً عَلَيْكَ ، وَأَحْسَنَ مِنْهَا مَزِيدَكَ ، وَبَلَّغَكَ أَقْصَى أَمْنِيَّتِكَ ، وَقَدَّمَنِي أَمَامَكَ ،
وَقَدْ بَلَّغَنِي مَا اخْتَارَ اللهُ لَكَ ، فَسُرِرْتُ مِنْ حَيْثُ يَفْتَمُّ لَكَ مَنْ لَا يَعْرفُ قَدْرَ النِّعْمَةِ
عَلَيْكَ ، وَلَا يَرَاكَ بَعِينَ اسْتِحْقَاقِكَ ، وَلَنْ سَاءَنِي مَا سَاءَ إِخْوَانِكَ مِنْ عَزْلِكَ ، لَقَدْ
سَرَّنِي مَا يَسِّرُ اللهُ لَكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ انْصِرَافَكَ مَحْمُوداً ، وَقَضَى لَكَ فِي عَاقِبَتِكَ
الْحُسْنَى ، وَأَقُولُ :

إِيهْنِكَ أَنْ أَصْبَحْتَ مُجْتَمِعَ الْحَمْدِ وَرَاعَى الْمَعَالِي ، وَالْمُحَامِي عَنِ الْمَجْدِ
وَأَنَّكَ صُنْتَ الْأَمْرَ فِيمَا وَوَلِيَّتَهُ ففَرَّقْتَ مَا بَيْنَ الْغَوَايَةِ وَالرُّشْدِ
فَلَا يَحْسَبُ الْبَاغُونَ عَزْلَكَ مَغْنَمًا فَإِنَّ إِلَى الْإِصْدَارِ عَاقِبَةَ الْوَرْدِ
وَمَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ جُرْدًا لِلْوَغَى فَأَحْمَدَ فِيهَا ثُمَّ رُدَّ إِلَى الْغَمْدِ
وقد قال الأول :

فَنَ يَكُنْ بُوْرُودِ الْعَزْلِ مَكْتَبًا فَإِنِّي بُوْرُودِ الْعَزْلِ مَسْرُورُ
بَعْدَ الْوَلَايَةِ عَزْلٌ يَسْتَبِينُ بِهِ طَوَّلُ الْوَلَاةِ ، وَبَعْدَ الْعَزْلِ تَأْمِيرُ
أَمَّا مَا عِنْدِي مَعَ تَصَوُّرِ الْعَاقِبَةِ لَكَ فِي نَفْسِي ، فَيَمَسُّنِي فِي أَمْرِكَ فِي حَالِ الْمِحْنَةِ
مَا يَخْصِنِي مِنْهُ فِي وَقْتِ تَجَدُّدِ النِّعْمَةِ ، وَبِحَسَبِ ضَمِيرِكَ الشَّاهِدِ عَلَى مَا عِنْدِي مَا أَجِدُهُ

(١) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

لك في نفسي ، فلا زلتَ في نِعَمٍ متتابعة متجدِّدة ، ولا عَدِمْتَ الثَّرْوَةَ والزيادة ،
وَبَلَّغَكَ اللهُ أَقْصَى أَمَلِكِ وَأَمَلِ أَخِيكَ لَكَ ، وَكَبَّتْ^(١) أَعْدَاءُكَ ، وَجَعَلَنِي وَقَاءَكَ
الْمُقَدَّمُ عِنْدَكَ .

أُحِبُّ أَنْ تُشْرِحَ لِي صُورَةَ الْأَمْرِ ، إِلامَ تَأَدَّتْ؟ وَكَيْفَ كَانَ الْإِبْتِدَاءُ؟ فَإِنِّي
لَا أَشْكُ أَنَّهَا حَيْلَةٌ وَنِيَّةٌ مِنْ عِزِّ الصَّاحِبِ الْجَلِيلِ الْقَدْرِ ، وَلَهَا عَاقِبَةٌ مِنْهُ إِنْ شَاءَ اللهُ
مُحْمَدَةٌ ، وَتُفْضِي مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا تَسْكُنُ إِلَيْهِ نَفْسِي ، إِنْ شَاءَ اللهُ .
(اِخْتِيَارُ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ ١٣ : ٣٠١)

١٥٧ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه يهنئه بعزل عن عمله :
« حَفِظَكَ اللهُ بِحِفْظِهِ ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكَ كِرَامَتَهُ ، وَأَدَامَ إِلَيْكَ إِحْسَانَهُ .
إِنْ سُرِرِي بِصَرْفِكَ ، أَكْثَرُ مِنْ سُرُورِ أَهْلِ عَمَلِكَ بِمَا خُصُّوا بِهِ مِنْ وِلَايَتِكَ ،
وَقَدْ كُنْتَ أَعَزَّكَ اللهُ - فِيمَا يُرَبُّ بِأَنْ^(٢) بَكَ عَنْهُ ، بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ فِي قَدْرِكَ وَاسْتِثْنَائِكَ ،
وَلَكِنَّا رَجَوْنَا أَنْ يَكُونَ سَبَبًا لَكَ إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ ، فَطَبْنَا نَفْسًا بِالَّذِي رَجَوْنَا ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي سَلَّمَ مِنْهُ ، وَنَسَّأَهُ تَمَامَ نِعْمِهِ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا فِيكَ ، بِتَقْبِيلِكَ أَمَلًا وَأَمَانًا فِيكَ ،
وَشَفَعِ مَا كَانَ مِنْ وِلَايَتِكَ بِأَعْظَمِ الدَّرَجَاتِ ، وَأَشْرَفِ الْمَرَاتِبِ ، ثُمَّ خَصَّكَ اللهُ بِجَمِيلِ
الصَّنْعِ ، وَبَلَّغَكَ غَايَةَ الْمُؤْمَلِينَ .

إِنْ مِنْ سَعَادَةِ الْوَالِي - حَفِظَكَ اللهُ - وَأَعْظَمِ مَا يُخَصُّ بِهِ فِي عَمَلِهِ وَوِلَايَتِهِ ،
السَّلَامَةَ مِنْ بَوَائِقِ^(٣) الْإِثْمِ ، وَنَوَائِبِ الدُّنْيَا وَشُرْهَا ، وَالْعَاقِبَةَ مِمَّا يَخَافُ مِنْهَا ،

(١) كَبَّتْ : أَذَلَهُ وَرَدَّهُ بِغِيظِهِ .

(٢) يُرَبُّ : يُقَالُ : لَأَنِّي لَأُرَبُّ بِأَبِيكَ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ : أَي أَرْفَعُكَ عَنْهُ ، وَاسْتَأْمَلَهُ : صَارَ أَهْلًا لَهُ وَمُسْتَحَقًّا ،
قَالَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ : وَهِيَ لَفَةٌ جَيِّدَةٌ ، وَإِنْكَارُ الْجَوْهَرِيِّ بِاطِلِ (لِأَنَّهُ يَقُولُ : وَلَا تَقُلْ مُسْتَأْمَلٌ ،
وَالْعَامَّةُ تَقُولُهُ) .

(٣) الْبَوَائِقُ جَمْعُ بَائِقَةٍ : وَهِيَ الدَّاهِيَةُ .

وقد خصك الله منها - بمنه وطوله - ما نرجو أن يكون سببا لك إلى نيل ما تستحق من المراتب ، والله نسأل إيزاعك^(١) شُكْرَ ما مَنَّ به عليك ، وتبليغك غاية أملك في جميع أمورك ، برحمته وفضله .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٠١)

١٥٨ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب إلى بعض إخوانه :

« مَرَّكَ اللهُ بِتَابِعِ نِعْمِهِ ، وَتَرَادُفِ إِحْسَانِهِ ، وَزَادَكَ مِنْ فَوَاضِلِ أَقْسَامِهِ ، بِلَغْنِي - أ كَرَمَكَ اللهُ - مَا وَهَبَ اللهُ لَكَ مِنْ سُلْطَانِكَ ، فَتَوَّأكَ اللهُ عَلَى مَا اسْتَرَعَاكَ ، وَرَزَقَكَ الشُّكْرَ حَلِيَّ مَا أَوْلَاكَ ، وَالسَّلَامَةَ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٩٩)

١٥٩ - كتابه إلى بعض إخوانه

وكتب إلى بعض إخوانه :

« أَنَا أَهْنَى بِكَ الْعَمَلَ الَّذِي وُلِّيتَهُ ، وَلَا أَهْنَيْتُكَ بِهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ أَصَارَهُ إِلَى مَنْ يُورِدُهُ مَوَارِدَ الصَّوَابِ ، وَيُضِدِّرُهُ مَصَادِرَ الْحُجَّةِ ، وَيَصُونُهُ مِنْ كُلِّ خَلَلٍ وَتَقْصِيرٍ ، وَيُمِضِيهِ بِالرَّأْيِ الْأَصِيلِ ، وَالْمَعْرِفَةِ الْكَامِلَةِ ، قَرَنَ اللهُ لَكَ كُلَّ نِعْمَةٍ بِشُكْرِهَا ، وَأَوْجَبَ لَكَ بِطَوْلِهِ الْمَزِيدَ مِنْهَا ، وَأَوْزَعَكَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِهَا مَا يَصُونُهَا مِنَ الْفِتَنِ ، وَيَحْوِطُهَا مِنَ النِّقْصِ » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٢٩٩)

١٦٠ - كتاب له في السلامة

« كِتَابِي إِلَيْكَ عَنْ سَلَامَةٍ ، وَوَحْشَتِي لِفِرَاقِ الْبَلَدِ الَّذِي يَجْمَعُ السَّادَةَ وَالْإِخْوَانَ ، وَالْأَهْلَ وَالْجِيرَانَ ، عَلَى حَسَبِ الْأَنْسِ بِمَكَانِي فِيهِ ، وَالسَّرُورِ بِهِ ، وَلَكِنَّ الْمَقْدَارَ

(١) أوزعه الله : ألهمه .

يَجْرِي فَيَتَصَرَّفُ مَعَهُ ، وَقَعَ ذَلِكَ بِالْهَوَى أَوْ خَالَفَهُ ، وَإِنَّ كَانَتْ هَذِهِ حَالِي فِي الْوَحْشَةِ ،
إِنَّ أَكْثَرَ ذَلِكَ وَأَوْفَرَهُ لِفِرَاقِكَ وَمَا بَعْدُنَا مِنَ الْإِنْسِ بِكَ ، فَاسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَهَبَ لَنَا
اجْتِمَاعًا عَاجِلًا فِي سَلَامَةٍ مِنَ الْأَبْدَانِ وَالْأَدْيَانِ ، وَغَيْبُطَةٍ مِنَ الْحَالِ ، وَغَنَى عَنِ الْمَطَالِبِ
بِرَحْمَتِهِ .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٥)

١٦١ - كتاب له في الشوق

« كتابي والله يعلم كيف وَحَشْتِي لَكَ ، لَا أَوْحَشَكَ اللَّهُ مِنْ نَعْمِهِ ، وَلَا فَرَّقَ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَافِيَتِهِ ، وَكَانَ مِمَّا زَادَ فِي الْوَحْشَةِ أَنَّهَا جَاوَزَتْ الْأَمَلَ الْمَتَمَكِّنَ فِي الْإِنْسِ
بِقَرَبِ الدَّارِ ، وَتَدَانِي الْمَزَارِ ، مُحَمَّدًا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَعْمِهِ ، وَنَسْتَدِيهِ لَكَ وَلَنَا فِيكَ
أَجَلَ بِلَانِهِ ، وَنَسَأَلُهُ إِلَّا يُخْلِيكَ مِنْ شُكْرِهِ وَمَزِيدِهِ ، وَلَوْ كُنْتُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَكْتُبُ
إِلَيْكَ كِتَابًا ، بَلْ لَوْ شَخَّصْتُ نَحْوَكَ قَاصِدًا ، لَكَانَ ذَلِكَ دُونَ الْحَقِّ ، وَلَكِنِّي
غَلِقْتُ^(١) بِمَا تَعَلَّمُ مِنَ الْعَمَلِ ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَتَابِعَ كِتَابِي فَاسْأَلُكَ سَبِيلًا مِنْ سُبُلِ الثَّقَلِ ،
وَأَقِفُ بِمَنْزِلَةِ تَوْسُطٍ ، أَرْجُو أَنْ أَسْلَمَ بِهَا مِنَ الْجَفَاءِ وَالْإِبْرَامِ^(٢) ، وَأَنَا وَإِنْ أَبْقَيْتُ
عَلَيْكَ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي شُغْلِكَ ، فَلَسْتُ بِمَمْتَعٍ مِنْ مَسْأَلَتِكَ التَّطَوُّلَ بِتَعْرِيفِي جَمَلَةً مِنْ
خَبْرِكَ أَشْكُنُ إِلَيْهَا ، وَأَعْتَدُ بِالْفِعْمَةِ وَأُحْمَدُ اللَّهَ عَلَيْهَا .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٥)

١٦٢ - كتاب آخر

« كتابك ليس من الحق أن أسألكه في كل ما نَفَذَ لِي رَسُولٌ ، وَمِنَ الْجَفَاءِ^(٣)
أَنْ أُعْفِيكَ مِنْهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ بِنَا سَبِيلًا بَيْنَ السَّبِيلَيْنِ تَخْرُجُ بَيْنَ وَأَنْتَ
بِهَا مِنْ حَدِّ الْمُبْرَمِينَ ، وَتَخْرُجُ أَنْتَ بِهَا مِنْ حَدِّ الْجَفَاءِ .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٥)

(١) من غلق الرهن : إذا لم يفتكك في الوقت المشروط ، والمعنى أني مقيد بقيود من العمل لأحل
منها ، مرهق بالشواغل الجمة التي ملكت على أوقاتي .

(٢) أبرمه : أضجره . (٣) في الأصل « رسول من الجفاء . . . » .

١٦٣ - كتاب آخر

« أنا أنعمد في كتبي إليك ما يخف وبسهل عليك ، فأمسك عن الكتاب أحياناً بالإبقاء^(١) ، وأكتب أحياناً لئلا يتوهم على الجفاء ، فإن يجز الأمر عندك فيها هذا المجزى ، وإلا فالمستعقب قريب ، ومتابعة الكتب على مهل ممكن » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧٥)

١٦٤ - كتاب له في توصية

« من شكر فقد قضى حقَّ النعمة ، واستوجب من المنعم الزيادة ، وقد شكر فلان ما وعدته في حاجته ، فاستوجب الإنجاز بالشكر ، وكل ما ناله من مرفقٍ وحظٍّ فهما واصلان إلى دونه ، فأحب أن تأتي في أمره ما أنت أهله » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٣)

١٦٥ - كتاب له في الاعتذار

« من قبل عذر في ترك إجابته فلا قبل الله عذره ، ومن حسن أمر في ترك ابتداءه بالكتاب فلا حسن الله أمره ، فإنك الآن بفضل خذقك أردت أن تحفوني بحجة ، وتقصّر في برّي ببرهان قاطع يقوم عند الجاهل - غيرك - مقام المقبول من الأمر ، ولكنه إذا تصفحه أهل النظر علموا أنه طارف من الحيلة استعملته ، وطريق من العذر سلكته ، والله إن في طمعك في أن أقبل إقرارك بالعجز عن إجابتي ، لمساومة منك بعقلي ، وتشكيك لي فيما تحيط به معرفتي ، وتقر لي بالجهل من حيث شهدت بالعلم لي ، وأبلغ المناقضة ما لم تطل فيه المجاذبة ، وما استشهد فيه على المنازع من قوله ، وعدل عن التماس الدليل من جهة تبعد بينه وبين صاحبه »

(١) أي بسبب الإبقاء عليك ، والإشفاق من الزيادة في شغلك ، لملئ بكثرة أعمالك .

قد صدقت - أعزك الله - في كل ما قدمت من الدعوى ، وفلجت^(١) فيما ذهبت إليه من الحجّة ، وعجزت بالحقيقة عما انتحلت العجز عنه في الظاهر ، فقد كتبت إلى كتابا لم تعد فيه طريق العادة ، هو كتابنا ، فاكتب الآن الجواب ، وأنت محمود يا صليفا^(٢) ، وحسبي من معاتبتك ، فليس يجب للفارغ أن يكلف المشغول النظر في أكثر من هذا المقدار من كتابه فيما لا يجدي ولا يعود بحظّ .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٩٠)

١٦٦ - كتاب تعزية له

« إذا استوى المعزى والمعزى في النائية ، استغني عن الاكثار في الوصف لموقع الرزية ، والعدر في التأخر يكاد ظهوره يُنبئ عن التنبيه عليه ، وأنت أولى بما تطوّل به في قبوله ، وأنا أقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إقرارا له بالهلكة ، واعترافا بالرجوع إليه ، وتسليا لقضائه : ورضا بمواقع أقداره ، وأسأل الله أن يصلي على محمد صلاة متصلة بركاتها ، وأن يوفّقك لما يرضيه عنك قولا وفعلا ، حتى يكمل لك ثواب الصابر المحتسب ، وجزاء المطيع المتنجّز للوعد ؛ ويرحم فلانا ويحمله أعلى منازل أوليائه الذين رضى سميهم ، وتطوّل بفضله عليهم ، إنه وليّ قدير . »

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ١٠)

١٦٧ - كتاب تعزية له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر

وكتب تعزية إلى محمد بن عبد الله بن طاهر عن بعض أوليائه :

« ورد على الخبر - أعز الله الأمير - بحادث قضاء الله في الولي الناصح ، المطيع الشاكر ، فلان - رحمه الله - فكان وقع المصاب به على حسب علمي بمحلّه كان من

(١) أي انتصرت وظفرت .

(٢) الصلف بالتحريك : مجاوزة قدر الظرف والادعاء فوق ذلك تكبرا .

الأمير وما يراعه من حق طاعته ونصيحته ، وما يجرى عليه من أدبه وسلوك نهجه ،
والتمسك بأمره ، وما يوجبه الأمير لمن وسمه بمعرفته ، وشرفه باختياره ، واختصاصه
بالقرب من خدمته ، هذا مع ما أخلص الله بيني وبينه من المودة الصادقة ، والثقة
الصحيحة التي بعثنا على التمسك بحبل الأمير ، والاتصال بأسبابه ، والوقوف في ظله ،
فإن الله عز وجل جعل ذلك سببا يجمع أهله ، وإن اختلفت بهم الأسباب ، وتفرقت
بهم الديار ، وتباعدت الأشكال .

وأعظم الله للأمير الأجر ، وأجزل له المثوبة والذخر ، وجعل الله الأمير وارث
أعمارنا ، والباقي بعدنا ، والمومل نلوفنا وأعقابنا ، ورحم الله أبا فلان ونقله إلى جنته
التي لا يجاوزها أمل ، ولا يوازيها خطر ، فما أكاد أشهد مشهدا من مشاهد التمييز
والنظر ، إلا وهم شاهدون له بالفضل الذي شرفه به اصطناع الأمير واختياره والنصيحة
له ، وقدّمه الله به على أ كفاؤه^(١) ، فلو قد رفعه الله به إن شاء الله في حياته [وأورثه^(٢)]
ثناء جميلا بعد وفاته .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٠٧)

١٦٨ - تعزية له في مثله

« لولا أن التعزية على المصائب سبيل لا ينكر على مثلي من خدم الأمير وعبيده
سلوكها ، لأجلت الأمير أن أذكره من الصبر وحسن العزاء مما أعلم أنه بفضل
نعمة الله عليه ، وما خوّله من العلم الذي جعله به قدوة ، وإنما أسأل الله عز وجل أن
يوفق أمير المؤمنين لما يُعظم به أجره ، ويجزل به مثوبته ، ولا يهد له ركنا ، ولا
يريه في شيء من عواربه لديه ومناحجه نقصا ولا غيرا ، ولا تبديلا ، بمنه ولطفه . »
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٠٧)

(١) في الأصل « والنصيحة له التي قد الله به على كفاية » وهو تحريف .

(٢) زدت هذه الكلمة لتستقيم العبارة .

١٦٩ - كتاب له

وكتب :

« شُغْلِكَ يَقْطَعُنَا عَنْ مَطَالِبَتِكَ بِالْحَقِّ فِي جَوَابَاتِ كُتُبِنَا إِلَيْكَ ، وَصِدْقُ مَوَدَّتِنَا لَكَ يَمْنَعُنَا مِنَ التَّقْصِي فِي الْحُجَّةِ عَلَيْكَ ، وَمَنْ يَكِلْكَ إِلَى رَأْيِكَ فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى بِكَ إِلَّا لَكَ ، صَلَاةَ إِخْوَانِكَ وَالتَّعَاهُدَ لَهُمْ مِنْ بَرِّكَ بِمَا يُشْبِهُ فَضْلَكَ ، وَالنِّعْمَةَ عَلَيْهِمْ فِيكَ .
وَفَلَانُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ أَقْدَمَهُ بِهَا عَلَى الْأُخُوَّةِ ، لِأَنَّكَ تَعْلَمُ قُرْبَ مَا بَيْنَ الْمَوَدَّةِ وَالْقَرَابَةِ ، وَقَدْ بَلَّوْتَهُ (١) عَلَى الْحَالَاتِ كُلِّهَا ، فَلَمْ يَزِدْنِي اخْتِبَارَهُ إِلَّا اخْتِيَارَ آلِهِ ، وَلَا أَعْلَمُ بِالْعَسْكَرِ جَلِيلًا إِلَّا وَهُوَ لِي صَدِيقٌ ، يَشْكُرُ بِشُكْرِهِ ، وَيُوجِبُ عَلَيَّ نَفْسَهُ الْمِنَّةَ فِيمَا آتَى إِلَيْهِ ، فَأَمَّا مَنْ بَيْنَ إِخْوَانِهِ فَلَسْتُ أُعَدِّلُ عَنْ قِضَاءِ حَقِّهِ ، وَلَا أَتَأَخَّرُ عَنْ مَعْرُوفِ أُسْدِي إِلَيْهِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُحِلَّهُ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ بِنَفْسِهِ وَسَلْفِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ سُوقَ الْأَحْرَارِ أَنْفَقَ (٢) مِنْهَا عِنْدَكُمْ ، أَهْلَ الْبَيْتِ ، أَبْقَى اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِأَقْيَسِكُمْ ، وَرَحِمَ مَاضِيَكُمْ » .

(اختيار المنظوم والنثور ١٢ : ٢٥٩)

١٧٠ - تحميد له في فتح

وله تحميد في فتح عن وصيف :

« أَمَا بَعْدَ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْحَمِيدِ الْمَجِيدِ ، الْفَعَّالِ لِمَا يُرِيدُ ، الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَأَمْضَاهُ عَلَى مَشِيئَتِهِ ، وَدَبَّرَهُ بِعِلْمِهِ ، وَأَخْطَرَ فِيهِ آثَارَ حِكْمَتِهِ الَّتِي تَدْعُو الْعُقُولَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ ، وَتَشْهَدُ لَذَوِي الْأَبَابِ بِرُبُوبِيَّتِهِ ، وَتَدُلُّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكَ فِي مَلَكَهَ فَيُنَازِعَهُ ، وَلَا مُعِينٌ عَلَى مَا خَلَقَ فَتَلَزَمَهُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ ، فَلَيْسَ بِتَصَرَّفِ عِبَادِهِ فِي حَالٍ إِلَّا كَانَتْ دَلِيلًا عَلَيْهِ ، وَلَا تَقَعُ الْأَبْصَارُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا كَانَ شَاهِدًا لَهُ ، بِمَا

(١) نلاه ببلوه : اختبره .

(٢) أي أروج .

رَسَمَ فِيهِ مِنْ آثَارِ صُنْعِهِ ، وَأَبَانَ فِيهِ مِنْ دَلَائِلِ تَدْبِيرِهِ ، إِعْذَاراً بِحُجَّتِهِ ، وَتَطْوِئاً
بِنِعْمَتِهِ ، وَهَدَايَةً إِلَى حَقِّهِ ، وَإِرْشَاداً إِلَى سَبِيلِ طَاعَتِهِ « وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ، وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

والحمد لله العزيز القهار ، الملك الجبار ، الذي اصطفى الإسلام واختاره ، وارتضاه
وطهره ، وأعلاه وأظهره ، فجعله حُجَّةَ أَهْلِ عَلِيٍّ مِنْ شَاقِّهِمْ ^(۱) ، ووسيلتهم إلى النصر
على مَنْ عِنْدَ ^(۲) فِي حَقِّهِمْ ، وَابْتغَى غَيْرَ سَبِيلِهِمْ ، وَبَعَثَ بِهِ رِسَالَهُ يَدْعُونَ إِلَى حَقِّهِ ،
وَيَهْدُونَ إِلَى سَبِيلِهِ بِالآيَاتِ الَّتِي يَبَيِّنُونَ بِهَا عَنِ الْمَخْلُوقِينَ ، وَيُوجِبُونَ بِهَا الْحُجَّةَ عَلَى
الْمُخَالِفِينَ ، حَتَّى انْتَهتْ كِرَامَةُ اللَّهِ إِلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ ، وَحَامَلَ كِتَابَهُ ، وَمَفْتَاخَ رَحْمَتِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَاخْتِلَافٍ مِنَ الْمَلَلِ ، وَدُثُورٍ ^(۳)
مِنْ أَعْلَامِ الْحَقِّ ، وَاسْتِعْلَاءٍ مِنَ الْبَاطِلِ ، وَالنَّاسُ عَانِدُونَ عَنْ سَبِيلِ رَبِّهِمْ ، يَتَسَافَكُونَ
دِمَاءَهُمْ ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَيَعْبُدُونَ مَنْ دُونَ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ،
وَأَيَّدَهُ بِالْبُرْهَانِ الْوَاضِحِ ، وَالْحُجَجِ الْقَوَاعِدِ ، وَالآيَاتِ الشَّوَاهِدِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ
الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ،
وَجَعَلَ فِيهِ أَوْضَحَ الدَّلِيلِ عَلَى رِسَالَتِهِ ، وَأَعَدَّ الشَّوَاهِدَ عَلَى نُبُوَّتِهِ ، إِذْ عَجَزَ الْمَخْلُوقُونَ
عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ عَلَى مَرَّةٍ الْأَبَامِ ، وَكَثْرَةَ الْأَعْدَاءِ وَالْمَنَازِعِينَ ، يَتَّحِدُونَ بِهَا فِي الْمَوَاسِمِ ،
وَيَقْصِدُهُمْ بِحُجَّتِهِ فِي الْمَحَافِلِ ، وَلَا يَزِدَادُونَ عَنْهُ إِلَّا حُسُوراً ^(۴) وَعَجْزاً ، وَلَا تَزِدَادَ
حُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ إِلَّا تَظَاهُراً وَعُلُواً ، ثُمَّ أَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ بِأَنْصَارِ أَلْفٍ بَيْنَهُمْ بِطَاعَتِهِ ، وَجَمَعَهُمْ
عَلَى حَقِّهِ ، وَلَمْ تَشَعَثْهُمْ بِنُصْرَةِ دِينِهِ ، بَعْدَ الشَّقَاقِ الْمُتَّصِلِ بَيْنَهُمْ ، وَالْحَرْبِ الْمَفْرُوقَةِ لِمَجَاعَتِهِمْ
كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنُصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ » وَقَدَّمَ إِلَيْهِ وَعَدَّهُ
بِالنُّصْرَةِ وَالتَّمَكِينِ ، فَجَعَلَهُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِينَ ، وَحُجَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَدَلِيلًا عَلَى مَا بَعَثَهُ

(۱) أى خالفهم وعاداهم .
(۲) أى خالفهم وعاداهم .
(۳) أى كدخول دثورا : درس .
(۴) أى كلالا وانقطاعا .

به من الدين ، فهزَمَ بالقليل من عددهم الكثير من عدد أعدائهم ، وغلب بضعفائهم
أهل القوة من ناوَأهم (١) ، فقلَّ به حدَّهم ، ونفضَّ جموعهم ، وافتتح حصونهم
وحرَّيز (٢) معاقليهم ، وأظهر بحجته ونصره عليهم ، وأنجز سابق وعده لهم وفيهم ،
وَاللهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ .
(اختيار النظم والمنثور ١٣ : ٢٨٢)

١٧١ - فصول لسعيد بن حميد في المودة

وكتب سعيد بن حميد :

« إني أهديتُ مودتي رغبةً إليك ، ورضيتُ بالقبول منك مَثُوبَةً ، فصرتُ
بقبولها قاضياً لحقِّ ، ومالكاً لِرِيقٍ ، وصرتُ - بالتسرع إلى الهدية ، والتخير
للمثُوبَةِ - مُرْتَهِنَ اللسان بارضاً ، واليدين بالوفا . »

* * *

وفصل له :

« إني صادقتُ منك جوهر نفسي ، فأنا خير محمودٍ على الانقياد لك بغير زِمَامٍ ،
لأن النفس يقود بعضها بعضها . »

* * *

وفصل له :

« لساني ترطَّبَ بذكرك ، وقابي معمورٌ بمحبتك ، حضرتُ أو غبتُ ، سيرتُ
أو أقت . »
(العقد الفريد ٢ : ١٩٢)

(١) أي عاداهم .

(٢) المرير : الحصين ، والمقل كجلس : الملجأ .

١٧٢ - كتاب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد

وكتب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد :

« أكره - أطل الله بقاءك - أن أضحك ونفسي موضع العذر والقبول ، فيكون أحدنا معتذرا مقصرا ، والآخر قابلا متفضلا . ولكن أذكر ما في التلاقي من تجديد البر ، وفي التخلف من قلة الصبر ، وأسأل الله تعالى أن يوفقك وإيانا لما يكون منه عقيب الشكر » .

١٧٣ - رد سعيد بن حميد عليه

فأجابه سعيد بن حميد :

« وصل كتابك - أكرمك الله تعالى - الحاضر سروره ، اللطيف موقعه ، الجميل صدوره ومورده ، الشاهد ظاهره على صدق باطنه ، ونحن - أعزك الله - نجعل عزاءك الاعتراف بفضلك ، ومجازاتك التقصير دونك ، ونرى أن لاعدز في التخلف عنك وإن حال الاشتغال بيننا وبينك ، فإن كنت ساحت على العذر قبل الاعتذار ، وسبقت إلى فضيلة الاعتذار ، فلا زلت على كل خير دليلا ، وإليه داعيا ، وبه آمرا ، وقد التقينا قبل وصول كتابك لقاء أحدث قطرا^(١) ، وهاج شوقا ، وأرجو أن تدسع لنا الجمعة بما فاضت به الأيام ، فننال حظا من محادثتك والأنس بك » .
(زهر الآداب ٣ : ٣٦١)

١٧٤ - كتاب لسعيد بن عبد الملك في السلامة

« أما بعد ، فإن أولى نعمة تشكر وتقبل ، نعمة حصت فاستقامت بها الأمور واقعة بمصالحها ، جارية على أقصد^(٢) سذنها ، وأجل ما ولي الله به منها ،

(١) أي قطر الدموع ، كناية عن شدة تأمير اللقاء .
(٢) أي أقوم : أفعل ، من القصد وهو استقامة الطريق .

وَعَمَّتْ فَأَلَقَتْ الْبَشَرَ ، وَجَمَعَتِ الْكَلِمَةَ ، وَأَمِنَتِ السَّرْبَ^(١) ، وَسَكَنَتْ بِهَا
الدَّهْمَاءَ^(٢)

وإن أمير المؤمنين كتب إليك ، وهو من ترادف النعم الخاصة عنده في نفسه
وولده وأدانيه وأوليائه ، من شمول السلامة والنعمة والصنع وتتابعه في رعيته وأموره
بمحضرته وقاصيته وكذا . . .

فإنه يتولى لأمر المؤمنين في ذلك شكر تفضله ، وإليه الرغبة في إدامة
أحسن ما أنعم به عليه ، إنه وليّ قدير .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٦٦)

١٧٥ - كتاب له في سلامة الفطر

« أما بعد ، فإن الله هو وليّ أمير المؤمنين فيما استحفظه من النظر في سياسة عباده
ومراعاة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإقامة شرائع دينه ، ودلالة الأمة إلى مرادها
في قضاء حق الله عليها ، وجمعها في المواطن التي ندبها إليها ، وجعل نوافل^(٣)
الخير والبر فيها ، فأدام الله صلاحها ، ولا أخلاها من برّكة رعايته ، ومن ولايته
وسياسته ، ولا زالت في كنف السلامة بسلامته ، وظلّ العافية بعافيته ، وعلى سبيل
نجاة هدايته .

وقد كتبتُ إلى أمير المؤمنين فيما وليه الله به في مخرجه إلى عيده من يوم
فطره ، وما وفقه له من التقرب إليه بوسائل التذلل في طاعته ، والاجتهاد في شكره ،
والمناجحة في مخاطبة من حضره ، وإنصاتهم لوعظه وتذكيره ، وما وليه الله به من العافية
والسلامة الشاملة ، والنعمة الكاملة (والسلامة^(٤) التامة) والعز الموصول بالسكينة ،

(١) السرب : النفس . (٢) الدهماء : جماعة الناس . (٣) النافلة : العطية .

(٤) هكذا في الأصل ، ويلاحظ أن كلمة « السلامة » قد تقدمت ، فلعنه سهو من الناسخ ، أو قد
يكون الأصل « والسلطة التامة » .

والإخبات^(١) والخشوع ، وحسن الرغبة والدعة والوقار والاستغفار والتكبير ،
والتهليل ، وما منحه الله من كثرة الدعاء ممن شاهد من خاصته وعامته ، ومن أوفى
من البلدان والأمصار ، وآتاه من تفرغهم لشكر النعمة عليهم ، وأفرشهم^(٢) من عدله
وإحسانه ، وفضله وامتنانه ، وأعانهم على ما كانوا يتشوقون^(٣) ، ويعيدون له في
أعيادهم ، من رفع حوائجهم وذكّر مآلهم ، منّا من الله خصّ به خليفته ، وأعطاه
فضل مزيتته ، بما وفقه له من العدل والنصفة ، والبرّ والمرحمة ، والعطف^(٤) والرأفة ،
كتاباً أمرت بنسخه لك آخر كتابي هذا ، فافعل وافعل . . . والسلام .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٧١)

١٧٦ - كتاب له في الاعتذار

« كَلِّمَكَ اللهُ بِمَغْفِرَتِهِ ، وَعَادَ عَلَيْكَ وَعَلَيْنَا بِعَفْوِهِ ، فَنَسَأَلُ اللهُ مَا لَا يَقْبَلُهُ عَلَى الْعِلْمِ
وَالْقُدْرَةِ غَيْرُهُ ، لَوْ بُدِّدَتْ مَكَانَ سُوءِ الظَّنِّ أَحْسَنَهُ ، وَتَيَقَّنْتُ أَنْ قَلِيلٌ مَا يُبْلَمُ بِصَدِيقِي
- مِمَّا يَطْرَفُ عَيْنَهُ ، وَيُوذِيهِ سَمَاعُهُ ، دُونَ مَا يَخَافُ مِنْ لَوْحِ عَيْبِهِ^(٥) - لَا يُزَايِلُ
خَلْدِي الْإِهْتِمَامُ بِهِ ، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ كَخَرَجَا ، كُنْتُ رَوَّحْتُ عَنْ قَلْبِكَ وَعَنْ
فِي اسْتِبْطَائِكَ . »

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٩)

١٧٧ - تعزية لسعيد بن عبد الملك

« لِكُلِّ مُعَزَّى - أَعَزَّ اللهُ الْأَمِيرَ ، سَبِيلٌ فِي مَوْقِعِهِ مِنَ التَّعْزِيَةِ وَالْعِزَاءِ ، وَحَقُّ
الْأَمِيرِ لَا يَقْضِيهِ طَوْلُ السَّعْيِ فِيهِ ، بِجَلَالَةِ خَطَرِهِ ، وَعِظَمِ قَدْرِهِ ، وَكُلُّ مَا أُدِّيَ إِلَيْهِ مِنْهُ

(١) أخبت : خشم وتواضع .

(٢) من أفرش فلانا بساطاً : إذا بسطه له كفرشه .

(٣) تشوف إليه : تطلع .

(٤) في الأصل « والعطة » وهو تحريف .

(٥) في الأصل « من لوح عيبه » وأراه محرفاً .

فهو دون ما يجب له (وما (١) قصر عنه) لفضل منزلته ، وارتفاع مزيد النعمة عليه وتواليها (٢) ، فإن النعم على الأمير متكاملة قد وفرت له عن الجزع لحادث المصيبة ، وذلكته بالقوى لخالص الشكر ، وهلت به في كل أمر يحدث له أو عليه ، وحطت درجة مثلى عن تعزيبته إلا بالدعاء ، فثبت الله الأمير بعزيمة الصبر ، ووفاه متكامل الأجر وزاده في مدة العمر ، ولا أخلاه في السراء والضراء من نعمة تثبته على شكر يجمع له به ذخائر البر ، ووهب لميته رضوانه ومغفرته ، وبرّد عفوه في جنته التي لا يجاوزها أمل ، ولا يبلغها خطر .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٢)

١٧٨ - تعزية له

« المصائب - أكرمك الله - هدايا لقوم ، وبلايا على آخرين ، فجعلك الله ممن عقل ، عند ما استعمل الشكر عند الإمتاع ، والصبر عند الارتجاع . »
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٧)

١٧٩ - كتاب له في توصية

« للعودة أسباب تؤدى إلى اتصال المحبة ، واجتماع المودة ، وأنساق نظم الأخوة وكتابي هذا من أسبابها القوية ، إذ كان في سبيل البرّ والمشورة ، ولفلان قبلك حاجة ، فافعل وافعل . »
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٩٣)

(١) ما هنا نافية ، والجملة حالية .

(٢) في الأصل « وتواهيها » وهو تحريف .

۱۸۰ - کتاب آخر

« کتابی إلیک لک ، فإن قبِلْتَه کان شیئاً بکرمک ونعمۃ اللہ عندک ،
وما أقبلُ منک إلا أن تقبلَه ولا تؤخره ، وهو أنک قد عرفتَ ما یجب لفلان ،
وما کتبتُ به له ، وما أرجعُ علیہ بلوئمٍ فی حسن ظنِّه بک ، وصبرِہ علیک ،
ووفائِہ لک ، ولا أرضی منک أن تفعلُ عنہ ، وأن تجعل حاجتہ فیما تدافعُ به أو تغفلُ
فیہ ، فقد ضمنتُ له عنک أن یكون جوابہ النُّجْحَ ، وقد اقتصر علی کتابی واقتصرت له
علیہ ، وأرجو ألا تُخِلَّ به ، ولا تردَّه بغير حظ إن شاء اللہ . »

(اختیار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۳)

۱۸۱ - کتاب له فی إطلاق محبوس

« معرفتی أنک لا تجاوز فی العقوبة سبیلها من مواقع الأدب بالحق ، تحمِلنی علی
مسألتک ما أنت مُوجبٌ له ، والذکرى تنفع المؤمنین ، ولولا ذلك لاستغنی صاحبُ
کتابی عنہ ، فإن کان ذنبه صغیراً ، فالعقوبة تُخرجه من حبسه ، وإن کنت تناهیت
فی حبسه إلى مدة ذنبه ، فالحق يُخرجه ، وکتابی متقاضٍ لک . »

(اختیار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۹۴)

۱۸۲ - کتاب له

وكتب سعيد بن عبد الملك :

« کتبتُ - علی سُفْلِ - فی قِطْعٍ من القِرطاس ، ولم یقطع بی حسنُ الظنِّ بک
فی قبولک العذرَ ، وتحسينک ما أنت أهل لتحسينه ، فإنک تقبل دونَ حَقِّک ،
وتَهَبُ الذنبَ فیہ ، فيكون شـكرك جارياً علی سبيلین ، كلاهما يُبين لک عن فضلک ،
ويُوجب لک ما لا يقصر معه إلا مغبونُ الحظِّ ، خسيسُ الفصيب . »

(اختیار المنظوم والمنثور ۱۲ : ۲۶۴)

۱۸۳ - ومن فصوله

فصل له :

« أنا صَبُّ إِلَيْكَ ، سَامِي الطَّرْفِ نَحْوِكَ ، وَذِكْرُكَ مُلْصَقِ بِلِسَانِي ، وَاسْمُكَ حُلُوٌّ عَلَى لَهَوَاتِي (۱) وَشَخْصُكَ مَائِلٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْ قَابِي ، وَآخِذُهُمْ بِمَجَامِيعِ هَوَايَ . »

وفصل له :

« لَنَعْنُ أَحَقُّ بِابْتِدَائِكَ بِمَا ابْتَدَأْتَنَا بِهِ مِنَ الصَّلَاةِ ، إِلَّا أَنْكَ أَحَقُّ بِالْفَضْلِ الَّذِي سَبَقْتَنَا إِلَيْهِ . » (العقد الفريد ۲ : ۱۹۲)

۱۸۴ - كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المعتز

وَطَفِقَ أَمْرُ الْمُسْتَعِينِ يَضْعُفُ ، وَالْمُعْتَزُ يَقْوَى ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ طَاهِرٍ كَاتِبَ الْمُعْتَزَ ، وَجَنَحَ إِلَيْهِ ، وَمَالَ إِلَى الصَّلْحِ عَلَى خَلْعِ الْمُسْتَعِينِ ، وَكَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ أَنْ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ وَبَايَعَ الْمُعْتَزَ (سنة ۲۵۲) فَأَخَذَ لَهُ ابْنُ طَاهِرٍ الْبَيْعَةَ بِبَغْدَادَ ، وَأَشْهَدَ عَلَيْهِ الشُّهُودَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَالْقُضَاةَ وَالْفُقَهَاءَ وَالْقَوَادِ ، وَأَخَذَ مِنْهُ الْبُرْدَةَ وَالْقُضِيبَ وَالخَاتَمَ ، وَوَجَّهَ ذَلِكَ مَعَ أَخِيهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى الْمُعْتَزِ بِسَامَرَاءَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُتَمِّمِ النِّعَمِ بِرَحْمَتِهِ ، وَالْمَهَادِي إِلَى شُكْرِهِ بِفَضْلِهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي جَمَعَ لَهُ مَا فَرَّقَ مِنَ الْفَضْلِ فِي الرِّسْلِ قَبْلَهُ ، وَجَمَلَ تَرَاتِيهِ رَاجِعًا إِلَى مَنْ خَصَّهُ بِخِلَافَتِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

(۱) لهوات جمع لهوة : وهي اللعنة المشرقة على الخلق .

كتابي إلى أمير المؤمنين ، وقد تمَّ الله له أمره ، وتَسَامَتْ تراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان عنده ، وأنفذته إلى أمير المؤمنين مع عبید الله ابن عبد الله مولى أمير المؤمنين وعبده .
(تاريخ الطبری ١١ : ١٣٧)

وجاء في مروج الذهب للمسعودی :

وقدم على المعتز عبید الله بن عبد الله بن طاهر أخو محمد بن عبد الله بالبردة والتضيب والسيف وبجوهر الخلافة ومعه شاهك الخادم ، وكتب محمد بن عبد الله إلى المعتز في شاهك :

« إن من أتاك بآرث رسول الله صلى الله عليه وسلم جدير أن لا تخفر ذمته (١) »
(مروج الذهب ٢ : ٤٢٠)

ثم أحذر المستعین إلى « واسط » وقتل في شوال من سنة ٢٥٢ هـ .

١٨٥ - كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى عمال النواحي

ولما أفضت الخلافة إلى المعتز ، أمر بالعقد لأنصاره على النواحي ، وأطلقهم في أشعار أعدائهم وأبشارهم (٢) ودمائهم ، فلما بلغ محمد بن عبد الله بن طاهر ما أمر به في النواحي أنشأ كتاباً نسخته :

« أما بعد : فإن زبغ الهوى صدف (٣) بكم عن حزم الرأي ، فأوقمكم (٤) حبايل الخطأ ، ولو ملكتم الحق عليكم ، وحكمتم به فيكم ، لأوردكم البصيرة ، ونفى عنكم غيابة (٥) الخيرة ، والآن ، فإن تجنحوا (٦) لاسلم تحقنوا دماءكم ، وترغدوا

(١) أخفره : نقض عهده وغدره .
(٢) أشعار : جمع شعر كشمس وسبب ، وهو معروف ، وأبشار : جمع بشر كسبب : وهو ظاهر الجلد جمع بشرة كرقبة ، والمعنى : أباح لهم ضربهم وجلدهم .
(٣) صدف عنه كضرب : أعرض ، وصدفه : صرفه .
(٤) أي رمى بكم .
(٥) غيابة كل شيء : ما سترك منه .
(٦) تجنحوا : تميلوا .

عَيْشِكُمْ ، وَيَصْفَحُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ جَرِيرَةٍ^(١) جَارِمِكُمْ ، وَأَخْلَى لَكُمْ ذِرْوَةَ سُبُوغِ
النَّعْمَةِ عَائِكُمْ ، وَإِنْ مَضَيْتُمْ عَلَى غُلُوَائِكُمْ^(٢) ، وَسَوَّلَ لَكُمْ الْأَمَلَ أَسْوَأَ أَعْمَالِكُمْ ،
فَأَذَنُوا^(٣) بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بَعْدَ نَبَذِ^(٤) الْمَعْذِرَةِ إِلَيْكُمْ ، وَإِقَامَةِ الْحِجَّةِ عَلَيْكُمْ ،
وَلَمَّا شَدَّتْ الْغَارَاتُ ، وَشَبَّ ضِرَامُ^(٥) الْحَرْبِ ، وَدَارَتْ رِحَاهَا عَلَى قُطْبِهَا ،
وَحَسَمَتْ^(٦) الصَّوَارِمُ أَوْصَالَ مُحَمَاتِهَا ، وَاسْتَجَرَّتِ الْعَوَالِي^(٧) مِنْ نَهَمِهَا ، وَدُعِيَّتْ
نَزَالِ^(٨) ، وَالتَّحَمَّ الْأَبْطَالُ ، وَكَلَّحَتْ^(٩) الْحَرْبُ عَنْ أَنْبِيَائِهَا أَشْدَاقَهَا ، وَأَلْقَتْ لِلتَّجْرُدِ
عَنْهَا قِنَاعَهَا ، وَاخْتَلَفَتْ أَعْنَاقُ الْخَيْلِ ، وَزَحَفَ أَهْلُ النَّجْدَةِ إِلَى أَهْلِ الْبَغْيِ ، لَتَعْلَمَنَّ
أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَسْمَحُ بِالْمَوْتِ نَفْسًا ، وَأَشَدُّ عِنْدَ الْإِقَامِ بَطْشًا ، وَلا تَحِينَ مَعْذِرَةٌ ، وَلا
قَبُولٌ فِدْيَةٍ ، وَقَدْ أَعْذَرَ مَنْ أَنْذَرَ ، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ .
(تاريخ الطبري ١١ : ١٤٩)

١٨٦ - رد الأتراك على كتاب ابن طاهر

فَبَلَغَ كِتَابُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَتْرَاكِ فَاكْتَبُوا جَوَابَ كِتَابِهِ :
« إِنَّ شَخْصَ الْبَاطِلِ تَصَوَّرَ لَكَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ ، فَتَخَيَّلَ لَكَ الْغَيُّ رُشْدًا ،

- (١) الجريرة : الذنب ، وجرم كضرب وأجرم : أذنب ، وسبوغ النعمة : انساءها .
- (٢) الغلواء : الغلو .
- (٣) أي كونوا على علم بها ، من أذن بالشئ كسمع : علم به .
- (٤) أي تقديم ، وأصل النبد : الطرح .
- (٥) شب : أوقد ، والضرام : دقاق الحطب الذي يسرع اشتعال النار فيه .
- (٦) حسمت : قطعت .
- (٧) العوالي : جمع عالية : وهي أعلى الرمح ، والجرة بالكسر : ما يفيض به البعير من بطنه فيأكله ثانية ، وقد اجتر وأجر ، ولم يرد في كتب اللغة استجر بهذا المعنى .
- (٨) نزال : معدول عن المنازلة في الحرب ، ولذا أنت ، قال الشاعر :
ولنعم حشو الدرع أنت إذا دعيت نزال ولج في الذعر
وقال آخر .

* فدعوا نزال فكنت أول نازل *

- (٩) الكاوح : بدو الأسنان عند العبوس ، وفعله كنع .

كَسْرَابٍ بَقِيْعَةٍ (١) يَحْسَبُهُ الظُّلْمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَلَوْ رَاجَعْتَ
عُزُوبَ (٢) عَقْلِكَ ، أَنَارَكَ بِرَهَانِ البصيرة ، وَحَسَمَ عَنْكَ مَوَادَّ الشُّبْهَةِ ، لَكِن
حِصَّتْ (٣) عَنِ سُنَّةِ الحَقِيْقَةِ ، وَنَكَصَتْ عَلَى عَقْبَيْكَ ، لِمَا مَلَكَ طِبَاعَكَ مِنْ دَوَاعِي الخَيْرَةِ ،
فَكُنْتَ فِي الإِصْفَاءِ لِهَيْتَافِهِ ، وَالتَّجَرُّدِ إِلَى وُرُودِهِ ، كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ
فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ ، وَلَعَمْرُكَ يَا مُحَمَّدُ : لَقَدْ وَرَدَ وَعْدُكَ لَنَا ، وَوَعِيدُكَ إِيَّانَا ، فَلَمْ يُدْنِنَا
مِنْكَ ، وَلَمْ يُدْنِنْنَا عَنْكَ ، إِذْ كَانَ فَحْصُ اليَقِيْنِ قَدْ كَشَفَ عَنْ مَكْنُونِ ضَمِيرِكَ ، وَأَلْفَاكَ
كَالمَكْتَفِي بِالْبَرْقِ نَهْجًا إِذَا أَضَاءَ لَهُ مَشَى فِيهِ ، وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِ قَامَ ، وَلَعَمْرُكَ لئن اشْتَدَّ
فِي البغى شَأُوكَ (٤) ، وَمُتَّعْتَ بِصُبَابَةِ مِنَ الأملِ ، لِيَكُونَنَّ أَمْرُكَ عَلَيْكَ عُقْمَةً ،
وَلَنَأْتِيَنَّكَ بِجَنُودٍ لاقِبَلِ لَكَ بِهَا ، وَلَنُخْرِجَنَّكَ مِنْهَا ذَلِيلًا وَأَنْتَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ،
وَلَوْ لَأَنْتَظَرْنَا كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِإِعْلَامِنَا مَا نَعْمَلُ فِي شَاكِلَتِهِ (٥) ، بَلَّغْنَا بِالسِّيَاطِ
النِّيَاطَ ، وَغَمَدْنَا السِّيَوفَ وَهِيَ كَالَّةٌ ، وَجَعَلْنَا عَلِيَّهَا سَافِلَهَا ، وَجَعَلْنَاهَا مَأْوَى
الظُّلْمَانِ (٦) وَالحَيَّاتِ وَالبُومِ ، وَقَدْ نَادَيْتَنَا مِنْ كَثَبِ (٧) ، وَأَسْمَعْنَاكَ إِنْ كُنْتَ حَيًّا ،
فَإِنْ تُجِبُ تُفْلِحُ ، وَإِنْ تَأْبَى إِلا غِيًّا نُخْزِكَ بِهِ ، وَعَمَّا قَلِيلٍ لَتُصْبِحَنَّ نَادِيًّا .
(تاريخ الطبري ١١ : ١٥٠)

- (١) السراب . ما تراه نصف النهار ، كأنه ماء ، والقبيعة : جمع قاع : وهو أرض سهلة مطمئنة قد
انفجرت عنها الجبال والآكام .
(٢) العزوب : الغيبة والذهاب ، أى عقلك الذاهب .
(٣) حاص عنه يحيص : عدل وحاد ، والسنة : الطريقة ، ونكص على عقبيه : رجع عما كان عليه من
خير ، خاص بالرجوع عن الخير ، أو فى الشر نادر .
(٤) الشأو : السبق والغاية ، والصباية : البقية .
(٥) الشاكلة : الطريقة والمذهب ، والنياط : عرق متصل بالقلب من الوتين إذا قطع مات صاحبه .
(٦) الظلمان : جمع ظليم : وهو ذكر النعام .
(٧) أى من قرب .

۱۸۷ - كتاب محمد بن عباد إلى جعفر بن محمود الإسكافي

وكتب محمد بن عباد إلى أبي الفضل جعفر بن محمود الإسكافي^(۱) وزير المعتز بالله - وكان المعتز يختص به ويتقرب إليه قبل الوزارة - :

« مازلتُ - أيديك الله تعالى - أذمُّ الدهر بدمك إياه ، وأنتظر لنفسي ولك عقباه ، وأتمنى زوال مَنْ لا ذنبَ له إلى عاقبة محمودة تكون بزوال حاله ، وأترك الإعذار في الطلب ، على الاختلال الشديد ، ضينًا بالمعروف عندي إلا عن أهله ، وحبسًا لشعري إلا عن مستحقة » .

۱۸۸ - رد جعفر على محمد بن عباد

فوقع في كتابه :

« لم أؤخر ذكرَكَ ناسيا لحظك ، ولا مُهملا لواجبك ، ولا مُوهنا لمهم أمرك ، لكني ترقبتُ اتساع الحال ، وانفساح الأعمال ، لأخصك بأسناها خطرًا ، وبأجلها قدرا ، وأعودها نفعًا عليك ، وأوفرها رزقًا لك ، وأقربها مسافةً منك ، فإذا كنت من تحفزه^(۲) الأعمال ، ولا يتسع له الإمهال ، فسأختار لك خيرًا ما يشير إليه الوقت ، وأنعم^(۳) النظر فيه ، فأجعله أول ما أمضيه » .
(زهر الآداب ۳ : ۱۹۸)

(۱) انظر خبره في الفخرى ص ۲۲۱ ، وفي زهر الآداب أنه ابن محمد وهو تحريف ، وصوابه ابن محمود كما في الفخرى ، ويبدل على ذلك ما جاء فيه ص ۲۲۲ : « واستوزره المعتز ثانية ، ولما تولى الوزارة في المرة الثانية قال بعض الشعراء :

يا فاس لا تولمي بتفنيد وعلى القلب بالمواعيد

وانتظري قدرايت ما ساقه الله إلى جعفر بن محمود

وفي تاريخ الطبري أنه جعفر بن محمود أيضا - انظر ج ۱۱ : ص ۱۶۱ .

(۲) في الأصل « تحقره » وهو تصحيف ، وصوابه « تحفزه » كما أثبتته ، من حفزه كضربه أي دفعه وأعجله .

(۳) في لسان العرب : أنعم النظر في الشيء : إذا أطال العكرة فيه ، وفيه أيضا وفي القاموس : أنعم في الأمر بالنم .

١٨٩ - كتاب ابن طاهر إلى عماله

وفي سنة ٢٥٣ هـ مات محمد بن عبد الله بن طاهر - وكانت علته التي مات فيها قروحا أصابته في حلقه ورأسه فذبحته - واستخاف محمد قبل موته أخاه عبید الله على أعماله ، ووصى بذلك وكتب به إلى عماله ، ثم وجه المعتز الخلع وولاية بغداد إلى عبید الله .

وهذه نسخة الكتاب الذي كتبه محمد بن عبد الله إلى عماله باستخلافه أخاه عبید الله بعده :

« أما بعد : فإن الله عز وجل جعل الموت حتماً مقضياً جارياً على الباقيين من خلقه ، حسب ما جرى على الماضين . وحقيق على من أعطى حظاً من توفيق الله أن يكون على استعدادٍ لحلول ما لا بُدَّ منه ، ولا تحييص^(١) عنه في كل الأحوال .

وكتابي هذا وأنا في غلة قد اشتد الإشفاق منها ، وكاد الإياس يغلب على الرجاء فيها ، فإن يبيل^(٢) الله ويدفع فبمدرته وكريم عادته ، وإن يحدث بي الحدت الذي هو سبيل الأولين والآخريين ، فقد استخلفت عبید الله بن عبد الله مولى أمير المؤمنين ، أخى الموثوق باقتفائه أثرى ، وأخذه بسد ما أنا بسبيله من سلطان أمير المؤمنين ، إلى أن يأتيه من أمره ما يعمل بحسبه ، فاعلم ذلك وأتمر فيما تتولاه بما تردُّ به كتب عبید الله وأمره إن شاء الله . »

وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة سنة ٢٥٣ هـ .

(تاريخ الطبرى ١١ : ١٥٥)

(١) أى لامفر ولا مهرب منه .

(٢) أى يبرى ، من بل من مرضه إذا برأ ، وأبل أيضا .

۱۹۰ - رقعة المعتز بخلع نفسه

واضطرب أمر المعتز واضطره الأتراك أن يخلع نفسه ففعل ، وبايعوا بالخلافة
محمد المهدى بالله بن الواثق بالله سنة ۲۵۵ ، ثم قتلوا المعتز ، وكانت نسخة الرقعة
بخلع المعتز نفسه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أشهدُ عليه الشهود المسمون في هذا الكتاب ،
شهِدوا أن أبا عبد الله ابن أمير المؤمنين المتوكل على الله أقرَّ عندهم وأشهدهم على نفسه ،
في صحة من عقله ، وجواز من أمره ، طائفاً غير مُكرهه ، أنه نظر فيما كان تقلده من
أمر الخلافة والقيام بأمر المسلمين ، فرأى أنه لا يصحُّ لذلك ولا يكملُّ له ، وأنه عاجز
عن القيام بما يجب عليه منها ، ضعيف عن ذلك ، فأخرج نفسه وتبرأ منها وخلعها من
رقبته وخلع نفسه منها ، وبرأ كلَّ مَنْ كانت له في عنقه بيعة ، من جميع أوليائه وسائر
الناس ، مما كان له في رقابهم من البيعة والعهود والمواثيق والأيمان بالطلاق والعتاق
والصدقة والحج وسائر الأيمان ، وحلَّهم من جميع ذلك ، وجعلهم في سعةٍ منه في الدنيا
والآخرة ، بعد أن تبين له أن الصلاح له وللمسلمين في خروجه عن الخلافة والتبرُّي
منها ، وأشهد على نفسه بجميع ما سُمِّيَ ووُصِفَ في هذا الكتاب جميع الشهود المسمين
فيه وجميع مَنْ حضر ، بعد أن قرئَ عليه حرفاً حرفاً ، فأقرَّ بفهمه ومعرفة جميع ما فيه
طائفاً غير مُكرهه ، وذلك يوم الاثنين الثالث بقين من رجب سنة ۲۵۵ » .

فوقع المعتز في ذلك :

« أقرَّ أبو عبد الله بجميع ما في هذا الكتاب وكتب بخطه » .

وكتب الشهود شهاداتهم : شهد الحسن بن محمد ، ومحمد بن يحيى ، وأحمد بن
جناب ، ويحيى بن زكرياء بن أبي يعقوب الأصبهاني ، وعبد الله بن محمد العامري ،
وأحمد بن الفضل بن يحيى ، وحامد بن إسحاق ، وعبد الله بن محمد ، وإبراهيم بن محمد .

(تاريخ العاصري ۱۱ : ۱۶۲)

١٩١ - كتاب الموالي بالكرخ والدور إلى المهتدي

وفي سنة ٢٥٦ هـ انتشر الخبر في العامة أن القوم على أن يخلعوا المهتدي ويفتخروا به ، فتحرك الموالي بالكرخ والدور^(١) ، ووجهوا إلى المهتدي وسألوه أن يوجه إليهم أحد إخوته ، فوجه إليهم أخاه أبا القاسم ، فذكروا أنهم سامعون مطيعون لأمير المؤمنين ، وأنه بلغهم أن موسى بن بغا وبايكباك وجماعة من قوادهم يريدونه على الخلع ، وأنهم يبذلون دماءهم دون ذلك ، وأنهم قد قرءوا بذلك رقاعا ألقيت في المسجد والطرقات ، وشكوا مع ذلك سوء حالهم وتأخر أرزاقهم ، وما صار من الإقطاعات إلى قوادهم التي قد أجهفت بالضياع والخراج ، وما صار لكبرائهم من المعاون والزيادات من الرسوم القديمة ، مع أرزاق النساء والدخلاء الذين قد استغرقوا أكثر أموال الخراج ، وكثر كلامهم في ذلك ، فقال لهم أبو القاسم : اكتبوا هذا في كتاب إلى أمير المؤمنين أتولى إيصاله لكم ، فكتبوا ذلك .

١٩٢ - رد المهتدي عليهم

فكتب المهتدي جواب كتابهم بخطه وختمه بخاتمه ، وغدا أبو القاسم إلى الكرخ فوافقهم بكتاب المهتدي فقرأ عليهم ، وإذا فيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله وصلى على محمد النبي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا ، أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم وليا وحافظا ، فهمت كتابكم ، وسررتني ما ذكرتم من طاعتكم ، وما أنتم عليه ، فأحسن الله جزاءكم ، وتولى حياتكم ، فأما ما ذكرتم من خلقتكم^(٢) وحاجتكم فعزير على ذلك فيكم ، ولوددت والله أن

(١) الكرخ : نخلة ببغداد ، ودور بغداد : موضع بها أيضا .

(٢) الخلة : الحاجة .

صلاحيكم يهيناً بأن لا آكل ولا أطمع ولدى وأهلى إلا القوت الذى لا يسع شىء دونه ،
ولا أليس أحدا من ولدى إلا ما ستر العورة ، ولا والله - حاطكم الله - ما صار إلى
منذ تولدت أمركم لفسى وأهلى وولدى ومتمدنى غلمانى وحشمى إلا خمسة عشر ألف
دينار ، وأنتم تقفون على ما ورد ويرد ، وكل ذلك مصروف إليكم ، غير مدخر
عنكم ، وأما ما ذكرتم مما بلغكم وقرأتم به الرقاع التى ألقيت فى المساجد والطرق ،
وما بذلتم من أنفسكم ، فأنتم أهل ذلك ، وأين تعتذرون مما ذكرتم ، ونحن وأنتم
نفس واحدة ، فجزاكم الله عن أنفسكم وعهودكم وأمانتكم خيرا ، وليس الأمر كما
بلغكم ، فعلى ذلك فليكن عملكم إن شاء الله ، وأما ما ذكرتم من الإقطاعات
والمعاون وغيرها ، فأنا أنظر فى ذلك وأصير منه إلى محبتكم إن شاء الله والسلام عليكم ،
أرشدنا الله وإياكم ، وكان لنا ولكم حافظا ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على
محمد النبى وآله وسلم تسليما كثيرا .

(تاريخ الطبرى ۱۱ : ۱۹۵)

۱۹۳ - كتاب الموالى بالكرخ والدور إلى المهتدى

فلما فرغ القارى كثير الكلام ، فقال لهم أبو القاسم اكتبوا بذلك كتابا ،
فكتبوا بعد أن دعوا الله فيه لأمر المؤمنين :

« إن الذى يسألون أن ترد الأمور إلى أمير المؤمنين فى الخاص والعام ،
ولا يعترض عليه معترض ، وأن ترد رسوئهم إلى ما كانت عاياه أيام المستعين بالله ،
وأن يكون على كل تسعة منهم عريف ، وعلى كل خمسين خليفة ، وعلى كل مائة قائد ،
وأن تسقط أرزاق النساء والزيادات والمعاون ولا يدخل موئى فى قبالة^(۱) ولا غيرها ،
وأن يوضع لهم العطاء فى كل شهرين على ما لم يزل ، وأن تبطل الإقطاعات ، وأن
يكون أمير المؤمنين يزيد من شاء ويرفع من شاء . »

(۱) قبل به كنصر وسمع وضرب قبالة : كفل ، والنيل : الكفيل والضامن .

وذكروا أنهم صائرون في إثر كتابهم إلى باب أمير المؤمنين ، ومقيمون هناك إلى أن تُقضى حوائجهم ، وأنه إن بلغهم أن أحدا اعترض على أمير المؤمنين في شيء من الأمور أخذوا رأسه ، وإن سقط من رأس أمير المؤمنين شعرة قتلوا به موسى بن بفا وبابكباك ومفلحا وباجور وبكالبا وغيرهم ، ودَعَوْا الله لأمر المؤمنين ، ودَفَعُوا الكتاب إلى أبي القاسم فانصرف به حتى أوصله .

۱۹۴ - كتاب المهتدى إليهم

فأخذ المهتدى كتابهم ، ووقع بإجابتهم إلى ما سألوا ، ثم كتب كتابا مُفْرَدًا يخطه وختمه بخاتمه ، ودفعه إلى أبي القاسم . وصار أبو القاسم إليهم بكتاب أمير المؤمنين فقرأ عليهم فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله وحده . وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم .

أرشدكم الله وحاطكم وأمتع بكم ، وأصاح أموركم وأمور المسلمين بكم ، وعلى أيديكم ؛ فهيمتُ كتابكم وقرأته على رؤسائكم ، فذكروا مثل الذي ذكرتم ، وسألوا مثل الذي سألتهم ، وقد أجبتمكم إلى جميع ما سألتهم ، محبةً لصلاحكم وألفتكم واجتماع كلمتكم ، وقد أمرت بتقرير أرزاقكم ، وأن نصير دائرةً عليكم ، فليست لكم حاجة إلى حركة ، فطيبوا نفسا والسلام . »

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۱۹۷)

۱۹۵ - كتابهم إلى المهتدى

فتكلموا كلاما كثيرا ، ثم كتبوا كتابا يعتذرون فيه بمثل العذر الأول إلى أمير المؤمنين ، وذكروا فيه خصالا مما ذكره في الكتاب الذي قبله ، ووصفوا أنه لا يُقنعهم إلا أن يُنفذ إليهم خمسة توقيعات : - توقيعاً بحطّ الزيادات ، وتوقيعاً برَدِّ

الإقطاعات ، وتوقيعا بإخراج الموالي البوايين من الخاصة إلى عداد البرانيين^(١) ،
وتوقيعا بردّ الرسوم إلى ما كانت عليه أيام المستعين ، وتوقيعا بردّ التلاجي^(٢) -
حتى يدفعوها إلى رجل يضمون إليه خمسين رجلا من أهل الدور ، وخمسين رجلا من
أهل سامرا يتنجزون من الدواوين ، ثم يصير أمير المؤمنين الجيش إلى أحد إخوته
أو غيرهم ممن يرى ، ^(٣) يسفر^(٣) بينه وبينهم بأمرهم ، ولا يكون رجلا من الموالي ،
وأن يؤمر صالح بن وصيف فيحاسب هو وموسى بن بفا على ما عندهم من الأموال ،
وأنه لا يرضيهم دون ما سألوا في كتبهم كلها ، مع تعجيل العطاء وإدراج أرزاقهم
عليهم في كل شهرين ، وأنهم قد كتبوا إلى أهل سامرا والمغاربة في موافاتهم ،
وأنهم صائرون إلى باب أمير المؤمنين لينجز ذلك لهم ، ودفعوا الكتاب إلى
أبي القاسم .

١٩٦ - كتابهم إلى القواد

وكتبوا كتابا آخر إلى موسى بن بفا وبابكباك ومحمد بن بفا ومفلح وياجور
وبكالبا وغيرهم من القواد كتابا ذكروا فيه :

« أنهم قد كتبوا إلى أمير المؤمنين بما كتبوا ، وأن أمير المؤمنين لا يفتهم
ما سألوا إلا أن يعترضوا عليه ، وأنهم إن فعلوا ذلك وخالفوهم لم يوافقوهم على شيء ،
وأن أمير المؤمنين إن شا كتته شوكة أو أخذ من رأسه شعرة ، أخذوا رؤوسهم
جميعا ، وأنهم ليس يقنعهم إلا أن يظهر صالح بن وصيف حتى يجمع بينه وبين موسى

(١) من قولهم « من أصلح جوانبه أصلح الله برانيه » أي من أصلح سريره أصلح الله علانيته ،
أخذ من الجو والبر ، والجو : كل بطن غامض ، والبر : المن الظاهر ، فهاتان الكلمتان على النسبة إليهما
بالألف والنون ، وأصل البراني من قولهم خرج فلان برا إذا خرج إلى البر والصحراء ، وليس من قديم
الكلام وفضيحه .

(٢) التلاجي : جمع تلجئة ، وهي الإكراه تفعله من الإلجاء .

(٣) سفر بينهم كضرب ونصر : أصاح .

ابن بفا حتى ينظر أين موضع الأموال ، فإن صالحا قد كان وعدمهم قبل استناره أن يعطيهم أرزاق ستة أشهر .

ثم دفعوا هذا الكتاب إلى رسول موسى .

۱۹۷ - كتاب المهتدى إليهم

فأمر المهتدى سليمان بن وهب^(۱) بإنشاء الكتب على ما سألوا في خمسة رِفاع ، فأنفذها المهتدى في درج كتاب مفه بخطه ، ودفعه إلى أخيه أبي القاسم ، وكتب القواد إليهم جواب كتابهم ، ودفعوه إلى صاحب موسى ، فصار إليهم أبو القاسم وقرأ عليهم كتاب المهتدى فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : وَقَعْنَا الله وَإِيَّاكُمْ لَطَاعَتَهُ وَمَا يُرْضِيهِ ، فَهَمَّتْ كِتَابَكُمْ - حَاطَكُمْ اللهُ - وَقَدْ أَنْفَذْتُ إِلَيْكُمْ التَّوْقِيعَاتِ الْخَمْسَ عَلَى مَا سَأَلْتُمْ ، فَوَكَّلُوا مِنْ يَتَنَجَّرُهَا مِنَ الدَّوَابِّ إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَأَمَا مَا سَأَلْتُمْ مِنْ تَصْيِيرِ أَمْرِكُمْ إِلَى أَحَدٍ إِخْوَتِي لِيُوصِّلَ إِلَيْكُمْ أَخْبَارَكُمْ ، وَيُؤَدِّيَ إِلَيْكُمْ حَوَائِجَكُمْ ، فَوَاللهِ إِنْ أَحَبُّ أَنْ أَتَفَقَدَ ذَلِكَ بِنَفْسِي ، وَأَنْ أَطَّلِعَ عَلَى كُلِّ أَمْرِكُمْ وَمَا فِيهِ مَصْلَحَتِكُمْ ، وَأَنَا مُخْتَارٌ لَكُمْ الرَّجُلَ الَّذِي سَأَلْتُمْ مِنْ إِخْوَتِي أَوْ غَيْرِهِمْ إِنْ شَاءَ اللهُ ، فَاسْتَبْرَأُوا إِلَيَّ بِحَوَائِجِكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّ فِيهِ صَلَاحَكُمْ ، فَإِنِّي صَائرٌ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَا تُحِبُّونَ إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَقَعْنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لَطَاعَتَهُ وَمَا يُرْضِيهِ . »

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۱۹۸)

۱۹۸ - كتاب القواد إليهم

وأوصل إليهم رسول موسى كتاب موسى وأصحابه فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : أَبْقَاكُمْ اللهُ وَحَفِظَكُمْ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ، فَهَمْنَا

(۱) وزير للمهتدى بالله ، ثم من بعده المعتمد على الله ، انظر ترجمته في وفيات الأعيان ۱ : ۲۱۶ ، والفخرى ص ۲۲۳ والأغانى ۲۰ : ۶۷ .

كتابكم ، وإنما أنتم إخواننا وبنو عمنا ، ونحن صائرون إلى ما تحبون ، وقد أمر
أمر أمير المؤمنين - أعزه الله - في كل ما سألتكم بما تحبون ، وأنفذ التوقيعات به
إليكم ، وأما ما ذكرتم من أمر صالح مولى أمير المؤمنين وتغيرنا له ، فهو الأخ
وابن العم ، وما أردنا من ذلك ما تكروهون ، فإن وعدكم أن يعطيكم أرزاق
سته أشهر فقد رفعنا إلى أمير المؤمنين رِقاعاً نسأله مثل الذي سألتكم ، وأما ما قلتم
من ترك الاعتراض على أمير المؤمنين وتفويض الأمر إليه ، فنحن سامعون
مطيعون لأمر المؤمنين ، والأمور مفوضة إلى الله ، وهو مولانا ونحن عبده ،
وما نعترض عليه في شيء من الأمور أصلاً ، وأما ما ذكرتم أنا نريد
بأمر المؤمنين سوءاً ، فمن أراد ذلك فجعل الله دائرة السوء عليه ، وأخزاه في دنياه
وآخريته ، أبقاكم الله وحفظكم وأتم نعمته عليكم . (تاريخ الطبري ١١ : ١٩٨)

١٩٩ - كتاب علي بن يحيى إلى سليمان بن وهب

ونالت علي بن يحيى جفوة من سليمان بن وهب ، فكتب إليه :
جفاني أبو أيوب ، نفسي فداؤه فعاتبته كما يربع ويعتبا (١)
فوالله لولا الظن مني بوذه لكان سهيل من عتابيه أقربا (٢)

٢٠٠ - رد ابن وهب عليه

فكتب إليه سليمان :
ذكرت جفائي وهو من غير شيمتي وإني لدان من بعيد تقرأ بأ
فكيف بخل لي أضن بوذه وأصفيه ودا ظاهراً ومغيباً (٣)

(١) راع يربع : رجع ، وأعتبه : أعطاه العتبى بالضم وهي الرضا .
(٢) سهيل : نجم .
(٣) أصفيه الود : أخلصته .

هَلِيُّ بْنُ يَحْيَى لَا عَدِمْتُ إِخَاءَهُ فَمَا زَالَ فِي كُلِّ إِخْصَالٍ مُهْدَبًا
وَلَكِنْ أَشْفَالًا عَدَّتْ وَتَوَاتَرَتْ فَلَمَّا رَأَيْتُ الشُّغْلَ عَاقَ وَأَتَعَبًا
رَكَنْتُ إِلَى عُدْرِ الْأَخِلَاءِ كِرَامٌ وَإِنْ كَانَ التَّوَاصُلُ أَوْجَبًا
فَإِنْ يَطْلُبُ مِنِّي عِتَابُكَ أَوْبَةً بِيْرٍ تَجِدُنِي بِالْإِنَابَةِ مُعْتَبِرًا^(١)
(الأغاني ٢٠ : ٧٠)

٢٠١ - كتاب ابن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر

وأهدى سليمان بن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر مِلالَ رُطْبٍ مِنْ ضَيْعَتِهِ ،
وكتب إليه :

أَذِنَ الْأَمِيرُ بِفَضْلِهِ وَبِجُودِهِ وَبِنَيْلِهِ
لَوْلِيهِ فِي بِرِّهِ بِجَنَاهُ مُكَّرَ نَخْلِهِ
فَبَعَثْتُ مِنْهُ بِسَلَّةٍ تَحْكِي حَلَاوَةَ عَدْلِهِ

(الأغاني ٢٠ : ٧١)

٢٠٢ - كتاب رجل إلى سليمان بن وهب

وكتب رجل إلى سليمان بن وهب وهو يقول شيئاً من أعمال الضياع :

أَطَالَ اللَّهُ إِسْمَاعِي دَكَ فِي الْأَجَلِ وَالْعَاجِلِ
أَمَا تَرَعَى لِمَنْ أَمَّلَ فَضْلًا حُرْمَةَ الْأَمَلِ ؟
وَعِنْدِي عَاجِلٌ مِنْ رِشْوَةٍ يَتَّبِعُهَا آجِلٌ
وَأَنْتَ الْعَالِمُ الشَّاهِدُ أَنِّي كَاتِبٌ عَامِلٌ
فَوَلِّ الْكَافِلَ الْبَازِلَ لَدُونِ الْعَاجِزِ الْبَاخِلِ
فَمَا أَفْشِي لَكَ السَّرَّ فِعَالِ الْأَخْرَقِ الْجَاهِلِ

(١) في الأصل « بالأمانة » وهو تحريف .

۲۰۳ - رده عليه

مفضحك وكتب في رقعته :

أبن لي ما الذي تخطبُ شَرَحًا أيها الباذلُ ؟
وما تُعطي إذا وُلِّيتَ تعجيلًا وما الآجلُ ؟
أفي الإسلافِ تنقيصُ أم الوزنُ له كاملُ ؟
وفي الموقوفِ تضمينُ أم الوعدُ به حاصلُ ؟
وهل ميةً مائة الغلَّةُ في العامِ أو القابلُ ؟
أبن لي ذلك ، واردة رُقعتي يا كاتبًا عامِلُ .
فلما قرأها الرجل قطع ما بينه ، ورد الرقعة عليه ، وولاه سليمان ما التمس .

(الأغاني ۲۰ : ۷۱)

۲۰۴ - كتاب اعتذار لسليمان بن وهب

« أنا مُقرٌّ معترف ، فما تُراك صانعا بمن أعلقتك زمامه ، وأمكنك من قياده ،
وحكمتك في أمره ، معاقبًا له أو متفضلاً عليه بالعمو عنه ؟ لكنني أرجو أن أستقبلَ
طاعةً لا تمنعُ من شكرها ، واغتفار كل تقصيرٍ خلا في جنبها ، فالأيام بما
تحبُّ أمامك » .
(اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۳۸۵)

۲۰۵ - كتاب أبي العيناء إلى أبي الصقر إسماعيل بن بلبل

ولما ولي أبو الصقر إسماعيل^(۱) بن بلبل الوزارة للمعتد^(۲) على الله ، خير
أبا العيناء فيما يحبُّه حتى يفعله به ، فقال : أريد أن تكتب إلي أحمد بن محمد الطائي

(۱) انظر خبره في الفخرى ص ۲۲۹ .

(۲) هو أبو العباس أحمد بن المتوكل . ولي الخلافة سنة ۲۵۶ ومات سنة ۲۷۹ ، وكان مستنصفاً
وكان أخوه الموفق طلحة هو الغالب على أمره .

تعرّفه مكاني ، وتلزّمه قضاء حقّ مثلي من خدمه ، فكتب إليه كتابا بخطه ، فوصله إلى الطائي ، فسبّب^(١) له في مدة شهر مقدار ألف دينار وعشرة أنجل ، فانصرف بجميع ما يحبه ، وكتب إلى أبي الصقر كتابا مضمّنه :

« أنا - أعزك الله - طليقتك من الفقر ، ونقيذك^(٢) من البؤس ، أخذت بيدي عند عثرة الدهر ، وكنوة الكبر ، وعلى أية حال حين فقدت الأولياء^(٣) والأشكال ، والإخوان والأمثال ، الذين يفهمون في غير تعب ، وهم الناس الذين كانوا غيائنا للناس ، فخلّلت عقلة الخلة^(٤) ، ورددت إلى بعد النفور الفعمة ، وكتبت لي كتابا إلى الطائي ، فإنما كان منك إليك أثبتته^(٥) ، وقد استصعبت^(٦) على الأمور ، وأحاطت بي النوائب ، فكثرت من بشره ، وبذل من يسره ، وأعطى من ماله أكرمه ، ومن برّه أحكمه ، مكرما لي مدة ما أمت ، ومثقلالي من فوائده لما ودّعت ، حكمني في ماله ، فتحكمت ، وأنت تعرف جورى إذا تمكمت ، وزاد في طوله^(٧) فشكرت ، فأحسن الله جزاك ، وأعظم حماك ، وقدمني أمامك ، وأعاذني من فقدك وحماك ، فقد أنفقت على جما مالك الله ، وأنفقت من الشكر ما يسره الله لي ، والله عز وجل يقول : « لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ » فالحمد لله الذي جعل لك اليد العالمة ، والرؤية الشريفة ، لأزال الله عن هذه الأمة ما بسط فيها من عدلك ، وبث فيها من ريفدك^(٨) .
(زهر الآداب ٣ : ٩٥)

(١) السبب : العطاء ، وسبب هنا معناه : أعطاه .

(٢) النقيذ : المنقذ (ينتج القاف) .

(٣) الأولياء : جمع ولي ، وهو النصير ، والأشكال : جمع شكل ، وهو المثل .

(٤) الخلة : الفقر والحاجة ، وفي المثل « الخلة تدعو إلى السلة » والسلة بالفتح : السرقة .

(٥) أثابته : رجعته ورده .

(٦) استصعب الأمر : صار صعبا كصعب وأصعب (واستصعبه : وجده صعبا ، فهو لازم متعد) .

(٧) الطول والتطول : التفضل والامتنان .

(٨) الرفد : العطاء والصلة .

۲۰۶ - كتاب أبي العيناء إلى بعض الرؤساء

وكتب أبو العيناء إلى بعض الرؤساء - وقد وعده بشيء فلم يُنجزه : -
« ثَقَّتِي بِكَ تَمْنَعُنِي مِنْ اسْتَبْطَائِكَ ، وَعَالِمِي بِشُغْلِكَ يَدْعُونِي إِلَى إِذْكَارِكَ ، وَلَسْتُ
آمَنُ - مع استحكام ثقتي بطوولك ، والمعرفة بعلو همتك - اخترام الأجل ، فإن
الآجال آفات الآمال ، فسح الله في أجلك ، وبلغك منتهى أملك ، والسلام . »
(وفيات الأعيان ۱ : ۵۰۵)

۲۰۷ - كتاب أبي العباس بن ثوابة إلى إسماعيل بن بلبل

وكتب أبو العباس^(۱) أحمد بن محمد بن ثوابة إلى إسماعيل بن بلبل حين صاهر
الناصر لدين الله الموفق بالله :
« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، بَلْفَنِي ، لِلْوَزِيرِ - أَيْدِي اللَّهِ - نِعْمَةٌ زَادَ شُكْرَهَا
عَلَى مَقَادِيرِ الشُّكْرِ ، كَمَا أَرَبَنِي مَقْدَارَهَا عَلَى مَقَادِيرِ النِّعْمَةِ ، فَكَانَ مَثَلُهَا قَوْلَ
إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ :

بَنُوكَ غَدَوَا آلَ النَّبِيِّ وَوَارِثُوا الْخِلَافَةَ وَالْحَاوُونَ كَثْرَى وَهَاشِمًا
وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهَا مَوْهَبَةً تَرْتَبِطُ مَاقْبَلَهَا ، وَتَنْتَظِمُ مَا بَعْدَهَا ، وَتَصِلُ
جَلَالَ الشَّرَفِ ، حَتَّى يَكُونَ الْوَزِيرُ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - عَلَى سَادَةِ الْوُزَرَاءِ مُوَفِّيًا ، وَجَلِيلَ
الْعَادَةِ مُسْتَحَقًّا ، وَلِحَمْدِ الْعَاقِبَةِ مُسْتَوْجِبًا ، وَأَنْ يُلْبَسَ خَدَمَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ مِنْ هَذِهِ الْحُلَلِ
الْغَالِيَةِ مَا يَكُونُ لَهُمْ ذِكْرًا بَاقِيًا وَشَرَفًا مُخْلَدًا . »
(معجم الأدباء ۴ : ۱۵۷)

(۱) انظر هامش ص ۲۴۷ .

٢٠٨ - كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

إلى عبيد الله بن سليمان

ولما وليَ عبيد الله^(١) بن سليمان بن وهب الوزارة للمعتمد ، كتب إليه عبيدُ الله

ابن عبد الله بن طاهر كتابا ، وفيه شعر له :

أنى دهرُنا إسعافنا فى نفوسنا وأسعفنا فىمن محبٌ ونُعْظِمُ

فقلتُ له : نِعْمَاك فيهم أتمَّها ودعُ أمرنا إنَّ المُهمَّ المُقدِّمُ

فلما قرأ عبيد الله هذا الشعر قال : ما أحسن ما احتال فى شكوى حاله بين أضعاف

حدده ، وأمر بإيصال رِقاعه إليه ، وقضى كل حاجة كانت له .

(أدب الكتاب ص ٢٣٤ ، ووفيات الأعيان ١ : ٢١٧ ، وزهر الآداب ٢ : ١٩٨)

٢٠٩ - كتاب سعيد بن عبد الملك

إلى عبيد الله بن سليمان

وحجَّب سعيد بن عبد الملك عن عبيد الله بن سليمان .

فكتب إليه :

« سِرْتُ إلى بابك - أعزك الله - عند ما حدَّث من أمرك ، فلم يُقبضَ لِقَاؤُكَ ،

وعلمتُ أن نقتك بما عندى قد مثَّلتُ لك حالى من السرور بنعمة الله عندك ،

وأرَّتك موضعى من الاعتداد بكل ما خصَّك ووصلَ إليك ، فوكَّلتُ العذرَ

إلى ذلك .

ثم إننا فأتيتُك مُتَيَّمِنِينَ بطلعتك ، مشتاقين إلى رؤيتك ، فيحجُّبنا عنك ملاحظ ،

(١) انظر خبره فى الفخرى ص ٢٣١ ، وفى زهر الآداب : « ولما ولي سليمان بن وهب

الوزارة »

وهو - كما علمت - كِنٌ (۱) الصنيفة ، لثيم الطبيعة ، يحجب عنك الكرام ، وبأذنٍ عليك للنَّام ، كلما نَجَمَتْ (۲) له يدٌ بيضاء ، أتبعها يداً سوداء ، فإن رأيتَ - أعزك الله - أن تعرِفَه عن باب مكارمك فعت إن شاء الله .

(زهر الآداب ۲ : ۱۲۱)

۲۱۰ - كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب أبو العيناء إلى عبيد (۳) الله بن سليمان بن وهب وزير المعتمد :
« أنا - أعزك الله تعالى - وولدي وعيالي زرعٌ من زرعك ، إن أسقيته راعٍ (۴) وزكا ، وإن جفوته ذَبُلَ وَذَوَى (۵) ، وقد مسني منك جفاءٌ بعد برٍّ ، وإغفالٌ بعد تعاهدٍ ، حتى تكلم عدوٌ ، وشمت حاسدٌ ، ولعبتُ بي ظنونُ رجالٍ كنتُ بهم لاعباً ، ولهم مُخْرِسًا ، والله درُّ أبي الأسود في قوله :

لَا تَهِنِّي بَعْدَ إِذَا أَكْرَمْتَنِي وَشَدِيدٌ عَادَةٌ مُنْتَزَعَةٌ

(زهر الآداب ۱ : ۲۹۱ ، وعبون الأخبار ۸ : ۱۹۵)

۲۱۱ - رد عبيد الله عليه

فوقع في رقعة :

« أنا - أسعدك الله - على الحال التي عهدت ، وميلى إليك كما علمت ، وليس من أنسيناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقتطاع الشغل لنا ، واقتسامه زماننا ، وكان من حقت علينا أن تذكرنا بنفسك ، وتعلمنا أمرك ، وقد وقعتُ لك برزق شهرين ، لتزيج عنتك ، وتعرفني مبلغ استحقاقك ، لإطلاق لك باقى أرزاقك ، إن شاء الله ، والسلام . »

(زهر الآداب ۱ : ۲۹۱)

(۱) كن الشيء : ستره . (۲) أى ظهرت .

(۳) وفى عبون الأخبار « إلى أبى القاسم بن عبيد الله بن سليمان » والصواب « إلى أبى القاسم عبيد الله بن سليمان » .

(۴) راع يربيع : نما وزاد ، وزكا يزكو : نما أيضا . (۵) أى ذبل .

٢١٢ - كتاب أبي العيناء إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب أبو العيناء إلى عبيد الله بن سليمان ، وقد نكبه وأباه المعتمد^(١) ، وهما
بطلان ببال بيعان له ما يملكانه من عقارٍ وأثاثٍ وعبدٍ وأمةٍ ، وقد أعطى بخادم
أسود لعبيد الله خمسون ديناراً :

« قد علمت - أصلحك الله - أن الكريم المنكوب أجدى على الأحرار من
الثلثم الموفور ؛ لأن الثلثم يزيد مع النعمة لثوما ، والكريم لا يزيد مع المحنة إلا كرمًا ،
هذا متكبل على رازقه ، وهذا يُسب الظن بخالقه ، وعبدك إلى ملك « كافور »
فقير ، وثمنه - على ما اتصل بي - يسير ، لأنه بخدمته السلطان ، يعرفني الرؤساء
والإخوان ، ولست بواجدٍ ذلك في غيره من الغلمان ، فإن سمحتَ به فتلك عادتك ،
وإن أمرت بأخذ ثمنه فألك مادتي ، أدام الله دولتك ، واستقبل بالعمة
نكبتك » .

(زهر الآداب ١ : ٢٩١)

فأمر له به .

٢١٣ - جواب لأحمد بن سليمان بن وهب

وقال الحسين بن إسحاق : كنت عند أحمد^(٢) بن سليمان بن وهب ، ونحن على
شراب ، فوافته رُقعةٌ فيها أبياتٌ مدح ، فكتب الجواب :
« وصلت رقتك - أعزك الله - فكانت كوصل بعد هجر ، وغنى بعد فقر ،

(١) قدمنا أن الموفق طلحة . كان هو الغالب على أمر أخيه المعتد ، وجاء في الأغاني (ج ٢٠
ص ٧٢) « أن الموفق لما استكتب سليمان بن وهب وابنه عبيد الله ليقت منها على ذخائر موسى بن بقا ووداعه
فلما استقصى ذلك نكبهما لكثرة ما لهما » وجاء في تاريخ الطبري (ج ١١ : ص ٢٥١) « وفي سنة
٢٦٤ خرج سليمان بن وهب من بغداد إلى سامرا ، ومعه الحسن بن وهب ، فلما صار بسامرا غضب عليه
المعتد وحبسه وقيده وانتهب داره ودارى ابنه وهب وإبراهيم . . . » .
(٢) انظر ترجمته في معجم الأدباء ٣ : ٥٤ .

وظفر بعد صبر ، أفاظها دُرٌّ مَشُوفٌ (١) ، ومعانيها جَوهر مرصوف ، وقد اصطحبها
أحسنُ صُحبة ، وتألَّفًا أقربَ ألفة ، لاتمُّجُّها الآذانُ ، ولا تنعبُ بها الأذهانُ ، وقرأتُ
في آخرها من الشعر ما لم أملكُ نفسي أن كتبتُ - لجلالته عندي ، وحُسنِ موقعه
من نفسي - بما لا أفومُ به ، مع تحيُّفٍ (٢) الصَّهْبَاءِ لُبِّي ، وشُرْبِهَا من عقلي بِمِقْدَارِ
شُرْبِي ، ولكني واثق منك بَطْلِي سَيْثِقِي ، ونَشْرِ حَسَنَتِي :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ	وَإِنِّي كِتَابُكَ بَعْدَ طَوْلِ الْيَاسِ
وَإِنِّي ، وَكُنْتُ بَوْحَشَتِي مَتَفَرِّدًا	فَأَصَارُنِي لِلجَمْعِ وَالْإِنْفَاسِ
وَقَرَأْتُ شِعْرَكَ فَاصْتَطَلْتُ لِحْسَنِهِ	نَحْرًا عَلَى الْخُلَطَاءِ وَالْجَلَّاسِ (٣)
عَايَنْتُ مِنْهُ عَيُونََ وَشِي سُدَّيْتِ	بِيدَائِعٍ فِي جَانِبِ الْقِرْطَاسِ (٤)
فَاقَتْ دِقَائِقُهُ وَجَلَّ لِحُسْنِهِ	عَنْ أَنْ يُحَدِّدَ بِفِطْنَةٍ وَقِيَاسِ
شِعْرٌ كَجَرَى الْمَاءِ يَخْرُجُ لَفْظُهُ	مِنْ حُسْنِ طَبْعِكَ فَخَرَجَ الْأَنْفَاسِ
لَوْ كَانَ شِعْرُ النَّاسِ جِئْمًا لَمْ يَكُنْ	لِكَمَالِهِ إِلَّا مَسْكَانَ الرَّاسِ

(معجم الأدباء ٣ : ٥٦)

٢١٤ - كتابه إلى ابن أبي الأصبع

وكتب أحمد بن سليمان بن وهب إلى ابن أبي الأصبع (٥) :

« لو أطعتُ الشوقَ إليك ، والنزاعَ (٦) نحوك ، لكثرتُ قُصْدِي لك وغَشِيَانِي (٧) »

- (١) مشوف : مجلوع ، من شافه يشوفه شوقا : أى جلاه .
(٢) تحيُّفه : تنقصه من حيفه ، والحيف كعقب : جم حيفة بالكسر ، وهى الناحية .
(٣) الخلطاء : جم خليط ، وهو الخاط ، وفى الأصل « على الخلفاء » وأراه محرفا .
(٤) الوشى : نقش الثوب ، سديت ببدائع : أى جعلت البدائم سدى لها ، والسدى بالفتح :
الحيوط التى تمد طولاً فى النسيج (واللحمة بالضم والفتح : ما يندج عرضاً) .
(٥) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أبي الأصبع ، انظر الفهرست لابن النديم ص ١٨٤ ، وفى الأصل
« ابن أبي الإصبع » .
(٦) نزع إلى أهله كضرب نزاعة بالفتح ، ونزاعا بالكسر ، ونزوعا بالضم : اشتاق .
(٧) غشيه غشيانا : جاءه .

إياك ، مع العلة القاطعة عن الحركة ، الحائلة بيني وبين الركوب ، فالعلة إن تخلفت
مخلفتي ، وإيثار التخفيف يؤخر مكانتي : فإما مودة القلب ، وخصوص النية ، ونقاء
الضمير ، والاعتداد بما يجدده الله لك من نعمة ، ويرفعك إليه من درجة ، ويبلغك
إياه من رتبة ، فعلى ما يكون عليه الأخ الشقيق ، وذو المودة الشفيق ، وأرجو أن
يكون شاهدي على ذلك من قلبك أعدل الشهود ، ووافدي بإعلامك إياه أصدق
الوفود ، وبحسب ذلك انبساطي إليك في الحاجة تعرض قبلك ، ويعني بالنجاح منها
عندك ، وعرضت حاجة ليس تمنعني قائلها من كثير الشكر عليها ، والاعتداد
بما يكون من قضائك إياها ، وقد حملتها يحيي لتسمعها منه ، وتتقدم بما أحب
فيها ، جارياً على كرم سجيّتك ، وعادة تفضلك إن شاء الله .

(معجم الأدباء ٣ : ٦٠)

٢١٥ - كتابه إلى أخيه عبيد الله بن سليمان

وكتب إلى أخيه الوزير عبيد الله بن سليمان - وقد سافر ولم يودعه - :
« أطال الله بقاء الوزير ، مضعباً له السلامة الشاملة ، والغبطة المتكاملة ،
والنعم المتظاهرة ، والواهب المتواترة ، في ظعنه ومقامه ، وحله وترحاله ، وحركته
وسكونه ، وليله ونهاره ، وعجل إلينا أوبته ، وأقر عيوننا برجعته ، وامتعنا
بالنظر إليه .

كان شخصاً الوزير - أعزه الله - في هذه الامة بفتة أعجل عن توديعه ،
فزاد ذلك في ولهي ، وإضرام لوعتي ، واشتدت له وحشتي ، وذكرت قول
كثير :

كنتم تزبنون البلاد ففارقت (عشيّة بئتم) زينها وجمالها

فقد جعل الراضون إذ أنتم لها بخصب البلاد يشتكون وبأهلها
والوزير - أعزه الله - يعلم ما قيل في يحيى بن خالد :

ينسى صنائعه ويذكر وعده ويبيت في أمثاله يتفكر «

(معجم الأدباء ٣ : ٦١)

٢١٦ - كتابه إلى صديق له

وكتب إلى صديق له :

« ليس عن الصديق المخلص ، والأخ المشارك في الأحوال كلها مذهب ، ولا
وراءه للوائق به مطلب ، والشاعر يقول :

وإذا يصيبك (والحوادث جمة) حدث حداك إلى أخيك الأوثق^(١)

وأنت الأخ الأوثق ، والولي المشفق ، والصديق الوصول ، والمشارك في المكروه
والحبيب ، قد عرفني الله من صدق صفائك ، وكرم وفائك ، على الأحوال المتصرفة ،
والأزمة المتقلبة ، ما يستفرق الشكر ، ويستعبد الحزن ، وما من يوم يأتي على
إلا وثقتي بك تزداد استحكاماً ، واعتمادى عليك يرداد تأكداً والتثاماً ، أنبسط
في حوائجي ، وأثق بنجح مسألتي ، والله أسأل لك طول البقاء في أدوم النعمة
وأستبغها^(١) ، وأكمل العوافي وأتمها ، وألا يسلب الدنيا نضرتها^(٢) بك ، وبهجتها
بقائك ، فما أعرف بهذا الدهر المتفكر في حالاته ، حسنة سواك ، ولا حيلة غيرك ،
فأعيدك بالله من العيون الطامحة ، والأسنة القارحة ، وأسأله أن يجعلك في حرزه الذي
لا يرَام ، وكسفه الذي لا يُضام ، وأن يحرُسك بعينه التي لا تنام ، إنه ذو المن والإعانة .
(معجم الأدباء ٣ : ٦٢)

(٢) أي بهجتها ورواؤها .

(١) أي وأتمها .

٢١٧ - كتاب أبي العباس بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

ومن فصل لأبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان :
« لم يُوْتِ الوزيرُ من عدم فضيلة ، ولم أوتَ من عدم وسيلة ، وغُلَّةُ الصادِي^(١) »
رَأَى لَهُ انتظارَ الوارد ، وتُعَجِّلُ عن تأمُّل ما بين الغدير والوادي ، ولم أزل أترقَّب أن
يُخَطِرَنِي بِبَالِهِ ، تَرَقَّبَ الصائمَ لِفِطْرِهِ ، وَأَنْتَظِرُهُ انتظارَ السَّارِي لِفَجْرِهِ ، إلى أن بَرِحَ
الْخَفَاءُ^(٢) ، وكُشِفَ الغِطَاءُ ، وشِمَّتِ الأعداءُ ، وإنَّ في تَخَلُّفِي وتقدُّمِ المقصرين ،
لآيةٌ للمتوسمين ، والحمد لله رب العالمين .

(معجم الأدباء ٤ : ١٤٧)

٢١٨ - كتاب له

ومن كلام أبي العباس :
« مِنْ حَقِّ المَكاتِبَةِ أن يَسبِطَهَا أنْسٌ ، وَيَنْعَقِدُ قَبْلِهَا وُدٌّ ، وَلَكِنَّ الحَاجَةَ
أَعْجَلَتْ عن ذلك ، فَكُتِبَتْ كِتَابَ مَنْ يُحْسِنُ الظنَّ إلى مَنْ يَحَقِّقُهُ » .
(معجم الأدباء ٤ : ١٧٤)

٢١٩ - كتاب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب ابن ثوابة إلى عبيد الله بن سليمان يعتذر إليه من تركه مكاتبته
بالتفدية^(٣) :

« اللهُ يَعْلَمُ - وَكُنِيَ بِهِ عَالِمًا - لَقَدْ أَرَدْتُ مَكاتِبَتَكَ بِالتَّفْدِيَةِ ، فَرَأَيْتُ عَيْبًا أَنْ
أَفْدِيَكَ بِنَفْسٍ لَا بَدَّ لَهَا مِنَ الْفَنَاءِ ، وَلَا سَبِيلَ لَهَا إِلَى الْبَقَاءِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَكَ شَيْئًا

(١) الغلة : حرارة العطش ، والصادي : العطشان .

(٢) أي انكشف الأمر ووضع ، أخذه من قول حسان :

ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلغة فقد برح الخفاء .

(٣) في زهر الآداب « في التفدية » .

بُضِيرَ خِلَافَهُ فَقَدْ غَشَّ ، وَالْأَمْرُ إِذَا كَانَتْ الضَّرُورَةُ تَوَجُّهُ ، وَتُحَقِّقُ أَنَّهُ مُلْكٌ لَا يَتَحَقَّقُ ، وَعَطَاءٌ لَا يَتَحَصَّلُ ، لَمْ يَحْزُنْ أَنْ يَخَاطَبَ بِهِ مِثْلَكَ (١) ، وَإِنْ كَانَ عِنْدَ قَوْمٍ نِهَايَةً مِنْ نِهَايَاتِ التَّعْظِيمِ ، وَدَلِيلًا مِنْ دَلَالَاتِ الْاجْتِهَادِ ، وَطَرِيقًا مِنْ طَرِيقِ التَّقَرُّبِ « .
(أدب الكتاب ص ١٥٥ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦)

٢٢٠ - جواب عن تعزية لابن ثوابه

« وصل كتابك بالتعزية عن أخي وفهمته ، وقد جلت مصيبتى به وعظمت ، فنكأت (٢) القلب ، وهدت الرؤى ، وأذهبت القوة ، ونغصت العيش ، وأزرت بالأمل ، فعند الله أحسبته ، وإياه أسأل تفضلاً عليه ، وصنفاً عنه ، ونعمداً (٣) لذنوبه ، وصبراً على حادث قضاؤه ، واستعداداً للموت وتأهباً له ، فإنه مضرع لا بد منه ، ومورد لا يحيص عنه .

وقد كنت استجفيت كتابك ، وأنكرت تأخر تعزيتك وعددت ذلك من هنوات الإخوان الذين يقع التقصير منهم ، وتصيح نياتهم وضمائرهم ، فرددت الزلل من فعلك ، إلى موثوق به من نيتك وضميرك ، وأسأل الله ألا يعد منك على أحوالك كلها ، ويمتتنا بمواهبه فيك » .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٣)

٢٢١ - تعزية له إلى ابني عمر

« أنا أستهجنُ وصفَ مشاركتكما عند كل حادث من نازلة بكما ، اكتفاءً بالحال ، ومتأكِّد الوصل والأسباب ، وحدت هذه المصيبة ، فالله يعلم ما أثرت بقلبي ،

(١) في زهر الآداب « والأمر إذا كانت الضرورة توجب أنه ملك لا يحقق إعطاء ، ولا يتحصل لم يجب أن يخاطب به مثلك » وفي أدب الكتاب « فقد غش ، وألم ، إذ كانت الضرورة توجبه ، وتحقق أنه ملق لا يتحقق ، وعطاء لا يتحصل ، وإن كان عند قوم . . . » وكلاهما محرف .

(٢) من نكأت الفرحة كنع : قشرها قبل أن تبرأ فندبت .

(٣) أي سزا وغفرانا لها .

وهدت من قوتي ، ومثلت من قرب المنية لي ، فإن المصائب نواذب ، ومن رأى
خلوها بغيره علم أنها حالة في نفسه ومن يتصل به ، ولقد اشتد جزعي لذلك ووخشتي
منه ، ومن خلوا منازلكما من الأم البرة ، والأخت الطاهرة ، مع قصر أيام ، وقرب
مدة ، وعدم سلوة ، رضى الله عنكما ، ولا نقص لكما عددا .

وعزير على أن أتخاف عن حقكما ، أو أمر يأنزمني فيه ما يلزم كافة أهليكما ،
لكنى في حال قد عرفتماها^(١) ، فإن اتسع لي العذر مع ما نازعني فيه من أحوالكما ،
وإلا فإن في تفضلكما موضع احتمال الهفوة ، وتفقد الزلة ، وإقالة العثرة ، والرجوع
إلى نية قد صحت ، وطوبى قد خلصت واستحكمت .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣١٣)

٢٢٢ - عهد من الموفق إلى أحد الولاة

كتبه ابن ثوابه

« هذا^(٢) ما عهد به أبو أحمد الموفق بالله ولي عهد المسلمين ، إلى فلان ، حين
ولاه الصلاة بأهل كورة الرى ودنباوند^(٣) وواحياها والحرب والأحداث فيهما .
أمره بتقوى الله وطاعته ، وخشيته ومراقبته ، في سيره وعلايقته ، وظاهر أمره
وباطنه ، والعمل بما أمر الله به ، والانتها عما نهى عنه فيما وافقه وخالفه ، وأرضاه
وأسخطه ، فإنه من يتقى الله يقيه ، ومن يعتم به يهده ، ومن يطعه يقوله ويكفنه ،
« إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » .

وأمره أن يشعر قلبه خيفة الله وهيبته والتفويض إليه ، والاعتماد عليه ، وأن
يجعل كتاب الله عز وجل له إماما ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم مثالا ، فإن فيهما
دلالة وتبiana ، وضياء ونورا وشفاء لما في الصدور ، وهدى ورحمة المؤمنين .

(١) في الأصل « قد عرفتما » وربما كان الصواب « قد عرفتما إياها » .

(٢) تأثر فيه عهد المهدي السابق واقتبس منه - انظر ص ١٣٢ من الجزء الثالث .

(٣) جبل من نواحي الرى .

وأمره أن يكون أول ما يُعنى به ويقدمه ، ويراعيه ويؤثره ، إقامة الصلاة لمواقبها ، بإتمام ركوعها وسجودها ، وأداء فرض الله فيها ؛ إذ كانت عماد الدين ، وأفضل ما تقرب به المؤمنون ، وكان من أضعافها وقصر في واجبها ، أشدّ تضييعاً لما سواها من حقوق الله عز وجل وفرائضه ودينه وشرائعه « وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ » .
وأمره أن يُلهم نفسه في كل حال من حالاته ، وصغير وكبير من أمره ، ذكر الله جل ثناؤه ، وقدرته عليه ، وألا يمضي أمراً إلا بعد استخارة الله عز وجل فيه ، واستقتضائه في ذلك بالذي هو له أرضى ، وعنده أزركى ، فإن العاقبة للتقوى ، وإن أفضل الأمور خيرها عاقبةً ، وأحمدها مَغَبَّةً ، وما التوفيق إلا بالله ، عليه يتوكل المتوكلون :

وأمره أن يُحسن الولاية لأهل عمله ، والسياسة لمن استرعى أمره ، ويكثر الجلوس لهم ، والنظر في أمورهم ، ويُفرض العدل والمصنعة فيهم ، ويكف العدو الظالم عنهم ، ويسوى الحق بين كافتهم ، ولا يميل إلى شريف في شرفه ، ولا على خامل لسقوط منزلته ، وأن يختار لولاية أعماله حاضرها ونائبها ، وقريبها وبعيدها ، ذوى العفاف والشهامة والكفاية ، ويُوَازِلهم في الرفق بأهلها ، والتألف لمن حسنت طاعته ، واستقامت طريقته ، والشدة على من خالف الحق مذهبهُ ، ولا يكون لأحد عنده إغضاء عن ربيته يشتمل عليها ، وسبيل غير محمودة يسلكها ، فإن في إقامة الحق صلاحاً وخيراً كثيراً ، وفي التفريط ضرراً وخلاً عظيماً .

وأمره أن يتفقد من معه من موالى أمير المؤمنين وأوليائه ، ويحسن صحبتهم وعشرتهم ويتفقد أمورهم ومصالحتهم ، ويراعى أحوالهم في طاعتهم ومناصحتهم ومذاهبهم فيما يُصرفهم فيه ، ويُهيب^(١) بهم إليه ، ويُنزِلهم منازلهم على حسب ما يحمد ويدم منهم ، ليزداد محسنهم في إحسانه ، وينزع مقصّرهم عن تقصيره .

(١) أهاب به : دعاه .

وأمره أن يقدم أهل الفضل والصلاح والمشايعة والمؤالاة والنصيحة للسلطان
ويؤدنيهم ويقرّبهم ، ويسمع منهم ، ويعرف لهم ما سدّوا ، ويظهر من نصائحهم ،
ويحمد من حالاتهم ، حتى يدعو من فعله بهم غيرهم إلى سلوك مناهجهم ، والافتداء
بهم ، والازوم لهدّيتهم ، وأن يتخذ أهل العفة والرأى والسّن والورع جلساءه وبطانته
ويشاورهم في أمره ، ويستعين بأرائهم فيما هو مُصدِّره ، حتى يكون ما يُمضى وينفذ
منه بحسب ما يجتمعون عليه ، ويرَوْنه موافقا للحق والعدل ، ومجانبا للظلم والجور .

وأمره أن تكون أحكامه فيما ينفرد بالنظر فيه ، وإقامته من الحدود وما أشبهها ،
بما يجب لله عليه في ذلك ، من اتباع مُحْكَمٍ تنزيل ، أو ماثورِ سُنَّةٍ ، أو رأى يتفق
عليه نبيل^(١) مُحْسِنٌ ومن يليه من الفقهاء وذوى المعرفة ، وألاّ يُقدِّم على سفك دم ،
ولا تخلية سبيل محبوس ، ولا قطع مستحقٍ للقطع ، حتى يكتب إليه باسم من وجب
ذلك عليه ، واسم أبيه وقصته ، في إقرار إن كان منه ، أو بينة إن قامت عليه ،
وأسماء تلك البينة ، وما تُعرف به في أنسابها ومواضعها ، وما شهدت به ، وعدّها
فيمن هي منه ، ليأتيه الأمر فيه يتمثله ، فإن هذين الجديين من أجل الأحكام منزلة ،
وأعظمها تبعه ، وأولاها بالحظر ، إلى أن يوقف على حقيقة ما يجب فيها ، ويأمر
السلطان — أعزه الله — بما يوفقه الله في إقامتها إن شاء الله .

وأمره ألاّ يأخذ أحداً من الرعية بقرينة^(٢) ولا إحنة ، ولا يعرض لأحد من
أهل البراءة والسلامة والاستقامة ، ولا يُلحق بهم جرائم أهل النطف^(٣) والرّيبة ، وأن
يُشرف على أهل الدّاعة والفساد في عمله . ويقمعهم ويردّعهم ، فيشرّد بهم ، ويعاقب
من استحق العقوبة منهم بقدر جرمه ، وبحسب ما حدّ في مثله ، من غير أن يبلغ
بأحد ممن لا يجب عليه الحدّ حدّا ، فإن لكل شيء قدرا ، ولن يستطيع الرأى فيمن

(١) في الأصل « سبيل » وأراه محرفا ، والنبيل : الذكي النجيب ، والواو في « ومن » للعبية .

(٢) قرنه بسوء : رماه به واتهمه ، والقرنة بالكسر : التهمة ، والإحنة : الحقد .

(٣) نطف كفرح وعنى نطفا بالتجريك ونطافة ونطوفة : اتهم بريية وتلطخ بعب وفسد .

أشکل علیہ مقدارُ تادیبہ ، ومن لا یُصلِحہ إلا المبالغةُ فی عقوبتہ ، ویکتب بحالہ وشرح جریمتہ ، لیأتیہ الرأیُ فیہ بما یعمل بہ إن شاء اللہ .

وأمرہ أن یصرفَ عنایتہ إلى النواحی التي تصاقبُ^(۱) عملہ ، من نواحی الأعداء المکتنفةِ له ، ویرتبُ یزائمها من بسدِّ خلاها ، ویرتقُ فتقها ، ویراعیہم بإشرافہ وتفقدہ ، ویماعل من یحتاج إلى معالجته من نجم^(۲) وینجمُ بہا ، وینخاف عادیقہ وشیرتہ ، ویناھضہ بنفسہ وبکافةِ الأولیاء الذین معہ ، ویستعمل فی أمرہ ما یدفع اللہ بہ مکروہة ومعرّتہ ، مؤثرًا فی ذلك الیقظة علی الغفلة ، والجدَّ علی الفتور ، فإن مراعاة أولئك الأعداءِ وكفَّ عادیقہم ، من أهم الأمور التي یتقلدہا ، ویؤمل عنده الكفايةُ لها ، وأن یتقدّم إلى من قبلہ من التجار وغيرہم ألاّ یجاوزوا شیئًا من عملہ إلى شیء من تلك النواحی بالمیر^(۳) والأسلحة ، ولا یحملوا تلك المیر إليها ، ویظہر النداء فیہم ، فن تجاوز أمرہ وتعداه تقدّم فی حبسہ وکتب باسمہ واسم أبیہ وإحصاء ما وُجد معہ من أصناف المیر وغيرہا ، لیأتیہ الأمر بما یمثله إن شاء اللہ .

وأمرہ أن یتفقدَ طرفِ عملہ ومسالحہ^(۴) بالضبط لها ، وبذرقہ^(۵) السابلةِ المختلفةِ فیہا ، ویبلغ فی ذلك المبلغَ الذي یرجو معہ بإذن اللہ أمنہا وسلامتہا ، ویرتبُ فیہا الثقاتِ من أصحابہ ، وأهلَ الجلدِ من جنده وأعوانہ ، ویأمرہم بمراعاة ما یوکلہم بہ منها ، ورفَع مئوناتهم عن یجتاز بہا ، حتی لا یأزِمہم جنایةٌ بسبب نار ولا غیرہ ، وألاّ یحمل أحدا منهم کلفةً ولا نائبةً^(۶) ، فإن فی ذلك رفقا بہم ، وصلاحا لهم ،

(۱) صاقبه : قاربه .

(۲) أى نار ، من نجم النبات : إذا ظهر وطلع .

(۳) جمع ميرة بالكسر : وهى الطعام .

(۴) المسالِح جمع مسلحة بالفتح : وهى الثغر ، والقوم ذوو سلاح .

(۵) البذرقه : الحفارة ، فارسية معربة ، والمبذرق : الحفیر .

(۶) فى الأصل « یاسه » والنائبة : ما ینوب الإنسان أى ینزل بہ من المبهمات والحوادث .

وعمارة لطرقهم ، ودُرُوراً لتجاراتهم ، ووصولاً للنفع إلى البلدان التي يقصدونها للتجارات ، وأمناً من انقطاعها عنها بإذن الله .

وأمره أن يُحسِنَ مَعُونَةَ أحمد بن محمد ، المتقلد لأعمال الخراج والضياح قبله ، على ما استعان به عليه ، مما فيه زجاء^(١) الخراج ، ودُرُورُ جبايته ، وبُزِيحَ عِلَّتِهِ^(٢) فيمن يحتاج إلى إشخاصه اليوم^(٣) من الممتنعين والمدافعين بما يجب عليهم ، وفي سائر ما يلتمس منه المعونة عليه ، وأن يضمَّ إليه من الأعوان العِدَّةَ التي لم تزل تُضمَّ إلى المقولِّ لما قلده ، ويعمل على أن ذلك من أولى ما قدمه وآثره ، واستفرغ فيه وسعته ، للصلاح العائد به ، والحظَّ الراجع فيه إن شاء الله .

وأمره أن يتفقد من في الحبس قبله ، ويكثر عرضهم والنظر في أمورهم ، والأسباب التي حبسوا بها ، ولا يقصد لإطالة حبس من لا يجب ذلك عليه ، ولا لإطلاق ما يوجب الحق تخليده ، ويعمل في أمورهم ومشاورة أهل الفقه فيهم ، وإقامة التأديب والحدود عليهم ، بما حدَّ في أمثالهم إن شاء الله .

وأمره ألا يقسم على أهل عمله قسمة بسبب نزل^(٤) ولا غيره ، مما كان شيرارُ العُمال يوظفونه ويقسمونه على أهل أعمالهم ، ويتجنب الطعم^(٥) الشائنة ، والمكاسب الرديئة ، ويحذر أن يعرض لشيء منها ، أو يطلق لأحد من كفاته ، فيرد عليه من النكير ما هو حريٌّ بتوقيه والتصون عنه .

وأمره أن يتقدم في تعريف ما يوجد من الضوال^(٦) في عمله والإشادة بذكرها ، فإن هرَفَ أحد ضالَّةً منها ، وأوضح ملكه إياها بما يوضح به مثله ، سَأمت إليه ،

(١) زجا الخراج يزجو زجاء : تيسرت جبايته .

(٢) في لأصل « ويرتج عليه » وهو تصحيف .

(٣) كذا في الأصل ، والأظهر أنه « إلينا » .

(٤) النزل كعنق وقفل : ماهي للضيف أن ينزل عليه .

(٥) الطعم جمع طعمة بالضم : وهي وجه المكسب .

(٦) الضوال جمع ضالة : وهي الحيوان الضائع لا يعرف له رب ، وقد تطلق الضالة على العاني .

وأشهد بها عليه ، وإن لم يحضر لها طالب ، وأشفق من ضياعها ، باعها في أسواق المسلمين بأقصى أثمانها ، وأحوط ما يُعْمَلُ به في أمرها ، وسلم ثمنها إلى عامل الخراج قبله ، ليجعله عزلاً^(١) في بيت المال ، فإن استحقته مستحقاً بعد ذلك دفعه إليه إن شاء الله .

وأمره أن يحبس من ظفر به من أبق^(٢) أرقاء المسلمين والمعاهدين ويستوثق منهم ، ويسأل عن أسمائهم وأسماء مواليتهم ومواضعهم ، ويكتب بذلك إلى العمال الذين هم في أعمالهم ، ويدفع كل عبد منهم أو أمة إلى مولاه ، إذا قامت البينة العادلة على أنه رقيق له ، أبق منه ، ويشهد بذلك عليه إن شاء الله .

وأمره أن يتخير للحسبة على أهل الأسواق وسائر أصحاب الصناعات والبياعات^(٣) في عمله ، من يعرف بالقصد في مذهبه ، والستر في نفسه ، والعفاف في طعمته ، واستيفاء الحق فيما يُقلده ويستكفي القيام به ، ويتقدم إليه في أخذ كل طبقة من أهل الطبقات التي يقع في الحسبة فيها ، بتصحيح المعاملة ، ورفع الغش ، وتجنب كل ما عاد بمضرة على المسلمين وتحيف^(٤) لهم ، وتعمير^(٥) المسكايل والموازن في سائر عمله ، وإقامتها على الوفاء والعدل ، وختمها بالرصاص ، وتحمّل المبتاعين فيها وغيرهم عليها ، والإشراف على ما يرأسه ويتقدم بامثاله في سائر وجوه الحسبة ، حتى لا يخالف شيء منه إلى غيره ، ومعاينة من عسى أن يقدم على مخالفته فيه ، يردعه ويعظ من سواه ، فإن الله عز

(١) العزل : ما يورد بيت المال مقدمة غير موزون ولا منتقد .

(٢) جمع أبق : وهو الهارب .

(٣) البياعات جمع بياعة بالكسر وهي السلعة ، وفي الأصل « الساعات » وهو تحريف .

(٤) تحيفه : تنقصه من حيفه ، والحيف كعنب : النواحي جمع حيفة بالكسر .

(٥) قال في اللسان : « عبرت الدنانير : وهو أن تلتقي ديناراً ديناراً ، فتوازن به ديناراً ديناراً ، وكذلك عبرت تعبيراً إذا وزنت واحداً واحداً ، يقال هذا في الكيل والوزن ، قال الأزهرى : فرق اللبث بين غابت وهير ، فجعل هابت في المكيايل وعبرت في الميزان . . . » .

وجل يقول : « أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ . وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ . وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ » .

وأمره : إن كان فيما يؤدى إلى صلاح ما ولاء واستقامته ووقوع الاحتياط فيه ، موافقة أمر لم يعهد إليه فيه ، واحتاج إلى استئاره في ذلك ، أن يتوقف عن إحداث حدث في شيء منه ، ويكتب إليه به ، لياتية الأمر في ذلك بما يعمل به ويقتصر عليه ، وإن كان مما سبيله أن يُنفي فيه رأيه ، عمل فيه بما يؤفقه الله له ، ممثلاً ذلك أعدل السير وأقصدّها إن شاء الله .

وأمره أن يقرأ عهده على أهل عمله ، ويؤفقههم رأيه فيه ، وعنايته بما فيه صلاحهم ، والإحسان إليهم ، والعدل عليهم ، والتقرب إلى الله بذلك في أمرهم ، لِيَبْسُطَ آيَاتِهِمْ ، وَيُحْسِنَ ظَنُونَهُمْ ، وَيُحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

هذا عهدى إليك ، وأمرى إليك فيما قلدتك وأسندت إليك ، فامتثله واعمل به ولا تُجاوزه ، واستعين بالله فيما غلبك منه بيقك ، والله أسأل أن يصلى على محمد عبده ورسوله ، وأن يوفقك ويحسن كفايتك ، والسلام » .

(اختيار المنظوم والنثور ۱۳ : ۳۴۶)

۲۲۳ - كتاب جعفر بن ثوابة إلى عبید الله بن سليمان

وكتب أبو الحسين جعفر بن محمد بن ثوابة إلى عبید الله بن سليمان :

« قد فتحت للمظلوم بابك ، ورفعت عنه حجابك ، فأنا أحاكم الأيام إلى عدلك ، وأشكو صرْفَهَا (۱) إلى عطفك ، وأستجير من لؤم غابتها بكرم قدرتك ، فإنها تؤخرنى إذا قدّمت ، وتحرّمنى إذا قسّمت ، فإن أعطت أعطت يسيراً ، وإن التجمعت ارتجعت كثيراً ، ولم أشكها إلى أحد قبلك ، ولا أعددت لإنصافها إلا

(۱) صرف الدهر : نوابه .

فضلك ، ودفع زمام^(١) المسألة وحق الظلامة حق التأميل وقدم صدق الموالاة
والحجة ، والذي يملأ بدي من النصفة ، ويسبغ العدل على ، حتى تكون إلى محسنا ،
وأكون بك للأيام معديا ، أن تخلطني بخواص خدمك ، الذين نقلتهم من حال الفراغ
إلى الشغل ، ومن الخمول إلى النباهة والذكر ، فإن رأيت أن تعد بني^(٢) فقد استعديت ،
ونجرتني فقد عذت بك ، وتوسع على كنفك فقد أويت إليه ، وتشملني بإحسانك فقد
عولت عليه ، وتستعمل بدني ولساني فيما يصلحان لخدمتك فيه ، فقد درست كعب
أسلافك ، وهم الأئمة في البيان ، واستضأت برأيهم ، واقتفيت آثارهم افتناء جعلني بين
وحيثي كلام وأنيسه ، ووقفني منه على جادة متوسطة ، يرجع إليها الغالي ، ويسمو
نحوها المقصر ، فعلت إن شاء الله تعالى .

(معجم الأدباء . ٧ : ١٨٨) .

٢٢٤ - كتاب أحمد بن أبي طاهر إلى علي بن يحيى

وكتب أحمد^(٣) بن أبي طاهر يشكر على^(٤) بن يحيى :

« وصل إلى - وصل الله نعمتك بالزيد - ما ابتدأت به من برك المتتابع ،
وفضلك الواسع ، فصادفنا على حال من الخلة^(٥) قد دعتنا ضرورة الحاجة بها إلى ذل
المسألة ، فرم^(٦) ما نلناه الدهر من مروتنا ، وسد ما كشفه من خلقتنا ، وكفانا
مثونة الامتحان للإخوان في مودتنا ، وستر وجوهنا بالصيانة عن المسألة ، وأبقى جاهنا

(١) الدمام : الحق والحرمة .

(٢) أعداء : نصره وأعانه وقواه ، واستعداه : استعانه واستنصره .

(٣) هو أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ، صاحب كتاب المنظوم والمنثور ، ولد ببغداد سنة

٢٠٤ وتوفي سنة ٢٨٠ - انظر ترجمته في الفهرست ص ٢٠٩ ومعجم الأدباء ٣ : ٨٧ .

(٤) هو أبو الحسن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم ، وكان من خاصة ندماء التوكل ، وخص به

وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتد ، وكان مقدا عندهم ، يفضون إليه بأسرارهم ، ويأمنونه على أخبارهم ،

وكان راوية للأشعار والأخبار شاعرا محسنا ، وتوفي سنة ٢٧٥ - انظر الفهرست ص ٢٠٥ .

(٥) الخلة : الحاجة والفقير .

(٦) رمه : أصله .

عند أهل المودة ، فما ظنك بمعروفٍ صادفَ حاجةً ، وصنيعه كان إليها بلا ذلةٍ
 ولا بذلةٍ (١) ، ومعونته جاءت بلا مئونة ، وغيث جاء بلا عارضٍ ولا مخيلةٍ (٢) ،
 وأملٍ أدرك بلا تعب ، وحقٍ أوجب بلا حرمة ولا سبب ؟ ما كان إلا كالقطر ،
 في الأرض القفر ، أغفلها الزمان ، وجفأها العمران ، وكلُّ معروفٍ وإن كثر
 فأكثر منه فضلك ، وكل صنيعه وإن كبرت فأكبر منها الأملُ فيك ، وكل شكرٍ
 بلغ غايةً محمودة فأقلُّ كرمك يستفرقه ، وكبيره يقصرُ عن تطوُّلك به ، فت والله
 المادح المطنِّب ، وقصرَ عنك لسانُ الشاكرِ المعترف ، والحامدِ المجتهد ، وأنفدَ فضلك
 المحاسنَ ، واستوفى أفلك جميعَ الفضائل ، وكَلَّ دونك لسانُ الخطيب والشاعر ،
 وتزيت بك الأيام ، وازدحمت عليك الآمان ، وامتثل مكارمك الكرام ، وقصرَ
 عنك الجياد والأجواد ، فإلى الذي زيننا بإخائك ، نرغب في بقائك ، ونسأله أن يهبك
 لفاقتنا إليك ، واتكأنا بعده عليك .

(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٢)

٢٢٥ - كتابه إلى علي بن يحيى

وله إلى علي بن يحيى :

« إن أحقَّ معروفٍ بأن يشكر ، ويدَّ بارة لا تكفر ، وأحقَّ واجبٍ بأن
 يؤدِّي ، وإحسانٍ وبرٍّ بأن يجازي ، معروفك - أعزك الله - عندي ، ويدك قبلي ،
 وحقك علي ، وإحسانك إلي ، لأن المعروف يحسن عند الأحرار موقعه ، ويجب عليهم
 شكره ونشره والإشادة بذكره ، تتطوَّع مبدئاً ، وتشفع ما تقدم مُعقِّباً ، وتحسن
 ربَّ ما أسديته متفضلاً ، لا أخلاك الله من برِّ وإحسان ، ولا أخلانا منك في حال .»
 (المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨)

(١) البذلة : اسم من الابتذال : وهو امتهان النفس وعدم صيانتها .

(٢) العارض : السحاب المعترض في الأفق ، والسحابة المخيلة (بياض مشددة مكسورة) والمخيلة (بكسر

الهاء) : التي تحسبها ماطرة .

٢٢٦ - كتابه في ذم ابن ثوابه

ولأحمد بن أبي طاهر في ذم ابن ثوابه حين ولي طساسبج^(١) الكوفة :
« أما بعد ، فإن فلانا قدم علينا شامخاً بأنفه ، عاقدا لعنقه ، ذاهبا بنفسه ، يرى
أن الجنة خلقت لمن أطاعه ، والنار لمن عصاه ، وأن الملائكة المقرّبين لم تنزل على من
نزلت عليه من الأنبياء إلا بتوكيد ذلك له ، فلا يعذب الله العباد إلا على معصيته ،
ولا يُذيبهم إلا على طاعته ، ولا أن الصّيحة أخذت قومَ ثمود إلا لاعتراضٍ كان
منهم على أولية أجداده ، ولم يرسل الله الرّيح العقيم على قوم عاد إلا عن خلافٍ كان
منهم لأبائهم ، وأن الواجب على هذه الأمة ، والفرض المحتوم الذي لا يُقبل منهم غيره ،
طاعته وقلة الخلاف عليه ، بالاستحقاق منه لذلك في نفسه ، وللوراثه عن آبائهم وأجدادهم ،
كأنه قدار^(٢) عاقراً ناقراً ثمود في خلقته ، وفرعون ذو الأوتاد في جبريته ، يحسب
الجود ذلاً ، والبخل عزا ، والجور عدلا ، وأن ما نهى الله عنه من قبيح فهو الجميل
الذي أمره به ، وما أمر به من جميل فهو القبيح الذي نهاه عنه ، لا يستكثر الخلافة
فيحدث بها نفسه تيبها ، ولا النبوة يتمناها على ربه عجباً ، وإذا قعد على فرشه وأخذ
مجلسه ، ورعى بطرفه في منزله ، دخلته العزة ، وعداه الأبهة ، وغلب عليه الكبر ،
حتى يخيل إليه أن بيت الله الحرام بعض داره ، وأن ضحونها هو الصّرح الممرّد^(٣) الذي
ذكره الله في كتابه ، وأن مهبط الملائكة على ظهر كفيسته ، وبئر زمزم من بعض
آباره ، وما بين الصفا والمروة مراغة لدوابه ، يضع من قدر نفسه ، ويرفع من قدر

(١) طساسبج جمع طسوج (بفتح الطاء وضم السين المشددة) : وهو الناحية ، وجاء في ترجمة ابن
ثوابه في معجم الأدباء « وكان عبید الله بن سليمان الوزير قد صرف أحمد بن محمد بن ثوابه عن طساسبج
كان يتقلدها »

(٢) هو قدار بن سالف .

(٣) الصّرح : النّصر وكل بناء عال ، والمرد : المجلس ، يشير إلى قوله تعالى :

« قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ » .

طعامه، فيرى أن مائدته هي التي ذكر الله في كتابه (١)، فمن أكل منها كان رِقَالَهُ
بأَكَلَتِهِ، تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُهُ، وَيَنْفَذُ فِيهِ أَمْرَهُ، ضَيْفُهُ أَشَدُّ النَّاسِ شَبْهًا بِالْمَلَائِكَةِ :
طَعَامُهُ التَّسْبِيحُ، وَشِعَارُهُ الصَّبْرُ، وَكُلُّ حَشْمِهِ طَائِفَةٌ مِنَ الْجِنِّ، مُبْرَحُونَ (٢) بِالشَّمِّ
دُونَ الْأَكْلِ، وَبِالمَصِّ دُونَ الشَّرْبِ، وَلَوْ لَا مَا كَفَى اللَّهُ مِنْ غَرْبِهِ (٣)، بِالغَرْبِ (٤)
الَّذِي بِهِ لَضَجَّتْ الْأَرْضُ إِلَى اللَّهِ مِنْ تَيْبِهِ، وَلَتَعَبَّدَتِ الْأُمَّةُ اللَّهُ بِالْإِبْتِهَالِ إِلَيْهِ مِنْ
تَجْبُرِهِ، يَرَى أَنْ قَارُونَ (٥) كَانَ مِنْ بَعْضِ أَكْرَبِيهِ، وَالْخَضِرَ (٦) صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ
مِنْ بَعْضِ فُيُوجِهِ، وَلَوْ لَا مَا تَقَدَّمَ مِنْ حَقِّهِ، وَمَا سَبَقَ مِنْ مَوَدَّتِهِ، وَالَّذِي أَنَا عَلَيْهِ مِنْ
الْمِيلِ إِلَى نَاحِيَتِهِ، وَالنُّصْرَةَ لِمَذَاهِبِهِ، وَالْحَيْطَةَ مِنْ وِرَائِهِ، وَالذَّبَّ عَنْهُ، وَأَنِّي لَا أَرَى
أَنْ أُصِفَهُ إِلَّا بِأَحْسَنِ مَا فِيهِ، وَلَا أُسْتَعْلَى ذَلِكَ مِنْهُ، لِأَنَّهُ لَسَانِي مِنْ وَصْفِ
عَجَائِبِهِ، وَلَطِيفِ بَدَائِعِهِ، بِمَا لَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ .
(اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٤١٩)

(١) يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا
مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوْلِيَائِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ » .

(٢) برح به الأمر تبريحاً : جهده واشتد عليه . (٣) الغرب : الحدة .

(٤) بعينه غرب : إذا كانت تسيل فلا تنقطع دموعها .

(٥) قال تعالى : « إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ . وَأَتَيْنَاهُ
مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحُ لَنْتَاهُ بِالْمُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ » كان ابن عم موسى وابن خاله ،

والأكار بالشديد الحرات ، جمعه أكرة ، كأنه جمع آكر في التقدير .

(٦) هو النبي الذي لقيه موسى عليه السلام ، وفتاه يوشع بن نون ، في طريقهما ، وفي ذلك يقول تعالى :

« فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا » .

والفيوج جمع فيج بالفتح : وهو رسول السلطان الذي يسعى بالكتب .

۲۲۷ - كتاب ابن أبي طاهر إلى أبي علي البصير

وكتب أحمد بن أبي طاهر إلى أبي علي البصير يعاتبه على مؤاخاة ابن مكرّم ،
معدداً سيئاته ومثالبه :

« وفرّ الله يا أخى من كل خيرٍ حظك ، وأجزَلَ منه قَسَمك ، وبلغك غايةَ
هِمَمك ، ونهايةَ طَلِبَتك ، وتمعَّ إخوانك بما مَنَحهم منك ، وأعاذهم من الغيرِ فيك ،
إنه يقال - جعلنى الله فداك - : أخوك مَن صدَّقك ، وعدوك مَن نافَقك ، وعليك
لأخيك مثلُ الذى عليه لك ، والعتابُ أمانةُ الإشفاق ، ودليلُ الضنِّ من الإخوان ،
ومن جادلَ نفسه فى هواه ، عَرَف صوابه وخطأه ، وعلى النصفِ ثباتُ المودة ، ومع
المشاكلة تكون الموافقة^(١) ، ولولا رجائى يا أخى أن تستميلك المعاتبةُ ، وترجمك^(٢)
للمراقبةُ ، وعلمى أن فيما أعدد عليك ، وأذكرك به ، وأتقدّم فيه إليك ، ما يبثنى
أخلاقك ، إلى ما يشبه أعرافك^(٣) ، وأنى قد بلغتُ بك فى النظرة^(٤) الموضعَ الذى
يتعذرُ نخرَجُ العذرِ عليك منه ، إلا أن تعود بالإقرار ، بمقامك على الجفاء والإصرار ،
وما أرحم إليه من الثقة بك ، وإخلاص المحبة والمقة لك ، وما أعرفه من صحة ودك ،
وكريم عهدك ، وحن اختيارك وتميزك ، ما عتبتُ عليك ولا استعتبتك ، وخاليتك
وما اخترت ، ولم أنبهك على ما أضعت ، ولما وصلتُ ما قطعت ، حتى بثوب إليك
حازمٌ من رأيك ، وعاطفٌ من ودك وإخائك ، ولكنى ما أمسكتُ عن المعاتبة ،
وتأنيتك^(٥) بالمراقبة ، ورأيتك قد رضيت بالمهنة^(٦) التى تلمزمك فى الهجنة ، وكنتُ

(١) وربما كان « الموافقة » .

(٢) فى الأصل « وتوجمك » وهو تحريف .

(٣) أى أصلك وفى الأصل « إلى ما لا يشبه » .

(٤) أى الإمهال والتأخير .

(٥) تأناه : انتظره .

(٦) المهنة : الخدمة ، وامتنه : ابتذله واحتقره ، والهجنة : ما يعيب .

إلى لين استعطافك ، وحسن إنصافك ، أحوج مني إلى قطع أسبابك ، والمقام على ترك عتابك ، و كنت مستعداً لاحتمال ما يضيئني منك ، ويتناهى إلى عنك ، ليبل النفس بالرغبة إليك ، وإقبالها - وإن أدبرت عنها - عليك ، لأن العُدْوَان في المعاملة ، من شأن من يُحْظَر عليه في المواصلة ، سيما من قد أحاقَّ عندك إخاؤه ، ورث في نفسك وفاؤه ، ودعاك طول عهده إلى مَلَالَة ودّه ، لم أجد بُدّاً من ردّك ، باستعتابك إلى ما هو أولى بك ، ردّك الله إلى أجل العادة ، وما هو أولى بك فيما من النّصفه .

الأخي - أقبَل الله بك إلى الواجب - أنا الخليل الذي لا يُزِيلُه عن ودّك وقديم عهدك سَكْرٌ (١) ، ولا يُغيّرُ من قد بلاك وبَلَوْتَه (٢) ، وامتنحك فاخترتك واخترتك ، أولئك عنده حميد ، وآخرُك (٣) عنده جديد ، مودّته لك غيرُ مدخولة ، وعشرته غير مملولة ، لم تذب (٤) عنك خلائقه ، ولم تنشعب عنك طرائقه ، يَغْضُ من نفسه ليرفعك ، ويضرّها لينفعك ، فحين نطقتُ بلسانك فيما ضرّني ، وتقدمتُ لك فيما أخرنى ، وأخدمتُ (٥) مودتك نفسي وعرضي ، وهتكتُ لك أدنى ومروءتي ، فوددتُ بودّك ، وصدّدتُ بصدّك ، ووقفتُ بك حيث وقفتَ نفسك ، وانقذتُ لك حيث سلكتُ بي محبّتك ، ولم أجشّمك الوقوفَ عند هَوَايَ ، ولم أَسْمَك الانصرافَ إلى رضايَ ، إلا في أمر تسلم عاقبته ، ولا تسوءك مَغْبِئته ، أوثرُ على محبتي ماسرّك ، وأقدّم على أمرى أمرّك ، لا أوازنك المعاملة ، ولا أقارِضك المشاغلة ، ماتحِبّ فمضمونٌ لك عندي ، وما تكررهُ فمصرفٌ عنك مني ، أحجلُ عنك الثقيلَ ، وأتوعّرُ ليسهل لك السبيلُ ، أوسّعُ لك في الذّنب المنهج ، إذا ضاق عليك من العذر

(١) في الأصل « شكر » وهو تحريف ، والذكر بالتهريك : الغضب والغيظ ، وربما كان الأصل « شكوى » .
 (٢) بلاه : اختبره .
 (٣) في الأصل « وأجرك » .
 (٤) أي لم تضق .
 (٥) أخدمت فلانا : أعطيته خادماً يخزمه ، أي جعلت نفسي وعرضي خادمين لودتك .

الخرج ، أطلعك على مكنون سري ، وأظهرك على باطن أمرى ، لا أقول هذا تمنناً ، ولا أعتدُّ به تبجُّحاً (١) ، ولا أقتضيك عليه شكراً ، إذ كنت أرى أنى أودى به فرضاً واجباً ، وأقضى به حقاً لازماً ، ولكنى أذكرُك ما نسيت ، وأنبِّهك على ما أضعت ، وأحتجُّ عليك إذ قصرت ، وقدمت على فى إخوانك من ليس من أ كفايى ولا أ كفائك ، العقلي المذمم ، الممين « ابن مكرم » ، العاق لأبيه ، والمنتفى من أخيه ، والقاذف لأمه ، والقاطع لرحمه ، المهتوك الحرمه ، الوضع الهمة ، الضيق الصدر ، القريب القعر ، السريع إلى الصديق ، البطيء عن الحقوق ، المشهور بالزنا (٢) ، المعروف بالبقاء (٣) ، العا كف على ذنبه ، (٤) الصادف (٥) عن ربه ، الوضع فى خلائقه ، العاتى (٦) على خالقه ، الدائم البطنة ، النطف (٧) الدين والجيب ، الدنيس العرض والثوب ، عدوه أمين من غائلته ، وصديقه خائف من بائنته ، جهله جهل الصبيان ، وضعفه ضعف النسوان ، سهك (٨) الریح ، ثقيل الرُوح ، خفيف العقل والوزن ، خبيث الفرج والبطن ، جليسه بين نثن وأذى ، وقدر وبذى (٩) ، من استخف به أكرمه ، ومن وصله صرَّمه ، غث الخلقه ، رث الهيئه ، وسرخ المروءه ، يحلف ليحفت ، ويعهد لينكث ، وبعد ليخلف ، ويحدث ليكذب ، إن تكلم ملأ الأسماع عيياً ، والأنف نننا ، وإن سكت قرى (١٠) العيون قبحاً ، والقلوب ممتناً .

(١) تبجج به : نخر .

(٢) فى الأصل « المشهور لايه » هكذا . والزنا والزنا بالقصر والمد .

(٣) حذفنا فقرتين هنا لما فيهما من البذاءه .

(٤) فى الأصل « على دينه » وهو تصحيف .

(٥) أى المرض .

(٦) عتا : استكبر وجاوز الحد .

(٧) نطف كفرح وعنى : نلطح بعيب واتهم بريية .

(٨) السهك محرکه : ريع كريبه ممن عرق ، سهك كفرح فهو سهك .

(٩) البذاءه : السفه والإفحاش فى المنطق ، وقد قصره من مد .

(١٠) أى قدم لايها ، من قرى الضيف يقريه إذا أحسن لايه - وهو تهم .

إسناده عن الخنثين ، وبلاغته في ذم الصالحين ، وطرفه قذف المُحصنات^(١) ، وسعيه في كسب السيئات وخلوته لاقتراف السيئات وتمنى الشهوات ، أحسنُ عنده من مدحه الأفراط في ذمه ، كما أنه أجملُ من وصله المقامُ على صرمة^(٢) .
هذا قليل من كثير ما عرف عنه ، ويسيرُ في (جفب ما^(٣)) بوصف منه ، فأنى يا أخى اخترته؟ ولأى شيء على آثرته؟^(٤) وأى أموره استلنت؟ أتنديده بالإخوان^(٥) ، أم محافظته على الخوان^(٦) ، أم أنسه بالخيانة ، أم شتمه الصحابة ، أم مؤاكلته الكلاب ، أم مقامه على الاغتياب ، أم نهن رأحتة ، أم سوء معاشرته ، أم ماله وضجره ، أو ضره وبخره^(٧) ؟ أم وصلته حين قطعه ، واخترته حين اطرحته ؟ .

وإن مما حقق ظني بك فيه ، أنك لم تكن له زواراً فواظبت عليه ، وكنت عنه متثاقلاً فأسرعت إليه ، وله ذاماً فلسانك رطبٌ بمدحه ، حتى كأنك إلى غاية مكروهي أجريت في أمره ، وإلا فكيف أنستَ بالجانب الوحشي من الثقة ، وأوحشتَ الجانبَ المعمورَ لك بالأنس والمقة ، وقد تظاهرتُ عليه بما قلتُ الشهادة ، وهتفتُ به الألسنُ من كل ناحية ، وتحاماه كل ذى دين ومروءة ، فأعطيتَ المودةَ غير أهلها ، ومنحتَ الجفوةَ غير مستحقةًها ، ووصلتَ من قطعك ، وقطعتَ من وصلك .

-
- (١) المحصنة : العفيفة أو المتزوجة ، قال نعلب : كل امرأة عفيفة فهي محصنة بفتح الصاد وكسرهما وكل امرأة متزوجة فهي محصنة بالفتح لا غير .
(٢) أى قطعه .
(٣) ما بين القوسين بياض بالأصل ، وقد تمت به الجملة .
(٤) بياض بالأصل .
(٥) ندد به : صرح بعبوبه وشهره وسمع به ، وفي الأصل « أتنديداً على الإخوان » والذي في كنب اللغة تعدية هذا الفعل بالباه .
(٦) الخوان : كغراب وكتاب : ما يؤكل عليه الطعام ، والمراد به الطعام .
(٧) ضره : أى وسخه وقذره ، وأصل الوضر : وسخ الدسم والابن ، والبخر : نهن الفم .

فبادر يا أخى فى يومك منه بترك ما لا ينفعك فى غدٍ معرفته ، وتوقع هجاءه (۱)
لك عن قليل ، ونُبوء (۲) أخلاقه عنك عن قريب « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ
مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » . (اختيار المنظوم والمنثور ۱۳ : ۴۲۳)

۲۲۸ - كتاب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان

وكتب عبد الله بن المعتز (۳) إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب فى يوم عيد :
« أَخَّرْتَنِ الْعِلَّةَ عَنِ الْوَزِيرِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - فَحَضَرْتُ بِالْإِعْزَاءِ فِي كِتَابِي لِيَنْوَبَ عَنِّي ،
وَيَعْمُرَ مَا أَخْلَقْتَهُ الْعَوَائِقُ مِنِّي ، وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْعِيدَ أَكْبَرُ الْأَعْيَادِ
السَّالِفَةِ بِرِكَاتِهِ عَلَى الْوَزِيرِ ، وَدُونَ الْأَعْيَادِ الْمُسْتَقْبَلَةِ فِيمَا يُحِبُّ وَيُحِبُّ لَهُ ، وَيَقْبَلُ مَا تَوَسَّلَ
بِهِ إِلَى مَرْضَاتِهِ ، وَيَضَاعِفُ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِ عَلَى الْإِحْسَانِ مِنْهُ ، وَيَمْتَنِعَهُ بِصُحْبَةِ النِّعْمَةِ
وَلِبَاسِ الْعَافِيَةِ ، وَلَا يُرِيهِ فِي مَسْرَّةٍ نَقْصًا ، وَلَا يَقْطَعُ عَنْهُ مَزِيدًا ، وَيَجْعَلُنِي مِنْ كُلِّ
سَوْءٍ فِدَاءَهُ ، وَيَصْرِفَ عَيُونَ الْغَيْرِ (۴) عَنْهُ وَعَنْ حَظِي مِنْهُ » .

(زهر الآداب ۱ : ۲۰۷)

(۱) فى الأصل « هجاءه » وأرى أنه محرف .

(۲) من نبا الطبع عن الشيء : أى نفر ولم يقبله ، ونبأ الشيء عنى : تجافى وتباعد ، ونبأ فلان
عن فلان : لم ينقلده ، وفى الأصل « ونبوء أخلاقه عليك » وربما كان : « ونبوء أخلاقه عليك » أى
مخالفته لك .

(۳) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بن المنوكل العباسى ، كان أديباً بايعاً شاعراً مطبوعاً سهل
اللفظ حسن الإبداع للمعاني ، وفى خلافة المقتدر (الذى ولى الخلافة من سنة ۲۹۵ إلى سنة ۳۲۰) اتفق
مع ابن المعتز جماعة من رؤساء الأجناد ووجوه الكتاب ، فخلعوا المقتدر سنة ۲۹۶ وبايعوا ابن المعتز ،
ثم إن أصحاب المقتدر تحزبوا وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشنتوهم ، وأعادوا المقتدر لى الخلافة ،
واختفى ابن المعتز ثم أخذ وقتل ، وأقام فى الخلافة يوماً وليلة - انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ۱ : ۲۰۸
ونزهة الألباس ۲۹۹ وكتب التاريخ .

(۴) الغير : حوادث الدهر المغيرة .

٢٢٩ - كتابه إلى عبيد الله بن سليمان يهنئه بقدمه

وكتب عبد الله بن المعتز إلى الوزير عبيد الله بن سليمان يهنئه بقدمه :

« الحمد لله على ما امتن به على الوزير - أعزه الله - من جميل السلامة ، وحسن الإياب^(١) ، حمدا مستمداً من مزیده^(٢) ، وإخلاصاً مستدعياً لتبولة ، وبارك الله له في قدومه ومسيره ، وفي جميع أموره ، وجعل له منة وافية على نعمه ، وأبقاه لملك يحرسه ، ومؤملاً بِنِعْمَتِهِ ، وعائراً يرفعه ، وحفظاً له ما خوله^(٣) ، كما حفظ له ما استرعاه ، ووفقه فيما طوَّقه ، وزاده كما زاد منه . »

(الأوراق للصولي ٢ : ٢٨٨)

٢٣٠ - كتابه إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه

وكتب إليه يعزيه عن ابنه أبي محمد :

« علمُ الوزير - أيده الله - بذخائر الأجر يُغني عن زعته فيه ، وسببته إلى الصبر بكفيني تذكرةً به ، لكن لوليِّ الوزير - أيده الله - موضعٌ إن أخلاه دخل في جُلمة المضيئين لحقته ، اللاهين عما عناه ، وقد كان من قضاء الله في أبي محمد - رضى الله عنه - ما خصت به المصيبةُ مواقعَ نعمِ الوزير ، وآثارَ إحسانه ، حاش لله إقراراً بالحق ، وتنجزاً للوعد منه ، وعظماً لله أيها الوزيرُ أجرَكَ ، ووفراً ذُحركَ ، وعمرَ بَقِيَّتِكَ ، وكثراً عددَكَ ، وسركَ ولا ساءَكَ ، وزادَكَ ولا نقصَكَ ، ووصلَ بسلام الزمانِ نعمتَكَ ، ووليكَ بما تحبُّ فيما خولَكَ ، وكلُّ مصيبةٍ وإن عظمتُ صغيرةٌ في ثواب الله عليها ، ضئيلةٌ بين نعم الله قبلها وبعدها ، وما زال أولياءُ الله يعرضون على المحن ، فيستقبلونها بالصبر ، ويتبعونها بالشكر ، وتنفذُ بصائرهم

(١) في الأصل « وحسن الإيابة » والذي في كتب اللغة : الأوب ، والإياب ، والأوبة ، والأيبة والإيبة والتأويب والتأيب والتأوب ، أي : الرجوع ، وليس فيها الإيابة .
(٢) في الأصل « حمداً يستمد أمر مزیده » وأراه محرفاً .
(٣) أي ملكه .

مذموم أوائلها إلى محمود عواقبها ، وبعثونها مرآتي إلى شرف الآخرة ، ومراتب لأهل السعادة ، في دار لا تلجها الموم ، ولا يزول فيها النعيم .
وإذا تأمل الوزير ما تجاوزت هذه الحادثة عنده من النعم ، في ولده أبي الحسين ، الذي قد نهض بما حمّله ، ووفى آماله ، وأقر عينه ، وغاظ حاسده ، واكتسى لباس كرامته ، وقام للخلافة بخلافته ، علم أنه رابع على الدهر ، حقيق بتجاوز الصبر إلى الشكر ، فجعل الله الخلف للوزير من الملقى ، طول عمر الباقي ، وحرصه من المكارهِ كلها ، وكفاه وكفاها فيه .

(الأوراق للصولي ۲ : ۲۸۸)

۲۳۱ - وله فصل من تعزية بولد

« ائن حرم الأجر ببرك ، لقد كفي الإثم بعقوقك ، وائن فوجعت بفقده ، لقد أمنت الفقة به . »
(الأوراق للصولي ۲ : ۲۹۰)

۲۳۲ - وله تعزية

« عاربه مترك الله بمدتها ، وآثرك بثوابها ، وأثابك عن ارتجاعها ، فأبشر بما جلي من صنعه ، وأجل من جزائه ومثوبته .
عظم الله أجرَك ، وجعل الثواب عوَضَك ، ووفّقك لنيل مرّضاته عنك ، وإنا لله ، قولاً بما علم ، نتفجز به ما وعد . »
(الأوراق للصولي ۲ : ۲۹۴)

۲۳۳ - وله تعزية أخرى

« الخلود في الدنيا لا يؤمل ، والفناء لا يؤمن ، ولا سُخط على حكم الله ، ولا وحشة مع خلافته والأنس بطاعته ، فأد ما استرد صابرا ، وأصيح لما استرجع مسلماً ، فإن من علم أن النعمة تفضل من واهبها ، شكرها مقبلة ، وصبر عنها مؤلّية ،

جعلك الله محتملاً للنعمة ، مؤدباً للشكر ، صابراً عند المحنة ، محفوظاً موفوراً أجرها ،
والفوز بالصبر عليها . (الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٤)

٢٢٤ - وله تهنئة بمولود

« اتصل بى خبر مولودك ، فسرتنى لك ما مراك ، وأنا أسأل الله أن يتبع النعمة
به عليك ببقائه لك ، وأن يعمر كحتى ترى زيادةً إليه منه ، كما رأيتها به .
(الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٣)

٢٣٥ - وله فصل فى قبول عذر

« كيف أردت عذراً من لا تهتدى إليه الموجدة (١) ، ولا تتسلط عليه اللهممة ،
ووالله ما عرضت لك وحررتك منك إلا بخلاً بما ذخرتة من مودتك ، واعتمدت
عليه من إخلاصك ، لخوفى مع ذلك أن تصير غفلتك تغافلاً ، وزلتك تعمداً ، وهذا
ملا أحبه لك ، وإن كنت أحتمله منك ، وما أعتذر من مطالبتك بما جعلك أهلاً
للمعرفة به ، وجعلنى بودك مستحقاً له . (الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٠)

٢٣٦ - وله فصل فى حاجة

« موصل كتابى فلان ، وقد جعلت الثقة بك مغطيةً إليك ، فلا تنفضها (٢)
بمطلبك ، وأسرع ردّها بسابق إنجازك ، وتصديق الأمل فىك والظن بك .
(الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٠)

(١) الموجدة : الغضب .

(٢) أنفضاها : هزلها .

٢٣٧ - وله فصل

« قَدِمْتُ إِلَيْكَ فَمَا أَعْتَدِلُ ، وَنَزَلْتُ بِكَ فَمَا أُرْتَحِلُ ، وَوَقَفْتُ عَلَيْكَ فَمَا أُنْقِلُ » .

(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩١)

٢٣٨ - وله فصل

« لَوْلَا أَنْ الْإِطْنَابَ فِي وَصْفِ مَطْيَبَةٍ لَلْمُتَخَرِّصِ^(١) ، وَتُهْمَةِ لَلْمُخْلِصِ^(٢) ، لَأَطَلْتُ بِهِ كِتَابِي ، وَكُنِي بِمِقَاسَةِ ذِي النِّقْصِ مُذَكَّرًا بِأَهْلِ التَّمَامِ ، وَقَدْ لَبِثْتُ بِعَدِكَ بِقَلْبٍ يُوَدُّ لَوْ كَانَ عَيْنًا لِبِرَاكَ ، وَعَيْنٍ تُوَدُّ لَوْ كَانَتْ قَلْبًا فَلَا تَمْلُؤُ مِنْ ذِكْرِكَ » .

(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩١)

٢٣٩ - وله فصل

« كَيْفَ يَنْقَطِعُ ذِكْرِي لَكَ بِغَيْرِ خَلْفٍ مِنْكَ ، وَيَنْصَرِفُ قَلْبِي عَنْكَ وَالتَّجَارِبُ تَزْوِي^(٣) إِلَيْكَ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ خِيَالَكَ شَمْسُ نَفْسِي إِذَا نَمَتُ ، وَذِكْرُكَ مِرَاجُهُ إِذَا انْقَبَهْتُ ، وَإِنْ ذَلِكَ لِأَقْلُ حَقُوقِكَ ، وَلَا ظَلَمْتُ غَيْرَكَ بِكَ ، وَلَا مَاتُ عَلَيْهِ لَكَ » .

(الأوراق للصولي ٢ : ٢٩١)

٢٤٠ - وله فصل

ذَكَرْتَ حَاجَةَ فُلَانٍ ، لَا فَصَّاهَا اللَّهُ بِالنِّجَاحِ ، وَلَا يَسَّرُ بَابَهَا بِالْإِنْفِتَاحِ ، وَوَصَفْتَ عُذْرًا لَهُ نَصَحَ بِهِ غَيْرَ نَفْسِهِ ، وَمَا نَصَحَ عَنْهَا ، وَلَكِنَّهُ نَصَحَ عَلَيْهَا ، وَأَنَا وَاللَّهُ أَصُونُكَ عَنْهُ ، وَأَنْصَحُ لَكَ فِيهِ ، فَإِنَّهُ خَبِيثُ النِّيَّةِ ، فَاسِدُ الطَّوْبَةِ ، جَائِرُ الْمَعَاتِبِ ، طَالِبُ الْمَعَايِبِ ،

(١) تخرس عليه : افتري .

(٢) في الأصل « للمتخلص » وأراه محرفا .

(٣) زواه : نجاه ، أي تصرفني إليك ، وتوجهني نحوك .

مقلَّب لسانه بالملق ، ساترٌ بالتخلق وجه الخلق ، موجود عند الرجاء . مفقود مع البلاء ،
فاتعب عقلك باختياره ، ولا توحش نعمتك باصطناعه .

(الأوراق للصوى ۲ : ۲۹۲)

۲۴۱ - وله فصل في الشوق

« إني لآسف على كل يوم فارغٍ منك ، وكل لحظةٍ لا تؤنمها رؤيتك ،
وسقيماً لدهر كان موسوماً بالاجتماع معك ، معموراً بقلائك ، جمع الله شملَ سرورى
بك ، وعمرَ بقائى بالنظر إليك . »

(الأوراق للصوى ۲ : ۲۹۲)

۲۴۲ - وله شفاعة في شغل

« من عظمت النعمة عليه ، كثرت الرغبة إليه ، فاستجلب بالإنعام منك
إنعام الله عليك ، واستزدد بما تهب^(۱) منك ما يهب لك ، واجعل حظى من ولايتك
قبول اختياري لك هذا الرجل ، واخبطه بأولياك القائلين^(۲) فى ظلك ، فقد أفردك
برغبته ، وصرف إليك وجه رجائه ، وليس فيه فضل للانتظار ، ولا بعمية للإذكار ،
فعجل إن نويت جوداً ، وبادر إن نويت صنعا ، ولا تسكن ممن ولايته وعد ، وصرفه
اعتذار . »

(الأوراق للصوى ۲ : ۲۹۳)

۲۴۳ - وله فصل في فراق

« كأن الدهر أبخل من أن يملينى^(۳) بك ، وأنكد من أن يسرغنى^(۴) قرُبك ،
وإني له لصابرٌ إلا على فقدك ، وراضٍ إلا ببعذك . »

(الأوراق للصوى ۲ : ۲۹۳)

(۱) فى الأصل « واستزد ما نهب منك » وهو تحريف .

(۲) قال، يقيل : نام فى القائلة ، وهى نصف النهار .

(۳) ملاه الله حبيبه : متعه به وأعاشه معه طويلاً .

(۴) سوغه لياه : تركه له خالصاً .

٢٤٤ - وله فصل

« تولى الله عنى مكافأتك ، وأعان على فعل الخير نيتك ، وأصحب بقاءك
عزاً يبسطُ يدك لوليِّك ، وعلى أعدائك ، وكلاءة^(١) تذبُّ عن ودائعِ مننه عندك ،
وزاد في نعمك وإن عظمتُ ، وبلغك آمالك وإن انفسحتُ » .

(الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٤)

٢٤٥ - وله فصل

« لا أزال الله عنا ظلِّك ، وأعلى في شرفِ المنازلِ مُرتقاك ، ولا أعدمنا فيك
إحسانا باقيا ، ومزيدا متصلا ، ويوما محمودا ، وغدا مأمولا ، وعزاي مكن قبضتك ،
ويهدُّ بسطتكَ » .

(الأوراق للصولى ٢ : ٢٩٤)

٢٤٦ - وله فصل

« لن تكسب - أعزك الله - المحامد ، وتستوجب الشرف ، إلا بالحمل على
النفس والحال ، والنهوضِ بحملِ الأثقال ، وببذل الجاه والمال ، ولو كانت المكارم
تنال بغير مؤونة ، لاشترك فيها السفلُ والأحرار ، وتساهمها الوضعا من
ذوى الأخطار ، ولكن الله تعالى خص الكرماء الذين جعلهم أهلها ، فخفف عليهم
حملها ، وسوَّغهم فضلها ، وحظرها على السفلة ليصغر أقدارهم عنها ، وبُعد طباعهم
منها ، ونفورها عنهم ، واقشعر أروها منهم » .

(زهر الآداب ٣ : ٣١٣)

(١) كلاءة كنعته كلاءة بالكسر : حرصه .

۲۷ - وله في وصف البيان

« البيان ترجمان القلوب ، وصَيْقَلُ العقول ، ومُجَلِّي الشُّبْهَةِ ، ومُوجِبُ الحجَّةِ ،
والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرِّق بين الشك واليقين ، وهو من سلطان الرُّسُلِ
الذي انقاد به المستَضِيب ، واستقام الأَصِيدُ (۱) ، وبُهِتَ الكافر ، وسَلَّمَ الممتنع ،
حتى أُشِيبَ (۲) الحقُّ بأنصاره ، وخلا رَبْعُ الباطل من عَمَّارِه .
وخيرُ البيان ما كان مصرِّحاً عن المعنى ، ليُسْرِعَ إلى الفهم تلقَّيه ، وموجزاً
ليخفَّ على اللفظ تعاطيه ، وفضلُ القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ،
وظاهرٌ غيرٌ خفي ، يشهد بذلك عجزُ المتعاطين ، وَوَهْنُ المتكلفين ، وتحيُّرُ الكذَّابين
وهو المبلغ الذي لا يَمَلُّ ، والجديد الذي لا يَخْلَقُ ، والحق الصادع ، والنور الساطع ،
والمأحى لظلم الضلال ، ولسان الصدق النافي للكذب ، ونذيرٌ قدَّمته الرحمة قبل
الهلاك ، وناعى الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة المخلَّدة ، ومِفْتَاحُ الخيرة ، ودليل الجنة ،
إن أوجزَ كان كافياً ، وإن أكثرَ كان مذكراً ، وإن أوماً كان مُقْنِعاً ، وإن
أطال كان مُفهِماً ، وإن أمرَ فناصِحاً ، وإن حَكَمَ فعادِلاً ، وإن أخبر فصادقاً ، وإن
بيَّن فشافياً ، سهلٌ على الفهم ، صعبٌ على المتعاطي ، قريب المأخذ ، بعيد المرَّام ، سراجٌ
تستضيء به القلوب ، حلو إذا تدوَّقته للعقول ، بحر العلوم ، وديوان الحكم ، وجوهر
الكلم . ونزهة المتوسِّمين ، وروح قلوب المؤمنين ، نزل به الرُّوحُ الأمين ، على محمد
خاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، فخصَّمت الباطل ، وضدَّع بالحق ،
وتألَّف من النُّفُورَةِ ، وأنقَذ من الهلكة ، فوصلَ الله له النصر ، وأضرَع (۳) به
خدَّ الكفر » .

(زهر الآداب ۱ : ۱۱۴)

(۱) الأصيد : المائل العنق .

(۲) من أشب الشجر كفرح : أى التفت . (۳) أى أذل .

۲۴۸ - وله في وصف الكتاب والقلم

« الكتابُ وَايَجُ الأبواب ، جَرَى على الحُجَّاب ، مُفهِمٌ لا يَفْهَم ، وناطق لا يتكلم ، به يَشْخَصُ المشتاق ، إذا أفعده الفِراق ^(۱) .

والقلم مجهزٌ لجيوش الكلام ، يَخْدِمُ الإرادة ، ولا يَمَلُّ الاستزادة ، يسكت واقفاً ، وبنطق ساثراً ^(۲) ، على أرضٍ بياضها مُظلمٌ ، وسوادها مُضِيءٌ ، وكأنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتتح نُوَّارَ بستان ^(۳) .

(زهر الآداب ۲ : ۳۲ ، والعقد الفريد ۲ : ۱۸۱ ، والأوراق للصولي ۲ : ۲۹۲)

۲۴۹ - كتاب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب

وكتب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب - وقد نال رتبةً فتمتصَّ إخوانه في الدعاء - :

« الكِبْرُ - أعزك الله - مَعْرِضٌ يستوى فيه النبيهُ ذِكْرًا ، والخاملُ قَدْرًا ، ليس أمامه حِجَابٌ يَمْنَعُه ، ولا حاجزٌ يَحْظُرُه ، والناسُ أشدُّ تحفظًا على الرئيس المحظوظ ، وأكثُرُ اجْتِلاءً لأفعاله ، وتتبعًا لمعابيه : وتصفحًا لأخلاقه ، وتنقيرا ^(۴) عن خصاله ، منهم ، عن خامل لا يُعْبَأُ به ، وصاقطٍ لا بُكْتَرَتْ له فيسيرُ عيبِ الجليلِ يقدح فيه ، وصغيرُ الذنبِ يَكْبُرُ منه ، وقليلُ الذمِّ يُسرِعُ إليه .

والحالُ التي جدَّها الله لك - وإن كنتُ أراها دون حَقِّك ، وناقصةً عن همتك ، وأرضاً عند سمائك - حالٌ : الحاسدُ عليها كثيرٌ ، وآمالُ المنافسين إليها

(۱) وفي كتاب الأوراق للصولي « ومنه يداوى الفرق » .

(۲) وفي العقد « يسكت واكفا ، وينطق ساكتا » .

(۳) النوار : الزهر أو الأبيض منه .

(۴) نقر الشيء وعنه : بحث عنه ، وقد الأصل « وتنقيرا » بالفاء ، وهو تصحيف .

تَسِيرُ ، وَالْمُودَّةُ تَقْتَضِي النِّصِيحَةَ ، وَالْمَقَّةُ (١) تَدْعُو إِلَى صِدْقِ الْمَشُورَةِ ، وَلَيْسَ يَحْرُسُ
النِّعْمَةَ وَيَحْوَطُهَا ، وَبِحَيْمِ الْأَطْمَاعِ وَيَبْصُرِ فِيهَا ، وَيَسْتَجِيبُ الْقُلُوبَ النَّافِرَةَ وَيُطْلِقُهَا ،
إِلَّا تَرَكَ مَا أَرَاكَ تَسْتَعْمَلُهُ فِي تَرْتِيبِ الْمَكَاتِبَةِ ، وَتَمْيِيزِ الْمَخَاطَبَةِ وَالْمُحَاصَّةِ (٢) فِي الْأَفَازِ
الدَّعَاءِ ، وَالْبَخْلِ بِسِيرِ الثَّنَاءِ ، وَتَطْبِيقِ (٣) إِخْوَانِكَ وَمَعَامَلِيكَ فِي ذَلِكَ ، حَتَّى صَارَ
عِنْدَكَ كَمَا أَنَّهُ نَسَبٌ لَا تَتَعَدَّاهُ ، وَنَعْتٌ لَمْ لَا تَتَخَطَّاهُ ، فَأَمَّا إِخْوَانُكَ فَلَيْسَ مِنْ حَقِّكَ
أَنْ تَحُطِّطَهُمْ حَالَ رَفَعَتِكَ ، وَأَنْ تَنْقُصَهُمْ دَوْلَةَ زَادَتِكَ ، كَمَا لَيْسَ مِنْ حَقِّكَ عَلَيْهِمْ أَنْ
يُغَالِطُوكَ ، فَيُمَسِّكُوا عَن خَطَابِكَ ، وَيَتَحَامَمُوا عَن عِقَابِكَ .
(أدب الكتاب ص ١٠٥)

٢٥٠ - كتاب أحمد بن إسماعيل إلى صديق له

وَكَتَبَ أَحْمَدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ نَقَّصَهُ فِي دَعَائِهِ ، وَكَلَّنَ فِي كِتَابِهِ :
« وَمَا أَنَا وَالْكِتَابُ إِلَى صَدِيقٍ
أَدِينُ مِنَ الْوَفَاءِ بِغَيْرِ دِينِهِ ؟
أَعْظَمَهُ وَيَحْقِرُنِي ، وَأَدْعُو
لَهُ بِاللَّفْظِ يَدْعُو لِي بِدُونِهِ !
وَبَنْقُصُنِي وَلَمْ أَنْقُصْهُ حَقًّا
وَيَحْشُنُ لَفْظُهُ مِنْ بَعْدِ لَيْنِهِ !
فَقَامَ كِتَابُهُ بِالرَّدِّ عَنِّي
لِكَثْرَةِ مَا تَضَمَّنَ مِنْ لُحُونِهِ »
(أدب الكتاب ص ١٦١)

٢٥١ - كتاب أحمد بن يحيى الأسدي إلى الحسين بن سعد

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى الْأَسَدِيُّ : كَتَبَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ سَعْدٍ ، فَتَقَصَّنِي فِي الدَّعَاءِ ،

فَكَتَبْتَ إِلَيْهِ :

(١) المقفة : المحبة .

(٢) يقال : تحاصوا ، وحاصوا : أي اقتصموا حصصا ، وفي الأصل « والمخاضة » وهو تصحيف .

(٣) أي تميم وتسوية .

« قد علمت - أعزك الله - أن السبب في العداوة بين محمد بن عبد الملك الزيات وإبراهيم بن العباس الصولي ، أنه لما ولي وزارة المعتضد^(١) نقص إبراهيم عما يستحقه من الدعاء ، فلم تحتمل ذلك نفسه ورياسته وموضعه من الصناعة والدولة ، فعاتبه في ذلك فلم يعتبه ، فألهب له نار هجاء لا يطفئها الدهر ، وعلامة ذلك قوله في كلام منشور قد ذكره : « ولي هذا الأمر فما ظن أن الرياسة تنجذب إليه ، ولا أن العز يتحصل له ، إلا بحط إخوانه عن منزلاتهم ، ونقصهم عن مرتبتهم ، وبخسني^(٢) في المكاتبه ، وساءني في المعاملة » في كلام له طويل ، ثم نظم ذلك في شعر فقال :

مَنْ رَأَى فِي الْأَنَامِ مِثْلَ أَخِي ؟ كَانَ عَوْنِي عَلَى الزَّمَانِ وَخِي
رَفَعَتْهُ حَالٌ ، فَحَاوَلَ حَطِّي وَأَبَى أَنْ يَبْرَزَ إِلَّا بِذُلِّي

وكان هذا الخطاب في أول الأمر ، ثم أنحى عليه بالهجاء ، فافتقد - أعزك الله - إنصاف إخوانك ، وتجنب ظلمهم ، يصف لك غدير وُدِّهم .

(أدب الكتاب ص ١٥٩)

٢٥٢ - كتاب أحمد بن علي المازراني إلى ابن بشر المرثدي

وروى الصولي أيضا في أدب الكتاب قال :

لما ولي ابن بشر المرثدي كتابة الموفق بالله ، نقص أحمد بن علي المازراني في الدعاء حين كاتبه ، فكتب إليه :

كَلِمَا رُمْتُ أَنْ أُخَلِّفَ مَنْ كَانَتْ أُمَامِي خَلَفَتْ عَنْ وِرَائِي^(٣)
أَنْقَضْتَ الدَّعَاءَ لِي مِنْكَ لَمَّا زَادَكَ اللَّهُ رِفْعَةً فِي دَعَائِي ؟

(١) هكذا في الأصل ، وهو خطأ ، فإن ابن الزيات إنما وزر للمعتصم والوائق والمتوكل ، ثم نسبه المتوكل وقتله سنة ٢٣٣ ، وأما المعتضد فإنه ولي الخلافة سنة ٢٧٩ وتوفي سنة ٢٨٩ ، والصواب أنه « الوائق » .

(٢) أي نقصني .

(٣) يقال : خلفه وراءه أي جهله وراءه فتخلف عنه : أي تأخر عنه ، ويقال أيضا : خلف عن أصحابه : أي تخلف .

فَلَنْ تَمَّ مَا أَرَاهُ وَأَصْبَحْتُ وَزِيْرًا لَتَطْعَمَنَّ جَزَائِي^(١)

فاعتذر إليه وزاده في الدعاء .

وكان هذا في كلام منشور لمن كان قبل المازرائي : « وكنت أمُّ لك الرفعة ، ولم أدر أنها تُكسبني الضَّعة ، وأرجو لك الثروة ولم أدر أنها تؤدبني إلى الإضافة ، فكان المني طرد العنا ، والدعاء سبب الثراء » . (أدب الكتاب ص ١٦٠)

٢٥٣ - فصل لعبد الله بن أحمد في الشكر

« إن من حقِّ النعمة أن تُذكر وتُنشر ، ومن كفرها أن تُنسى وتُستر ، وما أحبُّ أن أتزيَّن بنعمتك وأكون عطلاً^(٢) من شكرك ، ولا أن تكون مِنَّنك مؤفِّرةً عندي وأنا ناقصُ الحظ من رعاية ما أوليتني ، لَنِعَمَ إِذْنُ ما أنيت إليّ ، إذ صرفت أفضلَ نظرك نحوي ، وأبئس ما اخترتُ لنفسي ، إذ حرَّمتها فضلَ الشكرين أنعم عليّ فجعلتُ حظِّي في قضاء حقِّ النعمة ، وما في الشكر من استيجابِ الزيادة » . (اختيار المنظوم والمنثور ١٣ : ٣٨٠)

٢٥٤ - كتاب ابن عبد كان عن أحمد بن طولون

إلى ابنه العباس

وكتب ابن عبد كان^(٣) عن أحمد بن طولون إلى ابنه العباس حين عصى عليه بالإسكندرية^(٤) ، مُنذراً له ومُؤمِّناً له على فعله .

(١) لتطعمن : أي لتذوقن ، وفي الأصل « لتطعمني » وهو تحريف .

(٢) من قولهم : امرأة عاطل وعطل : إذا لم يكن عليها حلي .

(٣) هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن عبد كان ، كان على المكاتبات والرسائل في عهد الدولة

العاقلونية ، وكان بليغاً مترسلاً فصيحاً - انظر الفهرست لابن النديم ص ١٩٧ ومعجم الأدباء ٦ : ٨٥ .

(٤) كان الخليفة المعز قدولى بابكباك مصر ، فولى عليها بابكباك من قبله أحمد بن طولون سنة ٢٥٤ =

« من أحمد بن طولون مَوْلَى أمير المؤمنين^(١) ، إلى الظالم لنفسه ، العاصي لربه ، الملمِّ بذنبه ، المُفسِد لكسبه ، العادي^(٢) لظَوْرِهِ ، الجاهل لِقَدْرِهِ ، الناكص على عَقْبِهِ ، الماركوس^(٣) في فِتْنَتِهِ ، المبخوس من حَظِّ دُنْيَاهُ وَاخِرَتِهِ .

سلام على كل مُنيب مستجيب ، تائب من قريب ، قَبْلَ الأخذ بالكِظْمِ^(٤) ، وحُلُولِ القَوْتِ والنِّدم .

وأحمدُ الله الذي لا إله إلا هو أحمدَ معترفٍ له بالبلاء الجميل ، والطَّوْلِ الجليل ، وأسأله مسألة مُخْلِصٍ في رجائه ، مجتهد في دُعَائِهِ ، أن يصليَّ على محمد المصطفى ، وأمينه المرتضى ، ورسوله المجتبي ، صلى الله عليه وسلم .

ثم استقل ابن طولون بمصر سنة ٢٥٧ في عهد الخليفة المعتمد ، ثم أراد أن يوسع نطاق ملكه فأغار على الشام ٢٦٤ ، وفي أثناء غيابه بها عصى عليه ابنه العباس ، وجاء في تاريخ الكامل لابن الأثير في هذا الصدد (ج ٧ : ص ١٠٧) : « كان أحمد بن طولون قد خرج إلى الشام واستخلف ابنه العباس على مصر ، فلما أبعده عن مصر حسن للعباس جماعة كانوا عنده أخذ الأموال والانسراح إلى برقة ، ففعل ذلك ، وأتى برقة في ربيع الأول سنة ٢٦٥ ، وبلغ الخبر أباه فعاد إلى مصر ، وأسل إلى ابنه ولاطفه واستعطفه ، فلم يرجع إليه ، وخاف من معه فأشاروا عليه بقصد إفريقية ، فسار إليها وكاتب وجوه البربر ، فأتاه بعضهم ، وامتنع بعضهم ، وكتب إلى إبراهيم بن الأغلب يقول : إن أمير المؤمنين قد قلدني أمر إفريقية وأعمالها ، ورحل حتى أتى حصن « ليدة » ففتحه أهله له ، فعاملهم أسوأ معاملة ونهبهم ، فغضب أهل الحصن إلى إلياس بن منصور رئيس الإباضية هناك ، فاستعانوا به ، فغضب لذلك وسار إلى العباس ليقاتله ، وكان إبراهيم بن الأغلب قد أرسل إلى عامل طرابلس جيشاً وأمره بقتال العباس ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، قاتل العباس فيه بيده ، فلما كان بالغد وافاهم إلياس بن منصور الإباضي في اتى مشرأفاً من الإباضية ، فاجتمع هو وعامل طرابلس على قتال العباس فقتل من أصحابه خلق كثير ، وانهمزم أقبح هزيمة ، وكاد يؤسر فخلصه مولى له ، ونهبوا سواده وأكثر ماحله من مصر وعاد إلى برقة أقبح عود ، وشاع بمصر أن العباس انهزم فاغتم والده حتى ظهر عليه ، وسير إليه العساكر لما علم سلامته ، فقاتلوه قتالاً صبر فيه الفريقان ، فانهمزم العباس ومن معه ، وكثر القتلى في أصحابه ، وأخذ العباس أسيراً وحمل إلى أبيه فحبسه في حجرة في داره ، إلى أن قدم باقي الأسرى من أصحابه ، فلما قدموا أحضرهم أحمد عنده والعباس معهم ، فأمره أبوه أن يقطع أيدي أعيانهم وأرجلهم ففعل ، فلما فرغ منه وبخه أبوه وذمه ، ثم أمر به فضرب مائة مفرعة ، ودموعه تجري على خده رقة لولده ، ثم رده إلى الهجرة واعتقله وذلك سنة ٢٦٨ » ومات ابن طولون سنة ٢٧٠ هـ .

(١) يعني المعتمد على الله .

(٢) عدا الأمر وعنه : جاوزه ، والطور : القدر .

(٣) الركب : قلب أول الشيء على آخره .

(٤) الكظم : مخرج النفس .

أما بعد ، فإن مَثَلَك مَثَلُ البقرة تُشِيرُ المذبة بِقرَنيها ، والنملة بِكون حَتَمَها
 في جناحِها ، وسمتعلم — هَبِلَتِكَ^(١) الهَوَابِلُ ! أيها الأحمقُ الجاهل ، الذي كَفَى عَلي
 الغيَّ عِظْفَه ، واغترَّ بِضِجاجِ الموارِبِ خَلْفَه — أي مَوْرِدَةَ هَلَكَةٍ بِإِذْنِ الله تَوَرَّدَتِ ،
 إِذْ عَلِيَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ تَمَرَّدَتِ وَشَرَّدَتِ ، فإنه تبارك وتعالى قد ضرب لك في كتابه
 مثلاً : « قَرْيَةٌ كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً بِأَيْتِيهَا رِزْقًا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ
 بِأَنْعَمِ اللهُ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ » .
 وَإِنَّا كُنَّا نَقْرُبُكَ إِلَيْنَا ، وَنَنْسِبُكَ إِلَى بِيوتِنَا ، طَمَعًا فِي إِبَابَتِكَ ، وَتَأْمِيلًا
 لِنَفِيَّتِكَ^(٢) ، فَلَمَّا طَالَ فِي الْغَيِّ انْهَمَا كُوكُ ، وَفِي غَمْرَةِ الْجَهْلِ ارْتَبَا كُوكُ ، وَلَمْ نَرَ
 الْمَوْعِظَةَ تُلِينُ كَبِدَكَ ، وَلَا التَّذْكَيرَ يُقِيمُ أَوْدَكَ^(٣) ، لَمْ تَكُنْ لِهَذِهِ النِّسْبَةِ أَهْلًا ،
 وَلَا لِإِضَافَتِكَ إِلَيْنَا مَوْضِعًا وَمَحَلًّا ، بَلْ لَا نُكْنِي بِأَبِي الْعَبَّاسِ إِلَّا تَكْرُّهَا ، وَطَمَعًا
 بِأَنْ يَهَبَ اللهُ مِنْكَ خَلْفًا نُقَلِّدَهُ اسْمَكَ ، وَنُكْنِي بِهِ دُونَكَ ، وَنَعُدُّكَ كُنْتَ نَسِيًّا
 مَنَسِيًّا^(٤) ، وَلَمْ تَكْ شَيْئًا مَقْضِيًّا ، فَانظُرْ — وَلَا نَظَرَ بِكَ — إِلَى عَارِ نِسْبَتِهِ تَقَلَّدَتِ ،
 وَسَخَطِ مِنْ قَبَلِنَا تَعَرَّضْتَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَلَاءَ بِإِذْنِ اللهِ قَدْ أَظْلَكَ ، وَالْمَكْرُوهَ
 إِنْ شَاءَ اللهُ قَدْ أَحَاطَ بِكَ ، وَالْعَسَاكَرُ بِحَمْدِ اللهِ قَدْ أَتَتْكَ كَالسَّيْلِ فِي اللَّيْلِ ، تُؤْذِنُكَ
 بِحَرْبٍ وَبِوَيْلٍ ، فَإِنَّا نُقَسِمُ — وَنَزْجُو أَنْ لَا نَجُورَ وَنَظْلَمُ — أَلَا نَدْنِي عَنْكَ عِنَانًا ،
 وَلَا نُؤْتِرُ عَلَى شَانِكَ شَانًا ، وَلَا تَتَوَقَّلُ^(٥) ذِرْوَةَ جَبَلٍ ، وَلَا تَلِدِجَ بَطْنِ وَادٍ ، إِلَّا
 تَبِعْنَاكَ^(٦) بِحَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ فِيهِمَا ، وَطَلَبْنَاكَ حَيْثُ أَمَّتْ مِنْهُمَا ، مُنْفِقِينَ فِيكَ كُلَّ مَالٍ
 خَطِيرٍ ، وَمُسْتَصْفِرِينَ بِسَبَبِكَ كُلَّ خَطْبٍ جَلِيلٍ ، حَتَّى تَسْتَمِرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَيْشِ مَا اسْتَحْلَيْتَ ،
 وَتَسْتَدْفِعَ مِنَ الْبَلَايَا مَا اسْتَدْعَيْتَ ، حِينَ لَا دَافِعَ بِحَوْلِ اللهِ عَنْكَ ، وَلَا مُزْحِزِحَ لَنَا

(١) هبلته أمه كفرح : نكلته ، وامرأة هابل وهبول .

(٢) النفية : الرجوع . (٣) الأود : الأعوجاج .

(٤) النسي : مانسي . (٥) وقل في الجبل كوعد وتوقل : صعد .

(٦) في الأصل « جعلناك » والظاهر أنه محرف ، وصوابه « تبعناك » كما ذكره . صحح صبح الأعشى .

عن ساحقتك ، وتعرف من قدر الرخاء ما حبهلت ، وتود أنك هببت ولم تكن بالمعصية
عجبت ، ولا رأى من أضلك من غواتك قببت ، فحينئذ يتفرسى (١) لك الليل عن
صبحه ، ويسفر لك الحق عن محضه ، فتنظر بعينين لا غشاوة عليهما ، وتسمع بأذنين
لا وقر (٢) فيهما ، وتعلم أنك كنت متمسكا بحبائل غرور ، متمادياً في مقابح أمور ،
من عقوق لا بنام طالبه ، وبغني لا ينجو هاربه ، وغدر لا ينتعش صريعُه ، وكفران
لا يودى (٣) قتيله ، وتقف على سوء رويتك ، وعظم جريرتك ، في تركك قبول
الأمان ، إذ هو لك مبدول ، وأنت عليه محمول ، وإذ السيف عنك مغمود ، وباب
التوبة إليك مفتوح ، وتلهف والتلهف غير نافعك ، إلا أن تكون أجبت إليه
مُسرعاً ، وانقذت إليه منتصِحاً .

وإن مما زاد في ذنوبك عندي ما ورد به كتابك على بعد نفوذى على الفسطاط
من التويهات والأعالي (٤) ، والعدات بالأباطيل ، من مصيرك — بزعمك — إلى
إصلاح ما ذكرت أنه فسد على ، حتى ملت إلى الاسكندرية فأقت بها طول هذه
المدة ، واستظهاراً عليك بالحجة ، وقطعاً لمن عسى أن يتعلق به معذرة علم بأن الأناة
غير صادرة ، ولا أنه خالجنى شك ولا عارضنى ريب فى أنك إنما أردت النزوح (٥)
والاحتيال لله رب والنزوح إلى بعض المواضع التى لعل قصدك إياها يوديك (٦) ،
ولعل مصيرك إليها يكفينيك ، ويبلغ إلى أكثر من الإرادة فيك ، لأنك إن شاء الله

(١) تفرى : انشق ، والمعنى هنا ينكشف ، وصفر الصبح كضرب وأسفر : أضاء وأشرق .

(٢) الوقر : الصمم . (٣) ودى القنيل كوعى : أعطى ديبته .

(٤) أخذها من قول الإمام على كرم الله وجهه فى بعض خطبه : « أعالي بأضاليل » وفى كتب اللغة
« العلالة بالضم والتعلة كتحية والعلة بالفتح : ما يتعلق به » ولم أجد فيها كلمة أعالي ولا مفردتها ، ولا بد
أن تكون جمع أعلولة بالضم ، كأعاجيب والأعيب . . . الخ . والأباطيل : جمع أبطولة بالضم أو إبطالة
بالكسر أو باطل على غير قياس .

(٥) النزوح : البعد .

(٦) الذى كتب فى اللغة « أودى الرجل : هلك ، وأودى به الموت : أهلكه » .

لَا تَقْصِدُ مَوْضِعًا إِلَّا تَلَوْتُكَ ، وَلَا تَأْتِي بِلَدَا إِلَّا قَفَوْتُكَ ، وَلَا تُلُوذُ بَعْضُهُ تَنْظُنْ أَنَّهَا
تُنَجِّبُكَ إِلَّا اسْتَعْنَتْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي جَدِّ حَبْلِهَا ، وَفَعْمٍ (۱) عُرْوَتِهَا ، فَإِنَّ أَحَدًا
لَا يُؤْوِي مِثْلَكَ وَلَا يَنْصُرُهُ إِلَّا لِأَحَدٍ مِنْ دِينٍ أَوْ دُنْيَا ، فَأَمَّا الدِّينُ فَأَنْتَ خَارِجٌ
مِنْ جِهَتِهِ ، لِمَقَامِكَ عَلَى الْعُقُوقِ ، وَمُخَالَفَةِ رَبِّكَ وَإِسْخَاطِهِ ، وَأَمَّا الدُّنْيَا فَمَا أَرَاهُ بَقِيَ
مَعَكَ مِنَ الْحَطَامِ الَّذِي سَرَقْتَهُ وَحَمَلْتَ نَفْسَكَ عَلَى الْإِثَارِ بِهِ ، مَا يَتَّهِي لَكَ مَكَائِرُ تَنَا
بِمِثْلِهِ ، مَعَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَنَا مِنْ جَزِيلِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَسْتُوذِعُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِيَّاهَا ، وَنَرْغَبُ
إِلَيْهِ فِي إِيمَانِهَا ، إِلَى مَا أَنْتَ مُقِيمٌ عَلَيْهِ مِنَ الْبَغْيِ الَّذِي هُوَ صَارِعُكَ ، وَالْعُقُوقِ الَّذِي
هُوَ طَالِبُكَ .

وَأَمَّا مَا مَنَيْتَنَاهُ مِنْ مَصِيرِكَ إِلَيْنَا فِي حُشُودِكَ وَجُمُوعِكَ وَمَنْ دَحَلْ فِي طَاعَتِكَ ،
لِإِصْلَاحِ عَمَلِنَا ، وَمُكَافَأَةِ أَعْدَائِنَا ، بِأَمْرِ أَظْهَرَ وَافِيهِ الشَّمَاتَةُ بِنَا ، فَمَا كَانَ إِلَّا بِسَبَبِكَ ،
فَأَصْدَحَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ الْأَخْرَقُ أَمْرَ نَفْسِكَ قَبْلَ إِصْلَاحِكَ عَمَلِنَا ، وَاحْزَمُ فِي أَمْرِكَ قِيلَ
اسْتَعْمَالِكَ الْحَزْمَ لَنَا ، فَمَا أَحْوَجَنَا اللَّهُ - وَهُوَ الْحَمْدُ - إِلَى نُصْرَتِكَ وَمُؤَاوَزَتِكَ ،
وَلَا اضْطُرَّرْنَا إِلَى التَّكْثُرِ بِكَ عَلَى شِقَاقِكَ وَمَعْصِيَتِكَ « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذًا
الْمُضِلِّينَ عَضُدًا » .

وليت شعري على من تهوّل بالجنود ، وُتْمَخَّرِقُ (۲) بذكر الجيوش ؟ ومن هؤلاء
المسخرّون لك ، الباذلون دماءهم وأموالهم وأديانهم دونك ، دون رزقٍ ترزقهم إياه ،
ولا عطاء تُدرّهُ عليهم ؟ فقد علمت - إن كان لك تمييز ، أو عندك تحصيل - كيف
كانت حالك في الواقعة التي كانت بناحية أطرابلس (۳) ، وكيف خذلك أولياؤك
والمرتزقة معك حتى هزمت ، فكيف تغترّ بمن معك من الجنود الذين لا اسم لهم

(۱) الجد : القطع . والنصم : القطع والكسر أيضاً .

(۲) المخرق : التمويه ، والمخرق : الموه .

(۳) يقال فيها : طرابلس وأطرابلس كما جاء في معجم ياقوت .

معك ، ولا رزق يجرى لهم على يدك ؟ فإن كان يدعوهم إلى نُصرتك هيبتك والمداراة لك ، والخوف من سلطانك ، فإنهم لَيَجْذِبُهُمْ أضعافُ ذلك منا ، ووجودهم من البذل الكثير والعطاء الجزيل عندنا مالا يحدونه عندك ، وإنهم لأخرى بخذلك ، والميل إلينا دونك ، ولو كانوا جميعا معك ، ومقيمين على نُصرتك ، لرجونا أن يُمكن الله منك ومنهم ، ويجعل دائرة السوءِ عليك وعليهم ، ويجربنا من عادته في النصر وإعزاز الأمر على ما لم يزل يتفضلُ علينا بأمثاله ، ويتطولُ بأشباحه ، فما دعاني إلى الإرجاء لك ، والتسهيلِ من خيفتك^(۱) ، والإطالة من عنانك ، طولَ هذه المدة إلا أمران : أغلبهما كان على احتقارُ أمرك واستصغارُه وقلةُ الاحتفال والاكتراث به ، وأنى اقتصرتُ من عقوبتك على ما أحلته^(۲) بنفسك من الإباق إلى أقاصى بلاد المغرب ، شريداً عن منزلك وبلدك ، فريدا من أهلك وولدك ، والآخر أنى علمتُ أن الوحشة دعمتك إلى الانحياز إلى حيثُ انحزتُ إليه ، فأردتُ التسكين من نفارك ، والطمأنينة من جأشك^(۳) ، وعميتُ على أنك تحنُّ إلينا حنينَ الولد ، وتتوقُّ إلى قربنا توقانَ ذى الرَّحيم والنسب ، فإن في رفقنا بك ما يعطفك إلينا ، وفي تأخينا إياك ما يردك علينا ، ولم يسمع منا سامع في خلاء ولا مَلَأ^(۴) انتقاصاً بك ، ولا غصاً منك ، ولا قدحاً فيك ، رِقَّةً عليك ، واستتماماً لليدِ عندك ، وتأميلاً لأن تكونَ الراجعَ من تلقاءِ نفسك ، والموفقَ بذلك لرُشدك وحظك ، فأما الآنَ مع اضطرارك إياي إلى ما اضطررتني إليه من الانزعاج نحوك ، وحبسك رُسلى النافذين بعهد كثير إلى ما قبلك ، واستعمالك المواربة والخداع فيما يجرى عليه تدبيرك ، فما أنت بموضع للصيانة ، ولا أهل للإبقاء والمحافظة ، بل اللعنةُ عليك حالةً ، والذمةُ منك بريئة ، والله طائبك ومؤاخذك بما استعملت من العتوق والقطيعة ، والإضاعه

(۱) الخناق : الجبل يخنق به .

(۲) في الأصل « ما أخلقته » وأراه محرفاً ، والصواب ما ذكرته ، والإباق : الهرب .

(۳) الجأش : رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع .

(۴) الملاء : الجماعة .

لِرَحِمِ الأَبْوَةِ ، فعليك من ولد عاقٍ مُشاقٍ^(١) لعنةُ الله ولعنةُ اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، ولا قَبِيلَ الله لك صَرْفاً ولا عَدَلاً^(٢) ، ولا ترك لك مُنْقَلَباً ترجع إليه ، وحدَلَك خِذْلانَ من لا يُؤْتِيهِ^(٣) له ، وأثكالك ولا أمملاك ، ولا حاطك ولا حفظك ، فوالله لأستعملنَّ كَعَنَكَ في دُبُرِ كل صلاة ، والدعاء عليك في آناء الليل والنهار ، والغُدُوِّ والآصالِ ، ولأأكتبنَّ إلى مصر وأجناد الشامات والثغور وقِنَسرينِ والعواصمِ والجزيرة والحِجازِ ومكةَ والمدينة ، كُتُباً تُقرأ على منابرها فيك ، باللعن لك ، والبراءة منك ، والهدالة على عقودك وقطيعتك ، ينقلها آخرٌ عن أوَّل ، ويأثُرُها^(٤) غابِرٌ عن ماض ، ويُخلد في بطون الصحائف ، وتحمِلها الرُّكبانُ ، ويتحدَّت بها في الآفاق ، وتُلحِق بك وبأعقابك عاراً ، ما طرد الليل والنهار ، واختلف الظلام والأنوار .

فحينئذ تعلم أيها المخالفُ أمرَ أبيه ، القاطعُ رَحِمَهُ ، العاصي رَبَّهُ ، أيَّ جنابة على نفسك جنيتَ ، وأيَّ كبيرة اقترفت واجتنبت ؟ وتتمنى لو كانت فيك مُسْكَةٌ^(٥) ، أو فيك فضلٌ إنسانية ، أنك لم تكن وادَّت ، ولا في الخلق عُرُفتَ ، إلا أن تُراجع من طاعتنا ، والإسراع إلى ما قبَلنا ، خاضعاً ذليلاً كما يلزمك ، فتقيم الاستغفار مُقام اللعنة ، والرِّقَّةَ مقام الغلظة ، والسلام على من سمِع الموعظة فوعاها ، وذَكَر الله فاتقاه ، إن شاء الله تعالى .

(صبح الأعشى ٧ : ٥)

٢٥٥ - كتاب بمنزلة القرامطة

قال الطبري :

وفي سنة ٢٧٨ هـ وَرَدَت الأخبار بحركة قوم يعرفون بالقرامطة بسواد

(١) أي مخالف ، وفي الأصل « شاق » وهو تحريف .

(٢) الصرف : التوبة ، العدل : الفدية .

(٣) أي لا يمنقل به لحقارته .

(٤) أي ينقلها ويرونها . (٥) المسكة : ما يتمسك به .

الكوفة (١) ، وكان فيما حكوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم أن جاءوا بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، يقول الفرّج بن عثمان ، وهو من قرية يقال لها نصرانة : إنه داعية إلى المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد ابن الحنفية ، وهو جبريل ، وذكر أن المسيح تصوّر له في جسم إنسان ، وقال له : إنك الداعية ، وإنك الحجّة ، و الناقة ، وإنك الدابة ، وإنك روح القدس ، وإنك يحيى بن زكرياء ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول : الله أكبر »

(١) قال الطبري: فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان إلى سواد الكوفة، ومقامه بموضع منه يقال له النهرين، يظهر الزهد والتقشف، ويسف الحوص، ويأكل من كسبه، ويكثر الصلاة، فأقام على ذلك مدة، فكان إذا قعد إليه إنسان ذا كره أمر الدين، وزهده في الدنيا، وأعلمه أن الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة، حتى فشا ذلك عنه بموضعه، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول، فلم يزل على ذلك يقعد إليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بما يعلق بقلوبهم، وكان يقعد إلى يقال في القرية إلى أن قال: « ثم من مرض فكث مطروحا على الطريق وكان في القرية رجل يحمل على أنوار له، أحمر العينين شديدة حرهما، وكان أهل القرية يسمونه « كرميته » لحرارة عينيه، وهو بالنبطية « أحمر العينين »، فسكلم البقال كرميته هذا في أن يحمل هذا العليل إلى منزله، ويوصي أهله بالإشراف عليه والعناية به، ففعل وأقام عنده حتى برى، ثم كان يأوى إلى منزله، ودعا أهل القرية إلى أمره ووصف لهم مذهبه، فأجابته أهل تلك الناحية وكان يأخذ من الرجل إذا دخل في دينه دينارا، ويزعم أنه يأخذ ذلك للإمام، فكث بذلك يدعو أهل تلك القرى فيجيبونه، وآخذ منهم اثني عشر نقيبا أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينهم، وقال لهم: أنتم كحواري عيسى بن مريم، فاشتغلوا بكرة تلك الناحية عن أعمالهم بمارسهم لهم من الحسنة صلاة، التي ذكر أنها مفترضة عليهم، وكان للهيمص في تلك الناحية ضباغ، فوقف على تقصير أكرته في العمارة، فسأل عن ذلك فأخبر أن إنسانا طرأ عليهم فأظهر لهم مذهبا من الدين، وأعلمهم أن الذي افترضه الله عليهم خمسون صلاة في اليوم والليلة، فقد شغلوا بها عن أعمالهم، فوجه في طلبه فأخذ وجيء به إليه، فسأله عن أمره، فأخبره بقصته، فخلف أن يقتله، فأمر به خبس في بيت وأقل عاياه الباب ووضع المفتاح تحت وسادته وتشاغل بالشرب، وسمع بعض من في داره من الجوارى بقصته فرقت له، فلما نام الهيمص أخذت المفتاح من تحت وسادته وفتحت الباب وأخرجته، وأقفلت الباب وردت المفتاح إلى موضعه، فلما أصبح الهيمص دعا بالمفتاح ففتح الباب فلم يجده، وشاع بذلك الخبر، ففتن به أهل تلك الناحية، وقالوا: رفع، ثم ظهر في موضع آخر، ولقى جماعة من أصحابه وغيرهم، فسألوه عن قصته فقال: ليس يمكن أحدا أن يبدأني بسوء، ولا يقدر على ذلك مني، فعظم في أعينهم، ثم خاف على نفسه فخرج إلى ناحية الشام فلم يعرف له خبر، وسمى باسم الرجل الذي كان في منزله صاحب الأنوار كرميته، ثم خفت فقالوا قرمط

الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ، أشهد أن آدم رسول الله ، أشهد أن نوحا رسول الله ، أشهد أن إبراهيم رسول الله ، أشهد أن موسى رسول الله ، وأشهد أن عيسى رسول الله ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، وأشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله ، وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح ، وهي من المنزّل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقِبلة إلى بيت المقدس ، والحج إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء ، والسورة الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه ، قل إن الأهلّة موافقت للناس ، ظاهرها يُعلم عدد السنين والحساب والأشهر والأيام ، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي اتقون يا أولي الألباب ، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي ، وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري أتيته في جنتي ، وأخلدته في نعمتي ، ومن زال عن أمري وكذب رُسلي ، أخلدته مُهانا في عذابي ، وأتمت أجلي ، وأظهرت أمري على السّنة رسلي ، وأنا الذي لم يعمل عليّ جبارٌ إلا وضعته ، ولا عزيزٌ إلا أذلّته ، وليس الذي أصرّ على أمره ، وداوم على جهالته ، وقالوا أن نبرّح عليه عا كفين ، وبه مؤمنين ، أولئك هم الكافرون .

ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربّي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون ، يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : الله أعلى الله أعلى ، الله أعظم الله أعظم .

ومن شرائعه أن الصوم يومان في السنة ، وهما المهرّجان والنوروز ، وأن النبيذ حرام ، والخمر حلال^(۱) ، ولا غسل من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأن من حاربه وجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذت منه الجزية ، ولا يؤكل^(۲) كل ذى ناب ، ولا كل ذى مخالب [ويشترك في المرأة جماعة من الرجال^(۳)] .

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۳۳۹ ، وغرر الحقائق الواضحة ص ۲۱۳)

(۱) وفي غرر الحقائق « وأن النبيذ والخمر غير حرام » .

(۲) وفيه « ويؤكل » .

(۳) ما بين القوسين وارد في غرر الحقائق .

٢٥٦ - من كتاب عن المعتضد إلى خمارويه بن أحمد

ابن طولون

ولما حجت قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد بن طولون إلى المعتضد (١) ، كعب معها أبوها يذكره بخدمة سلفها (٢) ، ويذكر ما ترد عليه من أبهة الخلافة ، وجلالة الخليفة ، وسأل إيناسها وبسطها ، فبلغت من قلب المعتضد لما زفت إليه مبلغا عظيما ، وسر بها غاية السرور ، وأمر الوزير أبا القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب بالجواب عن الكتاب ، فأراد أن يكتبه بخطه ، فسأله أبو الحسين بن ثوابة أن يؤثره بذلك ففعل وغاب أياما ، وأتى بنسخة يقول في فصل منها :

« وأما الوديعه فهي بمنزلة شيء انتقل من يمينك إلى شمالك ، عناية بها ، وحياطة عليها ، ورعاية لمودتك فيها . »

ثم أقبل على عبيد الله يعجب من حسن ما وقع له من هذا ، وقال : تسميتي لها بالوديعه نصف البلاغه ، فقال عبيد الله : ما أقبح هذا ! تفاءلت لامرأة زفت إلى صاحبها بالوديعه ، والوديعه مستزده ، وقولك : من يمينك إلى شمالك أقبح ، لأنك جعلت أباه اليمين ، وأمير المؤمنين الشمال ، ولو قلت على حال :

« وأما الهدية فقد حسن موقعها منا ، وجل خطرها عندنا ، وهي - وإن بعدت عنك - بمنزلة ما قرب منك ، لتفقدنا لها ، وأنسنا بها ، ولسرورها بما وردت عليه ، واعتباطها بما صارت إليه لكان أحسن ، فنفذ الكتاب . »

(زهر الآداب ٢ : ٢٨٩)

(١) هو أبو العباس أحمد بن الموفق طلحة بن التوكل ، ولي الخلافة سنة ٢٧٩ ، وتوفي سنة ٢٨٩ وولي خمارويه ملك مصر بعد وفاة أبيه سنة ٢٧٠ وقتل سنة ٢٨٢ .

(٢) كان جدها طولون مملوكا للأمون ، وأصله من بخارى من قبائل التركستان ، أهداه إلى الأمون عامله ابن أسد العمامي في جملة من أرسلهم إليه سنة ٢٠٠ هـ وقد أعجب به الأمون فألحقه بحاشيته ، ومازال يرقبه حتى جعله رئيس حرسه ، ولقبه بأمر السر - وهو منصب لم يكن يناله إلا من كان للخليفة ثقة خاصة بأمانته وإخلاصه ، ليسكون محافظا على حياته الشخصية - وكان في عهد المعتمد رئيس بطانته من الممالك .

۲۵۷ - کتاب عن المعتضد بلعن معاوية بن أبي سفيان

وروى الطبري قال :

وفي سنة ۲۸۴ هـ عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبي سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يُقرأ على الناس .

وذكر أن المعتضد أمر بإخراج الكتاب الذي كان المأمون أمر بإنشائه بلعن معاوية ، فأخرج له من الديوان ، فأخذ من جوامعه نسخة هذا الكتاب ، وكانت نسخة الكتاب الذي أنشأه المعتضد بالله :

« بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله العلي العظيم ، الحليم الحكيم ، العزيز الرحيم ، المنفرد بالوحدانية ، الباهر بقدرته ، الخالق بمشيئته وحكمته ، الذي يعلم سوابق الصدور وضمائر القلوب ، لا يخفى عليه خافية ، ولا يعزبُ عنه مثقالُ ذرَّةٍ في السموات العلى ولا في الأرضين السفلى ، قد أحاط بكل شيء علماً ، وأحصى كل شيء عدداً ، وضرب لكل شيء أمداً ، وهو العليم الخبير ، والحمد لله الذي برأ خلقه لعبادته ، وخلق عباده لمعرفة ، على سابق علمه في طاعة طيِّعهم ، وماضى أمره في عصيان عاصيهم ، فبين لهم ما يأتون وما يتقون ، ونهَجَ لهم سُبُلَ النجاة ، وحذَّرم مسالك الهلكة ، وظاهرَ عليهم الحجَّةَ ، وقَدَّمَ إليهم المَعذِرَةَ ، واختار لهم دينه الذي ارتضى لهم وأكرمهم به ، وجعل المعتصمين بحبِّله والمتمسكين بعُرْوته أوليائه وأهل طاعته ، والعاثدين^(۱) عنه والخالفين له أعداءه وأهل معصيته : « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » والحمد لله الذي اصطفى محمداً رسوله من جميع برِّيَّته ، واختاره لرسالته ، وابتعثه بالهدى والدين المرتضى إلى عباده أجمعين ، وأنزل عليه الكتاب المبين المستبين ، وتأذَّن له بالنصر والتمكين ، وأيدَّه بالعز والبرهان المتين ، فاهتدى به مَنْ اهتدى ، واستنقذ به مَنْ

(۱) أى المائلين .

استجاب له من العمى ، وأضلَّ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ، حتى أظهر الله أمره ، وأعز نصره ، وقهر مَنْ خالفه ، وأنجز له وَعْدَهُ ، وختم به رُسُلَهُ ، وقبضه مؤدباً لأمره ، مبلِّغاً لرسالته ، ناصحاً لأُمَّته ، مرَضِياً مُهْتَدِياً إلى أكرم مآب المنقَلِبِينَ ، وأعلى منازل أنبيائه المرسلين ، وعباده الفائزين ، فصلى الله عليه أفضل صلاةٍ وأتمَّها ، وأجبتَّها وأعظمها ، وأزكَّها وأطهرها ، وعلى آله الطيبين ، والحمد لله الذى جعل أمير المؤمنين وسلفه الراشدين المهتدين ، وَرِثَةَ خاتم النبیین ، وسيد المرسلين ، والقائمين بالدين ، والمقومين لعباده المؤمنين ، والمستحفظين ودائع الحكمة وموارث النبوة ، والمستخلفين فى الأمة ، والمنصورين بالعزيز والمنعة ، والتأييد والغلبة ، حتى يُظهر الله دينه على الدين كله ولو كره المشركون .

وقد انتهى إلى أمير المؤمنين ما عليه جماعة من العامة ، من شبهة قد دخلتهم فى أديانهم ، وفسادٍ قد لحقهم فى معتقدهم ، وعصبية قد غلبت عليها أهواؤهم ، ونطقت بها ألسنتهم ، على غير معرفة ولا روية ، وقلدوا فيها قادة الضلالة بلا بينة ولا بصيرة ، وخالفوا السنن المتبعة إلى الأهواء المبتدعة ، قال الله عز وجل : « وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » خروجاً عن الجماعة ، ومسارعة إلى الفتنة ، وإيثاراً للفرقة ، وتشديداً للكلمة ، وإظهاراً لموالاة مَنْ قَطَعَ اللهُ عنه الموالاة ، وبتر منه العصمة ، وأخرجه من الملة ، وأوجب عليه اللعنة ، وتعظيماً لمن صغَّر اللهُ حقَّه ، وأوهن أمره ، وأضعف رُكنه ، من بنى أمية الشجرة الملعونة ، ومخالفة لمن استنتمهم الله به من الهلكة ، وأسبغ عليهم به النعمة ، من أهل بيت البركة والرحمة ، قال الله عز وجل : « يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » فأعظم أمير المؤمنين ما انتهى إليه من ذلك ، ورأى فى ترك إنكاره حرجاً عليه فى الدين ، وفساداً لمن قلده الله أمره من المسلمين ، وإهماً لِمَا أوجبه الله عليه من تقويم المخالفين ، وتبصير الجاهلين ، وإقامة الحججة على الشاكين ، وبسط اليد على العابدين .

وأَمير المؤمنين يُخبركم معاشرَ المسلمين ، أن الله عز وجل لما ابتعث محمداً بدينه ، وأمره أن يصدع بأمره ، بدأ بأهله وعشيرته ، فدعاهم إلى ربه وأندَرهم وبشَرهم ، ونصح لهم وأرشدهم ، فكان من استجاب له وصدق قواه واتبع أمره نَفَرٌ يسير من بني أبيه ، من بين مؤمن بما أتى به من ربه ، وبين ناصرٍ له وإن لم يتبع دينه ، إعزازاً له وإشفاقاً عليه ، لما ضى علم الله فيمن اختار منهم ، ونفذت مشيئته فيما يستودعه إياه من خلافته وإرث نبوته ، فمؤمِنهم مجاهدٌ ببصيرته ، وكافرهم مجاهدٌ بنصرتِه وحجَّيته ، يدفعون من نابذِه ، ويقهرون من عارِه (١) وعانده ، ويتوثقون له ممن كآفته وعاضده ، ويبايعون له من سمح بنصرتِه (٢) ، ويتجسسون له أخبار أعدائه (٣) ويكيدون له بظَهْر الغيب كما يكيدون له برَأْي العين ، حتى بلغ المدى ، وحان وقتُ الاهتداء ، فدخلوا في دين الله وطاعته وتصديقِ رسوله والإيمان به ، بأثبتِ بصيرة ،

(١) عاره معارة وعرارا : قاله وآذاه ، وفي شرح ابن أبي الحديد « هازه » بالزاي ، يقال : عازني فعزته أي غالبني فغلبته ، وكآفته : عاونه وساعده .

(٢) يعني بذلك جده العباس بن عبد المطلب ، وما كان منه في بيعة العقبة الثانية ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قبل هجرته من مكة) كان قد تواعد مع أنصاره من أهل المدينة الذين استجابوا لدعوته (في موسم الحج) أن يجتمع بهم عند العقبة الأيلاخية من قريش ، ووافقهم هناك ومعه عمه العباس ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس ، فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العرب إنما يسمون هذا الحى من الأنصار الخزرج ، خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزمنا قومه ومنعة في بلده ، ولأنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتكم إليه ، وما نعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم ملهوه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده . . . الخ - انظر تاريخ الطبري ٢ : ٢٣٨ ، وسيرة ابن هشام ١ : ٢٦٦ .

(٣) يعني ما كان من العباس في غزوة أحد ، وذلك أن جيش المشركين كان قد خرج من مكة لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم - انتقاماً لما أصابهم يوم بدر - حتى نزلوا مقابل المدينة ، وبلغ الخبر رسول الله من كتاب بعث به إليه عمه العباس مع رجل استأجره لذلك ولم يخرج معهم في هذه الحرب ، محتجاً بما أصابه يوم بدر ولم يساعدهم بشيء (وقد قدمنا في ص ٨٧ من الجزء الثالث أنه كان خرج مع المشركين يوم بدر وأسر وأخذ رسول الله منه الفدية) وكان بمكة يكتب إلى رسول الله بأخبار المشركين ، وقيل : لأنه كان قد أسلم قبل الهجرة ، وكان يكتبكم لإسلامه - انظر أسد الغابة ٣ : ١١٠ والسيرة الحلبية ٢ : ٢٣٠ .

وأحسن هُدًى ورغبةً ، فجعلهم الله أهل بيت الرحمة ، وأهل بيت الدين ،
أذهب عنهم الرجس^(۱) وطهرهم تطهيراً ، ومعدن الحكمة ، وورثة النبوة ، وموضع
الخلافة ، وأوجب لهم الفضيلة ، وألزم العباد لهم الطاعة .

وكان ممن عانده ونابذَه وكذَّبَه وحارَبَه من عشيرته العددُ الأكثر ، والسَّواد
الأعظم ، يتلقَّونه بالتكذيب والتثريب^(۲) ، ويقصدونه بالأذية والتخويف ، وبارزونَه
بالعداوة ، وينصبون له المحاربة ، ويصدون عنه من قصده ، وينالون بالتعذيب من
اتبعه ، وكان أشدهم في ذلك عداوةً ، وأعظمهم له مخالفةً ، أولهم في كل حرب
ومناصبةً ، ورأسهم في كل إجلاب^(۳) وفتنة ، لا يُرفع على الإسلام رايةٌ إلا كان
صاحبها وقائدها ورئيسها في كل موطن الحرب ، من بدرٍ وأحدٍ والخندق والفتح ،
أبو سفيان بن حرب وأشياعه من بني أمية الملعونين في كتاب الله ، ثم الملعونين على
لسان رسول الله في عدة موطن وعدة مواضع ، لسابق علم الله فيهم ، وماضي حكمه
في أمرهم وكفرهم ونفاقهم ، فلم يزل - لعنه الله - يُحارب مجاهداً ، ويدافع مُكابداً ،
ويجلبُ مُنابذاً ، حتى قهره السيفُ ، وعلا أمرُ الله وهم كارهون ، فتقول^(۴) بالإسلام
غيرَ منطوقٍ عليه ، وأسرَّ الكفرَ غيرَ مُقلعٍ عنه ، فعرفه بذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون ، وقبيله وقبيل ولده على علمٍ منه بحاله وحالهم ، وميزله
للؤلَّةِ قلوبهم^(۵) .

(۱) الرجس : كل ما استنقذ من العمل .

(۲) التثريب : اللوم .

(۳) الجلبة بالتحريك : اختلاط الأصوات وفعله كضرب ونصر ، وقد أجلبوا وجلبوا .

(۴) وفي شرح ابن أبي الحديد « فتعوذ » .

(۵)

۸ هـ (وحنين بصيغة التصغير : واد بين مكة والطائف) غنم منهم سبياً وغنائم كثيرة ، فأعطى المؤلفة
قلوبهم (وهم من أسلم من أهل مكة) وكانوا أشرافاً من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ،
فكان أولهم أبا سفيان بن حرب ، أعطاه أربعين أوقية من الفضة ومائة من الإبل ، قال : وابني يزيد ،
فأعطاه كذلك قال : وابني معاوية ، فأعطاه كذلك ، فأخذ أبو سفيان ثلاثمائة من الإبل ومائة =

فَمَا لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِهٖ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنْزَلَ بِهٖ كِتَابًا قَوْلَهُ « وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ، وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا » ، وَلَا اخْتِلَافَ بَيْنَ أَحَدٍ أَنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَرَادَ بِهَا بَنِي أُمَيَّةَ ^(۱) ، وَمِمَّا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي السُّنَّةِ ، وَرَوَاهُ ثِقَاتُ الْأُمَّةِ ، قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ ، وَقَدْ رَأَاهُ مُقْبِلًا عَلَى حِمَارٍ ، وَمَعَاوِيَةَ يُقَوِّدُ بِهِ ، وَيَزِيدُ ابْنَهُ يَسُوقُ بِهِ : لَعَنَ اللَّهُ الرَّا كِبَ وَالْقَائِدَ وَالسَّائِقَ ^(۲) .

== وعشرين أوقية من الفضة ، وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، لأنك كريم في الحرب وفي السلم - انظر السيرة الحلبية ۳ : ۱۳۷ ، وتاريخ الطبري ۳ : ۱۳۶ ، وسيرة ابن هشام ۲ : ۳۲۰ وميزله : أى لأجله : وميز الشيء : فصل بعضه من بعض ، والمعنى انه أفرد المؤلفه قلوبهم بفضل من العطاء امتازوا به على من سواهم .

(۱) لا . بل قد اختلفوا في هذه الشجرة ، فالأكثرون قالوا : إنها شجرة الزقوم المذكورة في القرآن في قوله : « إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْأَيْمِ » وقوله : « أَذَلِكْ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ . إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ . إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ . فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا قَمَالِثُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ » والمراد بلعنها لعن طاعنها على الإسناد المجازي ، وكلا أبو جهل لما سمع بذكرها قال : يزعم محمد أن نار جهنم تحرق الحجارة حيث قال « وَقَوِّدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » ثم يقول بأن في النار شجرا ، والنار تأكل الشجر ، فكيف يولد فيها ! . وقال ابن عباس : الشجرة بنو أمية ، يعنى الحكم بن أبي العاص قال : رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره (وسبرد ذكر هذه الرؤيا في تلك الرسالة بعد) فقص رؤياه على أبي بكر وعمر وقد خلا في بيته معهما ، فلما تفرقوا سمع رسول الله الحكم يخبر برؤيا رسول الله ، فاشتد ذلك عليه ، واتهم عمر بإفشاء سره ، ثم ظهر أن الحكم كان يتسمم لهم ، فنفاه رسول الله ولعنه ، قال الواحدى : هذه القصة كانت بالمدينة ، والسورة مكية ، فيبعد هذا التفسير ، إلا أن يقال : هذه الآية مدنية ، ولم يقل به أحد ، ومما يؤكد هذا التأويل قول عائشة رضى الله عنها لمروان بن الحكم : أما أنت يامروان فأشهد أن رسول الله لعن أباك وأنت في صلبه ، فأنت فضل من لعنة الله (وفضل كجبل : أى قطعة) وروى عن عائشة أيضا قالت لمروان بن الحكم : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأبيك وجدك : لعنكم الشجرة الملعونة في القرآن - انظر تفسير الفخر الرازى ، مفاتيح الغيب ۵ : ۶۰۹ وروح المعاني للآلوسى ۴ : ۵۴۶ وغيرهما من التفاسير .

(۲) وجاء في مخاصمة بين الحسن بن علي رضى الله عنه وبين معاوية أن الحسن قال له : « وأنتك الله يامعاوية ، أتذكر يوم جاء أبوك على جبل أحر ، وأنت تسوقه ، وأخوك عتبة هذا يقوده ، فرآكم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : اللهم العن الراكب والقائد والسائق » - انظر شرح ابن أبي الحديد ۲ م : ص ۱۰۱ .

ومنه ما روته الرواة عنه من قوله يوم بيعة عثمان : « يا بني عبد مناف تلقفوها تلقف الكفرة ، فما هناك جنة ولا نار » وهذا كفر صراح يُلحقه به اللعنة من الله ، كما لحقت الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . ومنه ما يروون من وقوفه على نذية أحد بعد ذهاب بصره (۱) وقوله لقائده : ها هنا رمينا (۲) محمدا وقتلنا أصحابه . (ومنه الكلمة التي قالها للعباس قبل الفتح ، وقد عرضت عليه الجنود : لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيما ! فقال له العباس : ويحك ! إنه ليس بملك ، إنها النبوة . ومنه قوله يوم الفتح ، وقد رأى بلالا على ظهر الكعبة يؤذن ويقول : أشهد أن محمدا رسول الله : لقد أسعد الله عبته (۳) بن ربيعة إذ لم يشهد هذا المشهد (۴) ، ومنه الرؤيا التي رآها النبي صلى الله عليه وسلم فوجم (۵) لها . فما رُئي ضاحكا بعدها ، فأنزل الله : « وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَبْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ » فذكروا أنه رأى نورا من بني أمية ينزون (۶) على منبره . ومنه طرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم بن أبي العاص لمحاكاته إياه في مشيته ، وألحقه الله - بدعوة رسوله - آفة باقية ، حين التفت إليه فرآه يتخلج يحكيه ، فقال له : كن كما أنت ، فبقي على ذلك سائر عمره (۷) ، هذا إلى ما كان من مروان ابنه

(۱) الثانية : الطريق في الجبل ، وكان أبو سفيان قد فقئت عينه يوم الطائف ، وفقئت عينه الأخرى يوم اليرموك - وقد شهد اليرموك ، وكان هو القاسم في جيش المسلمين يحرضهم ويحثهم على القتال - ولما عمى كان يقوده مولى له - انظر أسد الغابة ۳ : ۱۲ وصبح الأعشى ۱ : ۴۴۸ .

(۲) وفي تاريخ الطبري « ذبينا محمدا » .

(۳) هو حو أبو سفيان ، وجد معاوية لأمه هند .

(۴) ما بين القوسين وارد في رواية ابن أبي الحديد ، ساقط من طبعة الطبري التي بأيدينا .

(۵) وجم كوعد : سكت على غيظ .

(۶) نزايون : وثب ، جاء في كتب التفسير : روى أنه صلى الله عليه وسلم رأى قوما من بني أمية يرقون منبره وينزون عليه نزو القردة ، فقال : هذا حظهم من الدنيا يعطونه بإسلامهم .

(۷) كان الحكم يحكي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته وبعض حرركاته ، وكان صلى الله عليه وسلم يتكفأ في مشيته (فالتفت يوما فرآه وهو يتخلج في مشيته (أي يضطرب) فقال : كن كذلك ، فلم يزل يرتعش في مشيته من يومئذ ، وطرده رسول الله ولعنه وأخرجه إلى الطائف وقال له : لاتنا كنتي في بلد أبدا ، وصار مشهورا بأنه طريد رسول الله ، ولم يزل مфия حياة النبي ، فلما ولي أبو بكر =

في افتتاحه أول فتنه كانت في الإسلام^(۱) ، واحتقابه^(۲) لكل دم حرام سفك فيها ، أو أريق بعدها ، وما أنزل الله منه على نبيه في سورة القدر « آيَةَ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » قالوا : مُلْكُ بَنِي أُمِيَّة^(۳) ، ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا معاوية ليكتب بين يديه ، فدافع بأمره واعتل بطعامه ، فقال النبي : « لا أشبع الله بطنه^(۴) » فبقي لا يشبع ، وهو يقول : والله ما أترك الطعام شبهاً ، ولكن إعياء^(۵) ومنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يطلع من هذا الفج^(۶) رجل من أمتي

= الخلافة قبل له في الحكم ليرده إلى المدينة فقال : ما كنت لأحل عقدة عقدها رسول الله ، وكذلك عمر ، فلما ولي عثمان الخلافة - والحكم عمه - رده وقال : كنت قد شفعت فيه إلى رسول الله فوعدني برده - انظر أسد الغابة ۲ : ۳۴ .

(۱) هي الفتنه التي نجمت في أواخر خلافة عثمان ، وأفضت إلى قتله ، ثم إلى انشقاق عصا المسلمين ، وكان مروان غالباً على أمر عثمان ، وقد طلب الثوار إليه أن يسلم إليهم مروان ، إذ اتهموه بأنه افعل . عليه كتابا إلى عامل مصر ، وبعثه مع غلام عثمان ، يأمره فيه بقتل المصريين منهم ، فأبى عثمان أن يسلمه والقصة مشهورة .

(۲) احتقب الراكب الحفية : شدها من خلف ، ثم توسعوا في اللفظ حتى قالوا : احتقب فلان الإثم : إذا اكتسبه ، كأنه شيء محسوس جمعه واحتقبه من خلفه .

(۳) مما ذكره المفسرون في تفسيرها ، ماجاء في تفسير الفخر الرازي (۸ : ۶۳۰) قال : « روى القاسم بن فضل عن عيسى بن مازن قال : قلت للحسن بن علي عليه السلام : يا مسود وجود المؤمنين ، همدت إلى هذا الرجل فبايعت له ! - يعني معاوية - فقال : إن رسول الله رأى في منامه بني أمية يطؤون أئمنه واحداً بعد واحد ، وفي رواية : يتزرون على منبره نزو القردة ، فشق ذلك عليه ، فأنزل الله تعالى :

« إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ » إلى قوله « خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » يعني ملك بني أمية . قال القاسم « حسبنا ملك بني أمية فإذا هو ألف شهر » اه ، وذكر ذلك أيضاً الألوسي في روح المعاني (۹ : ۴۲۲) وأرى أن الخبر موضوع ، وأن ذلك التأويل لا ينهض عاياه دليل ، على أن ملك بني أمية ليس « ألف شهر لا يزيد يوم ، ولا ينقص يوم » كما يقول القاسم بن فضل ، فقد قامت الدولة الأموية سنة ۴۱ هـ وسقطت سنة ۱۳۲ ، فولايتهما أكثر من ألف شهر .

(۴) روى ابن الأثير في أسد الغابة (ج ۴ : ص ۳۸۶) قال : « عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنت ألعب مع الصبيان ، جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواريت خلف باب ، قال : جاء خطاني حطاة (والخطو : تحريك الشيء مزعزها) وقال : اذهب فادع لي معاوية ، فجئت فقلت : هو يأكل ، ثم قال : اذهب فادع لي معاوية ، فجئت فقلت هو يأكل ، فقال : لا أشبع الله بطنه ، أخرج مسلم هذا الحديث بعينه لمعاوية . »

(۵) أعياء لإعياء : كل .

(۶) الفج : الطريق الواسع بين جبلين .

يُحْسِرُ عَلَى غَيْرِ مَلْتِي « فَطَلَعَ مَعَاوِيَةَ ^(۱) ، وَمِنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 « إِذَا رَأَيْتُمْ مَعَاوِيَةَ عَلَى مَنبَرِي فَاقْتُلُوهُ » وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ الْمَشْهُورُ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ
 مَعَاوِيَةَ فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ فِي أَسْفَلِ دَرَكٍ مِنْ جَهَنَّمَ يَفَادِي : يَا حَنَّانُ يَا مَنَّانُ ، فَيُقَالُ
 لَهُ : « آ لَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ! » وَمِنْهُ أَنْبَاءُ بِالْمُحَارَبَةِ
 لِأَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِسْلَامِ مَكَانًا ، وَأَقْدَمِهِمْ إِلَيْهِ سَبَقًا ، وَأَحْسَنِهِمْ فِيهِ أَثْرًا وَذِكْرًا :
 عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، يُنَازِعُهُ حَقَّهُ بِيَاظِهِ ، وَيُجَاهِدُ أَنْصَاوَهُ بِضُلَالِهِ وَغُوَاتِهِ ، وَيُحَاوِلُ
 مَا لَمْ يَنْزَلْ هُوَ وَأَبُوهُ بِمُحَاوَلَانِهِ مِنْ إِطْفَاءِ نُورِ اللَّهِ وَجُجُودِ دِينِهِ « وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ
 يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ » وَيَسْتَهْوِي أَهْلَ الْغِبَاوَةِ ، وَيُؤَوُّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهَالَةِ ،
 بِمُكْرِهِ وَبَغْيِهِ الَّذِينَ قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ عَنْهُمَا ، فَقَالَ لِعَمَّارٍ ^(۲)
 ابْنِ يَاسِرٍ : « تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ ، تَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَكَ إِلَى النَّارِ ^(۳) » مُؤَثِّرًا

(۱) أرى أن هذا الحديث والحديثين بعده موضوعة .

(۲) هو عمار بن ياسر رضي الله عنه . أحد السابقين الأولين ، وقد عذبه المشركون في بدء الدعوة الإسلامية فاحتمل العذاب ، وكان يعذب هو وأخوه وأبوه وأمه بالنار ، فر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صبرا آل ياسر فوعدهم الجنة ، اللهم اغفر لآل ياسر .

(۳) روت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : لما بي رسول الله مسجده بالمدينة أمر بالابن أن يضرب وما يحتاج إليه ، ثم قام فوضع رداءه ، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أرويتهم كيتمهم يرتجزون ويقولون ويعملون :

لئن قعدنا والنبي يعمل ذاك لاذن لعمل مضلل

قالت : وكان عثمان بن عفان رجلا نظيفا متظفيا ، فكان يحمل اللبنة ويحافي بها عن ثوبه فإذا وضعها نفث كفيه ، ونظر إلى ثوبه . فإذا أصابه شيء من التراب نفثه ، فنظر إليه على رضي الله عنه فأنشد :

لا يتوى من يعمر المساجدا يداؤب فيها راكعا وساجدا

وقائما طورا وطورا قاعدا ومن برى عن التراب حائدا

فسمعها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجزها وهو لا يدري من يعنى ، فسمعه عثمان فقال : يا ابن سمية (وسمية أميه) ما أعرفني بمن تعرض ومعه جريدة ، فقال : لتكفن أو لأعترضن بها وجهك ، لافسمعه النبي وهو جالس في ظل حائط فقال : « عمار جلدة ما بين عيني وأنتي ، فمن بلغ ذلك منه فقد بلغ مني » وأشار بيده فوضعها بين عينيه ، فكف الناس عن ذلك وقالوا لعمار : إن رسول قد غضب فيك ، ونخاف أن ينزل فينا قرآن ، فقال : أنا أرضيه كما غضب ، فأقبل عليه فقال : يا رسول الله مالي ولأسحابتك ؟ قال : مالك ولهم ؟ قال : يريدون قتلي ، يحملون ابنة ويحملون على لبنين ، فأخذ به وطاف به في المسجد ، وجعل مسح وجهه من التراب ويقول : « يا ابن سمية ، لا يقتلك أصحابي ، ولكن تقتلك الفئة الباغية » فلما قتل =

للعاجلة ، كافرًا بالآجلة ، خارجًا من رِبْقَةِ الإسلام ، مستجِلًّا للدم الحرام ، حتى سُفِكَ
في فتنته ، وعلى سبيل غَوَايَتِهِ وِضْلَالَتِهِ ، مالا يُحْصَى عدده من خيار المسلمين الذَّابِّين عن
دين الله ، والناصرين لحقه ، مجاهدًا في عداوة الله ، مجتهدًا في أن يُعْصَى اللهُ فلا يُطَاع ،
وتَبْطُلُ أحكامه فلا تُقام ، ويخالف دينه فلا يُدان^(١) ، وأن تَعْلُوَ كلمة الضلالة ، وترتفع
دعوة الباطل « وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا » ودينه المنصور ، وحُكْمُهُ النَّازِدُ ، وأمره
الغالب ، وكَيْدُهُ من عاداه وحادّه^(٢) المَغْلُوبُ الدَّاحِضُ ، حتى احتمل أوزار تلك الحروب
وما تبعها ، وتطوّق تلك الدماء وما سُفِكَ بعدها ، وسَنَّ سُنَنَ الفساد التي عليه إثمها
وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة ، وأباح المحارم لمن ارتكبها ، ومنع الحقوق أهلها ،
واغتره الإملاء^(٣) ، واستدرجه الإمهال ، والله له بالمرصاد .

ثم مما أوجب الله له به اللعنة ، قَتْلُهُ مَنْ قَتَلَ صَبْرًا^(٤) من خيار الصحابة
والتابعين ، وأهل الفضل والدين ، مثل عمرو بن الحَمِقِ الخَزَاعِيِّ ، وحُجْر بن عَدِيٍّ
الْكِنْدِيِّ^(٥) فيمن قتل من أمثالهم ، في أن تكون لهم العزة والملك والغلبة ، والله
العزة والملك والقدرة ، والله عز وجل يقول « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ
جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » ومما استحق به
اللعنة من الله ورسوله ادّعاؤه زياد بن سَمِيَّةَ أخاه ، ونسبته إياه إلى أبيه جرأة على الله ،
والله يقول « ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ ، هُوَ أَقْسَطُ^(٦) عِنْدَ اللَّهِ » ورسولُ الله صلى الله عليه

== بصفين - وكان من أصحاب هلي - وروى هذا الحديث عبد الله ابن عمرو بن العاص ، قال معاوية : هم
قتلوه ، لأنهم أخرجوه إلى القتل ، فلما بلغ ذلك عايبا قال : ونحن قتلنا أيضا حمزة لأننا أخرجناه ؟ - انظر
العقد الفريد ٢ : ٢٣٧ .

(١) أي فلا يدان به .

(٢) حاده : غاضبه وعاداه وخالفه ، داحض : أي باطل .

(٣) أملى له الله : أمهله ، وقى ابن أبي الحديد « وغرته الآمال » .

(٤) صبر الإنسان على القتل : أن يجلس ويرمى حتى يموت .

(٥) انظر خبرهما فيما قدمنا في الجزء الثاني (ص ٤٥ و ص ٦٠) .

(٦) أي أعدل .

وسلم بقول « ملعون من أدعى إلى غير أبيه ، أو اتعنى إلى غير مواليه » ويقول :
 « الولد للفراش وللعاهر الحجر »^(۱) ، فخالف حكم الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله
 عليه وسلم جهارا ، وجعل الولد غير الفراش ، والحجر لغير العاهر^(۲) ، فأحل بهذه
 الدعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أم حبيبة^(۳) زوجة النبي صلى الله عليه وسلم
 وفي غيرها من سفور وجوه ما قد حرّمه الله ، وأثبت بها قرّبي قد باعدها الله ، وأباح
 بها ما قد حظره الله ، مما لم يدخل على الإسلام خللٌ مثله ، ولم ينل الدين تبديلٌ شبيهه ،
 ومنه إيثاره لخلافة الله على عباده أبنه يزيد السكّير الخمير ، صاحب الديوك والفهود
 والقروود ، وأخذ البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعّد والإخافة والتهدّد
 والرهبية ، وهو يعلم سفّهه ، ويطلع على خبثه ورهقه^(۴) ، ويعاين سكرانه^(۵) وفجوره
 وكفره ، لما تمكن - قاتله الله - فيما مكّنه منه ، ووظّاه له ، وعصى الله ورسوله
 فيه ، طلب بثارات المشركين وطوائليهم^(۶) عند المسلمين ، فأوقع بأهل المدينة في وقعة
 الحرّة^(۷) الواقعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ، ولا أفسّس مما ارتكب من
 الصالحين فيها ، وشفى بذلك عبداً^(۸) نفسه وغايله ، وظن أنه قد انتقم من أولياء الله ،
 وبلغ النوى^(۹) لأعداء الله ، فقال مجاهراً بكفره ، ومُظهِراً لشركه :

ليت أشياخي بيدٍ شهيدوا جزع الخزرَج من وقع الأمل
 قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدل^(۱۰)

(۱) انظر ص ۳۷ من الجزء الثاني .

(۲) وفي الطبى « والعاهر لا يضره غيره » .

(۳) هي بنت أبي سفيان ، وسفرت المرأة كضرب سفورا : كشفت عن وجهها .

(۴) الرهق : السفة والحق والمفة وركوب الشر والظلم وغشيان المحارم .

(۵) أى سكره . (۶) الطوائل ! جمع طائلة ، وهى النار .

(۷) انظر الجزء الثاني ص ۸۹ . (۸) العبد : الغضب .

(۹) انوى . الحاجة والوجه الذى تنويه وتقصده ، وفى ابن أبى الحديد « وبلغ النار » .

(۱۰) القرم : السيد .

لَأَهْلُوا واسْتَهْلُوا فَرَحًا ثم قالوا يا يزيد لا تشل^(۱)
 لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(۲)
 لعنت هاشم الملك ، فلا خبر جاء ولا وحى نزل^(۳)
 هذا هو المروق من الدين ، وقول من لا يرجع إلى الله ، ولا إلى دينه ، ولا إلى
 كتابه ، ولا إلى رسوله ، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله ، ثم من أغلظ
 ما انتهمك ، وأعظم ما اجترم ، سفك دماء الحسين بن علي ، وابن فاطمة بنت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، مع موقعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه منه ، ومنزلته
 من الدين والفضل ، وشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولأخيه بسيادة شباب
 أهل الجنة ، اجترأ على الله ، وكفرا بدينه ، وعداوة لرسوله ، ومجاهدة لعترته ،
 واستهانة بمحرمته ، فكأنما يقتل منه ومن أهل بيته قوماً من كفار أهل الترك
 والديلم ، لا يخاف من الله نعمة ، ولا يرقب منه سطوبة ، فبتر^(۴) الله عمره ، واجتث أصله
 وفرعه ، وسلبه ماتحت يده^(۵) ، وأعد له من عذابه وعقوبته ما استحقه من الله
 بمعصيته .

هذا إلى ما كان من بني مروان ، من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه ،
 واتخاذ مال الله دولا^(۶) بينهم ، وهدم بيته ، واستحلال حرامه ، ونصبهم المجانيق

(۱) هذا البيت والبيتان بعده من قول يزيد .

(۲) خندف: هي أم مدركة وطابحة وقعة (كركبة) أبناء إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

(۳) لقن كفرح : حفظ بالعجلة ، وفي الأصل « تاريخ الطبري » « لعنت هاشم بالملك » وهو تحريف
 وقد أصلحته كما ترى ، وربما كان « ولعت هاشم بالملك » بدون حرف .

(۴) بتره : قطعه ، والمعنى أماته حدثا في شرح شبابه ، فقد مات وهو ابن بضع وثلاثين سنة ،
 وفي ابن أبي الحديد « فبتر » والتبشير : الكسر والإهلاك ، واجتثه : قطعه .

(۵) فقد انتقلت الخلافة بعده إلى ابنه معاوية الثاني الذي لم يلبث في الخلافة إلا أربعين يوما ثم مات
 وانتقلت الخلافة إلى البيت الرواني .

(۶) جمع : دولة بالضم ، أى متداولا بينهم دون سائر المسلمين .

عليه ، وَرَمَيْهِمْ إِبَاهَ النَّيْرَانِ ، لَا يَأْلُونَ (١) لَهُ إِحْرَاقًا وَإِخْرَابًا ، وَإِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ مِنْهُ
اسْتِبَاحَةً وَاتِّهَاكًا ، وَإِنْ لَجَأَ إِلَيْهِ قِتْلًا وَتَنْكِيلًا ، وَإِنْ أَمَّهَ اللَّهُ بِهِ إِخَافَةً وَتَشْرِيدًا ،
حَتَّى إِذَا حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ ، وَاسْتَحَقُّوا مِنْ اللَّهِ الْإِنْتِقَامَ ، وَمَلَأُوا الْأَرْضَ
بِالْجُورِ وَالْعُدْوَانِ ، وَتَعَمَّوا عِبَادَ اللَّهِ بِالظُّلْمِ وَالْإِقْتِسَارِ (٢) ، وَحَلَّتْ عَلَيْهِمُ السَّخْطَةُ ،
وَنَزَلَتْ بِهِمْ مِنَ اللَّهِ السَّطْوَةُ ، أَتَاهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنْ عِتْرَةِ نَبِيِّهِ وَأَهْلِ وَرِاثَتِهِ مَنْ اسْتَخْلَصَهُمْ
مِنْهُمْ لِمُخْلَافَتِهِ ، مِثْلَ مَا أَتَاهُ اللَّهُ مِنْ أَسْلَافِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَبَائِهِمُ الْمُجَاهِدِينَ لِأَوَائِلِهِمْ
الْكَافِرِينَ ، فَسَفَكَ اللَّهُ بِهِمْ دِمَاءَهُمْ مَرْتَدِّينَ ، كَمَا سَفَكَ بِأَبَائِهِمْ دِمَاءَ آبَاءِ الْكُفْرَةِ
الْمُشْرِكِينَ ، وَقَطَعَ اللَّهُ دَابِرَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَمَكَّنَ اللَّهُ
الْمُسْتَضْعَفِينَ ، وَرَدَّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِ الْمُسْتَحَقِّينَ ، كَمَا قَالَ جَلَّ شَأْنُهُ : « وَنُرِيدُ أَنْ
نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ » .

واعلموا أيها الناس أن الله عز وجل إنما أمر ليُطَاعَ ، ومثل لِيَتَمَثَّلَ ، وَحَاكَمَ
لِيُقْبَلَ ، وَأَلْزَمَ الْأَخْذَ بِسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَتَّبَعَ ، وَأَنْ كَثِيرًا مِنْ ضَلَّ
فَالْتَوَى وَانْتَقَلَ مِنْ أَهْلِ الْجَهَالَةِ وَالسَّفَاهِ ، مِمَّنْ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ
دُونِ اللَّهِ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « قَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ » وَقَالَ : « إِنْ اللَّهُ لَعَنَ
الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا » وَقَالَ : « أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ »
فَانْتَهَوْا مَعَاشِرَ النَّاسِ عَمَّا يُسَخِّطُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، وَرَاجِعُوا مَا يُرْضِيهِ عَنْكُمْ ، وَارْضُوا مِنْ
اللَّهِ بِمَا اخْتَارَ لَكُمْ ، وَالزَّمُوا مَا أَمَرَكُمْ بِهِ ، وَجَانِبُوا مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَاتَّبِعُوا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ، وَالْحِجَّةَ الْبَيْتِيَّةَ ، وَالسُّبُلَ الْوَاضِحَةَ ، وَأَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ الَّذِينَ هَدَاكُمْ اللَّهُ بِهِمْ
بَدِيئًا (٣) ، وَاسْتَقْدَمَكُمْ بِهِمْ مِنَ الْجُورِ وَالْعُدْوَانِ أَخِيرًا ، وَأَصَارَكُمْ إِلَى الْخَلْفِضِ وَالْأَمْنِ
وَالعِزِّ بِدَوْلَتِهِمْ ، وَشَمِّدْكُمْ الصَّلَاحُ فِي أَدْيَانِكُمْ وَمَعَاشِكُمْ فِي أَيَّامِهِمْ ، وَالْعَنُوا مَنْ لَعَنَهُ
اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَفَارِقُوا مَنْ لَا تَنَالُونَ الْقُرْبَةَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بِفَارِقَتِهِ ، اللَّهُمَّ ائْتِنَا أَبَا سَفِيَانَ

(١) لَا يَأْلُونَ : أَي لَا يَقْصُرُونَ . (٢) الْإِقْتِسَارُ : الْقَهْرُ . (٣) أَي أَوْلَا .

ابن حرب ومعاوية ابنه ويزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وولده وولد ولده ،
 اللهم العن أئمة الكفر ، وقادة الضلالة ، وأعداء الدين ، ومجاهدي الرسول ، ومغيري
 الأحكام ، ومبدلي الكتاب ، وسفاحي الدم الحرام ، اللهم إنا نتبرأ إليك من موالاته
 أعدائك ، ومن الإغماض لأهل معصيتك كما قلت : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ » يأيها الناس ، اعرفوا الحق تعرفوا
 أهله ، وتأملوا سبيل الضلالة تعرفوا سابلها ، فإنه إنما يبين عن الناس أعمالهم ،
 ويُلحِقهم بالضلال والصلاح آبائهم ، فلا يأخذكم في الله لومة لائم . ولا يميلن بكم
 عن دين الله استهواه من يستهويكم ، وكيد من يكيدكم ، وطاعة من تُخرجكم طاعته
 إلى معصية ربكم . أيها الناس ، بنا هداكم الله ، ونحن المستحفظون فيكم أمر الله ،
 ونحن ورثة رسول الله ، والقائمون بدين الله ، فقفوا عند ما نقيكم عليه ، وأنذروا
 لما تأمركم به ، فإنكم ما أطعتم خلفاء الله وأئمة الهدى ، على سبيل الإيمان والتقوى ،
 وأمير المؤمنين يستعصم الله لكم ، ويسأله توفيقكم ، ويرغب إلى الله في هدايتكم
 لرشدكم ، وفي حفظ دينكم عليكم ، حتى تلقوه مستحقين طاعته ، مستحقين^(۱) لرحمته ،
 والله حسب أمير المؤمنين فيكم ، وعليه توكله ، وبالله على ما قلده من أموركم استعانته ،
 ولا حول لأمر المؤمنين ولا قوة إلا بالله ، والسلام عليكم .

وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة ۳۸۴ (۲) .

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۳۵۵ ، وشرح ابن أبي الحديد ۳ : ص ۴۴۲)

(۱) أي حاملين .

(۲) قال الطبري : « فخوفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطراب العامة . وأنه لا يأمن أن تكون
 فتنة ، فلم يلتفت إلى ذلك من قوله . وقال : « وذكر أن عبيد الله بن سليمان أحضر يوسف بن يعقوب
 القاضي وأمره أن يعمل الحيلة في إبطال ما عزم عليه المعتضد ، فضى يوسف بن يعقوب فكلم المعتضد في
 ذلك ، وقال له : يا أمير المؤمنين إنى أخاف أن تضرب العامة ويكون منها عند سماعها هذا الكتاب
 حركة ، فقال : إن تحركت العامة أو نطقت وضعت سبني فيها . فقال : يا أمير المؤمنين ، فما تصنع
 بالطالبيين الذين هم في كل ناحية يخرجون ويميل إليهم كثير من الناس لقرابتهم من الرسول وما ثرم ، وفي
 هذا الكتاب لإطراؤهم ، وإذا سمع الناس هذا كانوا إليهم أميل ، وكانوا هم أبسط السنة وأثبت حجة منهم
 اليوم ، فأمسك المعتضد فلم يرد عليه جوابا ، ولم يأمر في الكتاب بعده بشي . »

۲۵۸ - كتاب أم الشريف إلى ابن أخيها محمد

ابن أحمد بن عيسى

وفي سنة ۲۸۶ هـ أناخ المعتضد بجنده على « آمد^(۱) » ، وقد تحصن بها محمد بن أحمد ابن عيسى ، فبث المعتضد جيوشه حولها وحاصرها ، ووجه شُعلة بن شهاب اليشكري إليه ، ليأخذ بالحجة عليه ، فسار إليه ، واتصل الخبر بأم الشريف عمه محمد ابن أحمد ، فتحدثت إليه في أمر ابن أخيها ، ثم كتبت معه إليه كتاباً لطيفاً حسناً ، أجزلت فيه الموعدة ، وأخلصت فيه النصيحة .

وكتبت في آخره هذه الأبيات :

اقبل نصيحة أم قلبها وجع
عليك خوفاً وإشفاقاً وقل سدداً^(۲)
واستعمل الفكر في قولي ، فإنك إن
فكرت ألفت في قولي لك الرشد
ولا تثق برجال في قلوبهم
ضغائن تبعث الشنان والحسداً^(۳)
مثل النعاج خمول في بيوتهم
حتى إذا آمنوا ألفتهم أسداً
وداؤ ذلك والأدواء ممكنة
وإذ طبيبك قد ألقى إليك يدا
أعط الخليفة ما يرضيه منك ، ولا
تمنع مالا ولا أهلاً ولا ولدا
واردد أخاً يشكر رداً يكون له
ردياً من السوء ، لا تسمت به أحدا

فأخذ شعلة الكتاب وسار به إلى محمد بن أحمد ، فلما نظر فيه رمى به إليه ، ثم قال : يا أخا يشكر ، ما بآراء النساء تُسام الدول ، ولا بعقولهن يساس الملك ، ارجع إلى صاحبك ، فرجع إلى المعتضد وأخبره الخبر وأراه كتاب أم الشريف فأعجبه شعرها وعقلها .

(مروج الذهب ۲ : ۴۶۸)

(۱) آمد : مدينة من مدن ديار بكر . (۲) السد والسداد : الاستقامة .

(۳) الشنان بسكون النون وفتحها : البغض .

٢٥٩ - كتاب أم الشريف إلى المعتضد

فلما عضته الحربُ وجهه إلى المعتضد يطلب الأمان فأجابه إليه ، ثم وجه المعتضد
شعلة بن شهاب في طلب أم الشريف ، فلما رأته بكت وضربت بيدها على الأخرى
وقالت : يا شهاب ، كأنى والله كنت أرى ما أرى ، فإننا لله وإنا إليه راجعون !
فقال لها : إن أمير المؤمنين قد وجهني إليك ، وما ذاك إلا الحسن رأى منه فيك ،
فقلت له : فهل لك أن توصل إليه كتابي هذا بما قلت فيه ؟ قال : نعم ، فكتبتُ
إليه بهذه الأبيات :

قل للخليفة والإمام المرتضى رأس الخلائق من قريش الأبطح
بك أصلح الله البلاد وأهلها بعد الفساد وظلما لم تصلح^(١)
وتزحزحت بك قبّة العيز التي لولاك بعد الله لم تتزحزح
وأراك ربك ماتحِبُّ ، فلا ترى ما لا تحبُّ ، فجد بعفوك وأصفح
يا بهجة الدنيا وبدّر ملوكها هب ظالمى ومفسدى لمصلح
فسار بالكتاب إلى المعتضد فأعجبته الأبيات ، وأمر أن يحمل إليها نخوت^(٢)
من الثياب وجملة من المال ، وإلى ابن أخيها محمد بن أحمد مثل ذلك ، وشفعها في كثير
من أهلها ، ممن عظم جرمه ، واستحق العقوبة عليه (مروج الذهب ٢ : ١٤٦٩)

٢٦٠ - كتاب صاحب الشامة إلى بعض عماله

ومن كتاب صاحب الشامة الحسين بن زكرويه القرمطى^(٣) إلى بعض
عماله :

(١) أى من قريش التي تسكن أبطح مكة ، وهو مسيل وادبها .
(٢) النخوت : جمع نخت بالفتح ، وهو وعاء تصان فيه الثياب .
(٢) كان داعية قرمط رجلا يسمى زكرويه بن مهرويه ، فلما تنابح من المعتضد توجيه الجيوش إلى
من بسواد الكوفة من القرامطة ، وألح في طلبهم ، وأثنى فيهم القتل ، ورأى زكرويه أنه لا مدفع عن

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أحمد بن عبد الله المهدي المنصور بالله
الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله ، الحاكم بحكم الله ، الداعي إلى كتاب الله ، الذابُّ
عن حرَمِ الله ، المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، ومُذِلِّ
المنافقين ، خليفة الله على العالمين ، وحاصِدِ الظالمين ، وقاصِمِ المعتدين ، ومُبيِدِ المُلجِدِينَ ،
وقاتِلِ القاسِطِينَ^(۱) ، ومُهْلِكِ المفسدين ، وسِرَاجِ المُبصرين ، وضيَاءِ المُستضيئين ،
ومُشَدِّتِ المخالفين ، والقِيَمِ بسُنَّةِ سيد المرسلين ، وولد خير الوصِيِّين ، صلى الله عليه
وعلى أهل بيته الطيبين ، وسلم كثيراً ، إلى جعفر بن حميد الكُرْدِي :

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على
جَدِّي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أما بعدُ : فقد أُنهَيْتَ إلينا ما حدث قبلك
من أخبار أعداء الله الكفرة ، وما فعلوه بناحيتك ، وأظهروه من الظلم والعيث^(۲)
والفساد في الأرض ، فأعظَمْنَا ذلك ، ورأبْنَا أن نُنفِذَ إلى ما هناك من جيوشنا من
ينتقم الله به من أعدائه الظالمين ، الذين يسعون في الأرض فساداً ، وأنفذنا « عَطَائِرًا »
دَاعِيَتَنَا وجماعةً من المؤمنين إلى مدينة حِمْص ، وأمددناهم بالعساكر ، ونحن في إثرهم ،

= أقسم عند أهل السواد ولاغناء ، سعى في استغواء من قرب من الكوفة من أعراب أسدوطني ، وتيم
وغيرهم من قبائل الأعراب ، ودعاهم إلى رأيه ، وزعم لهم أن من بالسواد من القرامطة يطابقتهم على أمره
إن استجابوا له ، فلم يستجيبوا له .

وكانت جماعة من « كلب » تخفر الطريق على البر بالسموة ، فيما بين الكوفة ودمشق على طريق
تدمر وغيرها ، وتحمل الرسل وأمتعة التجار على لابلها ، فأرسل زكرويه وأولاده إليهم ، فبايعوه وخالطوهم
وانتموا إلى علي بن أبي طالب ، وإلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وذكروا أنهم خائفون من السلطان ،
وأنهم ملجئون إليهم ، فقبلوهم على ذلك ، ثم دبوا فيهم بالدعاء إلى رأى القرامطة فلم يقبل ذلك أحد من
إلا الفضل المعروف ببني العلي بن ضمضم بن عدي بن جناب ومواليهم خاصة ، فبايعوا
في آخر سنة ۲۸۹ بناحية السماوة ابن زكرويه المسمى ببيعي ، ثم قتل في بعض الوقعات ، فنصبوا أخاه الحسين
ابن زكرويه ، وزعم لهم أنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وأظهر شامة في وجهه
ذكر أنها آيته ، فعرف بصاحب الشامة : وظهر على جند حمص وغيرها من أرض الشام ، وتسمى بإمرة
المؤمنين على منابرهما ، وكان ذلك سنة ۲۸۹ وسنة ۲۹۰ - انظر تاريخ الطبري ۱۱ : ۳۷۷ .

(۱) أي الجائرين .

(۲) العيث : الإفاد .

وقد أوعزنا إليهم في المصير إلى ناحيتك ، لطلب أعداء الله حيث كانوا ، ونحن نرجو أن يجربنا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا في أمثالهم ، فينبغي أن تشد قلبك وقلوب من معك من أوليائنا ، وثق بالله وبنصره الذي لم يزل يعوّدنا في كل من مرق عن الطاعة ، وانحرف عن الإيمان ، وتبادر إلينا بأخبار الفاحية وما يتجدد فيها ، ولا تخف عنا شيئا من أمرها إن شاء الله ، سبحانك اللهم وتحييتهم فيها سلام ، وآخر دعواتهم أن الحمد لله رب العالمين ، ، وصلى الله على جدّي محمد رسول الله وعلى أهل بيته وسلم كثيرا .

(تاريخ الطبري ۱۱ : ۳۸۴)

۲۶۱ - كتاب بعض عماله إليه

وهذه نسخة كتاب عامل له إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله أحمد الإمام المهدي المنصور بالله (ثم الصدر كله على مثال صدر كتابه السابق إلى قوله : وعلى أهل بيته الطيبين وسلم كثيرا) ثم بعد ذلك :

من عامر بن عيسى العنقائي .

سلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، أما بعد : أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام عزّه وتأييده ، ونصره وسلامته ، وكرامته ونعمته وسعادته ، وأسبغ نعمة عليه ، وزاد في إحسانه إليه ، وفضله لديه .

فقد كان وصل كتاب سيدي أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - يعلمني فيه ما كان من نفوذ بعض الجيوش المنصورة مع قائد من قواده إلى ناحيتنا ، لمجاهدة أعداء الله بنى الفصيص ، والخائن ابن دحيم ، وطلبهم حيث كانوا ، والإيقاع بهم وضياعهم ، ويأمرني - أدام الله عزه - عند نظري في كتابه ، بالهوض في كل من قدّرت عليه من أصحابي وعشائري ، للقاءهم ومكانة الجيش ومعاضدتهم ، والمسير

بسيرهم ، والعمد إلى كل ما يؤمّنون إليه ويأمرون به ، وفهيمته ، ولم يصل إلى هذا الكتاب — أعزّ الله أمير المؤمنين — حتى وافت الجيوش المنصورة ، فنالت طرفاً من ناحية ابن دُحيم ، وانصرفوا بالكتاب الوارد عليهم من مسرور بن أحمد الداعية ، ليلقوه بمدينة « أفامية ^(۱) » ثم ورد على كتاب مسرور بن أحمد في درج ^(۲) الكتاب الذي اقتصصت ما فيه في صدر كتابي هذا ، يأمرني فيه بجمع من تهباً من أصحابي وعشيرتي ، والنهوض إلى ما قبله ، ويحذّرني التخلّف عنه ، وكان ورود كتابه على وقت صحّ عندنا نزول المارق سُبك عبد مُفليح مدينة « عرقة ^(۳) » في زهاء ألف رجل ، ما بين فارس وراجل ، وقد شارف بلدنا ، وأطال على ناحيتنا ، وقد وجه أحمد ابن الوليد عبد أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — إلى جميع أصحابه ، ووجهت إلى جميع أصحابي ، فجمعناهم إلينا ، ووجهنا العميون إلى ناحية « عرقة » لنعرف أخبار هذا الخائن ، وأين يريد؟ فيكون قصدنا ذلك الوجه ، ونرجو أن يُظفر الله به ، ويُمكن منه ، بمنه وقدرته ، ولولا هذا الحادث ، ونزول هذا المارق في هذه الناحية ، وإشرافه على بلدنا ، لَمَا تأخرت في جماعة أصحابي عن النهوض إلى مدينة « أفامية » لتكون يدي مع أيدي القواد المقيمين بها ، لمجاهدة من بقلك الناحية ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، وأعلمت سيدي أمير المؤمنين — أطال الله بقاءه — السبب في تخلفي عن مسرور بن أحمد ، ليكون على علم منه ، ثم إن أمرني — أدام الله عزه — بالنزول إلى « أفامية » ، كان نفوذى برأيه ، وامثلت ما يأمرني به إن شاء الله ، أتمّ الله على أمير المؤمنين نعمه ، وأدام عزه وسلامته ، وهنأه كرامته ، وألبسه عفوه

(۱) أفامية : مدينة من سواحل الشام و كورة من كور حمص .

(۲) درج الكتاب : طيه وداخله ، يقال في درج الكتاب كذا و كذا .

(۳) عرقة : بلدة في شرق طرابلس الشام ، بينهما أربعة فراسخ وهي آخر عمل دمشق ، في

سفع جبل .

وعافيته والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، والحمد لله رب العالمين ،
وصلى الله على محمد النبي وعلى أهل بيته الطاهرين الأخيار .

(تاريخ الطبرى ۱۱ : ۳۸۴)

۲۶۲ - كتاب محمد بن سليمان الكاتب إلى القاسم بن عبيد الله

وفي سنة ۲۹۱ هـ وجّه القاسم^(۱) بن عبيد الله وزير المكتفى بالله^(۲) محمد بن سليمان
الكاتب - وكان إليه ديوان الجيش - وضمّ جميع القواد إليه لمناهضة ذى الشامة
وأصحابه ، فالتقوا به قرب « حماة » ، وهُزِم أصحاب القرمطى وقتلوا ، وأسر من
رجالهم بشر كثير ، وتفرق الباقون في البوادي .

وكتب محمد بن سليمان إلى الوزير بالفتح :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، قد تقدمت كتبى إلى الوزير - أعزه الله -
في خبر القرمطى اللعين وأشياعه ، بما أرجو أن يكون قد وصل إن شاء الله . »

(تاريخ الطبرى ۱۱ : ۳۸۶)

۲۶۳ - كتاب ابن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله

وكتب عبد الله بن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله يعقذر .

« ترفع - أعزك الله - عن ظلمى إن كنتُ بريئاً ، وتفضل بالعدو عني إن
كنتُ مسيئاً ، فوالله إني لأطلبُ غفر ذنبٍ لم أجنيه ، والتمس الإقالة مما لا أعرفه ،
لتزداد تطوّلاً ، وأزدادَ تدلُّلاً ، وأنا أعيدُ حالى عفدك بكرمك من واثٍ يكيدها ،

(۱) استوزره المعتضد بعد وفاة أبيه عبيد الله بن سليمان بن وهب سنة ۲۸۸ ، انظر خبره في الفخرى

ص ۲۳۲ ، ومروج الذهب .

(۲) هو أبو محمد علي بن المعتضد ، ولى الخلافة بعد موت أبيه سنة ۲۸۹ ، وتوفى سنة ۲۹۵ .

وأحرُسُها بوفائِكَ من باغٍ يَحاوِلُ إفسادَها ، وأسألُ اللهَ تعالى أنْ يجعلَ حظِّي منك بقدرِ وِدِّي لك ، ومحلِّي من رجائِكَ بحيثُ أستحقُّ منك .

(زهر الآداب ١ : ٢٠٨ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٢)

٢٦٤ - كتاب ابن المعتز إلى القاسم

وله إليه :

« لو كان في الصمت موضع يسع حالي ، خلفت عن سمع الوزير ونظره ، ولم أشغل وجهها من فكره ، وما زالت الشكوى تُعرب عن لسان البلوى ، ومن اختلت حالته ، كان في الصمت هلكته ، وقد كان الصبر ينصرني على ستر أمري حتى خذلني .

(زهر الآداب ١ : ٢٠٨)

٢٦٥ - كتابه إلى بعض الرؤساء

وله إلى بعض الرساء :

« لا تشن حن الظفر بقبح الانتقام ، وتجاوز عن مذنب لم يسلك بإقرار طريقا ، حتى اتخذ من رجاء عفوك رفيقا .

(زهر الآداب ١ : ٢٠٧ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٣)

٢٦٦ - كتابه إلى عليل

وكتب إلى عليل :

« أذن الله في شفائك ، وتلقى داءك بدوائك ، ومسح بيد العافية عليك ، ووجه وافد السلامة إليك ، وجعل علتك ماحيةً لذنوبك ، مضاعفةً لثوابك .

(زهر الآداب ١ : ٢٠٧ ، والأوراق للصولي ٢ : ٢٩٠)

٢٦٧ - كتاب ابن المعتز إلى بعض الوزراء

وكتب إلى بعض الوزراء :

« ما زال الحامد لنا عليك أيها الوزير بِنَصِبِ الجبائل ، ويطلبُ الفوائل ، حتى انتهز فرصته ، وأبلغك شيئاً زخرفه ، وكذباً زوره ، وكيف الاحتراسُ ممن أخضر وَيَغيب ؟ ويقول وأُمسِك ؟ مُرْتَصِدٍ لا يَفْعَل ، وما كَرِهَ لا يَفْتُر ، وربما استنصَح الفاشئ ، وصدَّق الكاذب ، والحظوةُ لا تُدْرِك بالحيلة ، ولا يجرى أكثرها على حسب السبب والوصيلة » .

٢٦٨ - رده عليه

فأجابه :

« حصولُ الثمة بك - أعزك الله - يُغني عن حضورك ، وصدقُ حالك محتجٌ عنك ، وما تقرَّر عندنا من نيتك وطويتك يُغني عن اعتذارك » .
(زهر الآداب ٣ : ٢٠٤)

٢٦٩ - كتاب قينة إلى ابن المعتز

قال أبو العباس بن المعتز : كان لنا مجلس حظاً ، أرسلتُ بسببه خادمةً إلى قينة^(١) ، فأجابت ، فلما مرت في الطريق وجدت فيه حارساً حرامياً^(٢) ، فرجعت ، فأرسلتُ أعاقبها . فكتبتُ إلى :

« لم أتخلف عن المسير إلى سيدي في عشيتي أمس ، لأرى وجهه المبارك ، وأجيب دعاءه ، إلا لِعِلَّةٍ قد عرفتها فلاته ، ثم خفتُ أن يسبق إلى قلبه الطاهر أنى قد تخلفتُ

(١) القينة : الجارية المغنية أو أعم .

(٢) نسبة إلى حرام : وهي قبيلة من بني سليم ، وقبيلة من بني سعد بن بكر .

بغير عذر ، فأحبيتُ أن تقرأ عذري بخيالي ، ووالله ما أقدرُ على الحركة ، ولا شيء
أسرُّ إلى من رؤيتك والجلوس بين يديك ، وأنت يا مولاي جاهي وسفدي ، لافقدت
سفدي ، ورأيتك في بسطِ العذرِ مؤقفاً ، وكتبت في أسفل الكتاب .

أليس من الحرمان حظُّ سلبته وأحوجني فيه البلاء إلى العذر ؟
فصبراً ، فما هذا بأوّلِ حادثٍ رمّنتني به الأقدار من حيث لا أدري

۲۷۰ - رده عليها

فأجبتُها :

« كيف أردتُ عذراً من لانتسلط التهمة عليه ، ولا تهتدي الموجدة (۱) إليه ،
وكيف أعلمه قبولَ المعاذير ، ولا آمنُ بعضَ جواهره إلى يسيرٍ إلى انتهازِ فرصةٍ
فيما عاد إلى الفرطة (۲) ، فإن سلّمتُ من ذلك ، فمن يجردني من تواكله على تقديم
العذر ، ووقوعه موقعَ التصديق في كل وقت ، فتتصل أيام الشغل والعلّة ، وتنقضي
أيام الفراغ والصحة ، فتطول مدة الغيبة ، وتدرُس آثار المودة » ، وكتبت
آخر الرقعة .

إذا غبتِ لم تعرف مكاني لذةٌ ولم يلق نفسي لهرها وسرورها
وبدلت سماها واهياً غير ممسكٍ لقول ، وعينا لا يراني ضميرها
(زهر الآداب ۳ : ۲۰۳)

(۱) الموجدة : الغضب .

(۲) الفرطة : اسم للخروج والتقدم ومجاوزة الحد .

٢٧١ - كتاب ابن المعتز إلى بعض إخوانه يصف سر من رأى

وكتب عبد الله بن المعتز إلى بعض إخوانه يصف سر من رأى، ويذكر
خرابها، ويذم بغداد وأهلها، ويفضل سامرا^(١) :
« كتبت إليك من بلدة قد أنهض^(٢) الدهر سُكَّانها ، وأقعد جدرانها ،
فشاهدُ اليأس فيها ينطق ، وحبُّبلُ الرجاء فيها يقصر ، فكانَ عمرانها يُطوى ،
وكانَ خرابها يُنشر ، وقد وُكِّلتُ إلى الهَجْرِ نواحيها ، واستُجِثَّ باقيها إلى فانيها ،
وقد تمزقتُ بأهلها الديار ، فما يجب فيها حقُّ جوار ، فالظاعن^(٣) منها ممحُوُّ الأثر ،
والمقيمُ بها على طرفِ سفر ، نهاره إزجاف^(٤) ، وسروره أحلام ، ليس له زاد فيرحل ،
ولا مرعى فيرتع ، فحالها تصيفُ للعيون الشكوى ، وتشيرُ إلى ذم الدنيا ، بعد ما كانت
بالمرأى القريبِ جنة الأرض ، وقرارَ الملك ، تفيضُ بالجنود أقطارها ، عليهم أوديةُ
السيوف ، وغلائل^(٥) الحديد كأن رماحهم قرون الوُعول ، ودروعهم زبد السُّيول ،
على خيل تأكل الأرض بحوافرها ، وتمدُّ بالنقع^(٦) سرادقها ، قد نُشِرتْ في وجوهها
غَرَر^(٧) كأنها صحائف البرق ، وأمسكها تحجيل^(٨) كأنه أسورة اللجين ،
وقرطت^(٨) عذرا كالشنوف ، في جيش يتلقفُ الأعداء أوائله ، ولم تنهض أوخره ،

-
- (١) لغة في سر من رأى ، وقد قدمنا كلمة هنا في ص ١٣٤ .
(٢) أي أنهضهم للرحيل .
(٣) أي المسافر الراحل .
(٤) أرجفوا : خاضوا في أخبار الفتن ونحوها .
(٥) الغلائل جمع غلالة بالكسر : وهي الشعار الذي يلبس تحت الثياب مما يلي الجسد ، والوعول جمع
وعل كشمس وكتف : وهو تيس الجبل .
(٦) النقع : الفبار .
(٧) الفرر جمع غرة بالضم : وهي بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم ، والتحجيل : بياض في قوا
الفرس ، واللجين : الفضة .
(٨) العذرجع عذار ككتاب : وهو من العجم . اسال على خد الفرس : وقرط الجارية : ألبسها القرط ،
والشنوف جمع شنف بالفتح : وهو القرط الأعلى .

وقد صبَّ عليه وقارُ الصبر ، وهبَّت له روائحُ النصر ، بصرفه ملك يملأ العيونَ
 جمالا والقلوبَ جلالا ، لا تُخلفُ تخيلته (١) ، ولا تنقضُ مَريرته ، ولا يُخطئُ بسهم
 الرأي غرضَ الصواب ، ولا يَقطعُ بمطايا اللهُو سَفَرَ الشَّباب ، قابضا بيد السياسة على
 قِطار (٢) ملك لا ينتشر حبله ، ولا تتشظى عصاه ، ولا تطفأ جمرته ، في سِنِّ شبابٍ
 لم يحنِ مَأْتَمًا ، وشيَّب لم يراهق (٣) هرما ، قد فرَّش مهادَ عدله ، وخفَّض جناح
 رحمته ، راجعا بالعواقب الظنون ، لا يطيش ، عن قلب فاضل الحزم ، بعيد العزم ،
 ساعيا على الحق يعمل به ، عارفا بالله يقصد إليه ، مُقرا للعلم ويَبذله ، قادرا على العقاب
 وبعدل فيه ، إذ الناس في دهر غافل ، قد اطمانت بهم سيرة (٤) لينة الحواشي ، خشنة
 المرآم ، تطير بها أجنحةُ السرور ، ويهبُّ فيها نسيمُ الحبور (٥) ، فالأطراف على مسررة
 والنظرة إلى مبرة ، قبل أن تخبَّ (٦) مطايا الغير ، وتُسفر وجوهَ الحذر ، وما زال
 الدهر مليئا بالنواب ، طارقا بالمعائب ، يؤمن بومه ، ويغدر غده .

على أنها - وإن جفيت - معشوقةُ الشكوى ، حميدةُ المثوى (٣) ، كوكبها
 يقظان ، وجوؤها عريان (٨) ، وحصباؤها جوهر ، ونسيمها معطر ، وترابها مسك
 أذفر (٩) ، ويومها غداة ، وليلها سحر ، وطعامها هنيء ، وشرابها مريء ، وتاجرها
 مالك ، وفقيرها فانك (١٠) ، لا كبعدادكم الوسخة السماء ، الومدة (١١) الهواء ، جوها

(١) الخيلة : الظن ، والمريرة : العزيمة .

(٢) القطار في الأصل : أن تقطر الإبل بعضها إلى بعض على نسق واحد ، وتشظى العود : تطاير
 شظايا جمع شظية كغنية : وهي الفلقة (بالكسر) من العصا ونحوها .

(٣) أي ولم يقارب الهرم والشيوخوخة ، يقال : دخل مكة راهقا : أي مقاربا لآخر الوقت حتى كاد
 يفوته التعريف ، وراهق الغلام : قارب الحلم .

(٤) السيرة بالكسر : اسم من السير أي الذهاب . (٥) الحبور : السرور .

(٦) الخبب بالتحريك : ضرب من العدو وبابه رد ، وسفرت المرأة كضرب : كشفت عن وجهها .

(٧) المثوى : المنزل . (٨) أي صحوخلو من الفيوم .

(٩) مسك أذفر وذفر كفرح : جيد إلى الغاية ، من الذفر بالتحريك : وهو شدة ذكاه الريح ، والغداة :
 البكرة ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس .

(١٠) فنك بالمكان كنعصر : أقام به ، أي أنه ، لا يرحل عنها إلى سواها ، إذ يجذبها ما يسد عوزها .

(١١) الومد بالتحريك : أن نسكن الريح مع شدة الحر .

نار ، وأرضها خبار^(۱) ، وماؤها حميم ، وترابها سرجين ، وحيطانها نزور^(۲) ،
 وتشرينها تموز ، فكم من شمسها من محترق ، وفي ظلها من غرق ، ضيقة الديار ،
 قاسية الجوار ، ساطعة الدخان ، قليلة الصيفان ، أهلها ذئاب ، وكلامهم سباب ،
 وسائلهم محروم ، ومالهم مكتوم ، لا يجوز إنفاقه ، ولا يحل خنأقه^(۳) ، حشوشهم
 مسایل ، طرقهم مزابل ، وحيطانهم أخصاص ، وبيوتهم أقفاص ، ولكل مكروه
 أجل ، وللبقاع دول ، والدهر يسير بالتميم ، ويمزج البؤس بالنعيم ، وبعد اللجاجة
 انتهاء : والهم إلى فرجة ، ولكل سائلة قرار ، وبالله أستعين . وهو الحمود على
 كل حال .

غَدَتْ سُرًّا مَنْ رَا فِي الْعَفَاءِ ،

« قَفَا نَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ (۴) »

وأصبح أهلها شبيهاً بحالها « لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَمَالٍ (۵) »
 إذا ما مرو منهم شكا سوء حاله « يَقُولُونَ لِاتَّهَلِّكَ أَسَى وَتَجَمَّلِ »
 (معجم البلدان ۵ : ۱۸ و ۲ : ۲۴۱ وزهر الآداب ۱ : ۲۰۷)

- (۱) الخبار : ملان من الأرض واسترخى ، والحميم : الماء الحار ، وفي رواية « وماؤها طين »
 والسرجين والسرقين بكسرهما : الزبل .
 (۲) النز بالفتح وبكسر : ما يتعلب من الأرض من الماء ، وتشرين وتموز : شهران من الشهور
 الرومية ، وتشرين من أشهر البرد (يبتدى تشرين الثاني من ۱۴ نوفمبر) وتموز من أشهر الحر (يبتدى
 من ۱۴ يوليو) .
 (۳) الخناق : الحبل يخلق به ، والحشوش جمع حش مثل الماء : وهو الكنيف ووضع
 قضاء الحاجة .
 (۴) الأقطار الثانية في الأبيات الثلاثة مقتبسة من معلقة امرئ القيس المشهورة ، والعفاء :
 الدروس والاعمال .
 (۵) الشمال : ربيع الشمال .

٢٧٢ - كتاب ابن المعتز إلى أحمد بن سعيد الدمشقي

وكتب ابن المعتز إلى أحمد^(١) بن سعيد الدمشقي جوابا عن كتاب استزاده فيه :

« قَيْدُ نَعْمَتِي عِنْدَكَ بِمِثْلِ مَا كُنْتَ اسْتَدْعَيْتَهَا بِهِ ، وَذُبُّ عَنْهَا أَسْبَابَ سُوءِ الظَّنِّ . وَاسْتَقْدِمُ مَا تَحِبُّ مِنِّي بِمَا أَحِبُّ مِنْكَ » .

(معجم الأدباء ٣ : ٤٩ وزهر الآداب ٢ : ١٨١)

٢٧٣ - كتاب آخر إليه

وكتب إليه جوابا عن اعتذار كان من الدمشقي ، في شيء بلغ ابن المعتز عنه :
« وَاللَّهِ لَا قَابِلَ إِحْسَانِكَ مِنِّي كُفْرًا ، وَلَا تَبِعَ إِحْسَانِي إِلَيْكَ مَنًّا ، فَلَاكَ عِنْدِي يَدٌ لَا أَقْبِضُهَا عَنْ نَفْعِكَ ، وَأُخْرَى لَا أَبْسُطُهَا إِلَى ظَلَمِكَ ، فَتَجَنَّبْ مَا يُسْخِطُنِي ، فَإِنِّي أَصُونُ وَجْهَكَ عَنْ ذُلِّ الْعِذَارِ » .

(معجم الأدباء ٣ : ٤٩ وزهر الآداب ٢ : ١٨١)

٢٧٤ - كتاب إلى عبد الله بن شبيب من صديق له

وحدث عبد الله بن شبيب قال : كتب إلي بعض إخواني من البصرة - وقد تأخر كتابي عنه - كتابا أوجز فيه ، وملح :

« أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ كَمَا أَطَالَ جَفَاءَكَ ، وَجَعَلَنِي فِدَاءَكَ إِنْ كَانَتْ فِي فِدَاؤِكَ .

كُتِبَتْ وَلَوْ قَدَّرْتُ هَوَىٰ وَشَوْقًا إِلَيْكَ لَكُنْتُ سَطْرًا فِي السِّكِّتَابِ (٢) »

(أدب الكتاب ص ١٥٣)

(١) كان مؤدب ولد المعتز ، واختص بعبد الله بن المعتز ، مات سنة ٣٠٦ ، انظر ترجمته في معجم الأدباء ٣ : ٤٦ ، وفي زهر الآداب « أحمد بن محمد » وهو تحريف .

(٢) البيت لأبي تمام .

۲۷۵ - كتابه إلى محمد بن طيفور من بعض إخوانه

وورد على محمد بن طيفور ، وهو عامل على أصفهان كتاب من بعض إخوانه
في شأن رجل استماحه له في منزله :

« أنت - أعزك الله تعالى - أجلُّ من أن يُتوسَّلَ بفيرك إليك ، وأن يستماحَ
جودك إلا بك ، غيرَ أني أذكرك بكتابي في أمرٍ حامِله ما شرَّعَ كرمك ، وزرَّعَ
إحسانك ، من الأجرِ قِبَلِ الصادرين والواردين ، فهَنَّاكَ اللهُ تعالى ذلك ، ولا زالت
يدُ الله بجميل إحسانه ونعمته متواترةً عليك . »

فقال محمد للرجل : احتسبكم لك وله ، فأخذ منه ألف دينار ولمن كتب إليه فيها مثلها .
(زهر الآداب ۳ : ۲۹۶)

۲۷۶ - كتاب إلى محمد بن طيفور من بعض خاصته

وكتب محمد بن طيفور لبعض خاصته بمال كثير وصله به ، فكتب
الرجل إليه :

« قد استغرقتُ نعمتكَ وجوه الشكر لك ، وغررَ الحمد فيما سلف ، ولولا فرطُ
عجزٍ من عجزٍ عن كُفٍّ ما يجب لك من الحمد ، لقبِلتُ ما أنفَذتَه . »

۲۷۷ - رده عليه

فكتب إليه محمد :

« قد صَغَّرَ شُكْرُكَ لَنَا ما أسلفناه إليك ، نَحْذُ ما أنفَذناه ثواباً عن معرفتك
بشكر ما أسديناه ، وإلا سَمَحَ شُكْرُكَ بما رأيناك له أهلاً ، إلى أن يسع قبولُ مثلك
ما يستحقُّ به جميل الدعاء ، وجزيل الثناء ، إن شاء الله تعالى . »

(زهر الآداب ۳ : ۲۹۷)

٢٧٨ - كتاب صاحب البريد بالدينور

قال الطبري : وفي سنة ٣٠٠ هـ ورد كتاب صاحب البريد بالدينور^(١) يذكر أن بغلة هناك وضعت فلوة^(٢) ، ونسخة كتابه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الموقظ بعبره قلوب الغافلين ، والمرشد بآياته ألباب العارفين ، الخالق لما يشاء بلا مثال ، ذلك الله الباري المصور في الأرحام ما يشاء ، وإن الموكّل بخبر التطواف بقرّ ماسين رفع يذكر أن بغلة لرجل يُعرف بأبي برودة من أصحاب أحمد بن علي المرّمي وضعت فلوة ، ويصف اجتماع الناس لذلك ، وتعجبهم لما عاينوا منه ، فوجهت من أحضرتني البغلة والفلوّة ، فوجدت البغلة كمتاء^(٣) خلوقيّة ، والفلوّة سويّة الخلق^(٤) ، تامة الأعضاء ، مُسدلة الذنب ، سبحان الملك القدوس ، لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب . »

(تاريخ الطبري ١٢ : ٢١)

٢٧٩ - كتاب علي بن الفرات عن المقتدر في المواريث

وفي سنة ٣١٦ مات أحمد بن محمد بن خالد الكاتب - وكان من مشايخ الكتاب ورؤسائهم - وخلف ورثة أجداننا ، فأُنهي^(٥) كثرة ما خلف من المال إلى المقتدر^(٦) ،

(١) دينور : مدينة من أعمال الجبل بفارس ، بقرب قرماسين .

(٢) الفلو بالكسر وكعدو وسمو : المهر .

(٣) الكمتة بالضم : لون بين السواد والحمره يكون في الخيل والإبل وغيرهما ، والكميت من الخيل كزبير يستوى فيه الذكر والمؤنث ، قال في اللسان : والجمع كمت بالضم كسروه على مكبره التوهم وإن لم يلفظ به ، لأن الملونة يفلب عليها هذا البناء الأحمر والأشقر ، قال طفيل :

وكتنا مدماة كأن متونها جرى فوقها واستشعرت لون مذهب

والخلوقية : نسبة إلى الخلق كصبور : طيب يتخذ من الزعفران وغيره من أنواع الطيب وتغلب عليه الحمره والصفرة ، والمعنى : تشبه الخلق في لونه .

(٤) أي مستوية الخلق معتداته . (٥) أنهى الشيء : أبلغه .

(٦) ولي أبو الفضل جعفر المقتدر بالله بن المعتضد الخلافة سنة ٢٩٥ وقتل سنة ٣٢٠ .

(٢٣ - جبهة رسائل العرب - رابع)

فأمر بالتوكيل بِمَخْزَانَتِهِ وِدَارِهِ ، فَسَارَ بَعْضُ الْوَرِثَةِ إِلَى الْمَحْسَنِ بْنِ عَلِي بْنِ الْفَرَاتِ ، وَضَمِنُوا لَهُ مَالًا ، عَلَى إِزَالَةِ التَّوَكِيلِ وَحَلِّ الْعَقْدِ ، فَكَلَّمَ الْمَحْسَنُ أَبَاهُ فِي ذَلِكَ (وَكَانَ أَبُوهُ وَزِيرًا^(١) الْمَقْتَدِرِ إِلَى الْمَقْتَدِرِ) فَقَالَ لَهُ : إِنْ الْمَعْتَصِدُ وَالْمَسْكُوفِيُّ قَدْ كَانَا قَطْعًا الدَّخُولَ عَلَى النَّاسِ فِي الْمَوَارِيثِ ، وَأَنَا أَرَى لِمَوْلَايَ أَنْ يُحْيِيَ رِسُومَهُمَا ، وَأَنْ يَأْمُرَ بِإِثْبَاتِ عَهْدٍ أَلَّا يُتَعَرَّضَ لِأَحَدٍ فِي مِيرَاثٍ ، فَأَجَابَهُ الْمَقْتَدِرُ إِلَى ذَلِكَ ، إِذْ ظَنَّ أَنَّهَا نَصِيحَةٌ مَوْهَةٌ ، فَسَلَّمَتِ الذَّارِ إِلَى وَرِثَةِ السَّكَّاتِ ، وَأَنْشَأَ ابْنُ الْفَرَاتِ كِتَابًا عَنِ الْمَقْتَدِرِ ، نَسَخْتَهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمَقْتَدِرَ بِاللَّهِ يُؤَثِّرُ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا مَا قَرَّبَهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَاجْتَلَبَ لَهُ جَزِيلَ مَثُوبَتِهِ ، وَوَسَّعَ رَحْمَتَهُ وَوَحَّصَتْهُ ، الْعَائِدَةَ حَتَّى كَافَرَتْ عَيْتَهُ ، كَمَا جَعَلَ اللَّهُ فِي طَبْعِهِ ، وَأَوْلَجَ فِي بَيْتِهِ ، مِنْ التَّعَطُّفِ عَلَيْهَا ، وَإِصْلَاحِ الْمَنَافِعِ إِلَيْهَا ، وَإِبْطَالِ رِسُومِ الْجُورِ الَّتِي كَانَتْ تُعَامَلُ بِهَا ، جَارِيًا مَعَ أَحْكَامِ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ ، عَامِلًا بِالْآثَارِ عَنِ الْأَفْضَلِ مِنَ الْأَثَمَةِ ، وَعَلَى اللَّهِ يَتَوَكَّلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِلَيْهِ يَفُوضُ ، وَبِهِ يَسْتَعِينُ . »

(تاريخ الطبري ١٢ : ٦٠)

٢٨٠ - كتاب الوزير بن مقلة إلى القواد والعمال

ومن حوادث سنة ٣١٨ الإيقاع بمجد الرِّجَالَةِ الْمَصَافِيَّةِ^(٢) ببغداد ، وقد كتب الوزير محمد بن علي بن مقلة فيهم بعد قهرهم نسخة أنفذت إلى القواد والعمال ، وهي :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، قَدْ جَرَى - أَعَزَّكَ اللَّهُ - مِنْ أَمْرِ الرِّجَالَةِ الْمَصَافِيَّةِ

(١) وزير أبو الحسن علي بن الفرات للمقتدر ثلاث مرات وقتل سنة ٣١٢ - انظر ترجمته في الفخرى ص ٢٣٩ وتاريخ الطبري ١٢ : ٢٠ .

(٢) نسبة إلى المصاف جمع مصف : وهو الموقف في الحرب الذي يكون فيه الصفوف ، وقد كان هؤلاء الرِّجَالَةُ فِي صَفُوفِ جَرَسِ الْمَخْلَافَةِ ، وَتَدُلُّ لِقَوَادِمِهِمْ عَلَى الْخَلِيفَةِ وَعَلَى الْوَزِيرِ حَتَّى كَانَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَمْتَنِعَ عَنْ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي أَى وَقْتٍ جَاءَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ ، وَلَا يَرُدُّ عَنْ حَاجَةٍ كَائِنًا مَا كَانَتْ ، وَتَحْكَمُوا عَلَى الْقَضَاءِ ، وَطَالِبُوهُمْ بِحُلِّ الْحَبَاسَاتِ وَإِخْرَاجِ الْوُقُوفِ مِنْ أَيْدِيهِمْ ، وَكَتَفُوا الْجَنَائِدَ ، وَعَطَلُوا الْأَحْكَامَ ، وَاسْتَطَالُوا عَلَى الْمَلِكِينَ .

بالحضرة ما قد اتصل بك ، وعرفت جملة وتفصيلاً ، وجهته وسبيله ، وقد خار الله عز وجل لسيدنا أمير المؤمنين وللناس بعده ، بما تهياً من قمعهم وردعهم ، خيرة ظاهرة متصلة بالكفاية الشاملة التامة ، بمن الله وفضله ، ولم ير سيدنا - أيده الله - استصلاح أحد من هذه العصابة إلا السودان ، فإنهم كانوا أخف جنايةً ، وأيسر جريرةً ، فرأى - أعلى الله رأيه - إقرارهم على أرزاقهم القديمة ، وتصفييتهم بالمرض على المحنة ، لعله أن العساكر لا بد لها من رجالة ، وأمر - أعلى الله أمره - أن يستخدم بحضرتة من تؤمن بائقته ، وتخيف مؤنته ، وترجى استقامته ، وباللثة ثقة أمير المؤمنين وتوفيقه ، وقبلك وقبلك رجالة أنت أعلم بمن مرصت طاعته منهم ومن يعود إلى صحة وصلاح ، فإن قنع من رضاه منهم بأصل الجارى عليه ، فتمسك به ، وأقره على جاربه ، ومن رأيت الاستبدال به فأمره إليك ، والله المستعان .

(تاريخ الطبرى ١٢ : ٧٧)

٢٨١ - كتاب أحمد بن الضحاك إلى صديق له

يصف شعب بوان

وكتب أحمد بن الضحاك^(١) الفلكى إلى صديق له يصف شعب بوان^(٢) :
« بسم الله الرحمن الرحيم : كتبت إليك من شعب بوان ، وله عندى ير بيضاه مذكورة ، ومينة غراء مشهورة ، بما أولانيه من منظر أعدى^(٣) على الأحزان ،

(١) جاء في تاريخ بغداد ج ٤ : ص ٢١١ : « حدثنا أبو عبد الله أحمد بن الضحاك الواسطى ببغداد سنة ٣١١ ... الح » وربما كان هو صاحب هذا الكتاب .

(٢) شعب بوان : بأرض فارس بين أرجان والنوبندجان ، وهو أحد منزهات الدنيا ، موصوف بالحسن وكثرة الأشجار وتدفق المياه وكثرة أنواع الأطيوار ، وقد وصفه انتفى في قصيدته التى مطلعها :
مغانى الشعب طيبا فى المغانى
بمزلة الربيع من الزمان

(انظر ديوان المتنى ص ٤٦٣ ، ومعجم البلدان ٧ : ٢٩٨) .

(٣) أعداه عليه : نصره وأعانه وقواه .

وأقال من صُروف الزمان ، وسرَّح طرْفِي في جداولٍ تَطَرَّدُ بِماءِ مَعِينٍ^(١) مُنْسَكِبٍ ،
أرقَّ من دموع العُشَّاق ، مَرَّرَتْهَا لَوْعَةُ الفِرَاقِ ، وأبردَ من تُغورِ الأَحبابِ ، عند
الالتئامِ والاكْتئابِ ، كأنها - حينَ جَرَى آذِيَّهَا^(٢) يَتَرَقَّرِقُ ، وتَدافِعَ تيارُها بِتَدافِقِ ،
وارْتَجَّ جَبابُها بِتَكسَّرِ ، في خِلالِ زَهرِ وِرياضِ ترنُو^(٣) بِحَدَقِ مُوَلِّهِ - قُضِبِ^(٤)
لَجِينِ في صَفائِحِ عِقيانِ ، وَسُموطِ دُرِّ بَيْنِ زَبَرَجَدِ وَمَرَّجانِ ، أَثَرٌ على حِكْمَةِ صانِعِهِ
شَهِيدٌ ، وَعَلِمَ على لُطفِ خالِقِهِ دَليلاً ، إلى ظِلِّ سَجَسَجِ أَحْوَى ، وَخَضِلِ أَلْمَى^(٥) ،
قَد غَنَّتْ عليه أَغصانُ فينَانَةٍ ، وَقُضِبُ غَيدانَةٍ^(٦) ، تَشَوَّرَتْ لها القُدودُ المُرْفَهْفَهَةَ خَجَلًا
وتَقِيلَتِهَا^(٧) الخِصُورُ المُرْهَفَةَ تَشْبُهًا ، يَسْتَقِيدُها النَسِيمُ فَتَنقَادُ ، وَيَعْدِلُ بِها فَتَنعَدِلُ ،
فَمِنْ مَتورِدِ يَرُوقُ مَنظَرُهُ ، وَمُرْتَجِّ يَتَهَدَّلُ مُشْمِرُهُ ، مُشْرَكَةٌ فِيهِ حُمْرَةُ نُضْجِ التَّمارِ
بِنَفْحَةِ^(٨) نَسِيمِ النُّوَّارِ .

وقد أقتُ به يومًا وأنا خيالِك مُسامِرٌ ، ولشوقِك منادِمٌ ، وشربتُ لك

- (١) تطرد : تجرى ، والمعين : الماء الجاري على وجه الأرض ، من معن الماء ككرم ومنع : أى جرى ، أو من عان الماء يعين : أى جرى أيضا .
- (٢) الآذى : الموج ، وحباب الماء : الفقاقيع التى تطفو فوقه كأنها القوارير .
- (٣) رنا : أدام النظر ، والموله : الذاهب العقل وفى الأصل « تولد » .
- (٤) فى الأصل « قصب » وهو تصحيف ، واللجين : الفضة ، والعقيان : الذهب ، وسموط جمع سبط بالكسر : وهو القلادة .
- (٥) أرض سجاج : ايسر بصلبة ولا سهلة ، ويوم سجاج : لاجر مؤذ ولاقر ، وكل هوا معتدل طيب : سجاج ، وأحوى : وصف من الحموة بالضم : وهى سواد إلى الحضرة ، أو حمرة إلى السواد ، والحضل : كل شئ ند يترشف نداء ، وألمى : وصف من اللعى ، واللعى مثلثة اللام : سمرة فى الشفة .
- (٦) امرأة فينانة : كثرة الشعر طويلته ، والغيد بالحريك : النعومة ولين الأعطاف ، والوصف منه على أفعال أفعلاء ، فالأغيد من النبات : الناعم المتنى ، والغيداء : المرأة المتئنية من اللبن ، وقد جاء بالوصف منه هنا على فعلانة ، ولم أجده فى كتب اللغة .
- (٧) تشورت : خجلت . يقال شورت الرجل وبالرجل فتشور . إذا خجلته فخجل ، وجازبة . برفهفة أى ضامرة البطن دقيقة الحصر ، وتقبيله : أشبهه ، والمرهفة الرقيقة اللطيفة .
- (٨) فى الأصل « ينفحه » .

تذكارًا ، وإذا تفضل الله بإتمام السلامة إلى أن أوافي شيرازَ ، كتبت إليك من خبري بما تقف عليه إن شاء الله تعالى .
(معجم البلدان ٢ : ٢٩٩)

٢٨٢ - كتاب عن الإخشيد إلى أرمانوس ملك الروم

وكتب الإخشيد^(١) محمد بن طنج صاحب الديار المصرية ، وما معها من البلاد الشامية ، والأعمال الحجازية ، إلى أرمانوس ملك الروم ، وقد أرسل أرمانوس إليه كتابا يذكر من جملته بأنه كاتبه وإن لم تكن عاداته أن يكتب إلا الخليفة ، فأمر بكتابة جوابه ، فكتب له الكتاب عدة أجوبة ، ورفعوا نسخها إليه ، فلم يرتض منها إلا ما كتبه إبراهيم بن عبد الله النجيري^(٢) - وكان عالما بوجوه الكتابة - ونسخته :

« من محمد بن طنج مولى أمير المؤمنين إلى أرمانوس عظيم الروم ومن يلبه :
سلام بقدر ما أنتم له مستحقون ، فإننا نحمد الله الذي لا إله إلا هو ، ونسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .
أما بعد ، فقد ترجم لنا كتابك الوارد مع نقولا وإسحاق رسوليك ، فوجدناه مفتتحًا بذكر فضيلة الرحمة ، وما نبي^(٣) عنا إليك ، وصح من شيمنا فيها لديك ، وبما نحن عليه من العدلة وحسن السيرة في رعايانا ، وما وصلت به هذا القول من ذكر الفداء ، والتوصل إلى تخليص الأسرى ، إلى غير ذلك مما اشتمل عليه وتقهّمناه .

(١) ولي حكم مصر سنة ٣٢٣ في خلافة الرازي بالله أحمد بن المنتدر (الذي ولي الخلافة سنة ٣٢٢ ومات سنة ٣٢٩) وتوفى الإخشيد سنة ٣٣٥ (وقد استولى بنو بويه على بغداد سنة ٣٣٤ في خلافة المستكن بن المكتن بن المعتضد) .

(٢) نسبة إلى نجبرم ، وقال ياقوت في معجم البلدان : « بفتح أوله وثانيه وباء ساكنة وراء مفتوحة ، ويروى بكسر الجيم . بليدة مما يلي البصرة على جبل هناك على ساحل البحر ، وقد نسب إليها قوم من أهل الأدب والحديث ، منهم إبراهيم بن عبد الله النجيري » .
(٣) نعت الحديث : رفعتة .

فَأَمَّا مَا أَطْنَبْتَ فِيهِ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّحْمَةِ ، فَمِنْ سَدِيدِ الْقَوْلِ الَّذِي يَلِيْقُ بِذَوِي الْفَضْلِ وَالنُّبْلِ ، وَنَحْنُ — بِحَمْدِ اللَّهِ وَنِعْمِهِ عَلَيْنَا — بِذَلِكَ عَارِفُونَ ، وَإِلَيْهِ رَاغِبُونَ ، وَعَالِيهِ بَاعِثُونَ ، وَفِيهِ — بِتَوْفِيقِ اللَّهِ إِيَّانَا — مُجْتَهِدُونَ ، وَبِهِ مُتَوَاصُونَ وَعَامِلُونَ ، وَإِيَّاهُ نَسْأَلُ التَّوْفِيقَ لِمَرَّاشِدِ الْأُمُورِ ، وَجَوَامِعِ الْمَصَالِحِ ، بِمَنَّةٍ وَقُدْرَتِهِ .

وَأَمَّا مَا نَسَبْتَهُ إِلَى أَخْلَاقِنَا مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْمَعْدَلَةِ ، فَإِنَّا نَرْغِبُ إِلَى اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا ، الَّذِي تَفَرَّدَ بِكَمَالِ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ ، وَوَهَبَهَا لِأَوْلِيَائِهِ ، ثُمَّ أَثَابَهُمْ عَلَيْهَا ، أَنْ يُؤَفِّقَنَا لَهَا ، وَيَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِهَا ، وَيُيَسِّرَنَا لِلْاجْتِهَادِ فِيهَا ، وَالِاعْتِصَامِ مِنْ زَيْغِ الْهَوَى عَنْهَا ، وَعُرَّةٍ^(١) الْقَسْوَةِ بِهَا ، وَيَجْعَلَ مَا أودَعَ قُلُوبَنَا مِنْ ذَلِكَ مَوْقُوفًا عَلَى طَاعَتِهِ ، وَمَوْجِبَاتِ مَرْضَاتِهِ ، حَتَّى نَكُونَ أَهْلًا لِمَا وَصَفْتَنَا بِهِ ، وَأَحَقَّ حَقًّا بِمَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ ، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ الزُّلْفَى مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، فَإِنَّا فَقَرَاءٌ إِلَى رَحْمَتِهِ ، وَحَقٌّ لِمَنْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ بِحَيْثُ أَنْزَلَنَا ، وَحَمَلَهُ مِنْ جَسِيمِ الْأَمْرِ مَا حَمَلْنَا ، وَجَمَعَ لَهُ مِنْ سَعَةِ الْمَالِكِ مَا جَمَعَ لَنَا بِمَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ - أَنْ يَبْتَهِلَ^(٢) إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي مَعُونَتِهِ لَذَلِكَ وَتَوْفِيقِهِ وَإِرْشَادِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَبِيَدِهِ « وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ » .

وَأَمَّا مَا وَصَفْتَهُ مِنْ ارْتِفَاعِ مَحَلِّكَ عَنْ مَرْتَبَةٍ مَن هُوَ دُونَ الْخَلِيفَةِ فِي الْمَكَاتِبَةِ ، لِمَا يَقْتَضِيهِ عِظَمُ مَلِكِكُمْ ، وَأَنَّهُ الْمَلِكُ الْقَدِيمُ الْمَوْهُوبُ مِنَ اللَّهِ ، الْبَاقِي عَلَى الدَّهْرِ ، وَأَنَّكَ إِنَّمَا خَصَّصْتَنَا بِالْمَكَاتِبَةِ لِمَا تَحْتَمُّتُهُ مِنْ حَالِنَا عِنْدَكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَوْ كَانَ حَقًّا ، وَكَانَتْ مَنزَلَتُنَا - كَمَا ذَكَرْتَهُ - تَقْصُرُ عَنْ مَنزَلَةِ مَنْ تُكَاتِبُهُ ، وَكَانَ لَكَ فِي تَرْكِ مَكَاتِبَتِنَا غَنَمٌ وَرُشْدٌ ، لَكَانَ مِنَ الْأَمْرِ الْبَيِّنِ أَنْ أَحْظَى وَأَرْشَدَ وَأَوْلَى بَيْنَ حَلِّ مَحَلِّكَ أَنْ يَجْعَلَ مَا فِيهِ صَلَاحٌ رَعِيَّتِهِ ، وَلَا يَرَاهُ وَصْمَةً وَلَا نَقِيصَةً وَلَا عَيْبًا ، وَلَا يَقَعُ فِي مَعَانَاةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الْأُمُورِ تَعْقُبُهَا كَبِيرَةٌ ، فَإِنَّ السَّائِسَ الْفَاضِلَ قَدْ يَرْكَبُ الْأَخْطَارَ ، وَيَخْضُ

(١) العرة بالفتح : العرة والحلة القبيحة ، وبالضم : القدر ، وتنتعار المساوى والمعائب .

(٢) الابتهاال : الاجتهاد في الدعاء وإخلاصه .

الغمار ، ويُعْرَضُ مُهْجَتَهُ فِيمَا يَنْفَعُ رَعِيَّتَهُ ، وَالَّذِي تَجَسَّمَتْهُ مِنْ مَكَاتِبِنَا إِنْ كَانَ كَمَا
 وَصَفْتَهُ ، فَهُوَ أَمْرٌ سَهْلٌ يَسِيرٌ ، لِأَمْرِ عَظِيمٍ خَطِيرٍ ، وَجُلُّ نَفْعِهِ وَصَلَابَتِهِ وَعَائِدَتِهِ ^(۱)
 تَخَصُّكُمْ ، لِأَنَّ مَذْهَبَنَا انْتِظَارُ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فِي أَيْدِيكُمْ فَهُوَ عَلَى بَيِّنَةٍ
 مِنْ رَبِّهِ ، وَعَزِيمَةٌ صَادِقَةٌ مِنْ أَمْرِهِ ، وَبَصِيرَةٌ فِيمَا هُوَ يَسْبِيلُهُ ، وَإِنْ فِي الْأَسَارَى مَنْ يُؤْتِرُ
 مَكَانَهُ مِنْ ضَنْكِ الْأَمْرِ ، وَشِدَّةِ الْبَأْسَاءِ ، عَلَى نَعِيمِ الدُّنْيَا وَخَيْرِهَا ، لِحُسْنِ مَنْقَلَبِهِ ،
 وَحَمِيدِ عَاقِبَتِهِ ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعَادَهُ مِنْ أَنْ يَفْتِنَهُ ، وَلَمْ يُعْذِهِ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَهُ ،
 هَذَا إِلَى أَوْامِرِ الْإِنْجِيلِ الَّتِي هِيَ إِمَامُكُمْ ، وَمَا تُوجِبُهُ عَلَيْكُمْ عَزَائِمُ سِيَاسَتِكُمْ ،
 وَالتَّوَصُّلُ إِلَى اسْتِنْقَازِ أَسْرَائِكُمْ ، وَلَوْلَا أَنْ يُضَاحِ الْقَوْلِ فِي الصَّوَابِ ، أَوْلَى بِنَا مِنْ
 الْمَسَاحَةِ فِي الْجَوَابِ ، لِأَضْرَابِنَا عَنْ ذَلِكَ صَفْحًا ، إِذْ رَأَيْنَا أَنَّ نَفْسَ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ
 أَجْلِهِ سَأَلْنَا إِلَى مَكَاتِبَةِ الْخُلَفَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ كَاتِبَتِهِمْ ، أَوْعَدَا عَنْهُمْ إِلَى مَنْ حَلَّ مَحَلَّنَا فِي دَوْلَتِهِمْ
 بَلْ إِلَى مَنْ نَزَلَ عَنْ مَرْتَبَتِنَا ، هُوَ أَنَّهُ لَمْ يَثِقْ مِنْ مَنَعِهِ ، وَرَدَّ مُلْتَمَسَهُ مِنْ جَاوِرِهِ ،
 فَرَأَى أَنْ يَقْصِدَ بِهِ الْخُلَفَاءَ الَّذِينَ الشَّرَفُ كُلُّهُ فِي إِجَابَتِهِمْ ، وَلَا عَارَ عَلَى أَحَدٍ وَإِنْ
 جَلَّ قَدْرُهُ فِي رَدِّهِمْ ، وَمَنْ وَثِقَ فِي نَفْسِهِ مِنْ جَاوِرِهِ ، وَجَدَّ قَصْدَهُ أَسْهَلَ السَّبِيلَيْنِ
 عَلَيْهِ ، وَأَدْنَاهُمَا إِلَى إِرَادَتِهِ ، حَسَبَ مَا تَقَدَّمَ لَهَا مِنْ تَقَدُّمٍ ، وَكَذَلِكَ كَاتِبَ مَنْ حَلَّ
 مَحَلَّكَ مَنْ قَصُرَ عَنْ مَحَلَّنَا ، وَلَمْ يَقْرُبْ مِنْ مَنَزَلَتِنَا ، فَمَا لِكُنَّا عِدَّةً ، كَانَ يَتَقَلَّدُ
 فِي سَائِفِ الدَّهْرِ كُلِّ مَمْلُوكَةٍ مِنْهَا مَلِكٌ عَظِيمُ الشَّانِ .
 فَمِنْهَا مُلْكُ مِعْرَ الَّذِي أُطْفِئَ فِرْعَوْنُ ، عَلَى خَطَرِ أَمْرِهِ ، حَتَّى ادَّعَى الْإِلَهِيَّةَ ،
 وَافْتَخَرَ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ مُوسَى بِذَلِكَ .

ومنها ممالك اليمن التي كانت للتبابعة ، والأفقيال العباهلة ^(۲) ، ملوك حمير ، على
 عظيم شأنهم ، وكثرة عددهم .

(۱) العائدة . المنفعة .

(۲) العباهلة : الذين أقرروا على ملكهم فلم يزالوا منه (بالبناء للمجهول) انظر الجزء الأول من ص ۶۰

ومنها أجناد الشام ، التي :

منها جند حمص ، وكانت دارهم ودار هرقل عظيم الروم ومن قبله من عظمائها .

ومنها جند دمشق على جلالته في القديم والحديث ، واختيار الملوك المتقدمين له .

ومنها جند الأردن على جلاله قدره ، وأنداد المسيح صلى الله عليه وسلم وغيره

من الأنبياء والحواريين .

ومنها جند فلسطين ، وهي الأرض المقدسة ، وبها المسجد الأقصى ، وكرسي

النصرانية ، ومعتقد غيرها ، ومحج النصارى واليهود طرا . ومقر داود وسليمان

ومسجدهما ، وبها مسجد إبراهيم وقبره ، وقبر إسحق ويعقوب ويوسف وإخوته

وأزواجهم عليهم السلام ، وبها مولد المسيح وأمه وقبرها .

هذا إلى ما نتقلده من أمر مكة المحفوظة بالآيات الباهرة ، والدلالات الظاهرة ،

فإننا لو لم نتقلد غيرها ، لكانت بشرفها ، وعظم قدرها ، وما حوت من الفضل ، توفي

على كل مملكة ، لأنها محج آدم ، ومحج إبراهيم وارثه ومهاجره ، ومحج سائر

الأنبياء ، وقبلتنا وقبلتهم عليهم السلام ، وداره وقبره ^(۱) ومنبت ولده ، ومحج

العرب على مر الحقب ^(۲) ، ومحل أشرافها وذوى أخطارها ، على عظم شأنهم ،

وفخامة أمرهم ، وهو البيت العتيق المحرم المحجوج إليه من كل فج عميق ، الذى

يعترف بفضلته وقدمه أهل الشرف ، من ماضى ومن خلف ، وهو البيت المعمور ، وله

الفضل المشهور .

ومنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم المقدسة بتربته ، وأنها مهبط الوحي ،

وبیضة هذا الدين المستقيم الذى امتد ظلُّه على البر والبحر ، والسَّهْل والوَهْر ، والشرق

(۱) كذا في صبح الأعشى ، وقد جاء في هامشه : « كذا في المغرب في أخبار المغرب أيضا - وهو

الذى نقل عنه القلندي هذا الكتاب - ويظهر أنه مقدم على ما بعده - أى ونبت ولده ويكون الضمير

فيه عائدا على سيدنا إسماعيل ، فإن مكة كانت داره ومنبته » ،

(۲) الحقب : جمع حقة بالكسر ، وهى مدة من الدهر لا وقت لها ، والسنة .

والغرب ، وصحارى العرب على بُعد أطرافها ، وتنازح^(۱) أقطارها ، وكثرة سكانها
في حاضرتها وباديتها ، وعِظَمها في وفودها وشدتها ، وصدق بأسمها ونجدتها ، وكبير
أحلامها^(۲) وبُعد مَرَامها ، وانعقاد النصر من عند الله براياتها ، وأن الله تعالى أباد
خَضراء^(۳) كِسْرَى ، وشَرْد قَيْصَرَ عن داره ومحلِّ عِزِّه ومجده بطائفة منها .

هذا إلى ما تعلمه من أعمالنا ، وتحت أمرنا ونهينا ثلاثة كرامِيٍّ من أعظم
كراسِيِّكُمْ : بيتُ المقدس ، وأنطاكية ، والإسكندرية ، مع ما إلينا من البحر
وجزائره ، واستظهارنا بأتم العتاد^(۴) ، وإذا وفيت النظر حقّه ، علمت أن الله تعالى
قد أصفانا^(۵) بِجُلِّ المالكِ التي ينتفع الأنامُ بها ، وبشرفِ الأرضِ المخصوصة بالشرف
كلّه دُنْيَا وَآخِرَةً ، وتحققت أن منزلتنا بما وهبه الله لنا من ذلك فوق كل منزلة ،
والحمد لله وليُّ كلِّ نعمة .

وسياستنا لهذه الممالك قريبا وبعيدها ، على عِظَمها وسَعَتها ، بفضلِ الله علينا ،
وإحسانه إلينا ، ومَمُونته لنا ، وتوفيقه إيانا كما كتبتَ إلينا ، وصحَّ عندك من حُسن
السيرة ، وبما يؤلف بين قلوب سائر الطبقات من الأولياء والرعية ، ويجمعهم
على الطاعة واجتماع الكلمة ، ويوسعها الأمن والدعة في المعيشة ، ويكسبها
المودة والمحبة .

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا ، على نِعَمه التي تفوت عندنا عددَ العادين ،
وإحصاءَ المجتهدين ، ونشرَ الناشرين ، وقولَ القائلين ، وشكرَ الشاكرين ، ونسأله
أن يجعلنا ممن تحدّث بنعمته عليه شكرا لها ، ونشرا لما منحه الله منها ، ومن

(۱) أى تباعد ، وهو تفاعل من نزلت الدار كنتم وضرب : أى بعدت .

(۲) الأحلام . العقول ، جمع حلم بالكسر .

(۳) الخضراء : سواد القوم ومعتهم ، وفي حديث الفتح « أيديت خضراء قريش » أى دعماؤهم
وسوادهم .

(۴) استظهر به : استعان ، والعتاد : العدة .

(۵) أصفاه بكذا : آثره به .

رضیَ اجتهاده فی شکرها ، ومن أراد الآخرة وسعی لها سعیها وكان سعیه مشكورا
إنه حمید مجید .

وما كنتُ أحبُّ أن أباهیک بشيء من أمر الدنيا ، ولا أتجاوز الاستیناءَ
لما وهبه الله لنا من شرف الدين الذي کرّمه وأظهره ، ووعَدنا فی عواقبه الغلبةَ
الظاهرة ، والقدرةَ القاهرة ، ثم الفوزَ الأکبر يومَ الدين ، لكنک سَلَکَ مَسَلًا
لم یحسُن أن نَعْدِلَ عنه ، وقلتَ قولاً لم یَسَعْنَا التقصیرُ فی جوابه ، ومع هذا فإننا لم نقصد
بما وصفناه من أمرنا مکاررتک ، ولا اعتمدنا تعیین فضلنا نعوذ به ، إذ نحن
نَکْرُمُ عن ذلك ، ونرَى أن نُکْرِمَکَ عند محلاک ومنزلتک ، وما یصل بها من
حسن سیاستک ومذهبک فی الخیر ومحبتک لأهله ، وإحسانک لمن فی یدک من أسرى
المسلمین ، وعطفک علیهم ، وتجاوزک فی الإحسان إلیهم جمیع من تقدّمک من سَلَمَکَ ،
ومن كان محموداً فی أمره رُغِبَ فی محبته ، لأن الخیر أهلٌ أن یُحَبَّ حيثُ كان ، فإن
كنتُ إنما توَهَّلَ لِمَکَانَتِکَ وممائلتک ، من اتسعت مملکتک ، وعظمت دولتک ،
وحسنت سیرتک ، فهذه ممالکُ عظيمة ، واسعة جَمة ، وهی أجلُّ الممالکِ التي ینتفع بها
الأفام ، وسیرُ الأرضِ المخصوصة بالشرف ، فإن الله قد جمع لنا الشرفَ کله ، والولاءَ
الذي جعل لنا من مولانا أمير المؤمنین - أطال الله بقاءه - مخصوصین بذلك ، إلی مالنا
بقديمتنا وحدثنا وموقعینا ، والحمد لله رب العالمین الذي جمع لنا ذلك بمنه وإحسانه ،
ومنه نرجو حسن السعی فيما یرضیه بلطفه ، ولم ینتظر عنک أمرنا فيما اعتمدناه . وإن
كنتُ تجرّی فی المکانة علی رسم من تقدّمک ، فإنک لو رجعت إلی دیوان بلدک ،
وجدت من كان تقدّمک قد کاتبَ من قبلنا من لم یحلّ محلّنا ، ولا أغنی غناءنا^(۱)
ولا ساس فی الأمور سیاستنا ، ولا قلده مولانا أمير المؤمنین - أطال الله بقاءه -
ما قلّنا ، ولا فوض إلیه ما فوض إلینا ، وقد کُتِبَ أبو الجیش خَارَوِبَه

(۱) أغنی غناءه : کنی کفایتہ .

ابن أحمد بن طولون ، وآخرُ مَنْ كُوتِبَ تَسْكِينِ مَوْلَى أمير المؤمنين ، ولم يكن تقلد سوى مصر وأعمالها .

ونحن محمد الله كثيرا أولاً وآخراً ، على نعمه التي يفوت عندنا عددها عدد العادين ، ونشر الناشرين ولم نرد بما ذكرناه المفاخرة ، ولكننا قصدنا بما عددنا من ذلك حالات : أولها التحدثُ بنعمة الله علينا ، ثم الجوابُ عما تضمنه كتابك من ذكر المحل والمنزلة في المكاتبه ، ولتعلم قدر ما بسطه الله لنا في هذه المسالك ، وعندنا قوة تامة على المكافأة على جميل فعلك بالأسارى ، وشكرٌ وافٍ لما تولى بهم وتوخاه من مسرتهم ، إن شاء الله تعالى وبه الثقة ، وفقك الله لمواهب خيرات الدنيا والآخرة ، والتوفيق للسداد في الأمور كلها ، والتيسير لصلاح القول والعمل الذي يحبه ويرضاه ويثبت عليه ، ويرفع في الدنيا والآخرة أهله ، بمنه ورحمته .

وأما الملك الذي ذكرت أنه باق على الدهر ، لأنه موهوب لكم من الله خاصة ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ، وإن الملك كله لله ، يوتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير وإليه المصير ، وهو على كل شيء قدير ، وإن الله عز وجل نسخ ملك الملوك ، وجبرية الجبارين ، بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين ، وشفع نبوته بالإمامة ، وحازها إلى العترة الطاهرة من العنصر الذي منه أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - والشجرة التي منها غصنه ، وجعلها خالدة فيهم يتوارثها منهم كابر عن كابر ، ويلقبها ماضٍ إلى غابر ، حتى تجز أمر الله ووعده ، وبهر نصره وكلمته ، وأظهر حجته ، وأضاء عمود الدين بالأئمة المهتدين ، وقطع دابر الكافرين ، ليحقق الحق ويبطل الباطل ولو كره المشركون ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وإليه يرجعون .

وإن أحق ملك - أن يكون من عند الله ، وأولاه وأخلقه أن يكتفه^(۱) الله

(۱) كنفه كنصره : صانه وحفظه .

بحر استه وحياطته ، ويحفه بعزه وأيديه^(١) ، ويجلله بهاء السكينة في بهجة الكرامة ،
ويجمّله بالبقاء والنجاء^(٢) ، ملاح فجرٍ وكرٍّ دهرٍ - مُلكُ إمامة عادلة ، خلفت نبوءةً
فجرت على رُسمها وسدنها ، وارتسمت أمرها ، وأقامت شرائعها ، ودعت إلى سُبُلها ،
مستنصرةً بأيدها ، منتجزةً لوعدها ، وإن يوما واحدا من إمامة عادلة خيرٌ عند الله
من عمر الدنيا تملكا وجبريةً .

ونحن نسأل الله تعالى أن يُديم نعمه علينا ، وإحسانه إلينا ، بشرف الولاية ،
ثم يُحسِن العاقبة بما وفر علينا نخره وعُلاه ، ومجده وإحسانه ، إن شاء الله ، وبه الثقة ،
وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وأما الفداءُ ورأُيك في تخليص الأسرى ، فإننا وإن كنا واثقين لمن في أيديكم
بإحدى الحسنيين ، وعلى بينة لهم من أمرهم ، وثباتٍ من حُسن العاقبة وعِظَم
المثوبة ، عالمين بما لهم ، فإن فيهم من يُؤثر مكانه من ضنك الأسر وشِدَّة البأساء ،
على نعيم الدنيا ولذتها ، سُكوناً إلى ما يتحققه من حسن المنقلب ، وجزيل الثواب ،
ويعلم أن الله قد أعاده من أن يفتنه ، ولم يُعذه من أن يبتليه^(٣) ، وقد تبيننا مع ذلك
في هذا الباب ما شرّعه لنا الأئمة الماضون ، والسلف الصالحون ، فوجدنا ذلك موافقاً
لما التمسناه ، وغير خارج عما أحببته ، فسُررنا بما تيسر منه ، وبعثنا الكتب والرسل
إلى عمّالنا في سائر أعمالنا ، وعزّمنا عليهم في جمع كل من قبلهم وأتباعهم بما وفر
الإيمان في إنقاذهم ، وبذلنا في ذلك كلّ ممكن ، وأخّرنا إجابتك عن كتابك ، ليتقدم
فِعْلنا قولنا ، وإيجازنا وعدنا ، وبُوشِك أن يكون قد ظهر لك من ذلك ما وقع أحسن
الموقع منك إن شاء الله .

وأما ما ابتدأنا به من المواصلة ، واستشعرته لنا من المودة والمحبة ، فإن عندنا
في مقابلة ذلك ما توجبه السياسة التي تجمّعنا على اختلاف المذاهب ، وتقتضيه نسبة
الشرف الذي يؤلّفنا على تباين الفحل ، فإن ذلك من الأسباب التي تخصنا وإياك ،

(١) الأيد : القوة . (٢) النجاء : المَجاة . (٣) مكرر مع ما سبق .

ورأينا من تحقيق جميل ظنك بنا إيناسَ رُسُلِكَ وبَسْطِهِم ، والاستماعَ منهم ، والإصغاءَ إليهم ، والإقبالَ عليهم ، وتلقينا انبساطك إلينا ، وإطافك^(١) إيانا ، بالقبول الذي يحقُّ علينا ، ليقع ذلك موقعه ، وزدنا في توكيد ما اعتمدته ما حملناه رسلك في هذا الوقت - على استقلالنا إياه - من طرائفِ بلدنا وما يطرأ من البلاد علينا ، وإن الله بعدله وحكمته أودع كل قرية صيفاً ، ليتشوّف إليه من بعد عنه ، فيكون ذلك سبباً لعمارة الدنيا ومعايش أهلها ، ونحن نُفردك بما سلمناه إلى رسولاك لتقفَ عليه إن شاء الله .

وأما ما أنفذته للتجارة ، فقد أمكننا أصحابك منه ، وأزينا لهم في البيع ، وفي ابتياع ما أرادوه واختاروه ، لأننا وجدنا جميعه مما لا يحظره علينا دينٌ ولا سياسة ، وعندنا من بسطك وبسط من يرد من جهتك ، والحرص على عمارة ما بدأنا به ورعايته ، ورب^(٢) ما غرسته أفضل ما يكون عند مثلنا لمثلك ، والله يعين على ما ننويه من جميل ، ونعتقده من خير ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

ومن ابتدأ بجميل لزمه الجري عليه والزيادة ، ولا سيما إذا كان من أهله وخليقاً به ، وقد ابتدأنا بالمواساة والمباينة ، وأنت حقيقٌ بعمارة ما بيننا ، وباعتمادنا بحوائجك وعوارضك قبلنا فأبشر بتمسير ذلك إن شاء الله .

والحمد لله أحق ما ابتدئ به ، وختم بذكره ، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة ، وعلى آله وسلم تسليماً .
(صبح الأعشى ٧ : ١٠)

٢٨٣ - كتاب أبي الطيب المتني إلى أحد إخوانه

وكتب أبو الطيب المتني بعد أن أبل^(٣) من مرض إلى أحد إخوانه :
« وصلتني - أعزك الله - مُعتلاً ، وقطعتني مُبلاً ، فإن رأيت ألا تكدر الصحة علي ، وتحبب العيلة إلي ، فعلت » .
(.فتح الأفكار ٣٧٣)

(١) أطفه بكذا: آخفه وبره به .

(٢) رب النمة كنصر : حفظها وراعها ورباها كما يربي الرجل ولده .

(٣) أبل من مرضه : صبح .

۲۸۴ - كتاب الراضى إلى المتقى

وكتب الراضى إلى أخيه المتقى^(۱) - وكان قد جرى بينهما كلام بحضرة المؤدّب ، وكان المتقى قد اعتدى على الراضى - :

« أنا معترف لك بالعبودية فرضاً ، وأنت معترف لى بالأخوة فضلاً ، والعبدُ

يُذنب ، والمولى يعفو ويغفر ، وقد قال الشاعر :

ياذا الذى يفضبُ فى غيرِ شىءٍ أعتبُ فعتبُك حبيبٌ إلى^(۲)

أنت (على أنك لى ظالمٌ) أعزُّ خلقِ الله طرّاً على

فمضى إليه المتقى راضياً ، وأكبّ عليه باكياً . (غرر الحقائق الواضحة ص ۳۸۳)

(۱) هو أبو إسحاق إبراهيم بن المقنن ، ولى الخلافة بعد أخيه الراضى من سنة ۳۲۹ إلى سنة ۳۳۳ ..

(۲) أعتبه : أعطاه العتبى ، وهى الرضا .

التوقيعات

في العصر العباسي الأول

السفاح

كتب إلى السَّفَاح جماعة من أهل الأنبار^(١) يذكرون أن منازلهم أُخِذَت منهم ، وأدخِلت في البناء الذي أمر به ، ولم يُعْطوا أثمانها ، فوَقَّع :
« هذا بناء أُسِّسَ على غيرِ تقوى » .

ثم أمر بدفع قِيمِ منازلهم إليهم .
ووقَّع في كتاب أبي جعفر ، وهو يحارب ابن هُبَيْرَةَ بواسِط^(٢) :
« إِنْ جِئَكَ أَفْسَدَ عَمَلِكَ ، وَتَرَاحِيكَ أَثَّرَ فِي طَاعَتِكَ ، فَخُذْ لِي مِنْكَ ، وَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ » .

ووقَّع إليه في ابن هُبَيْرَةَ بعد أن راجعه فيه غيرَ مرَّةٍ : « استُ مِنْكَ وَلِستَ مِنِّي إِنْ لَمْ نَقْتُلْهُ^(٣) » .

وجاء كتاب من أبي مُسْلِمٍ يستأذنه في الحج وفي زيارته ، فوَقَّع إليه :
« لَا أَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ زِيَارَةِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَخَلِيفَتِهِ ، وَإِذْنُكَ لَكَ » .
ووقَّع في كتاب جماعةٍ من بَطَانَتِهِ يَشْكُونَ احتباسَ أرزاقهم :
« مَنْ صَبَّرَ فِي الشَّدَةِ ، شُورِكَ فِي النِّعَةِ » .
ثم أمر بأرزاقهم .

(١) الأنبار : مدينة على الفرات في غربي بغداد ، وكان أول من عمرها سابور بن هرمز ذوالأكتاف ملك الفرس ، ثم جدها أبو العباس السفاح ، وبني بها قصورا ، وأقام بها إلى أن مات .

(٢) انظر ص ١٠ من الجزء الثالث .

(٣) انظر ص ١٣ من الجزء الثالث .

ووقع إلى عامل تظلم منه : « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا » .

وفي قوم شكوا غرق^(١) ضياعهم في ناحية الكوفة :

« وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

ووقع إلى أبي سلمة الخلال^(٢) ، وقد كتب إليه يستأذنه في تولية قوم من

الحاشية والشيعية :

« يَا أَبَا سَلَمَةَ ، مَا أَقْبَحَ بِنَا أَنْ تَكُونَ لَنَا الدُّنْيَا ، وَأَوَايَاؤُنَا خَالُونَ مِنْ

حَسَنِ آثَارِنَا ! »

ووقع إلى سابع : « تَقَرَّبْتُ إِلَيْنَا بِمَا بَاعَدَكَ عَنْ اللَّهِ ، وَلَا ثَوَابَ لِمَنْ خَالَفَ اللَّهَ » .

ووقع إلى أخيه في بعض الجناة : « إِذَا كَانَ الْحِلْمُ مَفْسُدَةً ، كَانَ الْعَفْوُ مَعْجِزَةً » .

المنصور

ووقع المنصور في كتابه إلى عبد الله بن علي عمه^(٣) :

« لَا تَجْمَلُ لِلْأَيَّامِ فِيَّ وَفِيكَ نَصِيبًا مِنْ حَوَادِثِهَا » .

ووقع إليه أيضا :

« إِذْفَعِ بِالنِّسْبَةِ هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ ، وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ » فاجعل الحظَّ

ملك دوني ، يكن لك كله » .

(١) في الأصل « حرق » وأراه محرفا .

(٢) هو أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال ، أول وزير وزر لأول خليفة عباسي ، وقد فوض السفاح إليه الأمور ، وسلم إليه الدواوين ، وكان يقال له وزير آل محمد (كما كان يقال لأبي مسلم أمين آل محمد) ثم اتهم بانحرافه عن بني العباس ، فتنكر له السفاح ، وكتب مع أخيه المنصور إلى أبي مسلم بخراسان ، يعلمه بما عزم عليه أبو سلمة من نقل الدولة عنهم ، وما يتخوف منه ، فبعث أبو مسلم قوما من أهل خراسان

قتلوه وقالوا قتله الخوارج - انظر تاريخ الطبري ٩ : ١٤٠ والفخرى ص ١٣٦ .

(٣) انظر ص ١٨ من الجزء الثالث .

ووقع إلى عبد الحميد صاحب خراسان :

« شكوت فأشكيناك (۱) ، وعتبت فأعقبتناك (۲) ، ثم خرجت عن العامة ،

فتأهب لفراق السلامة .

ووقع إلى أهل الكوفة - وشكوا عاملهم - :

« كما تكونوا يؤمر عليكم (۳) .

وإلى قوم تظلموا من عاملهم : « لا ينال عهدى الظالمين » .

وفي قصة رجل شكَا عَيْلَةً (۴) : « سَلِ اللهُ مِنْ رِزْقِهِ » .

وفي قصة رجل سأله أن يبني بقرية مسجداً : « فإن الصلاة على بُعد ذلك ،

أعظم لثوابك » .

وفي رواية أخرى :

ورفع رجل من العامة إليه رُقعةً في بناء مسجد في محلته ، فوقع :

(۱) أشكاه : أزال شكايته (وأشكاه أيضا : زاده أذى وشكايه ، ضد) .

(۲) أعتبه : أَرْضاه .

(۳) أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم : « عمالكم كأعمالكم ، وكما تكونوا يولى عليكم » - انظر نهاية الأرب ۳ : ۳ - ذكروا أن بعض النحويين أعمل ما المصدرية حملا على أن المصدرية ، وخرج عليه هذا الحديث ، وقبل : لا حاجة إلى جعل « ما » هنا ناصبة ، بل الفعل بعدها مرفوع ، ونون الرفع محذوفة للتخفيف ، وقد سمع حذفها نثرا ونظما « جاء في الحديث : « والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا » وقال الشاعر :

أبيت أسرى وتبتي تدلكى وجهك بالعنبر والمك الذكى

وقيل : الكاف مختصرة من كي ، فهي الناصبة ومازائدة .

(انظر حاشية الصبان ۳ : ۱۸۷ باب إعراب الفعل ، وحاشية الحضري على ابن عقيل ۷ : ۱۰۰)
وجاء في حاشية بس على التصريح ۲ : ۲۳۲ : « في فتاوى الجلال السيوطي : مسألة : هل ورد في الحديث « كما تكونون يولى عليكم » ؟ الجواب : نعم ، رواه ابن جميع في مجمعه من حديث الحسن ابن أبي بكرة ، وفيها بعد ذلك : أنه سئل عن لفظ حديث « كما تكونوا يولى عليكم » حذف النون من تكونوا دون ناصب وجازم ، فأجاب : بأن هذا الحديث رواه البيهقي في شعب الإيمان بلفظ كما تكونوا بلانون ، وقد خرج على ثلاثة أوجه : أحدها أنه على لغة من يحذف النون دون ناصب وجازم ، الثاني : وهو رأى الكوفيين والمبرد أنه منصوب وأوردوه شاهداً على مذهبهم أن « ما » تنصب ، الثالث : أنه من تغييرات الرواة .

(۴) العيلة : الفقر ،

(۲۴ - جبهة رسائل العرب - رابع)

« إن من أشراط^(۱) الساعة أن تكثر المساجد ، فزِدْ في خُطَاكَ يُزِدْ في أجرِكَ » .

وفي قصة رجل قُطِعَتْ عنه أرزاقه :

« مَا يَفْتَحِ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا تُمَسِّكُهَا ، وَمَا يُنْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » .

وفي قصة رجل شكَا الدَّيْنَ :

« إن كان دينك في مَرَضَاتِ اللهِ قِضَاهُ » .

وإلى صَرُورِ^(۲) سألَهُ أن يُحِجَّ :

« وَاللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً » .

وإلى صاحب مصرَ حين كتب يذُكرُ نُقْصَانَ النِّيلِ :

« طَهَّرْ عَسْكَرَكَ مِنَ الْفَسَادِ ، يُعْطِكَ النِّيلُ الْقِيَادَ » .

وإلى عامِلِهِ عَلَى جَمْعِ - وجاء منه كتاب فيه خطأ - :

« اسْتَبْدِلْ بِكَاتِبِكَ ، وَإِلَّا اسْتَبْدِلَ بِكَ » .

وإلى صاحب أَرْمِينِيَّةِ :

« إن لي في قفاكَ عَيْنًا ، وبين عَيْنَيْكَ عَيْنًا ، ولهما أَرْبَعُ آذَانٍ » .

وإلى رجل استوصله^(۳) : « لا مانعَ لِمَا أَعْطَاهُ اللهُ » .

وفي كتاب أتاه من صاحب الهند ، يخبره أن الجند شَغِبُوا^(۴) عليه ، وكسروا

أَقْصَالَ بَيْتِ الْمَالِ ، فَأَخَذُوا أَرْزَاقَهُمْ مِنْهُ :

(۱) أشراط : جمع شرط كسب ، وهو العلامة ، والساعة : القيامة ، ورواية الطبري : « من أشراط الساعة كثرة المساجد ، فزِدْ في خُطَاكَ تَزِدُّكَ مِنَ الثَّوَابِ » .

(۲) رجل ضرور وضرورة : أي لم يحج .

(۳) أي طلب صلته .

(۴) شغِبهم وبهم وعليهم كنع وفرح : هيج الشر عليهم .

« لو عدلت لم يشغبوا ، ولو وفيت لم ينتهبوا » .

وشكا إليه رجل من بعض عماله ، فوقع في قصته إلى العامل :

« ا كفي أمره ، وإلا كفيته أمرك » .

وكتب سوار^(١) بن عبد الله القاضي إليه : « إن عندنا رجلا شديد الترفُّض^(٢) »

يُدعى السيد الحميري^(٣) » فوقع في كتابه :

« إنا بعثناك قاضيا لا ساعيا » .

ووقع في كتاب بليغ استماحه^(٤) :

« إن البلاغة والغنى إذا اجتمعا في رجل أطفياهُ وقد رُزقت إحداهما ، فاكتف بها ،

واقصر عليها » .

وكتب إليه عبد الله بن زياد بن الحارث رقعة بليغة يستمنحه فيها ، فكتب عليها :

« إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا في بلد أبطراه ، وأمير المؤمنين مشفق عليك ،

فاكتف بالبلاغة^(٥) » .

(١) ولاء المنصور قضاء البصرة منذ سنة ١٣٨ وتوفي سنة ١٥٧ - انظر تاريخ الطبري ج ٩ :

١٧١ حوادث سنة ١٣٨ وما بعدها .

(٢) أي القول بالرفض ، والرافضة : فرقة من الشيعة ، وكان زيد بن علي قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والي العراق يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام بن عبد الملك على العراقيين ، فلما استنصر القتال بينه وبين يوسف ، قالوا له : إنا ننصرك على أعدائك بعد أن نخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب . فقال زيد : لاني لا أقول فيهما إلا خيرا وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا ، وإنما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين ، وأغاروا على على المدينة يوم الحرة ، ثم رموا بيت الله بحجر المنجنيق والنار . ففارقوه عند ذلك ، حتى قال لهم : رفضتموني ، ومن يومئذ سموا رافضة - انظر الفرق بين الفرق ص ٢٥ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٢١٩ .

(٣) كان السيد الحميري من شيعة محمد بن الحنفية ، وكان يعتقد أن ابن الحنفية لم يميت ، وأنه في جبل رضوى (جبل بالحجاز) بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل ، ويعود بعد الغيبة فيملا الأرض عدلا كما ملئت جورا ، انظر الملل والنحل ١ : ١٥٥ .

(٤) استماحه : سأله العطاء .

(٥) كان المنصور يرمي بالبخل ، وكان يلقب أبا الدوانق (والدانق بكسر النون وفتحها والداناق : سدس الدرهم) لقب بذلك لأنه لما بنى بغداد كان ينظر في العمارة بنفسه ، فيحاسب الصناع والأجراء ، فيقول لهذا : أنت نمت القائلة ، ولهذا : أنت لم تبكر إلى مملك ، ولهذا : أنت انصرفت لم تكمل اليوم .

ورفع رجل إليه يشكو عامله أنه أخذ حداً من ضيعته ، فأضافه إلى ماله ، فوقع
إلى عامله في رُقعة المتظلم :

« إن آثرتَ العدلَ صَحِبَتِكَ السلامةُ ، فأَنصِفِ هذا المتظلمَ من هذه
الظَّلامَةِ . »

وتظلم رجل من أهل السواد من بعض العمال في رقعة رفعها إليه ، فوقع فيها :
« إن كنتَ صادقاً فجيءَ به مَلَبَّياً^(١) ، فقد أذِنَّا لك في ذلك . »

المهدى

ووقع المهدى في قصة متظلمين شكوا بعض عماله :

« لو كان عيسى عامِلَكُم قُدُّناه إلى الحق ، كما يُقَادُ الجملُ المَخشُوشُ^(١) . »
يريد عيسى ولده .

ووقع إلى صاحب أرمينية - وكتب إليه يشكو سوء طاعة رعاياه - :
« خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

وإلى صاحب خراسان في أمر جاءه : « أنا ساهِرٌ وأنت نائمٌ » .
وفي قصة قوم أصابهم قَحَطٌ :

« يقدِّر لهم قوتُ سنةِ القَحَطِ والسَّنَةِ التي تليها » .

وإلى شاعر^(٢) : « أسرفتَ في مديحك ، فقصرنا في حِبائِكَ^(٣) » .

(١) لبب الرجل : جعل ثيابه في عنقه وصدرة في الحصى ثم قبضه وجره ، ويقال أيضاً . أخذ بتليبه
وتلايبه : إذا جمع عليه ثوبه الذي هو لابس عند نحره وصدرة وقبض عليه يجره .
فيعطى كل واحد منهم بحسب ما عمل في يومه ، فلا يكاد يعطى أجره يوم كامل - اقرأ حكايات بخله
في غرر الحقائق الواضحة ص ٢٩٢ .

(٢) الحشاش ككتاب : ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب لينقاد ، وخششت البعير : جعلت
في أنفه الحشاش .

(٣) قال صاحب العقد الفريد : « أظنه مروان بن أبي حفصة » وهو شاعر عباسي مشهور .

(٤) الجباء : العطاء .

وفي قصة رجل من الفارمين^(١) :

« خذ من بيت مال المسلمين ما يُقضى به دينك ، وتقرَّ به عينك » .

وفي قصة رجل شكوا الحاجة :

« أتاك الفوْثُ » .

وإلى رجل من بطانته استوصلَ :

« ليت إسرائعنا إليك يقومُ بإبطائنا عنك^(٢) » .

وفي قصة قوم تظلموا من عاملهم ، وسألوا إيشخاصه إلى بابه :

« قد أنصف القارةَ من راماهما^(٣) » .

« وفي قصة رجل حُبِسَ في دمٍ » :

« وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ^(٤) » .

وإلى صاحب خراسان - وكتب إليه يُخبره بفلاء الأسعار - :

« خذهم بالعدل في المكيال والميزان » .

وإلى يوسف الرومي حين ظفِر^(٥) به بخراسان :

« لك أمانى ، وموء كد أيمانى » .

(١) الفارمون : هم المدينون في غير معصية ومن غير إسراف إذا لم يكن لهم وفاء ، وهم ممن تصرف لهم الزكاة كما جاء في القرآن الكريم .

(٢) ويروى أن هذا القول قاله عتبة بن أبي سفيان لأعرابي استماحه في موسم الحج سنة ٤١ - انظر جمهرة خطب العرب ٢ : ٢١١ .

(٣) هو مثل ، والقارة : قبيلة ، وهم قوم رماة ، ويزعمون أن رجلين التقيا ، أحدهما قارى ، فقال القارى : إن شئت صارعتك ، وإن شئت سابقتك ، وإن شئت راميتك ، فقال الآخر : قد اخترت المراماة ، فقال القارى : قد أنصفتني ، وأنشأ يقول :

قد أنصف القارة من راماهما إنا إذا ماقتة نللاها

* نرد أولاهما على أخراها *

ثم انزع له بسهم فشك به فواده .

(٤) وفي خاص الخاس أن هذا التوقيع ليجي بن خالد البرمكي .

(٥) في الأصل « حين ظفر بخراسان » وأراه محرفا كما يدل عليه . معنى التوقيع .

وكتب إليه سلم^(١) بن قتيبة يسأله أن يُشرفه بالإذن له في قبيل يده ،
فوقع إليه :

« يا أبا قتيبة ، إنا نصونك عنها ، ونصونها عن غيرك . »

الهادي

وكتب موسى الهادي إلى الحسن بن قحطبة في أمر راجعه فيه :

« قد أنكرتك منذ لزممت أبا حنيفة ، كفناه الله . »

وإلى صاحب إفريقية في أمر فرط منه :

« يا بن اللخفاء^(٢) أني تمرس ؟ » .

هرون الرشيد

ووقع هرون الرشيد إلى صاحب خرامان :

« دأو جرحك لا يتسع . »

وإلى عامله على مصر :

« احذر أن تخرب خزانتى^(٣) وخزانة أخى يوسف ، فإنيك منه مالا قبل لك

به ، ومن الله أكثر منه . »

ووقع في قصة البرامكة :

« أنبتهم الطاعة ، وحصدتهم المعصية . »

(١) هو سلم بن قتيبة الباهلي ، وكان والي البصرة في عهد المنصور - انظر تاريخ الطبري ٩ :

٢٦٠ حوادث سنة ١٤٥ .

(٢) اللغن بالتحريك : قبح ربح الفرج ، وامرأة لحناء ويقال اللحناء : التي لم تحن ، وهي من

شتم العرب ، كأنهم يقولون : يادنيء الأصل ، أو يالكيم الأم ، وتمرس بالشيء : احتك به .

(٣) يشير إلى قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام حين قال للملك مصر :

« قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ » .

وإلى عامله على فارس :

« كُنْ مَنَى عَلَى مِثْلِ لَيْلَةِ الْبِيَّاتِ ^(۱) » .

وإلى عامل خراسان :

« إِنْ الْمَلُوكُ يُؤَثَّرُ مِنْهَا الْحِظُّ » .

وإلى خزيمة بن خازم ^(۲) إذ كتب إليه أنه وَضَعَ السيف حين دخل أرض

أرمينية :

« لَا أُمَّ لَكَ ^(۳) ، تَقْتُلُ بِالذَّنْبِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ ؟ » .

وفي قصة محبوبس : « مَنْ جَاءَ إِلَى اللَّهِ نَجَا » .

وفي قصة متظلم : « لَا يُجَاوِزُ بِكَ الْعَدْلُ ، وَلَا يُقَصِّرُ بِكَ دُونَ الْإِنصَافِ » .

وإلى صاحب السُّنْدِ إِذْ ظَهَرَتِ الْعَصَبِيَّةُ ^(۴) :

« كُلُّ مَنْ دَعَا إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ ، تَعَجَّلَ إِلَى الْمَنِيَّةِ » .

وفي رواية أخرى : وكتب إليه صاحب السُّنْدِ بظهور العصبية ، فوقع :

« مِنْ أَظْهَرَ الْعَصَبِيَّةِ فَعَاجِلُهُ بِالْمَنِيَّةِ » .

وإلى عامله على خراسان :

« كُلُّ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهُ فَأَزَلَهُ عَنِ بَدَنِهِ » .

وفي رقعة متظلم من عامله على الأهواز - وكان بالمتظلم عارفاً - :

« قَدْ وَلَّيْنَاكَ مَوْضِعَهُ . فَتَنَكَّبْ ^(۵) سِيرَتَهُ » .

(۱) بيت العدو : أوقع بهم ليلاً ، والاسم البيات .

(۲) وله خبر في فتنة الأمين - انظر تاريخ الطبري ۱۰ : ۱۹۲ .

(۳) لا أم لك : شتم وصب ، معناه . ليس لك أم حرة - وذلك أن بني الإمام عند العرب مذمومون ليسوا بمرضيين ولا لاحقين ببني الحرائر - وقيل معناه : أنت لقيط لا تعرف لك أم ، ولا يقول الرجل لصاحبه

لا أم لك إلا في غضبه عليه مقصراً به شاملاً له (وربما وضع موضع المدح ، بمعنى التعجب منه)

(۴) في الأصل « العصبية » وهو تحريف - انظر ما بعده .

(۵) أي اعدل عنها .

وفي كتاب بكار الزبيري إليه يخبره بسر من أسرار الطالبين :
« جزي الله الفضل^(١) خيرا الجزاء في اختياره إياك ، وقد أثابك أمير المؤمنين
مائة ألف بحسن نيتك » .

وإلى محفوظ صاحب خراج مصر :

« يا محفوظ ، اجعل فرع^(٢) مصر فرعا واحدا وأنت أنت » .

وإلى صاحب المدينة :

« ضع رجلك على رقاب أهل هذا البطن^(٣) ، فإنهم قد أطالوا ليلى بالسهاد ،
ونفوا عن عيني لذيد الرقاد » .

ووقع إلى السندي^(٤) بن شاهك :

« خف الله وإمامك ، فهما نجانك » .

وإلى سليمان بن أبي جعفر في كتاب ورد عليه منه يذكر وثوب أهل

دمشق :

« استحييت لشيخ ولده المنصور أن يهزب عن ولده كنفه وطبي ، فهلا
نابتهم بوجهك ، وأبديت لهم صفحتك^(٥) ، وبذلت لهم منحتك ، وكنت
كروان^(٦) ابن عمك ؟ إذ خرج مصلتنا^(٧) لسيفه ، متمثلا بيت الحجاج
ابن حكيم :

(١) يعني الفضل بن يحيى البرمكي .

(٢) في الأصل العقد الفريد « اجعل فرع مصر فرعا واحدا » وهو تحريف ، وأرى أن صوابه
« اجعل فرع مصر فرعا واحدا » والفرع : المال الطائل المعد ، أو صوابه « اجعل خراج مصر خراجا
واحدا » والمعنى . ابعت بخراج مصر دفعة واحدة ، وأنت قار في مكانك دون أن تحضر برفقته .

(٣) البطن من الأرض : المطنن .

(٤) كان صاحب الحرس ، وله خبر في فتنة الأبين أيضا - انظر تاريخ الطبري ١٠ : ١٩٧ .

(٥) أبدى لهم صفحته : جاهرهم بالعداوة .

(٦) يعني مروان بن محمد الجعدي آخر خلفاء بني أمية .

(٧) أصلت السيف . سله وجرده .

متقلدين صفاً حثماً هنديةً يتركن من ضربوا كمن لم يولد^(۱)
فجالد به حتى قُتِل ، إماماً بدعةً ، وإماماً خلةً ، أشد هراشاً^(۲) ، وأخشن مراساً ،
ولولا أن يقال . . . لقلتُ رَحِمَهُ اللهُ ، اللهُ أُمَّ تَنَدُّ بِهِ ، وَأَبُّ أَنْهَضَهُ ! .
وكتب متملك الروم إلى هرون الرشيد : « إني متوجه نحوك بكل صليب
في مملكتي ، وكل بطل في جندي » فوق في كتابه :
« سَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُنُقِي الدَّارِ (۳) » .
وكتب إليه نقفور ملك الروم يتهدده ، فوق في كتابه : « الجواب ما تراه
لا ما تقرؤه (۴) » .

ووقع إلى صاحب النصرانية بالروم : إنا بالأثر ، وعلى الله الظفر .
وكتب إليه يحيى بن خالد من الحبس حين أحس بالموت : « قد تقدم الخضم
إلى موقف الفصل ، وأنت بالأثر ، والله الحكم العدل ، وستقدم فتعلم » .
فوق فيه الرشيد :
« الحكم الذي رضيتَه في الآخرة هو أعدى الخصوم عليك ، وهو من لا يُردُّ
حُكْمَهُ ، ولا يُصْرَفُ قضاؤه (۵) » .
ووقع إلى علي بن عيسى بن همام ، وقد كتب إليه بقتل العُمُرُ كِي^(۶) :
« بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ » .

(۱) الصفائح : السيوف العريضة ، والهندية : المطبوعة بالهند .
(۲) الخلة . الخصلة ، وهراشا : أي تقاتلا .
(۳) انظر ص ۲۷۶ من الجزء الثالث .
(۴) انظر ص ۲۷۶ من الجزء الثالث .
(۵) انظر ص ۱۹۴ من الجزء الثالث .
(۶) نسبة إلى عمرك منحوتا من عمر كسكر (كما قالوا حضرمي في النسب إلى حضرموت) وكسكر
كجعفر : كورة واسعة كانت قصبته واسط التي بين البصرة والكوفة ، والعمر بالضم : الدير للنصارى ،
وهذا العمر في شرق واسط ، يحيط به باتين نخيل بينه وبين دجلة .

المأمون

ووقع المأمون في قصة متظلم من علي^(١) بن هشام :

« يا أبا الحسين ، الشريف^(٢) من يظلم من فوقه ، ويظلمه من دونه ، فانظر

أي الرجلين أنت ؟ » .

وإلى هشام : « لا أدنيك ولك يبأبي خصم » .

وإلى الرضا^(٣) وتظلم منه غريم^(٤) له :

« ليس من المروءة أن تكون أوانيك من الذهب والفضة ، وجارك طاو^(٤) ،

وغريمك عاو^(٤) » .

وفي قصة متظلم من عمرو بن مسعدة :

« يا عمرو ، عمر نعمتك بالعدل ، فإن الجور يهدمها » .

وفي قصة متظلم من أبي عباد :

« يا ثابت ، ليس بين الحق والباطل قرابة » .

وفي قصة متظلم من أبي عيسى أخيه :

« فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » .

وفي قصة متظلم من حميد الطوسي :

« يا أبا غنم ، لا تفتتر بموضعك من إمامك ، فإنك وأخس عبيده

في الحق سيان » .

وفي رواية أخرى : « يا أبا حامد ، لا تتكلم على حسن رأيي فيك ، فإنك وأحد

رعيتي عندي في الحق سواء » .

(١) انظر ص ٤٤٤ من الجزء الثالث .

(٢) وفي رواية العقد : « من علامة الشريف أن يظلم . . . » .

(٣) الغريم : الدائن .

(٤) أي جائع ، من الطوى : وهو الجوع ، وفي رواية العقد : « وغريمك خاو » .

وإلى طاهر^(۱) صاحب خراسان :

« إِحْمَدُ ، أبا الطيب ، إِذَا أَحَلَّكَ خَلِيفَةُ مَحَلِّ نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، فَمَا لَكَ مَوْضِعٌ تَسْمُو إِلَيْهِ نَفْسُكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَوْقَهُ عِنْدَهُ . »

وفي كتاب بشر بن داود^(۲) :

« هَذَا أَمَانٌ عَاقَدْتُ اللَّهَ فِي مَنَاجَاتِي إِيَّاهُ . »

وفي كتاب قثم بن جعفر في فدك حين أمره بردها^(۳) :

« قَدْ أَرْضَيْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ فِي فَدَكِ ، كَمَا أَرْضَى اللَّهُ خَلِيفَتَهُ فِيهَا . »

وفي قصة متظلم من محمد بن الفضل الطوسي :

« قَدْ احْتَمَلْنَا بَدَاءَكَ^(۴) وَشَكَامَةَ خُلُقِكَ ، فَأَمَّا ظُلْمُكَ لِلرَّعِيَةِ فَإِنَّا لَا نَحْتَمِلُهُ . »

ووقع إلى بعض عماله :

« طَالِعٌ كُلُّ نَاحِيَةٍ مِنْ نَوَاحِيكَ ، وَقَاصِيَةٌ مِنْ أَقَاصِيكَ ، بِمَا فِيهِ اسْتِصْلَاحُهَا . »

وكتب إليه إبراهيم بن المهدي في كلام له : « إِنْ غَفَرْتَ فَبِفَضْلِكَ ، وَإِنْ أَخَذْتَ

فَبِحَقِّكَ » فوق في كتابه :

« الْقُدْرَةُ تَذُوبُ الْحَفِيظَةِ^(۵) ، وَالنَّدَمُ جُزْءٌ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَبَيْنَهُمَا عَفْوُ اللَّهِ . »

ووقع في رُقعة مَوْتِي طَلَبَ كِسْوَةَ :

« لَوْ أَرَدْتَ الْكِسْوَةَ ، لَلَزِمْتَ الْخِدْمَةَ ، وَلَكِنَّكَ آثَرْتَ الرِّقَادَ ،

فَحِظْكَ الْمَرْوِيَا . »

(۱) هو طاهر بن الحسين ، وكنيته أبو الطيب .

(۲) انظر تاريخ الطبري ۱۰ : ۲۸۱ .

(۳) انظر ص ۴۲۶ من الجزء الثالث وفي الأصل « إبراهيم بن جعفر » وصوابه « قثم بن جعفر » .

(۴) البذاء والبذاءة : السفه والفحش في المنطق ، وقد بذؤ ويثلك فهو بذىء ، وشكس ككرم فهو

شكس كصعب وكنف ورجل (بفتح فضم) أي صعب الخلق .

(۵) الحفيظة : النضب ، ويروى أن قول ابن المهدي ورد المأمون عليه كان مشافهة لا مكاتبة -

انظر جبهة خطب العرب ۳ : ۱۲۶ .

ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه - وقد وافته الأموال - :

« يُؤمَّر له بخمسمائة ألفٍ لطولِ هِمَّتِه ، ولثُمَامَةِ بنِ أَشْرَسِ بثلاثمائة ألفٍ لتركه
مالاً يَعْنِيهِ ولأبي محمد اليزيدي يؤمَّر له بخمسمائة ألفٍ لكِبَرِهِ ، وللمُعَلِّيِّ بخمسمائة ألفٍ
لصحيحِ سُنَّتِهِ^(١) ، ولإسحاق بن إبراهيم بخمسمائة ألفٍ لصِدْقِ لهجته ، وللعباس بخمسمائة
ألفٍ لفصاحةِ منطِقِهِ ، ولأحمد^(٢) بن أبي خالد بألف ألفٍ لمخالفتهِ شهوتِهِ ، ولإبراهيم
ابن بُويهِ كذلك لسرعةِ دَمَعَتِهِ ، وللمرِّيِّ بثلاثمائة ألفٍ لإسباغِ وضوئِهِ^(٣) ،
ولعبد الله بن بشر بمثلها لحسنِ وجهِهِ . »

ووقع إلى الواقدي وقد كتب يذكر دينا عليه ويستمنح :

« فَيْكَ خَصَلْتَانِ : سَخَاءٌ وَحَيَاءٌ أَمَا السَخَاءُ فَهُوَ الَّذِي أُطْلِقَ يَدُكَ فِيهَا مَلَكَتَ ،
وَأَمَا الْحَيَاءُ فَهُوَ الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى أَنْ ذَكَرْتَ بَعْضَ دَيْنِكَ دُونَ كَلِّهِ ، وَقَدْ أَمَرْتُ
لَكَ بِضِعْفِ مَا كَتَبْتَ ، فَزِدْ فِي بَسْطِ يَدِكَ ، فَإِنْ خَزَائِنَ اللَّهِ مَفْتُوحَةٌ ، وَيَدَهُ بِالْخَيْرِ
مَبْسُوطَةٌ . »

ووقع إلى عامل شكاه أهل عمله :

« إِنْ آثَرْتَ الْعَدْلَ حَصَلَتْ عَلَى السَّلَامَةِ ، فَأَنْصِفْ رَعِيَّتَكَ مِنْ هَذِهِ
الظُّلْمَةِ . »

ووقع إلى نصر بن سيار^(٤) :

(١) في الأصل « سنه » وأراه محرفاً .
(٢) أحد وزراء المأمون - انظر خبره في الفخرى ص ٢٠٥ .
(٣) أسبغ الوضوء : أبلغه مواضعه ووفى كل عضو حقه .
(٤) كذا جاء في خاص الحامس ، وهو خطأ ، فإن نصر بن سيار مات في ساوة بالقرب من همدان سنة
١٣١ - انظر وفيات الأعيان ١ : ٢٨٢ في خلال ترجمة أبي مسلم ، وتاريخ الطبري ٩ : ١١٢ -
وقد قدمنا لك في ص ٢٨٢ من الجزء الثالث أن رافع بن خليل بن نصر بن سيار خرج على الرشيد بسمرقند
وخلعه سنة ١٩٠ ، فالظاهر أن الذي كتب إليه المأمون هذا التوقيع هو ابن رافع هذا .

« يا ابا رافع ، انى رافعك الى ومطهرك من الذين كفروا^(۱) » .
ورفع إليه أهل السواد قصة في إتيان الجراد على غلاتهم ، فوقع فيها :
« نحن أولى بضيافة الجراد ، من أهل السواد ، فليحط عنهم نصف
الخراج » .

وكتب إليه عبد الله بن طاهر يشكو إليه بعهده عن حضرتته ، ويسأله الإذن له
في الإلمام^(۲) بها ، فوقع في كتابه :

« قُربك يا ابا العباس إلى حبيب ، وأنت من قلبى حيث كنت قريب ، وإنما
بعدتُ دارك ، نظراً بك ، ورغبةً إليك ، مع قول الشاعر :

« رأيتُ دُنُوَّ الدار ليس بنافع إذا كان ما بين القلوب بعيدُ »

ولما مات عمرو بن مسعدة رُفعت إلى المأمون رُقعة أنه خلف ثمانين ألف ألف درهم ،
فوقع في ظهرها :

« هذا قليل لمن اتصل بنا ، وطالت خدمته لنا ، فبارك الله لولده فيما خلف ،
وأحسن لهم النظر فيما ترك » .

الواثق

وكتب محمد بن حماد يعرض في حاجة له بييتى شعر إلى الواثق يقول :
جذبتُ دواعى النفس عن طلب المنى وقلتُ لها كُنْى عن الطلب المزرى
فإن أمير المؤمنين بكفه مدارُ رحى بالرزق دائبة تجرى
فوقع تحتها : « جذبتُ نفسك عن امتنانها بالمسألة دعانى إلى صونك بسعة فضلى
عليك ، فخذ ما طلبت هنيا » .

(۱) اقتبسه من الآية الكريمة : « إذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى
ومطهرك من الذين كفروا » .
(۲) ألم به : نزل .

أبو مسلم الخراساني

ووقع أبو مسلم الخراساني في كتاب سليمان^(۱) بن كَثِير الخَزَاعِي :

« لِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ » .

وإلى أبي العباس في يزيد بن عمر بن هُبَيْرَة :

« قَلَّ طَرِيقُ سَهْلٍ تُلَقَى فِيهِ الْحِجَارَةُ إِلَّا عَادَ وَنَعْرًا ، وَاللَّهِ لَا يَصْنَحُ طَرِيقَ فِيهِ

ابن هُبَيْرَة أبدأ^(۲) » .

وإلى محمد بن صُول - وكتب إليه بسلامة أطرافه - :

« وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ »

وإلى عامله بَبْلَخ : « لَا تُؤَخِّرْ عَمَلَ يَوْمٍ لِفَدٍ » .

وإلى أبي سَلَمَةَ الْخَلَّلِ حين أنكر نيته :

« وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا بِشِيَاطِينِهِمْ قَالُوا

إِنَّا مَعَكُمْ » .

عمر و بن عميد

وكتب أبو جعفر المنصور إلى عمرو^(۳) بن عُبَيْد .

« أبا عثمان ، أعني بأصحابك ، فإنهم أهل العدل ، وأصحاب الصدق ، والمؤثرون له »

فوقع في كتابه : « ارفع علم الحق يتبعك أهله » .

(۱) أحد دعاة العباسيين - انظر الجزء الثاني وبعده أن تم الأمر لسفاح اتهم أبو مسلم سليمان بن كثير

فقتله - انظر تاريخ الطبري ۹ : ۱۴۲ .

(۲) انظر ص ۳ من الجزء الثالث .

(۳) هو أحد أئمة المعتزلة ، وكانت أخته زوجة واصل بن عطاء ، توفي سنة ۱۴۴ ، انظر ترجمته

في وفيات الأعيان ۱ : ۳۸۴ والمنية والأمل ص ۲۲ .

أبو عبيد الله

وكتب إلى أبي عبيد الله كاتب المهدي رجل يعتذر ولا يُحسِن ، فوقع في كتابه :

« ما رأيتُ عُذراً أشبهَ باستئنافِ ذنبٍ من هذا » .

الفيض بن أبي صالح

ووقع الفيض^(١) بن أبي صالح في رُقعة معتذر تائب :
« التوبة المذنب كالدواء للمريض ، فإن نصحت^(٢) توبته ، أتمَّ الله شفاءه ،
وإن تكن الأخرى أدام الله داءه » .

يحيى بن خالد البرمكي

ووقع يحيى بن خالد البرمكي في جواب رُقعة لابنه الفضل « ما أهونَ التدبيرَ
بالوصف » .

وفي رُقعة متظلمٍ ليعرض التوقيع على من شكاه : « أنصف من وليت أمره ،
وإلا أنصفه منك من بلي أمرك^(٣) » .

وإلى رجل استبطأه واستزاره : « أجنحُ إليك بغالب الفضل ، وأعتذر إليك
بصادق النية » .

(١) وزير للمهدي ، وتوفى سنة ١٧٣ - انظر ترجمته في الفخرى ص ١٦٩ .

(٢) أي خلصت .

(٣) ويعزى هذا التوقيع إلى ابنه جعفر .

جعفر بن يحيى البرمكى

ووقع جعفر بن يحيى البرمكى فى قصة محبوبوس التمس الإطلاق : « لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ » (٤) .

ووقع فى مثله : « العدلُ أوقعه ، والتوبة تُطلقه » .

وفى قصة مُتَنَصِّح (١) : « بعضُ الصدق قبيح » .

وأكثرَ الناسُ شِكِيَّةَ عاملٍ فوقع إليه فى قصتهم :

« يا هذا ، قد أكثرَ شاكوكَ ، وقلَّ شاكروكَ ، فإِذَا اعتدلتَ ، وإِذَا

اعتزَلتَ » (٢) .

وفى قصة رجل شكَا بعضَ خَدَمِهِ :

« خذ بأذنيه ورأسه ، فهو مالك »

وإلى عامل فارس فى رَجَلٍ كتب إليه بالوصاية :

« كن له كأبيه ولو كان مكانك »

وإلى عامل مصر فى رجل من بطانته يوصيه :

« إنه رَغِبَ إلى شِعْبِكَ (٣) ، فارغب فى اصطناعه »

وفى قصة متظلم من بعض عماله : « إني ظلمتُك دونَه » .

وفى قصة محبوبوس : « الجناية حبسته ، والتوبة تُطلقه » .

(١) وفى خاص الحاس أن هذا التوقيع لأبيه يحيى بن خالد .

(٢) تنصح : تشبه بالناصح .

(٣) وفى رواية الكامل للبرد : « وقل حامدوك ، فإِذَا عدلت . . . » وفى نهاية الأرب :

« وكتب محمد إلى يحيى بن هرمة - وكان عامله على أصفهان - وقد تظلم منه أهلها : « يا يحيى . . . »

ولا ندرى من محمد المذكور ، إذ لم يرد بعده ما يعينه » وجاء فى شرح نهاية الأرب عن يحيى بن هرمة :

(كذا فى الأصل ، ولم تقف على هذا الإسم فيمن تولى عمل أصفهان ، وأمل صوابه « هرمة ») .

(٤) الشعب بالكسر : ما انفرج بين جباين ، يعنى به وادى النيل .

- وإلى قوم : « عين الخليفة تكلوكم^(۱) ، ونظره بعممكم » .
وفي رقعة صرورة استأذنه في الحج : « من سافر إلى الله أنجح^(۲) »
وفي قصة رجل شكاً عزوبة^(۳) : « الصوم لك وجاء^(۴) » .
وفي رقعة رجل سأل ولاية : « لا أولى بعض الظالمين بعضاً » .
وفي قصة رجل سأل أن يُقفل^(۵) ابنه ، فقد طالت غيبته عنه :
« غيبة يوسف صلى الله عليه وسلم كانت أطول » .
وفي قصة رجل تظلم من أحد عماله : « إن^(۶) ليلته حتى ينصفك » .
وفي قصة قوم شكروا سوء جوار بعض قرابته : « يرحل عنكم » .
وفي قصة مستمنع كان قد وصله مراراً :
« دَعِ الضَّرْعَ يَدِرُّ لغيرك كما درَّ لك^(۷) »
وإلى الفضل بن الربيع ، وجاء منه كتاب غمه وأكربته :
« كثرة ملاحاة^(۸) الرجال ، ربما أراقت الدماء »
وإلى منصور بن زياد في أمر عاتبه فيه : « لم تزرعك لنحصدك » .
وإلى بعض عماله : « اجعل وسيلتك إلينا ما يزيدك عندنا » .
وكتب إليه رجل يستبطئه ، فوقع في ظهر كتابه :

(۱) أى تحرسكم .
(۲) أنجح : صار ذا نجاح .
(۳) العزوبة : العزوبة .
(۴) أخذه من قوله صلى الله عليه وسلم : « يامعشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » والباءة النكاح ، ووجأ التيس وجثا ووجاء : إذا دق عروق خصبته بين حجرين من غير أن يخرجهما ، أى أن الصوم يقطع الشهوة للنكاح كما يقطعها الوجاء ، إذ أن الموجوء لا يضرب .
(۵) أقفل الجند : ردهم من الغزوالى وطنهم .
(۶) أى بث شكواك وتوجم ، أمر من أن يئن : أى تأوه من الوجع .
(۷) وفى خاص الحاس أن هذا التوقيع لأبيه يحيى .
(۸) الملاحاة : المنازعة ، وفى العقد « ملاحاة الدماء » وأراه محرفاً .

« أحتج عليك بغالب القضاء ، وأعتذرُ إليك بصادق النية » (۱) .

وإلى بعض ندمائه : لا تبعد من ضمك .

ووقع إلى متصل من ذنب : « حُكْمُ الْفَلَتَاتِ خِلَافُ حَكْمِ الْإِصْرَارِ » .

وكتب إليه أن صاحب الطريق قد اشتط فيما يطلب من الأموال فوقع : « هذا

رجل منقطع عن السلطان ، وبين ذؤبان^(۲) العرب ، بحيث العدد والعدّة ،

والقلوب القاسية ، والأنوف الحمية ، فليمدد من المال بما يستصلح به من معه ،

ليدفع به عدوه ، فإن نفقات الحروب يستظهر لها ، ولا يستظهر عليها .

ووقع في رقعة معتذر من ذنب :

« قد تقدمت طاعتك ، وسبقت^(۳) نصيحتك ، فإن بدرت منك هنوة فلن

تغلب سيئة حسنتين » .

ووقع — وقد قرأ كتابا فاستحسن خطه — :

« الخلط خيط الحكمة ، ينظم فيه منشورُها ، ويفصل فيه شذورُها^(۴) » .

ووقع : « الخراج عمود الملك ، وما استعزز^(۵) بمثل العدل ، وما استنزِر

بمثل الجور » .

وكتب عمرو بن مسعدة إلى خزيمة الحروري^(۶) كتابا ، فنظر فيه جعفر بن

يحيى فوقع في ظهره :

(۱) انظر ص ۳۸۳ .

(۲) ذؤبان العرب : لصوصهم وصعاليكهم .

(۳) وفي زهر الآداب « وظهرت » .

(۴) الشذر (بالفتح) : قطع من الذهب ، خرز يفصل بها النظم ، أو هو المؤلؤ الصغار ، واحده

شذرة .

(۵) استعزز : كثر ، واستنزر : قل .

(۶) كان الحوارج يسمون « الحرورية » نسبة إلى حروراء ، وهي قرية بظاهر الكوفة نزلوها

حين اعتزلوا عليا بعد رجوعه من صفين .

« إذا كان الإكثار أبلغَ كان الإيجاز مقصراً ، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيباً » .

ويروى أن جعفر بن يحيى قال لكتابه : « إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعاتٍ فافعلوا (۱) » .

وقال ابن خلدون في مقدمته (۲) : « وقد كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ، ويرمى بالقصة إلى صاحبها ، فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها ، للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها ، حتى قيل إنها كانت تباع كل قصة منها بدينار » .

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان (۳) : « ويقال إن جعفر بن يحيى وقع ليلةً بحضرة هرون الرشيد زيادةً على ألف توقيع ، ولم يخرج في شيء منها عن موجب الفقه » .

وقال الجاحظ في البيان والتبيين (۴) : « وخبرني جعفر بن سعيد رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه قال : ذكرت لعمر بن مسعدة توقيعات جعفر بن يحيى قال : قد قرأت لأم جعفر توقيعات في حواشي الكتب وأسافلها ، فوجدتها أجود اختصاراً ، وأجمع للمعاني » .

الفضل بن يحيى

ووقع أخوه الفضل : « بثس الزادُ إلى المعاد ، التعدّي على العباد » .

(۱) انظر الكامل للمبرد ۱ : ۱۴۴ وأدب الكتاب ص ۱۳۴ وص ۲۲۸ والصناعتين ص ۱۶۶ وجاء في الصناعتين أيضاً (ص ۱۸۱) لأنه مع إعجابه بالإيجاز قال : « متى كان الإيجاز أبلغَ كان الإكثار عيباً ، ومتى كانت الكتابة في موضع الإكثار كان الإيجاز تقصيراً » .

(۲) انظر باب ديوان الرسائل والكتابة ص ۲۴۰ .

(۳) انظر ج ۱ : ص ۱۰۱ .

(۴) انظر ج ۱ : ص ۶۱ .

الفضل بن سهل

وكتب الفضل بن سهل إلى أخيه الحسن :

« أَحْمَدُ اللَّهِ يَا أَخِي ، فَمَا يَبِيْتُ خَلِيفَةَ اللَّهِ إِلَّا عَلَى ذِكْرِكَ » .

وإلى طاهر بن الحسين : « تَخَيَّرْتُ مَا اصْطَنَعْتَ » .

وإليه أيضا : « لِشَرِّ مَا سَمَوْتَ » .

وإلى هرثمة - وأشار عليه برأي - « لَا يُحَلُّ مَا عَقَدْتَ » .

وفي قصة متظلم : « كَفَى بِاللَّهِ لِلْمَظْلُومِ نَاصِرًا » .

وفي قصة مَنْ نَقَبَ بَيْتَ الْمَالِ : « يُدْرَأُ ^(۱) عَنْهُ الْحَدُّ إِنْ كَانَ لَهُ فِيهِ سَهْمٌ » .

ووقع إلى حاجبه : « تَمَهَّلْ وَتَسَهَّلْ » .

وإلى صاحب الشرطة : « تَرَفَّقْ تُوَفَّقْ »

وفي قصة متظلم : « طِبَّ نَفْسًا ، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمَظْلُومِ » .

وإلى رجل شكَا غَلَبَةَ الدِّينِ :

« قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِثَلَاثِينَ أَلْفًا ، وَسَنَشَفَعُهَا بِمِثْلِهَا ، لِيَرْغَبَ الْمُتَصَحِّحُونَ ^(۲) » .

وإلى رجل شكَا إِلَيْهِ الدِّينَ :

« الدِّينُ سُوءٌ يَهْيِضُ ^(۳) الْأَعْنَاقَ ، وَقَدْ أَمَرْنَا بِقَضَائِهِ » .

وفي قصة قوم قطعوا الطريق :

« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَرُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » .

(۲) اتصحح : قبل النصح .

(۱) يدنع .

(۳) هاض العظام يهيضه : كسره بعد الجبور .

وفي امرئ قاتلٍ شهيدٍ عليه المدولُ فشُفِعَ فيه : « كتابُ الله أحقُّ أن يُتَّبَعَ » .

وفي قصة رجلٍ شهيدٍ عليه أنه شتم أبا بكرٍ وعمر : « يُضْرَبُ دونَ الحدِّ وَيُشَهَّرُ^(١) ضربه » .

وفي رقعةٍ سابعٍ :

« نحن نرى قبُولَ السَّعَايَةِ شراً منها ، لأنَّ السَّعَايَةَ دَلَالَةٌ ، والقَبُولَ إِجَازَةٌ ، وليسَ مَنْ دَلَّ عَلَى شَيْءٍ وَأَخْبَرَ بِهِ كَمَنْ قَبِلَهُ وَأَجَازَهُ ، فَاتَّقُوا السَّاعِيَ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ فِي سَعَايَتِهِ صَادِقًا ، لَكَانَ فِي صَدَقَةِ آثِمًا ، إِذْ لَمْ يَحْفَظِ الحُرْمَةَ ، وَيَسْتُرِ العَوْرَةَ ، وَالشَّيْءُ يُقْرَنُ مَعَ جِنْسِهِ » .

ووقع إلى تميم بن خزيمه^(٢) :

« الأمور بتامها ، والأعمالُ بنحواتِها ، والصنائعُ باستدامتها ، وإلى الغاية يجرى الجوادُ ، فهناك كَشَفَتِ الخِبرَةَ قِنَاعَ الشكِّ ، فَحَمِدَ السَّابِقَ ، وَذَمَّ السَّاقِطَ » .

الحسن بن سهل

ووقع الحسن بن سهل في قصة متظلم :

« يُنْظَرُ فيما رَفَعَ ، فَإِنَّ الحَقَّ مَتَّبَعٌ ، وَإِلَّا فَشَأْنُ السَّلِيمِ دَوَاءُ السَّقِيمِ » .

وفي قصة قوم تظلموا من واليهم :

« الحَقُّ أَوْلَى بِنَا ، وَالعَدْلُ بُغْيَتُنَا ، وَإِنْ صَحَّ مَا ادَّعَيْتُمْ عَلَيْهِ صَرَ فَنَاهُ وَعَاقِبْنَاهُ » .

وفي قصة امرأة حبس زوجها : « الحَقُّ يُجْبِسُهُ وَالْإِنصَافُ يُطْلِقُهُ » .

(١) شهره كنعه ، وشهره . أظهره في شنعة .

(٢) وفي كتاب بغداد لابن طيفور والعقد الفريد : ووقع طاهر بن الحسين إلى خزيمه بن خازم :

« الأعمال بنحواتِها ، والصنعية باستدامتها ، وإلى الغاية ماجرى الجواد ، فحمد السابق ، وذم الساقط » .

وكتب إلى رجل من الشعراء يقول له :

رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ أَنِّي رَاكِبٌ فَرَسًا وَلِي وَصِيفٌ وَفِي كَفِي دَفَانِيرٌ^(١)
فَقَالَ قَوْمٌ لَهُمْ فَهْمٌ وَمَعْرِفَةٌ : رَأَيْتَ خَيْرًا وَلِلْأَحْلَامِ تَعْبِيرُ
رُؤْيَاكَ فَسَّرْ غَدًا عِنْدَ الْأَمِيرِ تَجِدُ فِي الْحُلْمِ دُرًّا وَفِي النَّوْمِ التَّبَاشِيرُ
فَوْقَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ : « أَضْفَاثُ أَحْلَامٍ^(٢) وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ
بِعَالَمِينَ ، وَالْحَقُّ لَهُ مَا التَّمَّهَ^(٣) » .

وكتب إليه رجل يتوسل بسالف إحسانه ، فوقع :
« مَرَّحَبًا بِنِ تَوْسَلِ إِلَيْنَا بِنَا » وَأَمْرٌ لَهُ بِصِلَةٍ .

طاهر بن الحسين

ووقع طاهر بن الحسين في رقعة مُتَنَصِّحٍ : « سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ
مِنَ الْكَاذِبِينَ » .

وفي رقعة مستبطنٍ إياه في الجواب : « تَرَكَ الْجَوَابَ جَوَابٌ » .
ورفع إليه مستمنحٌ وكذب في عدد عياله - وكان طاهر يعرفهم - فوقع :
« لَا جَوَابَ لِكُذَّابٍ » ثم عاود وصدق في عددهم ، فوقع : « الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ »
وَأَمْرٌ لَهُ بِصِلَةٍ .

ووقع في كتاب رجل تظلم من أصحاب نصر بن شبيب^(٤) :

(١) الوصيف : الخادم والمخادمة .

(٢) أضفان أحلام : رؤيا لا يصح تأويلها لاختلاطها .

(٣) وفي رواية أخرى لصاحب العقد : « عن البطين الشاعر قال : قدمت على بن يحيى الأرمي ،

فسكرت إليه . . . » والبيت الثالث :

رؤياك فسر غدا عند الأمير تجد تعبير ذلك وفي الفال التبشير

جئت مستبشرا مستشعرا فرحا وهند مثلك لي بالفعل تبشير

(٤) في العقد « نصر بن شبيب » وهو تحريف ، وقد تقدم .

« طلبت الحق في دار الباطل » .

ووقع في قصة قهرمان^(۱) له شكاً سوءاً معاملة :

« اسمحُ بِسَمْحٍ لَكَ » .

ووقع في قصة رجل طلب قبالة^(۲) بعض عماله :

« القبالةُ مفتاح الفساد ، ولو كانت صلاحاً ما كنت لها مَوْضِعاً » .

وإلى السفدي بن شاهك — وجاءه منه كتاب يسأله الأمان — :

« عِشْ مَا لَمْ أَرْكَ » .

وإلى العباس بن موسى الهادي — واستبطأه في خراج الكوفة — :

وليس أخو الحاجات من بات نأماً ولكن أخوها من يبديتُ على وجل

ووقع في قصة رجل شكاً أن بعض قواده نزل في دار له وفيها حرمة^(۳) :

« إذا رأيتَه في ناحية دارك فقد حلَّ لك قتله » .

ووقع في قصة رجل ذكر أن أخاه قُتل في طاعة المأمون :

« سألِكَ طاعةِ اللَّهِ : واللهُ وليُّ جزائه » .

ووقع في قصة رجل ذكر أنه قتل في يوم واحد عشرةً من أصحاب الخلع

« الأمان » .

« لو كنت كما وصفت لم يخف علينا ما ذكرت » .

ووقع في قصة رجل ذكر أن منزله أُحرق بالنار :

« أخطأك من قصدك » .

ودخل على طاهر كاتب العباس بن موسى — وكان ركباً — فقال : أخيك

(۱) هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمر الرجل بلغة الفرس ، معرب .

(۲) القبالة : الكفالة ، قبل به كنصر وسمع وضرب فهو قبيل : أي ضامن وكفيل .

(۳) حرم الرجل : نأؤه وما يحمي .

ابن موسى يُقرئك السلام ، قال : وما تبلى من أمره ؟ قال : أنا كاتبه الذي أطمعته الخبز ، فوقع :

« يُعزَل العباسُ ، بسوء اختياره للكفاء^(١) » .

وفي قصة محموس : « يُخرَج ولا يُحَوِّج » .

ووقع في قصة آخر : « يُطَلَق ويُعتَق » .

ووقع في قصة مستمنح : « يُبَلُّ حاله^(٢) » .

ووقع في رقعة مستوصل : « يُقامُ أودُه^(٣) » .

ووقع في قصة مستجير : « أنا جارُه » .

ووقع في قصة مستامن : « يؤمِّن سِرْبُه^(٤) » .

ووقع في قصة قاتل : « لا يؤخَّر قتلُه » .

ووقع في قصة شاعر : « يعجَلُ ثوابُه » .

ووقع في قصة لص : « يُنفذُ حُكْمُ الله فيه » .

ووقع في قصة ساع : « لا يُلْتَفَتُ إليه » .

ووقع في قصة قوم شغبوا على عاملهم :

« الشَّغَبُ للفرقة سبب ، فلتُمحَّحَ أسماؤهم ، وتُحَسَّنَ آدابهم ، وتُقَطَّعَ

بالنفي آثارهم » .

(١) الكفاء والأكفاء جمع كفاء ، وربما كان الأصل « للكفاءة » بضم الكاف ، جمع كاف

(٢) بله كنعصره : نداء ، وبلى رحمه : وصلها ، استعاروا البلى بمعنى الوصل كما استعاروا اليبس

بمعنى القطيعة ، وفي الحديث « بلوا أرحامكم ولو بالسلام » أي نذروها بالصلة ، وربما كان الأصل « يبلى حاله » من بلاه يبلوه إذا اختبره .

(٣) الأورد : الاعوجاج .

(٤) السرب : النفس والقلب .

عبد الله بن طاهر

وأدب عبد الله بن طاهر بعض قواده فمات ، فرفع إليه أن الناس يقولون : إنه قتله ، فوقع : « إنما أدبنا فوافق الأدبُ الأجلَّ » .

وأهدى نصر بن شبث^(١) إليه هدايا كثيرة ، فردّها ، فزاد فيها وبعثها إيلاً مع رُقعة في معناها ، فردّها ووقع في الرُقعة :

« لو قبِلتُ الهدية ليلاً لَقَبِلْتُها نهاراً ، وما آتاني اللهُ خَيْرَ مِمَّا آتَاكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ^(٢) » .
ووقع إلى عمّال له شكاهم الرعية :

« قد قدّمتُ إليكم الإِعدارَ ، واحتججتُ إليكم بالإِندارَ ، وليت العتابَ بالِغاً ما أردتُ ، ولقد هممتُ بأن أجعلَ معاقدتي لِكُم معاقبةً ، فانتبهوا من سِنّة-كُم^(٣) ، وانظروا لأنفسكم ، وأحسنوا بالأَكْرَةِ^(٤) ، فإن الله تعالى جَعَلَ أَيْدِيَهُمْ لَنَا طَعَاماً ، وألَسْتَهُمْ سَلاماً ، وظلّمهم حَرَاماً ، وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ » .
وكتب إليه بعض قواده يسأله حَطَّ خِراجِه والزيادةَ في أرزاقِه ، فوقع في كتابه :

« أفى النوم أبصرتَ ذا كَلَّةٍ ؟ فخيراً رأيتَ ، وخيراً يكون ! »

(١) في خاص الخاص « نصر بن شبث » أيضاً ، وهو تحريف .

(٢) وفي رواية أخرى أن تلك القصة كانت لعبد الله بن طاهر مع عبيد الله بن السري بهصر - انظر

ماقدمناه في ص ٤٢٢ من الجزء الثالث .

(٣) السنة : العاس .

(٤) الأكار : المرثاء ، وجمعه أكرة ، كأنه جمع آكر في التقدير .

يوسف بن القاسم

ووقع يوسف^(۱) بن القاسم - والد أحمد بن يوسف - إلى عامل :

« إن كنت مُنْصِيفًا من نفسك فإِمْ تَظْلِمُ لغيرك؟ وإن ظلمتَ لغيرك فكيف

تنتصف من نفسك؟ » .

ووقع في رقعة رجل استماحه :

« قد أمرنا لك بشيء هو دونَ قدرك على الاجتهاد ، وفوق كفايتك مع

الاقتصاد^(۲) » .

ولما ولى الرشيد على بن عيسى بن ماهان خراسان ، سأل الرشيدَ أشياءً ثقلت

عليه ، فقال ليوسف ، عرفه مقدارَ ما فعلتُ به ، فإني أظنه جهله ، فوقع إليه :

« قد كفيْنَاك بما ولىْنَاك ، وخراسانُ تَسَعُك ما وَسِعَكَ عُمرٌ » .

ووقع إلى بعض ولده :

« إذا لم يكن معروفك إلا عند من تعرفُ ، لم يَجُزْ معروفُك رِوَاقَ بيتك » .

ووقع : « من جور الدنيا أنها لا تُعْطِي أحدا ما يستحق ، إِمَّا أن تَزِيدَهُ وإِمَّا

أن تَنْقُصَهُ » .

ووقع إلى بعض ولده :

« إِيَّاكَ وصحبة فلان ، وإن كان قريبَ النسب منك ، فإنه بعيد الشبه بك ،

فقد يَفْسُدُ على الإنسان بعضُ جسده فيقطعه وهو أولى به وأقرب » .

ووقع : إن إساءة المحسن أن يكفَّ عنك إحسانه ، وإحسان المسيء أن يكفَّ

عنك إساءته ، وَابْعُدْ ما بينهما ! » .

(۱) روى الصولي في كتاب الأوراق ۱ : ۱۵۶ أن يوسف بن القاسم كان يخلف يحيى بن خالد على

التوقيع في داره ودار أمير المؤمنين .

(۲) وره في العقد الفريد أن الحسن بن سهل كتب هذا التوقيع في قصة رائد ، وفيه « في الاستحقاق »

عمل قوله « على الاجتهاد » .

ووقع إلى رجل كذبه في شيء :

« لو صُوِّرَ الصدق لكان أسداً ، ولو صُوِّرَ الكذب لكان ثعلباً ، وما صاحبهما
جبيدين من هاتين الصورتين . »

أحمد بن يوسف

ووقع أحمد بن يوسف إلى عامل ظالم :

« الحق واضح إن طلبه ، تهذيبه محجته ، ولا تخاف عثرته ، وتؤمن
في السر مغبته ، فلا تنقلن منه ، ولا تعدلن عنه ، فقد بالفت في مفاصحتك ،
فلا تُخوِجني إلى معاودتك ، فليس بعد التقدمة إليك ، إلا سَطْوَةٌ الإنكار عليك . »

* * *

ووقع في كتاب رجل يحثه على استتمام صنائعه عنده :

« مستتم الصنعة من صابرها ، فعدّل زبغها ، وأقام أودها ، صيانة لمعروفه ،
ونصرة لرأيه ، فإن أول المعروف مستخف ، وآخره مستثقل ، تكاد أوائله
تكون للهوى ، وأواخره تكون للرأى ، ولذلك قيل : ^(۱) رَبُّ الصنعة أشدُّ من
ابتدائها . »

* * *

ووقع في عناية بإنسان إلى بعض العمال :

« أنا بفلان تام العناية ، وله شديد الرعاية ، وكنت أحبُّ أن يكون ما أرعيتُه
طرفك من أمره في كتابي ، مستودعاً سمعك من خطابي ، فلا تعدلن بعنايتك
إلى غيره ، ولا تمنحن تفقدك سواه ، حتى تزيله إرادته ، وتتجاوز به أمنيته ،
إن شاء الله . »

* * *

(۱) رب الصنعة كنصر: نماها وزادها وأتمها وأصلحها، وفي زهر الآداب «تتم الصنعة...» .

ووقع إلى رجل غصّب رجلا على ضيعة وكان غائبا فاستغلها سنين ، وقدم الرجل
فطالبه فقال : الضيعة لى وفى يدي ، فوقع إليه أحمد بن يوسف :
« الحق لا تخلق^(١) جدته ، وإن تطاولت بالباطل مدته ، فإن أنطقت حجتك
بإفصاح ، وأزلت مشكلها بإيضاح - غير « لى وفى يدي » فكثيراً ما أراها ذريعة
الفاصل ، وحجة المغالب - وفّر حقتك عليك ، وسيقّ بلا كدّ إليك ، وإن ركنت
من البيان إليها ، ووقفت من الاحتجاج عليها ، كانت حجتته بالبينّة أعلى ، وكان بما
يدّعيه أولى ، إن شاء الله .

* * *

ومن توقيعاته :

« ما عغد هذا فائدة ولا عائدة^(٢) ، ولا له عقل أصيل ، ولا فعل جميل »

* * *

ووقع إلى عامل قد أخرّ حمل مال :

« قد استبطاك الإغفال ، وأبترك الإهمال ، فما تُصحب قولك فعلا ، ولا تُتبع
وعدك إنجازا ، وقد دافعت بمال نجم^(٣) لزمك حملة ، حتى وجب عليك مثله ، فاحمل
مال ثلاثة أنجم ، ليكون ما يتعجل منك أداء ما أخرّ عنك إن شاء الله .

* * *

ووقع إلى رجل استماحه :

« وددت لو ملكت بغيتك ، لبأفتك أميبتك ، ولكنى فى عمل قصدت فيه

(١) خلق الثوب كنصر وكرم وسمع : بلى .

(٢) العائد : المنفعة والمعروف .

(٣) النجم والقسط : الحصة ، وكانت العرب تؤقت بطلوع النجوم ، لأنهم ما كانوا يعرفون
الحساب ، وإنما يحفظون أوقات السنة بالأنواء ، وكانوا يسمون الوقت الذى يحمل فيه الأداء نجما تجوز الآن
الأداء لا يعرف إلا بالنجم ، ثم توسعوا حتى سمو ما يؤدى نجما لوقوعه فى الأصل فى الوقت الذى يطلع فيه
النجم ، واشتقوا منه فقالوا : نجمت الدين تنجيبا إذا جعلته نجوما .

اتخاذ المحامد، وعدت عن اقتناء الفوائد، فحس^(۱) نصيبي من الوفر، ووفر حظي من الشكر، وقد أمرت لك بما يجلي عنه قدرك، غير مختار له، بل مضطرا إليه، فليكن منك عذر فيه، وشكر عليه، إن شاء الله .

عمرو بن مسعدة

وقال عمرو بن مسعدة: كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي، فرفع إليه غلمانه ورقة يستزيدونه في روايتهم، فرمى بها إلي، وقال: أجب عنها، فكتبت: « قليل دائم خير من كثير منقطع » فضرب بيده على ظهري وقال: « أي وزير في جلدك^(۲) ! » .

محمد بن يزداد

ومن توقيعات محمد بن يزداد^(۳) :

« أبوابُ الملوك معادينُ الحاجات^(۴) ، ومواطنُ الطلباتِ ، وليس لاستنجاحها واستنجازها كالصبر والملازمة ، والمُعَاداة والمراوحة .
ومنها: « ما استجالت لي فيك نية ، ولا تغيرت عقيدة ، فكيف أخلف وعدك ، وأحل عقدك ، وأنقض عهدك ، وأنسى رfidك؟^(۵) » .

(۱) في الأصل « فحسن » وأرى أنه محرف وصوابه فحس وهو ما يقتضيه المقام ، والوفر : الغنى .
(۲) وفي خاص الحاس : « ورفع لي يحيى بن خالد قوم من حشمه يستزيدونه في أرزاقهم ، فأمر أنس بن أبي شيخ بالتوقيع في قصتهم ، فوقع بين يديه « قليل دائم خير من كثير منقطع » فأعجب به يحيى فقال : قد فاحت منك رائحة الوزارة .

(۳) هو أبو عبد الله محمد بن يزداد بن سويد آخر وزراء المأمون - انظر خبره في الفخرى ص ۲۰۸ .

(۴) قدمنا لك في ص ۳۶۴ من الجزء الثالث أن المأمون وقع في كتاب لأحمد بن يوسف : « الخبر حتبس ، وأبواب الملوك مغان لطالبي الحاجات . . . » وفيه روايتان أخريان ، انظرهما هناك .
(۵) الرد : العطاء والصلة .

عبد الله بن محمد بن يزداد

ووقع عبد الله بن محمد بن يزداد إلى بعض أصحابه :

« يا أبا العباس ، ليس عليك باسٌ ، ما لم يكن منك باسٌ » .

ووقع إلى عامل اغتر^(١) بكفايته وزاد :

« يا هذا : أسرّفتَ ، وما أنصفتَ ، وأوجفتَ^(٢) حتى أعجفتَ ، وأذلتَ حتى

أمّلتَ ، فاستصغِرْ ما فعلتَ تبلغُ ما أمّلتَ » .

إبراهيم بن العباس

وورد كتاب بعض الكتاب إلى إبراهيم بن العباس بمدح رجل وذم آخر ،

فوقع في كتابه :

« إذا كان للمحسن من الجزاء ما يُقْنِعُهُ ، وللمسِيء من النّكال ما يَقْمَعُهُ^(٣) ،

بذلّ المحسن الواجبَ على رغبةٍ ، وانقاد المسِيء للحق رَهْبَةً » .

فوثب الناس يقبلون يده .

ووقع لرجل مَتَّ^(٤) إليه بحرمة :

« قد مَتَّتْ بحرمة مألوفة ، ووسيلة معروفة ، أقوم بواجبها ، وأرعاها من

جميع جوانبها » .

(١) في الأصل « خام الخاس » « اعتذر » وأرى أنه محرف ، وأن صوابه « اغتر » أو « اعتر »

أو « اعتد » .

(٢) وجف الفرس والبعر كوعد وجيفا : عدا ، وأوجفه : أعداه ، وعجفت لادابة كتب :

هزلت ، وعجفها كنصر وضرب وأعجفها : هزلها ، وأدل عليه وتبادل : انبسط ووثق بحجته فأفرط عليه .

(٣) قمع كمنعه : قهره وذلكه .

(٤) أي توسلت .

محمد بن عبد الله بن طاهر

ووقع محمد بن عبد الله بن طاهر إلى الكتاب ، وقد ضاقت بهم الكواغد^(١) في أيام فتنة المستعين والمعز .

« دَقُّوا الأَقْلَامَ ، وَأَوْجَزُوا الكَلَامَ ، فَإِنَّ القِرَاطِيسَ لَا تُرَامُ ، وَالسَّلَامُ » .
واعتذر رجل إلى محمد بن عبد الله بن طاهر من شيء بلغه عنه ، فرأى خطه قبيحا فوقع في رقعة :
« أَرَدْنَا قَبُولَ عُدْرِكَ ، فَاقْتَطَعْنَا عَنْهُ مَا قَابَلَنَا مِنْ قَبِيحِ خَطِكَ ، وَلَوْ كُنْتَ صَادِقًا فِي اعْتِدَارِكَ ، لَسَاعَدَتَكَ حَرَكَةُ يَدِكَ ، أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ حَسْنَ الخَطِّ يَنَاضِلُ عَنْ صَاحِبِهِ بِوَضُوحِ الحِجَّةِ ، وَيَمَكِّنُ لَهُ دَرَكَ البُغْيَةِ ؟ » .

عبيد الله بن سليمان بن وهب

ورفع إلى عبيد الله بن وهب عامل من عماله : « إِنْ فِي بَيْتِ النَّارِ كَانُونًا مِنْ آثَارِ الأَكَاسِرَةِ ، وَفِيهِ أَكْثَرُ مِنْ أَلْفِي رَطَلِ فِضَّةٍ ، وَفِي فَضَّتِهِ تَوْفِيرٌ لِبَيْتِ المَالِ » فوقع :

« حِرْصُكَ عَلَى تَقْفِيَةِ آثَارِ الأَوَائِلِ ، يَدُلُّ عَلَى لُؤْمِ أَصْلَاحِكَ ، فَبَعْدًا وَسُحْقًا^(٢) لَكَ » .

ووقع في كتاب متنجز إياه وعدا : « الشَّرْطُ أَمْلَاقٌ ، وَالوَعْدُ كَأَخْذٍ بِالْيَدِ ، وَالوَفَاءُ مِنْ سَجَايَا الكِرَامِ » .

وفي كتاب مثله : ليس كل من أنسيناه أهملناه ، ولا من أخرناه تركناه ، مع اقتطاع

(١) الكواغد جمع كاغد بالفتح : وهو الفرطاس ، معرب .

(٢) السحق بالضم وبضمين : البعد .

كاشغل إيانا ، واقتسامه زماننا^(١) .

ووقع في شأن عامل : « أنا قادر على إخراج هذه النعرة^(٢) من رأسه ،
والوَحْرَةَ^(٣) من صدره ، والنخوة^(٤) من نفسه » .
ووقع إلى ابن طولون : « اتق الله في الأرصاد ، فإن الله بالمرصاد » .

عبد الله بن المعتز

وكتب إلى عبد الله بن المعتز قهرمانه^(٥) ينسب وكيله إلى الخيانة والسرقة ،
ويستأمره في الاستدلال به ، فوقَّع في رقعته :
« أُغْنِ مَنْ وَلِيَّتَهُ عَنِ السَّرِقَةِ ، فَلَيْسَ بِكَفِيكَ مَنْ لَمْ تَكْفِهِ » .
وكتب إليه بعض مواليه يذكر جدَّه في خدمته وتوقعه زيادة نظره له ، فوقَّع :
« مَنْ نَصَحَ الخِدْمَةَ نَصَحْتَهُ المَجَازَاةُ » .

علي بن عيسى

وكتب إلى علي بن عيسى^(٦) بعض العمال في ذكر أموال متخيرة ،
وتفاصح في كتابه :

(١) انظر ماقدمناه في ص ٢٨٣ .

(٢) النعرة بضم ففتح وكرقية : الحيلة والكبر ، يقال : إن في رأسه نعرة : أي كبراً ، والأصل فيه أن الحمار إذا نمر (كفرح) ركب رأسه ، فيقال لكل من ركب رأسه : فيه نعرة ، وفي خاص الحمار « النعرة » وهو تصحيف .

(٣) الوحرة في الأصل : وزغة تكون في الصحارى أصفر من العظاءة (بكسر العين) وهي على شكل سام أبرص ، وقيل : ضرب من العظاءة ، وهي صغيرة حمراء تعدو في الجبابين ، لها ذنب دقيق تصعب به إذا عدت ، وهي أخبث العظاءة ، لا تطأ طعاماً ولا شراباً إلا سمته ، ولا يأكله أحد إلا أخذه فيء ، وربما هلك آكله ، والوحر بالتحريك أيضاً ، غش الصدر وبلابله والفيظ والحقد ، قالوا : وأصل هذا من تلك الدويبة التي يقال لها الوحرة ، شبهوا العداوة ولزوقها بالصدر بالتزاق الوحرة بالأرض ، وفي خاص الحمار « والوغيرة » وهو تحريف .

(٤) النخوة : الكبر والعظمة ، وفي زهر الآداب « والنخوة » وهو تحريف .

(٥) القهرمان : هو كالحازن والوكيل المحافظ لما تحت يده ، والقائم بأمر الرجل بلغة الفرس .

(٦) هو علي بن عيسى بن الجراح ، ولي الوزارة للمقتدر مرارا ، وكان هو وعلي بن الفرات يتناوبان

الوزارة - انظر خبره في الفخرى ص ٢٤١ .

« دعنى من تشدِّبكَ وتُعبِّرِكَ ، وتفاصِّحْ على نظيرِكَ ، فخيرُ الكلام ما قلَّ ودلَّ »
ولم يُمِلَّ .

وكتب إليه ابن الفُرات بسندٍ شهده على زُورٍ فوقع في رقعة :
« لا تلغنى على نُكوصى عن الشهادة لك بالزُور ، فإنه لا بقاء لاتِّفاق على نِفاق ،
ولا وفاء لذي مَين^(١) واختلاق^(٢) ، وأحرى بمن تعدَّى الحق في موافقتك إذا
رضى ، أن يتخطى إلى الباطل في مخالفتك إذا سخط ، وبمن كذَّب لك ، أن
يكذَّب عليك . »

(العقد الفريد ١ : ٨٣ ، ٢ : ١٦٥ ، ١٨٧ - ١٩١ وزهر الآداب ١ : ٢٣٠ ، ٣٠٥ ،
٣٠٦ ، ٣٣٤ و ٢ : ٤٣ و ٣ : ١٩٩ ، ٣٥٤ وخامس الخاص للتعالي ص ٦٨ - ٧٢ ووفيات
الأعيان ١ : ١٠٥ ، ٣٩٠ والكامل للمبرد ١ : ١٤٣ ونهاية الأرب ٧ : ٢٦١ ومقدمة
ابن خلدون ص ٢٧٤ وعيون الأخبار م ٣ : ص ١٠٠ وتاريخ الطبرى ٩ : ٣١٥ وكتاب الاوراق
لأبي بكر الصولى ١ : ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ومعجم الأدباء ٦ : ٩٠
(طبع هندية) وأدب الكتاب ص ٥٣ وغرر الحصائص الواضحة ص ٣٥ ، ص ٢٩٥ وكتاب بغداد
لابن طيفور ٦ : ١٢٧ - ١٢٩) .

(١) المين : الكذب .

(٢) في الأصل « واختلاف » وهو تصحيف .

استدراك

فاتنا أن نورد هذه الرسالة في موضعها من الجزء الثالث، وها هي ذي:

رسالة الإمام مالك في

السّنن والمواعظ والآداب

كتبها

إلى أمير المؤمنين

هارون الرشيد

ووزيره يحيى بن

حنّال البرمكي

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

« الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإنني كتبت إليك بكتاب لم آلك فيه رُشداً ، ولم أذخرك فيه نصحا ، تحميداً لله ، وأدبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتدبره بعقلك ، وردد فيه بصبرك ، وأرعه سمعك ، ثم اعقله بقلبك ، وأحضره فهمك ، ولا تُغيبن عنه ذهنك ، فإن فيه الفضل في الدنيا ، وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة .

أذكر نفسك غمرات الموت وكربته ، وما هو نازل بك منه ، وما أنت موقوف عليه بعد الموت ، من العرض على الله سبحانه ، ثم الحساب ، ثم الخلود بعد الحساب ، وأعد الله عز وجل ما يسئل به عاينك أهوال تلك المشاهد وكربها ، فإنك لو رأيت أهل سُخْطِ الله تعالى ، وما صاروا إليه من ألوان العذاب ، وشدة نِقْمته عليهم ، وسمعت زفيرهم في النار وشهيقهم ، مع كلوح^(١) وجوههم ، وطول غمهم وتقلبهم في دركاتهما على وجوههم ، لا يسمعون ولا يبصرون ، ويدعون بالويل والثبور^(٢) — وأعظم من ذلك حسرة إعراض الله تعالى عنهم ، وانقطاع رجائهم ، وإجابته إياهم بعد طول الغم بقوله : « آخَسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ » — لم يتعاطمك^(٣) شيء من الدنيا إن أردت النجاة من ذلك ، ولا أمّتك من هوله ، ولو قدّمت في طلب النجاة منه جميع ما مَلَكَ أهل الدنيا ، كان في معابنتك ذلك صغيراً ، ولو رأيت أهل طاعة الله تعالى ، وما صاروا إليه من كرم الله عز وجل ، ومنزلاتهم مع قُرْبهم من الله عز وجل ، ونصرة وجوههم ،

(١) كلح كنع و كلوحا و كلاما : تكشر في عبوس .

(٢) الثبور : الهلاك .

(٣) تعاطمه : عظم عليه .

ونور ألوانهم ، وسرورهم بالنعيم المقيم ، والنظر إليه ، والمكانة منه ، لتقلل في عينك عظيم ما طلبت به صغير ما عند الله ، ولصغر في عينك جسيم ما طلبت به صغير ذلك من الدنيا ، فاحذر على نفسك حذرا غير تفرير ، وبادر بنفسك قبل أن تسبق إليها ، وما تخاف الحسرة منه عند نزول الموت ، وخاصم نفسك على مهل ، وأنت تقدر بإذن الله على جر المنفعة إليها ، وصرف الحجة عنها ، قبل أن يتولى الله حسابها ، ثم لا تقدر على صرف المكروه عنها .

واجعل من نفسك لنفسك نصيبا بالليل والنهار ، وصل من النهار اثنتي عشرة ركعة ، واقرأ فيهن ما أحببت ، إن شئت فصلهن جميعا ، وإن شئت متفرقات ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « من صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة » ، وصل من الليل ثمانى ركعات بجزء من القرآن ، وأعط كل ركعة حقها والذي ينبغي فيها من تمام الركوع والسجود ، وصلهن مثنى مثنى ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلى من الليل ثمانى ركعات ، والوتر ثلاث ركعات ، سوى ذلك ، يسلم من كل اثنتين ، وصم ثلاثة أيام من كل شهر : الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ذلك صيام الدهر » . وأعط زكاة مالك طيبة بها نفسك ، حين يحول عليها الحول ، ولا تؤخرها بعد حلها^(١) ، وضعها فيمن أمر الله تعالى ، ولا تضعها إلا في أهل ملتك من المسلمين ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله تعالى لم يرض من الصدقة بحكم نبي ولا غيره حتى حدها هو على ثمانية أجزاء » ، قال عز وجل : « إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّاتِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ » واحجج حجة الإسلام من أطيب مالك ، وأزكاه عندك ، فإن الله تعالى

(١) حل الحق حلا وحلولا : وجب .

لا يقبل إلا طيبًا ، وبلغني أن قوله تعالى : « فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ » غَفْرًا (١) له .

مُر بطاعة الله ، وحبب عليها ، وآنه عن معاصي الله تعالى ، وأبغض عليها ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِتَرْكِهِمْ تَنْهَيْهِمْ عَنِ الْمَعَاصِي ، وَلَمْ يَنْهَوْهُمْ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ (٢) ، مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، مَنْ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ بِكُمْ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ ، فَإِنِ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ ، لَا يُقَدِّمُ أَجْلًا ، وَلَا يَقْطَعُ رِزْقًا . »

أحسِنْ إِلَى مَنْ خَوَّلَكَ (٣) اللهُ تعالى ، واشكر تفضيله إياك عليهم ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم « أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّي فَاَنْصَرَفَ وَقَالَ : أَطَّتْ (٤) السَّمَاءُ ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَنْطِطَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا عَلَيْهِ جَبْهَةٌ مَلَكٍ سَاجِدٌ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ خَوْلٌ (٥) فَلْيُحْسِنْ إِلَيْهِ ، وَمَنْ كَرِهَ فَلْيَسْتَبْدِلْ ، وَلَا تَعَدُّبُوا خَلْقَ اللَّهِ . أَلْزِمِ الْأَدَبَ مَنْ وَرِثَ أَمْرَهُ وَأَدَبَهُ ، وَمَنْ يَجِبُ عَلَيْكَ النَّظَرُ فِي أَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ قَالَ لِلْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ : « لَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنِ أَهْلِكَ ، وَأَخْفِهِمْ فِي اللَّهِ ، لَا تَسْتَسْلِمِ إِلَى النَّاسِ ، وَاسْتَجْرِهِمْ (٦) فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، لَا تَغْمَصِ (٧) النَّاسَ ، وَأَخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَلَا أُحَدِّثُكُمْ بِوَصِيَّةِ نُوحٍ ابْنِهِ ، قَالَ : آمُرُكَ بِأَثْنَيْنِ ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَيْنِ : آمُرُكَ بِقَوْلِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ فِي كِفَّةٍ ، وَالسَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي كِفَّةٍ ، وَزَنْتَهَا ، وَلَوْ وَضَعْتَهَا عَلَى

(١) الغفران : الغفران .

(٢) الرباني : منسوب إلى الرب أي الله تعالى كقولهم لهي : هو التثالة العارف بالله ، والحبر بالكسر ويفتح : العالم .

(٣) التخويل : التملك ، خوله الله نعمة : ملكه إياها ، والمعنى : إلى خدمتك وعبيدك الذين تملكهم وتلى أمرهم .

(٤) أط يبط أطيطا : صوت .

(٥) الخول : ما أعطاك الله من العبيد والخدم ، والواحد خائل ، وقد يكون الخول واحدا .

(٦) استجرهم . أي استخدمهم ، والجري كغني : الخادم .

(٧) غمصه كضرب وسمع وفرح : احتقره وعابه وتهاون بحقه .

حَلْفَةَ قَصَمَتَهَا ، وقل : سبحانَ اللهِ ومحمّده ، فإنها عبادة الخلق ، وبها تُقَطَعُ (١) أرزاقهم ، فإنهما يُكثِرانِ لمن قالهما الوُلُوجَ على الله عزّ وجل . وأنهاك عن الشُّركِ والكِبَرِ ، فإن الله محتجِبٌ عنهما ، فقال له بعض أصحابه : أَمِنَ الكِبَرُ أن يكون لى الدابة النَجِيبةُ (٢) ؟ قال : لا ، قال : أَمِنَ الكِبَرُ أن يكون لى الثوب الحَسَنُ ؟ قال : لا ، قال : أَمِنَ الكِبَرُ أن يكون لى الطعامُ أجمع عليه الناس ؟ قال : لا ، إنما الكِبَرُ أن تَسْفَهَ (٣) الحق ، وتَغْمَصَ الخلق .

وإياك والكِبَرِ والزَّهْوِ ، فإن الله عزّ وجل لا يَحِبُّهُمَا ، وبلغنى عن بعض العلماء أنه قال : « يُحْشَرُ المتكبرون يوم القيامة فى صُورِ الذَّرِّ (٤) ، تَطَّوهُمُ الناسُ بتكبرهم على الله عزّ وجل » ، لا تَأْمَنُ على شىء من أمرِك مَنْ لا يَخافُ الله ، فإنه بلغنى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « شاورِ فى أمرِك الذين يَخافون الله » .

احذر بطانة السوء وأهل الردى على نفسك ، فإنه بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من نبي ولا خليفة إلا وله بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف وتنهيه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالاً (٥) ، وهو مع التى استولت عليه ، ومن وُقِيَ بَطَانَةَ السوءِ فَقَدِ وُقِيَ « واستبطنُ أهل التقوى من الناس . وأكرم ضيفك فإنه يحق عليك إكرامه . وارِعَ حَقَّ جارك : ببذل المعروف ، وكف الأذى عنه ، فإنه بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرِمِ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرِمِ ضيفه » . وتكلم بخير أو اسكت ، فإنه بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليُمسِكْ » .

واتقِ فُضُولَ المَنطِقِ ، فإنه بلغنى عن ابن مسعود أنه قال : « أنذِرْكم فُضُولَ المَنطِقِ » .

(٢) النجبية : الكريمة التى يسابق عليها .

(٤) الذر : صغار النمل .

(١) أى تفدر .

(٣) سفه كفرح : جهل .

(٥) الخبال : الفساد .

وَأَكْرَمَنَ وَاوَدَّكَ وَكَافَيْتَهُ بِمُودَتِهِ، وَإِيَّاكَ وَالغَضَبَ فِي غَيْرِ اللَّهِ. لَا تَأْمُرْ بِخَيْرٍ إِلَّا بَدَأْتَ
بِفِعْلِهِ، وَلَا تَنْهَ عَنْ سُوءٍ إِلَّا بَدَأْتَ بِتَرْكِهِ، دَعَّ مِنْ الْأَمْرِ مَا لَا يَعْنِيكَ، فَإِذَا بَلَغَنِي
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»
صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَاعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، فَإِذَا بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهَا أَفْضَلُ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

اتَّقِ كَثْرَةَ الضَّحْكَ، فَإِذَا يَدْعُو إِلَى السَّفَهِّ، فَإِذَا بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ ضَحْكَه كَانَ تَبْشِيرًا. لَا تَمْزَحْ فَتُدْمَ نَفْسَكَ، فَإِذَا بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنِّي لَأَمْزَحُ وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا»، لَا تُخَالِفْ إِلَى مَا نَهَيْتَ عَنْهُ،
وَإِذَا نَطَقْتَ فَأَوْجِزْ، فَإِذَا بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَهَلْ يَكُوبُ
النَّاسَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا هَذَا؟ يَعْنِي لِسَانَهُ»، لَا تُصَاعِرْ^(١) خَدَّكَ لِلنَّاسِ، فَإِذَا بَلَغَنِي
عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ كُلُّهُمْ هَيِّنٌ لَيْسَ سَهْلٌ طَلَّقَ» -
اتْرِكْ مِنْ أَعْمَالِ السَّرِّ مَا لَا يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَعْمَلَهُ فِي الْعَلَانِيَةِ. اتَّقِ كُلَّ شَيْءٍ تَخَافُ
فِيهِ تَهْمَةً فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ كَانَ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقِفُ مَوَاقِفَ التَّهْمِ».

أَقْلِلْ طَلِبَ الْحَوَائِجِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ غَضَاضَةٌ^(٢)، وَبَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: «لَا تَسْأَلِ النَّاسَ». وَلِيَكُنْ مَجْلِسُكَ بِبَيْتِكَ أَوْ مَسْجِدِكَ،
فَإِذَا بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ «الْمَسَاجِدُ بِيُوتِ الْمُتَّقِينَ». لَا تُسَكِّرِ الشُّخُوصَ
مِنْ بَيْتِكَ إِلَّا فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ، فَإِذَا بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «سِتَّةُ
مَجَالِسَ الْمُسْلِمِ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ مَا كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوْ فِي بَيْتِ اللَّهِ،
أَوْ فِي عِيَادَةِ مَرِيضٍ، أَوْ شُهُودِ جَنَازَةٍ، أَوْ جُمُعَةٍ، أَوْ عِنْدَ إِمَامٍ مُقْسِطٍ^(٣) يَعْزُرُهُ وَيُوقِرُهُ».

(١) صعر خده وصاعره وأصعره: أماله عن النظر إلى الناس تهاونا من كبر.

(٢) الغضاضة: الذلة والمنقصة.

(٣) مقسط: عادل (وفي العدل لفتان: قسط وأقسط. وفي الجور لغة واحدة، قسط بغير الالف)

والتعزير: والتفخيم والتعظيم.

أَحْسَنَ خُلُقِكَ مَعَ أَهْلِكَ وَمَنْ اعْتَزَلَ بِكَ ، فَإِنْ فِي ذَلِكَ رِضًا لِرَبِّكَ ، وَمَحَبَّةٌ فِي أَهْلِكَ ،
وَمَثْرَاءٌ (١) فِي مَالِكَ ، وَمَنْسَأَةٌ (٢) فِي أَجْلِكَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ
أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ أَحْسِنَ الْبِشْرِ إِلَى عَامَّةِ النَّاسِ ، وَاتَّقِ شَتْمَهُمْ وَغَيْبَتَهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ :
« أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَسَكَرَ فَتَمَّوهُ » وَبَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَشْتُمِ النَّاسَ » .

اتَّقِ أَهْلَ الْفُحْشِ ، وَمَجَالِسَةَ أَهْلِ الرَّدَى ، وَمَحَادَثَةَ الضَّعْفَةِ (٣) مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّهُ
بَلَغَنِي عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : « اِعْتَبِرِ النَّاسَ بِأَخْدَانِهِمْ (٤) ، فَإِنَّمَا
يَخَادِنُ الرَّجُلَ الرَّجُلَ مِثْلَهُ » .

أَكْرَمَ الْيَتِيمِ وَارْحَمَهُ وَاعْطَفَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ كَفَلَ يَتِيمًا لَهُ أَوْ لغيره كُنْتُ أَنَا وَهُوَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ » وَأَشَارَ
بِأَصْبَعَيْهِ ، فَضَمَّهُمَا .

اعْرِفْ لَابْنَ السَّبِيلِ حَقَّهُ ، وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ أَوَّلَ مَنْ
أَضَافَ (٥) الضَّيْفَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

أَعِنِ الْمَظْلُومَ ، وَانصُرْهُ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَخُذْ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ ، وَادْفَعْهُ عَنْ ظَلَمِهِ ، فَإِنَّهُ
بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ مَشَى مَعَ مَظْلُومٍ حَتَّى يَثْبُتَ لَهُ حَقُّهُ ،
ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ » .

اتَّقِ اتِّبَاعَ الْهَوَى فِي تَرْكِ الْحَقِّ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَيْنِ : اتِّبَاعَ الْهَوَى وَطُولَ الْأَمَلِ ، فَإِنْ اتَّبَعَ الْهَوَى يَصُدَّ عَنِ
الْحَقِّ ، وَطُولَ الْأَمَلِ يُنْسَى الْآخِرَةَ » .

(١) مَثْرَاءٌ : أَي مَكْرَةٌ . (٢) مَنْسَأَةٌ : أَي تَأْخِيرٌ . (٣) جَمْعُ ضَعِيفٍ .

(٤) الْأَخْدَانُ جَمْعُ خَدِنَ بِالْكَسْرِ وَهُوَ : الصَّاحِبُ ، وَخَادَنَهُ : صَاحَبَهُ .

(٥) أَضَافَ الرَّجُلُ وَضَيْفَهُ : أَنْزَلَهُ بِهِ ضَيْفًا ، وَضَافَهُ يَضِيفُهُ ضَيْفًا وَضَيْفَانَةً وَتَضَيْفُهُ : نَزَلَ عَلَيْهِ ضَيْفًا .

وَفِي الْأَصْلِ « ضَافَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَا تَسْتَطِيلْ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَشْرَفُ الْأَعْمَالِ ثَلَاثَةٌ : ذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَمَوَاسَاةُ الْأَخِ مِنَ الْمَالِ ^(١) ، وَإِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ » . أَنْغَضُضُ بِعَرَكٍ عَنْ حَرَامِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ عَلِيِّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ قَالَ : « لَا تُدْبِعِ الْفِظْرَةَ الْفِظْرَةَ ، فَإِنَّمَا لَكَ الْبُظْرَةُ الْأُولَى ، وَليست لك الأخرى » .

اتَّقِ الْمَطْعَمَ الْوَبِيَّ ^(٢) ، وَالْمَشْرَبَ الْوَبِيَّ ، وَالْمَلْبَسَ الْوَبِيَّ ، فَإِنَّ ذَلِكَ تَذْهَبُ أَنْفَتُهُ ^(٣) ، وَتَبْقَى عَاقِبَتُهُ ، وَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَدَّبَ رِصْلَهُ ، فَقَالَ : « كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا » وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : « مَنْ أَكَلَ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ أَكَلَهُ أَطْعَمَهُ اللَّهُ مَكَانَهَا أَكَلَهُ مِنْ نَارٍ ، وَمَنْ سَمِعَ ^(٤) بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ سَمِعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ لَبَسَ بِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ ثَوْبًا أَلْبَسَهُ اللَّهُ مَكَانَهُ ثَوْبًا مِنْ نَارٍ » .

اقْبَلْ عَذْرًا مِنْ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ ، وَرَجَّعْ عَمَّا كَرِهْتَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ اعْتَذَرَ إِلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ فَلَمْ يَعْذِرْهُ ، كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ صَاحِبِ مَكْسٍ ^(٥) » .

لَتَسْكُنَ يَدُكَ الْعَالِيَا عَلَى كُلِّ مَنْ خَالَطَتْ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الْيَدُ الْعَالِيَا ^(٦) خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » .

(١) آسَاءُ بِنَالِهِ : أَنَالَهُ مِنْهُ وَجَعَلَهُ فِيهِ أَسْوَأَ أَى قَدْوَةٍ .

(٢) الْوَبِيُّ : مَسْهَلٌ عَنِ الْوَبِيِّ ، يُقَالُ : أَرْضٌ وَبِيئَةٌ وَوَبِيئَةٌ : أَى كَثِيرَةُ الْوَبَاءِ وَهُوَ الطَّاعُونَ ، وَالرَّادُّونَ : الْمَكْسُوبُ مِنْ طَرِيقٍ غَيْرِ شَرِيفٍ ، الْمَأْخُوذُ مِنْ غَيْرِ حِلٍّ .

(٣) أَنْفُ الشَّيْءِ : وَأَنْفَتُهُ : أَوَّلُهُ وَابْتِدَاؤُهُ .

(٤) النِّسْمِيعُ : التَّنْصِيعُ وَالتَّشْهِيرُ .

(٥) جَاءَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : الْمَكْسُ : الضَّرْبَةُ الَّتِي يَأْخُذُهَا الْمَسَاكِينُ ، وَهُوَ الْعِشَارُ ، وَيُقَالُ لِلْعِشَارِ صَاحِبُ مَكْسٍ ، وَفِي الْحَدِيثِ « لَا يَدْخُلُ صَاحِبُ مَكْسٍ الْجَنَّةَ » وَفِي حَدِيثِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ لِأَنْسٍ : « تَسْتَعْمَلُنِي عَلَى الْمَكْسِ أَى عَلَى عَشُورِ النَّاسِ فَأَمَّا كَسْبُهُمْ وَيَمَّا كَوْنُنِي » قِيلَ مَعْنَاهُ : تَسْتَعْمَلُنِي عَلَى مَا يَنْقُصُ دِينِي ، أَمَا يَحْذَرُ مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ فِي الْأَخْذِ وَالزُّكَاةِ نَقْلًا عَنِ النَّهْيِ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ لِابْنِ الْأَثِيرِ - انظر ج ٤ : ص ١٠٣ .

(٦) الْيَدُ الْعَالِيَا : الْمَعْطِيَةُ ، وَالْيَدُ السُّفْلَى : الْمَعْطَاةُ ، وَهُوَ حَثُّ عَلَى الْبِرِّ وَالصَّدَقَةِ .

أَتَحَبُّ الْأَخْيَارَ ، فَإِنَّهُمْ يُعِينُونَكَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا تَحَبَّبَ رَجُلَانِ فِي اللَّهِ إِلَّا كَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّهَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ » .

صِلْ رَحِمَكَ وَإِنْ قَطَعَكَ ، وَلَا تَكْفَيْتَهُ بِمِثْلِ مَا أَتَى إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَنْ رَجُلًا قَالَ لَهُ : إِنْ لِي أَقْرَبَاءُ ، أَعْفُو وَيُظْلِمُونِي (١) ، وَأَصِلُ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ (٢) ، أَفَأَكْفَيْتَهُمْ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَنْ تُتَرَّكُوا جَمِيعًا ، وَلَكِنْ إِذَا أَسَاءُوا فَأَحْسِنْ فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ لَكَ عَلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ ظَهْرٌ (٣) » .

ارْحَمِ الْمَسْكِينِ الْمُضْطَّرِّ ، وَالْغَرِيبَ الْمَحْتِاجَ ، وَأَعِزَّهُ عَلَى مَا اسْتَطَعْتَ مِنْ أَمْرِهِ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ » .

ارْحَمِ السَّائِلَ وَارْدُدْهُ مِنْ بَابِكَ بِفَضْلِ مَعْرُوفِكَ ، بِالْبَدْلِ مِنْكَ ، أَوْ قَوْلِ مَعْرُوفٍ يَقُولُهُ لَهُ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « رُدَّ عَنْكَ مَدْمَةٌ السَّائِلِ ، [وَلَوْ] بِمِثْلِ رَأْسِ الطَّيْرِ مِنَ الطَّعَامِ » .

لَا تَزْهَدْ فِي الْمَعْرُوفِ عِنْدَ مَنْ تَعْرِفُهُ ، وَعِنْدَ مَنْ لَا تَعْرِفُهُ ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَزْهَدْ فِي الْمَعْرُوفِ ، وَلَوْ أَنَّ تَصُبَّ مِنْ دَلُوكَ فِي إِيَّائِهِ » .

(١) هكذا في الأصل ، وقد ذكروا أن نون الرفع تحذف جوازا بكثرة في الفعل المتصل بنون الوقاية نحو قوله تعالى « قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّمُرُونَ أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ » بتخفيف النون في قراءة نافع ، فالصحيح هند سيديويه أن المحذوف نون الرفع والمذكور نون الوقاية . وقيل المحذوف نون الوقاية ، وتحذف نون الرفع جوازا بقلة في غير ذلك نحو قوله :

أَبَيْتَ أُسْرَى وَتَبَيْتَ تَدَلِكِي وَجَهَكَ بِالْعَنْبَرِ وَالْمَسْكِ الذَّكِي

وفي الحديث : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَنْدَخِلُوا الْجَنَّةَ حَقَّ تَوْمَنُوا ، وَلَا تَوْمَنُوا حَتَّى تَحَابُّوا » .

(٢) وفي الأصل « وَيُسَيِّئُونَ » والذي في كتب اللغة أن « ساء » متعد بنفسه ، يقال : ساءه بسوءه : فعل به ما يكرهه ، نقيض سره ، وأساءه متعد بحرف الجر ، يقال : أساء إليه نقيض أحسن إليه ، ويقع متعديا بنفسه ولكن بمعنى أفسد ، يقال أساء الشيء : أي أفسده ولم يحسن عمله .

(٣) أي ممن .

المستقي . « أريد بكل ما يكون منك من خير إلى أحد الله ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قوله عز وجل : « فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ، الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ » قال : « المنافق » . الذي إن صلى رآى ، وإن فاتته لم يبلغ إليها ، « ويمنعون الماعون » قال . الماعون . الزكاة التي فرضها الله عز وجل .

إياك والرياء ، فإنه بلغني أنه لا يصعد عمل المرأى إلى الله عز وجل ، ولا يزكبه عنده . إن استطعت أن تعمل ما عملت فيما بينك وبين الله فافعل ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال . « نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها حتى يبلغها غيره ، فرُبَّ غائبٍ أحفظُ من شاهد ، وربَّ حاملٍ فقهٍ غيرُ فقيرٍ » لا يغفل قلب امرئ مسلم عن ثلاث خصال : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للإمام العادل ، والنصيحة لعامة المسلمين ، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم . إياك وسوء الخلق ، فإنه يدعو إلى معاصي الله تعالى ، وقد بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيارُكم أحسنُكم أخلاقاً » . اخضع لله إذا خلوت بعملك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن مَلَكَكَا أتاه فقال : إن ربك يُقرئك السلام ويقول : إن شئتُ أجعلك مَلَكَكَا نبيا ، أو عبداً نبيا ، فأشار إليه جبريل عليه السلام أن تواضع ، فما أكل متكنا حتى مات » . لا تظلم الناس فيديهم^(١) الله عليك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال : « ما ظلمتُ أحداً أشدَّ على ظلماً من أحدٍ لا يستهين على إلا بالله تعالى .

احذر البغي ، فإنه عاجل العقوبة ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن أعجلَ الخير ثواباً صلةُ الرحم ، وإن أعجلَ الشر عقوبةً اليمينُ الغموسُ^(٢) ،

(١) أي فينصرهم ويمطيهم الغلبة .

(٢) اليمين الغموس : هي اليمين الكاذبة التي يتعمدها صاحبها عالماً بأن الأمر بخلافه ، وسميت بذلك لأنها تفسد صاحبها في الإثم ثم في النار .

تترك الديارَ بلاَقع^(١) . لا تحلف بغير الله في شيء ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تحلفوا بأبائكم ، ليحلف حالف بالله أو ليسكت » ولا تحلف بالله في كل شيء ، فإنه بلغني أن ذلك قوله تعالى : « وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ » .

أرحم الناس يرحمك الله ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » . أحب طاعة الله يُحبك الله ويحببك إلى خلقه ، قال عز وجل لنبيه : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » وقال عليه الصلاة والسلام : « إن الله جعل قرّة عيني في السجود » وقال بعض العلماء : « ما سرّ عبد قط سريرة خير إلا ألبسه الله رداءها ، ولا أمرّ سريرة شرّ قط إلا ألبسه الله رداءها » .

وأيكن عايك السكينة والوقار في منطقتك ومجلسك ومركبك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ، والناس يزحفون حوله : « عليكم بالسكينة » . أعط دابتك إذا ركبتها حظها من الأرض ، وحظها من المقصد عليها ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا ركبت هذه الدواب العجم فأعطوها حظها من الأرض » .

عليك بالحلم والإغضاء عما كرهت ، ولا تمنع^(٢) ذلك من أحد بلغك عنه أذى ولا تكافئه ، فإن في ذلك الفضل في الدنيا والآخرة ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يحب الحليم اللين المتعفف » . ادفع السيئة بالتي هي أحسن ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أيها السلمي : اتق العقوق وقطيعة الرحم ، فإن في ذلك شيناً في الدنيا ، وتباعداً في الآخرة » ، وبلغني عن النبي

(١) جمع بلقع كجفر : الأرض الفجر .

(٢) في الأصل « ولا تنبع » وأراه محرفاً .

صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اشتكت الرَّحِيمُ إلى الله عز وجل ممن يقطعها ، فردَّ الله عليها : أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أُصِلَ مَنْ وَصَلَكَ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ! » .

إذا غَضِبْتَ مِنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، فَادْكُرْ ثَوَابَ اللَّهِ عَلَى كَظْمِ الْغَيْظِ ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » .
وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما امتلأ رجل غيظا ، فكظمه الله ، إلا ملأه الله رضوانا يوم القيامة » .

إذا وعدت مَوْعِدًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ فَلَا تُخْلِفْهُ ، وَإِذَا قُلْتَ قَوْلًا فِيهِ رِضَا اللَّهِ فَأَوْفِ بِهِ وَدُمْ عَلَيْهِ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ تَكْفَلَّ لِي بِسِتْرٍ أَتَكْفَلُّ لَهُ بِالْجَنَّةِ : إِذَا حَدَّثَ لَمْ يَكْذِبْ ، وَإِذَا وَعَدَ لَمْ يُخْلِفْ ، وَإِذَا أَوْثَمَ لَمْ يَخُنْ ، وَغَضَّ بَصَرَهُ ، وَحَفِظَ فَرْجَهُ ، وَكَفَّ يَدَهُ » .

إِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ لَيْسَتْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فَلَا تَهَمَّنَنَّ بِهَا وَكْفَرْهَا ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ » وَكُفَّارَتُهَا كُفَّارَةُ يَمِينٍ ، وَالنَّذْرُ يَمِينٌ ، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، فَأَتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكْفَرَنَّ عَنِ يَمِينِكَ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ . إِيَّاكَ وَالتَّزْيِيدَ فِي الْقَوْلِ ، وَأَنْ تَقُولَ قَوْلًا وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : الْإِمَامُ الْكَذَّابُ ، وَالْعَائِلُ الْمَزْهُوُّ (١) ، وَالشَّيْخُ الزَّانِي » .

بِرٍّ (٢) وَالِدَيْكَ وَخُصَمَاءَ مَنْكَ بِالِدَعَاءِ فِي كُلِّ صَلَاةٍ ، وَأَكْثَرُ لَهَا الْإِسْتِغْفَارُ ، وَابْدَأْ بِنَفْسِكَ قَبْلَهُمَا ، فَإِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : « رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ » فَبَدَأَ بِنَفْسِهِ قَبْلَ وَالِدَيْهِ ، وَبَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَنْ مَرَّه أَنْ

(١) العائل : الفقير ، عال يعيل عيلا وعيلة : افتقر ، والمزهو : التكبر ، من الزهو : وهو الكبر والنيه والفخر ، وقد زمي كعني ، وكدعا قليلة .
(٢) فعله كعلم وضرب .

يُنْسَأُ^(١) له في عمره ، ويزاد في رزقه ، فليمتق الله ربه ، وليصِلْ رَحِمَهُ . اشكر للناس ما أتوا إليك من خيرهم ، وكافئهم إن قَدَرْتَ عليه ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » .

إذا ركبت دابة فوضعتَ رجلك في الرِّكَّابِ فقل : باسم الله ، وإذا استويت راكبا فقل : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ^(٢) » . فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك كلما ركب دابة. إذا أكلت وشربتَ فاذا كَرِ اسمَ الله ، فإن نَسِيتَ في أول حالك فاذا ذكره إذا ذَكَرْتَ ، بلغني عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : « تذكَّرْ اسمَ الله حين تأكل^(٣) ، فإنه يحول بين الخبيث وبين أن يأكل معك^(٤) ، ويتقيأ ما أكل » ، فإذا فرغْتَ فقل : الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك إذا أكل وشرب ، وإذا أكلت ومعك آخرُ فكل مما يليك بيمينك ، ولا تأكل من فوق الطعام ، ولا من بين يدي أحد . فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل يفعله : « اذكر اسم الله ، وكُلْ مما يليك ، وكل بيمينك ولا تأكل بِشِمَالِكَ » ، وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنها إكيلة الشيطان » .

لا تسافر ما استقطعتَ إلا في يوم الخميس ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يستحب أن يسافر يوم الخميس ، لا يسافرُ إلا فيه . إذا أصابك كرب فقل : يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك عند الكرب .

(١) أى يؤخر .

(٢) أى مطيقين ، أقرن للأمر : أطاقه وقوى عليه ، وعن الأمر ضعف ضد ، وأول الآية الكريمة « وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَوْنَ كِبُورًا ، لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي . . . » .

(٣) فى الأصل « تذكر » وأراه محرفا . (٤) فى الأصل « معه » .

احترس ممن يقرب إليك بالنميمة ، ويبليغ الكلام عن الناس ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ملعون من لعن أباه ملعون من لعن أمه ، ملعون من غير نخوم^(١) الأرض ، ملعون كل صقار ، وهو النام » . لا تجرّ ثيابك ، فإن الله لا يحب ذلك . وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من جرّ ثيابه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة » . أطع الله في معصية الناس ، ولا تطع الناس في معصية الله ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاطاعة مخلوق في معصية الخالق » . إذا أصابك حزن أو سقم أو ذلة أو لأواء^(٢) - يعني الجوع - فقل : الله ربي لا أشرك به شيئاً ، ثلاث مرات ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بذلك من أصابه شيء من ذلك . اصبر على ما أصابك من فجاج الدنيا وأحزانها ، لقول الله تعالى : « إِنَّمَا يُؤَفِّقُ الصَّابِرِينَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد .

لا تمارين أحداً وإن كنت مُحِقّاً ، بلغني أن قول الله عز وجل : « فَلَا رَفَثَ^(٣) وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ » أنه المرأ^(٤) . إذا هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر في عاقبته ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر في عاقبته ، فإن كان رُشداً فأَمْضِهِ ، وإن كان غيياً فانتَه عنه » . إياك والتجريد^(٥) خاليا ، فإنه ينبغي لك أن تستحي من الله إذا خلوت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا أحب أن يبلي لي شيئاً من لا يستحي

(١) النخوم : الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود .

(٢) في اللسان : الأواء : الشدة وضيق المعيشة ، ومنه الحديث « من صبر على لأواء المدينة ... » والأواء : المشقة والشدة ، وقيل القحط ، يقال أصابهم لأواء وشصاص بالفتح وهي الشدة ، وتكون الأواء في العلة .

(٣) الرفث : الجماع والفحش .

(٤) كذا في كتب التفسير قالوا : ولا جدال : أي ولا مرأ مع الخدم والرفقة ، والمرأ : المجادلة

(٥) التجريد : التعرية من الثياب .

من الله في الخلاء . وإياك أن تدخل الحمام وللأبازار ، ولا يدخل معك أحد الحمام إلا بإزار ، ولن تقدر على ذلك ، فإن لم تقدر فغض طرفك عن كل أحد كان مكشوفاً ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يدخل الحمام إلا بإزار » . أفش السلام ، وإن استطعت ألا يسبقك أحد إليه فافعل ، تعط بذلك فضلا عن الناس ، وبلغني عن ابن مسعود أنه قال : « السلام اسم من أسماء الله وضعه فيكم فأفشوه فيكم ، فإن الرجل إذا سلم كتب له عشر حسنات » .

أدب ولدك ومن وليت أمره على خلقك وأدبك ، حتى يتأدبوا على ما أنت عليه ، فيكونوا لك هوناً على طاعة الله ، بلغني عن ابن مسعود أنه قال : « كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه ، وإن أدب الله هو القرآن » . وإذا استشارك أحد فإن شئت تكلمت ، وإن شئت سكت ، واجتهد رأيك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المستشار بالخيار ، إن شاء تكلم ، وإن شاء سكت » . لا تفس على أحد سراً أفشاه إليك ، فإنما هي أمانة استودعكها واثمنتك عليها ، إلا أن يكون إفشاؤه خيراً له في دنياه وآخرته ، فأفشها عليه وانصحه فيها ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حق المسلم على المسلم إذا استنصحه أن ينصحه » .

إذا تعلمت علماً من طاعة الله فدير عليك أثره ، ودير فيك سمته ، وتعلم للذي تعلمه ، وتعلم له السكينة والحلم والوقار ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العلماء ورثة الأنبياء » . رد جواب الكتاب إلى كل أحد كتب إليك ، فإنما هو كرد السلام ، قال الله عز وجل : « وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَجَيِّبُوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا » وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « أرى رجع الكتاب على حقا ، كما أرى رجع السلام » . الزم الحياء فإنه خلق الإسلام ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لكل شيء خلق ، وخلق الإسلام الحياء » . إذا سافرت فقل : اللهم إني أعوذ بك

من وَعَثَاء^(١) السفر ، وكآبة المنقلب ، ودعوة المظلوم ، وسوء المنظر في الأهل والمال ،
والخَوْر بعد الكَوْر^(٢) ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك
إذا سافر .

إياك وظلم الضعيف ومن لا يستعين عليك إلا بالله ، بلغني عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه قال : « ثلاثة لا تُرَدُّ دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يُفِطِر ، ودعوة
المظلوم فإنها تصعد فوق الغمام ، فيقول الله لها : وعِزَّتِي وِجَالِي لَأَنْصُرَنَّكَ ولو بعد
حين » . إذا ودَّعت مسافراً فقل : زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى ، وغَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ ، ويسِّرْ لَكَ
الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، أَسْتَوْدِعُ اللهُ دِينَكَ وَأَمَانَتَكَ وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ ، بلغني عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بها أصحابه .

إذا حضرت أمراً ليس لله بطاعة ، ولا تقدرُ على أن تدفعه ، فقم عنه ولا تتعد ،
بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يَمْنَعَنَّ أَحَدَكُمْ مَخَافَةُ النَّاسِ أَنْ يَقُولَ
الْحَقَّ إِذَا شَهِدَهُ أَوْ عَلِمَهُ » . الزَّمِ السَّوَاكَ فَإِنَّهُ سُنَّةٌ ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « السَّوَاكُ مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ » . أَفْشِ الصَّدَقَةَ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيقَةَ السَّوَاءِ ، وليكن
ذلك من أطيب مالك ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا الطيب ، بلغني عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : « إِنْ أَحَدُكُمْ لِيَتَصَدَّقَ بِالْتَّمْرِ إِذَا كَانَتْ مِنْ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللهُ
إِلَّا الطَّيِّبَ - فَيَجْعَلُهَا فِي كَفِّهِ ، فَيُرَبِّبُهَا لَهُ كَمَا يُرَبِّبُ أَحَدُكُمْ فِلْوَهُ^(٣) أَوْ فَصِيلَهُ ، حَتَّى
تَسْكُونَ فِي يَدِهِ مِثْلَ الْجَبَلِ » .

إذا نزلت بك كربةٌ من كرب الدنيا فليكن مَفْرَعَكَ فيها إلى الله عز وجل
حين تنزل بك . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَنْ يَنْزَلَ بِعَبْدٍ قَطُّ أَمْرٌ

(١) الوعثاء : المشقة .

(٢) الخور : النقصان ، والكور : الزيادة ، وفي الحديث : « نعوذ بالله من الخور بعد الكور »
أى من النقصان بعد الزيادة ، وقيل معناه من فساد أمورنا بعد صلاحها .

(٣) الفلو بالكسر وكعدو وسمو : الجحش أو المهر قطماً أو بلغا السنة ، والفصيل ولد الناقة إذا
فصل عن أمه .

كان مَفْرَعُهُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ إِلَّا فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ . لا تَضْطَجِعْ عَلَى بَطْنِكَ إِذَا نِمْتَ ،
وَلَا فِي غَيْرِ نَوْمِكَ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّهَا لَضَجْمَةٌ
يُبْغِضُهَا اللَّهُ » . أَوْفِ بِالْعَهْدِ إِذَا أُعْطِيْتَهُ مِنْ نَفْسِكَ لِكُلِّ أَحَدٍ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « أَحَقُّ مَا وُفِّيَ بِهِ عَهْدُ اللَّهِ » .

إِذَا حَضَرَتِ السُّلْطَانَ فَاشْفَعْ بِخَيْرٍ ، وَإِيَّاكَ وَالْكَلَامَ عِنْدَهُ إِلَّا بِمَا يُرْضَى اللَّهُ ،
بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنْ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ
مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ لَهُ بِهَا سُخْطَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَإِنْ الرَّجُلُ لِيَتَكَلَّمَ
بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ مَا يَظُنُّ أَنَّهَا تَبْلُغُ مَا بَلَغَتْ ، يَكْتُبُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى
يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . أُسِرَّ مَا أُرِدْتَ بِهِ اللَّهُ مَا اسْتَطَعْتَ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّهُ قَالَ : « صَدَقَةُ السَّرِّ تَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ » . اتَّقِ كَثْرَةَ التَّزَكِيَةِ لِنَفْسِكَ ، أَوْ تَرَضَى
بِهَا مِنْ أَحَدٍ يَقُولُهَا لَكَ فِي وَجْهِكَ . بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا امْتَدَحَ رَجُلًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « وَيْحَكَ قَطَعْتَ عُنُقَهُ ! وَلَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ أَبَدًا » . إِيَّاكَ وَمَدْحَ
النَّاسِ وَالثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ فِي وُجُوهِهِمْ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ :
« احْتُوا (١) التُّرَابَ فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ » . طَهَّرْ ثِيَابَكَ وَنَقِّهَا مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى ،
فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَوْلَهُ « وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ » يَأْمُرُهُ أَلَّا يَلْبَسَهَا عَلَى عَذْرَةٍ (٢) . وَكَرِهَ
لِكُلِّ أَحَدٍ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، بَلَغَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ بَاعَ جَرِيرًا الْبَجَلِيَّ
عَلَى الْإِسْلَامِ وَالنَّصِيحَةِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ .

إِيَّاكَ وَالْحَسَدَ وَالشَّرَّ ، بَلَغَنِي أَنَّهُمَا خُلِقَانِ مُرْدِيَانِ لِصَاحِبِهِمَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،
وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا وَسَلَّطَهُ عَلَى
إِنْفَاقِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيَهْتَمُّ بِهَا » . اقْتَدِ فِي أُمُورِكَ بِرَأْيِ

(١) حثا التراب في وجهه يخشوه ويحسبه حنوا وحنيا : رماه .

(٢) العذرة : العائظ .

ذوى الإنصاف من أهل التقوى ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « خياركم شبانكم المتشبهون بشيوخكم ، وشراركم شيوخكم المتشبهون بشبانكم » . لا تحمكر^(١) أحدا ، ولا تجالس ما بونا^(٢) ، فإن الوحدة خير من جليس السوء .

عليك بمعالي الأخلاق وكريمها ، وابق رذائلها وما سفسف منها ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الله يحب معالى الأخلاق ، ويكره سفافها^(٣) » . إذا رأيت من فضلت عليه فى دينك ودنياك فأكثر حمد الله عليه ، فإن ذلك من الشكر ، بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنعم الله على عبد بنعمة فقال الحمد لله ، إلا كان ذلك أعظم من تلك النعمة وإن عظمت » .

لا تترك الميثة^(٤) الحمراء ، ولا تلبس المعصفر ، فإنه بلغنى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذلك . إذا غضبت وأنت قائم فاقعد ، وإن كنت قاعداً فاضطجع ، بلغنى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . لا تطيرن من شئ تراه أو تسمعه ، وإذا كان من ذلك شئ فقل : اللهم لا يأتى بالخير إلا أنت ، ولا يدفع السوء إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، بلغنى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بذلك لمن رأى من ذلك شيئاً . لا تتوضأ بشئ مما تأكل من الطعام ، ولا تدلك به فى الحمام ، فإن ذلك من الجفاء ، لا تتخلقن بالخلوق^(٥) إلا أن يكون فى إثر النورة^(٦) ليذهب ريحها ، بلغنى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بينما رجل فى بردين له متخلق

(١) الحكر بالفتح : سوء المعاشرة ، وفعله كضرب ، يقال : فلان يحكر فلانا إذا أدخل عليه مشقة ومضرة فى معاشرته ومعايشته .

(٢) أى متبها بشر .

(٣) سفاف الأخلاق : رديتها .

(٤) الميثة : مركب من مراكب الأعاجم من ديباج أو حرير ، وثوب معصفر : مصبوغ بالعصفر

(٥) الخلق : ضرب من الطيب ، وتخلق : تطيب .

(٦) النورة : حجر الكلس ثم غلبت على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنبيخ وغيره وتستعمل

لإزالة الشر .

يتبختر فيهما إذ ساخت به الأرض فهو يتجلجل^(١) فيها إلى يوم القيامة .

لا تُغَبَّرَنَّ^(٢) أظفارك بالحناء ولا بديك إذا دخلت الحمام ، فإنه ليس من سيمى أهل الفضل ، ولا تحلف بالطلاق ولا بالعتاق ، فإنها من أيمان الفساق . بلغني عن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال : « أربعٌ جائزة إذا تكلمن بهن : الطلاق والعتاق والفكاح والنذر ، وأربعة يُنمسون والله عليهم ساخط ، ويصبحون والله عليهم غضبان : للتشبهون من الرجال بالنساء ، والتشبهات من النساء بالرجال ، ومن أتى بهيمة ، أو عمل عمل قوم لوط » . لا نتطيبن بشيء من الطيب يظهر لونه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « طيبُ الرجل ما بطن لونه وظهر ريمحه ، وطيبُ النساء ما ما ظهر لونه وبطن ريمحه » .

الزم الرأي الحسن ، والهدى^(٣) الحسن ، والاقتصاد . بلغني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : « الرأي الحسن جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة » . إن استقطعت ألا تدع العمامة والبُرد في العيدين والجمعة فافعل . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يلبس العمامة والبُرد في العيدين والجمعة ، وقال : « إن الله تعالى أعزَّ الإسلام بالعمائم والألوية » . إذا طلاك أحد بالنورة فبلغ المراق^(٤) فلا يلب ذلك منك إلا نفسك ومن يُحسِّن ذلك من نسائك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء أنه كان يبلي ذلك من نفسه .

لا بأس أن تغتسل بماء الحمام وأنت جنب وتصلّي ، بلغني عن ابن عباس أنه سئل عن الجنب يغتسل في الحمام ، فقال : إن الماء لا يجنب^(٥) ، وإذا تنخمت

(١) التجلجل : السوخ في الأرض .

(٢) غبره به تغبيرا : لعاخه به ، وفي الأصل « لاتغبرن » وهو تصحيف .

(٣) الهدى : الطريقة والسيرة .

(٤) مراق البطن : مارق منه ولان ، جمع مرق ، أو لا واحد لها .

(٥) أي لا ينجس .

في المسجد فادفنه ، بلغني عن بعض العلماء أنه قال : « هي خطيئة ، وكفارتها دفنها » .
إذا نمت فقل عند منامك : « اللهم أنت القائم الدائم لا تزول ، خلقت كل شيء
لا شريك لك ، علمت كل شيء بغير تعليم ، اغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت » .
بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا قلت كما قال علي بن أبي طالب »
رضي الله عنه ! وهو الذي قال ذلك . إذا أتيت الحاجة فلا تستقبل القبلة بفرجك ولا
تستدبرها ولا تستنج بيمينك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر
أصحابه ألا يستقبلوا القبلة ، ولا يستنجوا بأيمنهم ، ولا يستنجوا بعظم ولا روث .

إذا انصرفت من الصلاة فقل : « اللهم إني أسألك من الخير كله ما علمت منه
وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم . اللهم إني أسألك
من الخير ما سألك عبادك الصالحون ، وأعوذ بك من الشر ما عاذ منه عبادك
الصالحون . اللهم آتينا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار » ، بلغني
عن ابن مسعود أنه قال : ما دعا مرسل ولا عبد صالح بشيء حسن إلا هو فيه . يعني
في هذا الدعاء . لا تشتم عبداً لك ولا أمة بزني . فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال : « من قذف أمة أو حرة أو يهودية أو نصرانية ، فلم يضرب في الدنيا
ضرب يوم القيامة ثمانين جلدة » .

إذا كنت مسافراً أو مقياً فامسح إن شئت على خفيك ، إن كنت مسافراً ثلاثة
أيام ولياليهن ، وإن كنت مقياً فيوماً وليلة . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه
قال ذلك ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وابن عباس رضوان الله
عليهم قالوا ذلك . إذا صاحفك أحد فلا تنزع عن يده حتى يكون هو الذي
ينزع يده عن يدك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يصافح أحداً فنزع يده
حتى يكون هو الذي ينزع يده . إذا أقبل عليك رجل بوجهه يحدّثك فلا تصرف
وجهك عنه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عنك ، وإذا جلست إلى جنب رجل

أو جلس إلى جنبك رجل ، فلا تقوم من بين يديه ، ولا تتجاوزن ركبك ركبته .
 بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم تتجاوز ركبته ركلة جليس له . وإذا أحسست
 من أمير ظلامه أو تغطر ساقك : الله أكبر الله أكبر ، أعز من خلقه جميعاً ،
 الله أكبر مما أخاف وأحذر ، وأعوذ بالله الممسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه
 من شرف فلان ، اللهم كن لي جاراً من فلان وجزوده أن يفرض^(١) عليّ أحد منهم
 أو أن يطغى ، جلّ جلالك ، وعز جارك ، ولا إله غيرك ، تقول ذلك ثلاث مرات ،
 بلغني عن ابن عباس أنه قال ذلك وأمرنا به ، وإذا كتبت إلى أحد من غير أهل
 الإسلام فلا تكتبين : « سلام الله عليك » ولكن اكتب : « السلام على من اتبع
 الهدى » . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كتب ذلك إلى مسيلة . إذا عطت
 في الخلاء فاذا كر اسم الله خفياً .

لا تدّهن في مدّهن ذهب ولا فضة ، ولا تستجمر في مجامر^(٢) الذهب والفضة .
 بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الشرب في إناء الذهب والفضة ، لا تم
 على الحرير والديباج فإنه لبسة النساء . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن
 لبس الحرير والديباج إلا للنساء . إذا رأيت امرأة في أهلك وخاصتك مما ينبغي تغييره ،
 فلا تحابين منهم أحداً ، وقم فيه بالذي يحق عليك ، بلغني عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال : « انهر أخاك ظالماً أو مظلوماً » .
 إذا هممت بأمر من طاعة الله عز وجل فلا تحبسه إن استطعت فواقاً^(٣) حتى
 تمضيّه ، فإنك لا تأمن الأحداث ، وإذا هممت بأمر غير ذلك ، فإن استطعت ألا
 تمضيّه فواقاً فافعل ، لعل الله تعالى يحدث لك تركه . لا تستحني إذا دُعيت لأمر
 ليس بحق أن تقول لا ، فإن الله تعالى يقول : « وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْخَلْقِ » .

(١) أي يجعل على بائعوبة .

(٢) الجامر جمع بجمرة بالكسر : وهي البخرة .

(٣) الفواق بالضم ويفتح : ما بين الحلبتين من الوقت ، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع .

إذا سمعت المؤذن يؤذن فقل كما يقول ، إلا أنك تقول إذا قال : حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ ، لا حول ولا قوة إلا بالله . بلغني ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تَخْلُونَ بِامْرَأَةٍ لَيْسَتْ لَكَ بِمَحْرَمٍ ^(١) » بلغني عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال : « ما خلا رجل بامرأة ليست له بمحرم إلا كان ثالثهما الشيطان » ، إذا قال الإمام آمين ، فقل آمين ، فإنه ينبغي إذا فرغ من أم ^(٢) القرآن أن يقول آمين ، ويقول من خلفه سِرًّا ولا يَجهر به . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا أمَّن الإمام فأمنوا ، فإن الملائكة تؤمن لتأمين الإمام ، فمن وافق منكم تأمين الملائكة عُفِر له ما تقدم من ذنبه » .

إذا قضيت الحاجة فلا تبدأ بشيء حتى تغسل فرجك بالماء . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأهل مسجد قباء : إنا نزلت هذه الآية فيكم « فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ » . فَأَنْبِئُونِي مَا هَذَا التَّطَهُّرُ الَّذِي ذُكِرْتُمْ بِهِ فَأَنْبِئْتُمْ ^(٣) عليه ؟ قالوا : « والذي بعثك بالحق نبيا ، ما مِنَّا امرأة ولا رجل يأتي الخلاء فيبدأ بشيء دون غسل فرجه بالماء » . إذا أكلت طعاما فعلق بين أصابعك فآلعتها ، وأسنانك فتخلل . فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس شيء أشدَّ على المَلَك من أن يرى في الرجل طعاما وهو يصلي » .

إذا نزلت منزلا فقل : « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ » . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من نزل منزلا فقال هذه الكلمات وقى شرَّ منزله حتى يرتحل منه » . لا تأكل شيئا من ثمن طعام لا يحل لك أكله ، ولا شيئا من ثمن شراب لا يحل لك شربه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر : « إن الذي حرَّم شربها حرَّم ثمنها » ولا تدأو بشيء لا يحل لك أكله ولا شربه ،

(١) المحرم : ذات الرحم في القرابة التي لا يحل تزوجها .

(٢) أم القرآن : الفاتحة . (٣) في الأصل « فأنبئوا » .

ولا تبعه ولا تشتره ولا تطعمه ولا تطعمه أحدا ولا تسقه . ولا تداو به أحدا صغيراً
ولا كبيراً ولا بهيمة ولا غيرها ، بلغني عن بعض علماء الصحابة أنه نعت لبيع له خمر
فقال : « لا والله لا أوجره^(١) خمرًا » .

لا تأكل لحم شيء من السباع ولا ذاً مخلب من الطير . بلغني أن النبي صلى الله
عليه وسلم نهى عن أكل كل كليل ذي ناب من السباع . إذا فزعت في منامك فقل :
« أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن شر الشياطين ،
وأن يحضرون » . بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا فزع أحدكم
في منامه فليقل ذلك » . إذا قلت لأحد أقسمت عليك لتفعلن ، فلم يفعل الذي أقسمت
عليه أن يفعله وجب عليك الحنث ، وكفر عن يمينك ، وكذلك إن قلت له : أحلف
عليك أو أشهد عليك لتفعلن فلم يفعل ، وجب عليك الحنث ، وكذلك إذا كنت
وقت له وقتاً معلوماً فتركه حتى جاوز الوقت .

لا تبدأن أحداً من غير أهل الإسلام بالسلام ، لكن لو سلم هو فقل : وعليكم .
بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بذلك . لا بأس أن تأكل جنباً - وإن كنت
لم تتوضأ - إذا غسلت يديك . لا تقل لأحد صلى الله عليك . بلغني عن ابن عباس
رضي الله عنهما أنه قال : « لا تنبغى الصلاة من أحد لأحد إلا للنبي عليه الصلاة
والسلام » ولا تقل لأحد : جعلني الله فداك . بلغني أن الزبير قال للنبي صلى الله عليه
وسلم ذلك وهو مريض ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « ما تركت أعرابيتك
بعد ! » وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : لا يفد أحد أحداً .

لا بأس بمصافحة الجنب ومباشرته . بلغني عن ابن مسعود أنه قال : « أربعة

(١) أوجره الدواء : صبه في فيه .

ليس عليهم جنابة: الأُشنان^(١) والماء والثوب والأرض . لا بأس بمصافحة اليهودي والنصراني والصلاة في بيوتهم . لا تَبْلُغُ بشيء من أدبك إذا أدبتَ وعاقبتَ أحداً على جُرم اجترمه أربعين سوطاً ، قال صلى الله عليه وسلم : « من بَلَغَ حداً في غير حَدِّ فهو من المعتدين » . إذا أحببت أحداً لله فأعلمه « لِمَا قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم إني أحبُّ فلانا لله ، قال : أما أخبرته؟ قال : لا ، قال : فأخبره ، فلما أخبره قال : أحبك الله الذي أحببتني له » .

لا تَشْفَعُ فيمن وجب عليه حدٌّ من حدود الله إذا انتهى إلى الإمام ولا تحلُّ دونه ، ولا بأس أن تَشْفَعُ قبل ذلك ، قال ذلك بعض علماء الصحابة - وتَشْفَعُ في سارق - فقيل له : أتَشْفَعُ فيه وأنت من الصحابة؟ فقال : لا بأس به قبل أن يبلغ الإمام ، فإذا بلغه فلا عفا الله عنه إن عفا عنه . الزَمَ الصمتَ ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يستكمل الرجل الإيمانَ حتى يخزنَ لسانه » . وإذا أتيت قرية أو بلداً فقل : « اللهم ارزقنا خيرها ، واصرف عنا وباءها » ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إذا دنا من قرية .

إذا عطست فقل : الحمد لله ، فإن قال قائل : يرحمك الله ، فقل : غفر الله لنا ولك . وإن عطس عندك مسلم فقال : الحمد لله ، فقل يرحمك الله ، كان علي رضي الله عنه يقول لمن عطس ويقول ذلك : يَهْدِيكَ اللهُ وَيُصْلِحُ بِالْك . وكان ابن مسعود يقول لمن عطس : يرحمنا الله وإياك ، ويقول ذلك : يغفر الله لنا ولك ، ولا تَشْمَتُهُ^(٢) حتى يحمد الله ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من حق المسلم إذا عطس أن يُشْمَتَ

(١) في الأصل « الأُشنان » وأرى أن صوابه « الأُشنان » وقد تقدم شرحه في ص ١٢ ، والكلام على حذف مضاف أي ذوو الأُشنان . . . الخ . والمعنى أن هذه الأشياء الأربعة لا تعدى إليها جنابة الجنب ، فلا بأس باستعمالها ومباشرتها إن استعمالها هو وباشرها .

(٢) التشميت : الدعاء للعاطس .

إِذَا حَمِدَ اللَّهُ . وَقَرَّ الْكَبِيرَ وَارْحَمَ الصَّغِيرَ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوقِرَّ كَبِيرَنَا » .

لَا تَصَافِحِ امْرَأَةً لَيْسَتْ لَكَ بِزَوْجَةٍ وَلَا مَلِكٌ يَمِينٌ ، وَلَا تَضَعْ يَدَهَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِكَ ، وَلَا تَضَعْ يَدَكَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ جَسَدِهَا ، وَلَا تَقْبَلْ يَدَكَ وَلَا شَيْئًا مِنْ جَسَدِكَ ، وَلَا تَعَانِقِ رَجُلًا وَلَا تَتَّبِعْهُ لَيْسَ بِذِي رَحْمٍ لَكَ ، وَاصْنَعْ ذَلِكَ بِذِي رَحْمِكَ « ضَمَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ حِينَ قَدِمَ مِنَ الْحَبَشَةِ إِلَى نَفْسِهِ وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ » لَا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِي مَسْجِدِ جَمَاعَةٍ ، وَلَا تَشْهَرْ فِيهِ سِلَاحًا . فَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ . إِذَا دُعِيَ إِلَى تَحْمِيلِ شَهَادَةٍ فَإِنَّكَ مُخَيَّرٌ ، فَإِنْ شَهِدْتَ فَلَا يَسْعُكَ الْاِمْتِنَاعُ إِذَا دُعِيَ إِلَى الْأَدَاءِ .

لَا تَمُنْ عَلَى أَحَدٍ بِإِحْسَانِكَ فَإِنَّهُ يُبْطِلُ أَجْرَكَ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِإِمْنٍ وَالْأَذَى » وَمَنْ أَوْلَاكَ مَعْرُوفًا وَعَجَزْتَ عَنْ مَكَافَاتِهِ ، فَأَثْنِ عَلَيْهِ وَادْكُرْهُ بِهِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَوْلَى مَعْرُوفًا فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى مَكَافَاتِهِ إِلَّا بِالثَّنَاءِ فَقَدْ شَكَرَهُ ، وَمَنْ كَتَمَهُ فَقَدْ كَفَرَهُ » .

وَإِذَا طَعِمْتَ وَعِنْدَكَ أَحَدٌ فَادْعُهُ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ فِي الْجَنَّةِ غُرْفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا ، وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا » قِيلَ : لِمَنْ هِيَ ؟ قَالَ : « لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ ، وَتَابَعَ الصِّيَامَ ، وَطَيَّبَ الْكَلَامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ » . إِذَا عَمِلْتَ عَمَلًا لِلَّهِ فَأَحْسِنْهُ ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا » . لَا تَعْجَلْ عَلَى أَحَدٍ بِعُقُوبَةٍ وَلَا بِتَهْمَةٍ حَتَّى تُحِقَّه^(١) . لَا تَأْتِ أَهْلَكَ أَوْ جَارِيَتَكَ وَغَيْرُهَا بِرَاكٍ أَوْ يَسْمَعِ حِسِّكَ ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ، قَالُوا : وَكَيْفَ نَسْتَحْيِي مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ ؟ قَالَ : احْفَظُوا الرُّؤْسَ وَمَا حَايَ ، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى ، وَادْكُرُوا الْمَوْتَ وَالْبَيْتَ ، وَذَرُّوا زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا » .

(١) حَقُّهُ كَدُّهُ وَأَحْقُّهُ : غَلَبَهُ عَلَى الْحَقِّ .

إذا أصبحت فقل : اللهم لا إله إلا أنت ، وحدك لا شريك لك ، لك الملك ولك الحمد لا شريك لك عشر مرات ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « من قالها عشر مرات حين يُصبح وُكُل به ملكٌ كان يحرُّسانه حتى يُمسي ، وإذا قالها ليلاً فكذلك حتى يُصبح » . وإذا كنت في العيدين والجمعة ويوم عرفة بعرفة فاغتسل ، وإن توضأت أجزاءك . سأل رجل علياً عن الغسل فقال : للجمعة والعيدين وعرفة . إذا رأيت الهلال فلا تستقبله حتى تدعوَ وقل : الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله ، أسألك من خير هذا الشهر ، وأعوذ بك من شر القدر وشر يوم المحشر .

لا تؤمنَّ أحداً في بيته ولا سلطانه إلا أن يأذن لك . وذلك أنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا يؤمنَّ الرجلُ الرجلَ في بيته ولا في سلطانه إلا بإذنه » . ولا تحب من الناس أن يمثُلوا لك قياماً . قال صلى الله عليه وسلم : « من سرَّه أن يمثُل له ابنُ آدم قياماً وجبت له النار » . أجِب الدعوة إذا دُعيت . قال صلى الله عليه وسلم : « الدعوةُ يومَ العرسِ حق » وقال : « لو دُعيتَ إلى كُراع^(١) لأجبتُ » . إذا حلفت على شيءٍ وحلف والداك أو أحدهما على خلافه فأطعمهما ما لم يكن معصية^(٢) . احتجِم في سبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين ، أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .

إذا عدت مريضاً فأخِفَّ العيادة ، وأقِلَّ اللَّبث . إذا مررت بالمقابر فقل : للسلام عليكم أهلَ الدارِ المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أنتم لنا فرَط^(٣) ونحن لكم تبع ، أسأل الله لنا ولكم العافية . لا بأس أن تمشي أمام الجنائز . مشى النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وابن عمر أمامها ، وإذا كنت راكباً فلا تسبقها ،

(١) الكراع من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس : وهو مستدق الساق .

(٢) فرط : أى متقدمون ، والفرط فى الأصل : المتقدم إلى الماء يتقدم الواردة فيهم . لهم الأرسان والدلاء وبغلاً الحياض ويستقى لهم ، يقال رجل فرط ، وقوم فرط .

ولا تنزل حتى توضع عن عواتق الرجال ، بلغني ذلك عن بعض الصحابة . لا تنفخ في الطعام والشراب فإنه جفاء ، قاله بعض العلماء .

ارفع يدك في عشرة مواطن : إذا دعوت عند افتتاح الصلاة والعيدين والقنوت والتكبير وعند استلام الحجر وعرفة وجمع^(١) والصفاء والمروة والجمار، روى ذلك عن ابن عباس ، وعند افتتاح الصلاة والقنوت والعيدين ترفعهما حتى تحاذي إبهامك أذنك ، وتبسطنهما عند صدرك في باقي ذلك . لا تلعب بالنزد ، لعن النبي صلى الله عليه وسلم اللاعب به وقال : « إياكم وإياه » . لا تمضغ العلك^(٢) ، ولا تحلل إزارك ، ولا تجرد ولا تحذف^(٣) . قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنها من أخلاق قوم لوط » . اجمع الصوام عند فطرك على طعامك ، قال صلى الله عليه وسلم : « من فطر صائماً كان له مثل أجره ، ولا ينقص من أجر الصائم شيء » .

واعلم - رحمك الله - أن الله تعالى خصك من موعظتي بما نصحتك ، وأنهيت إليك منه ما أرجو أن يكون سعادة لك وسبباً إلى الجنة ، فليكن منك فيما كتبت إليك من القيام بأمر الله تعالى واتباع ما هو أهله ما ترجو به القربة عند الله تعالى ، ولا يكن ذلك مما تظلف^(٤) عنه نفسك ، وتعاهدتها بالأخذ والتأديب عليه إن شاء الله حتى توقفها على الذي لا ينبغي لك التقصير بها عنه إن شاء الله تعالى ، والله الموفق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

« رسالة مطبوعة بالمطبعة الأميرية سنة ١٣١١ هـ ، ومنها نسخة محفوظة

في دار الكتب المصرية رقم ١٣٠١ تصوف وأخلاق^(٥) » .

(١) جمع : المزدلفة .

(٢) العلك : ضرب من صمغ الشجر كاللبان يعضغ .

(٣) حذف في . شيته حرك جنبه وعجزه أو تدانى خطوه .

(٤) ظلف نفسه عنه كضرب : كفها .

(٥) وقد طبعت حديثاً بمطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .

فهرس

الجزء الرابع

من جمهرة رسائل العرب

فهرس الرسائل

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب المعتصم إلى عبد الله بن طاهر	١	٥
» » » » » » » »	٢	٦
» » » » » » » »	٣	٩
الآفاق عند القبض على بابك الخرمي	٤	١١
» » » » » » » »	٥	١١
كتاب المعتصم إلى المهدي بن المهدى	٦	١٢
كتابه إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلی	٧	١٣
رواية أخرى	٨	١٤
كتابه إلى صديق له	٩	١٤
كتاب له	١٠	١٥
» » » » » » » »	١١	١٥
في التشوق	١٢	١٥
» » » » » » » »	١٣	١٦
» » » » » » » »	١٤	١٦
كتابه إلى منصور بن المهدي	١٥	١٧
» » » » » » » »	١٦	١٧

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
فصل له	١٧	١٧
فصل له	١٨	١٧
كتاب يعقوب الكندي إلى بعض إخوانه	١٩	١٨
بين عبد الله بن الحسن الأصفهاني وابن الزيات	٢٠	١٩
كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الزيات	٢١	٢٠
» » » » » » »	٢٢	٢٠
رد ابن الزيات عليه	٢٣	٢١
كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب	٢٤	٢٢
رد الحسن بن وهب على ابن الزيات	٢٥	٢٢
كتاب ابن الزيات إلى الحسن بن وهب	٢٦	٢٣
كتاب الحسن بن وهب إلى ابن الحسن بن سهل	٢٧	٢٣
» » » » إلى القاسم بن الحسن بن سهل	٢٨	٢٥
» » » » إلى محمد بن إسحق	٢٩	٢٥
» » » » إلى إسحق بن يحيى	٣٠	٢٦
» » » » إلى محمد بن عبد الله بن طاهر	٣١	٢٦
جواب تعزية له	٣٢	٢٧
تعزية له	٣٣	٢٨
كتابه إلى إسحق بن إبراهيم	٣٤	٢٩
» إلى عبد الرحمن بن خاقان	٣٥	٣٠
كتاب تعزية له	٣٦	٣١
» له في الشكر	٣٧	٣١
» في الشكر	٣٨	٣٢
كتاب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس	٣٩	٣٣
» » » » إلى أبي تمام الطائي	٤٠	٣٣
كتاب له	٤١	٣٣
كتاب ميمون بن إبراهيم إلى الحسن بن وهب	٤٢	٣٤
» الحسين بن الحسن بن سهل إلى صديق له	٤٣	٣٥

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
رد صديقه عليه	٤٤	٣٥
كتاب عبد الرحمن الحرائي إلى محمد بن سهل	٤٥	٣٥
» ابن الزيات بالعهد للوائح على مكة	٤٦	٣٦
» إبراهيم بن العباس إلى الوائح	٤٧	٣٦
» » » إلى ابن الزيات	٤٨	٣٧
» » » » » » »	٤٩	٣٨
» » » » » » »	٥٠	٣٨
» » » » » » »	٥١	٣٩
» » » » » » »	٥٢	٣٩
» » » » » » »	٥٣	٤٠
» ابن الزيات عن الخليفة إلى أحد عماله	٥٤	٤١
فصول لابن الزيات	٥٥	٤٢
كتاب لابن الزيات	٥٦	٤٢
كتاب رجل إلى ابن الزيات	٥٧	٤٣
» الجاحظ إلى ابن الزيات	٥٨	٤٣
» إلى أحمد بن أبي دواد	٥٩	٤٥
» في الاستعطاف	٦٠	٤٦
» إلى بعض إخوانه في ذم الزمان	٦١	٤٩
» في استنجاز وعد	٦٢	٥١
» آخر	٦٣	٥٢
» »	٦٤	٥٢
كتاب له في الاستمناح	٦٥	٥٢
كتاب إلى أبي حاتم السجستاني	٦٦	٥٣
كتابه إلى قليب المغربي	٦٧	٥٣
فصول للجاحظ	٦٨	٥٣
رسالة الجاحظ في بني أمية	٦٩	٥٦
» أبي العاص بن عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي إلى الثقفي	٧٠	٦٨

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
رسالة ابن التوعم إلى الثقفى	٧١	٨٨
كتاب عمر بن عثمان القينى إلى محمد بن عبيد الله العتقى	٧٢	١٢٣
المتوكل فى الإعلان بلقبه	٧٣	١٢٤
المتوكل إلى عماله فى النصارى وأهل الذمة	٧٤	١٢٤
المتوكل بولاية العهد لبنيه	٧٥	١٢٨
عبيد الله بن يحيى بن خاقان إلى الحسن بن عثمان	٧٦	١٣٣
أبى العيناء إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان	٧٧	١٣٥
عبد الله بن خاقان إلى أبى الجهم	٧٨	١٣٧
أبى العيناء إلى أبى نوح	٧٩	١٣٨
أبى على البصير إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان	٨٠	١٣٩
» » » » » » » » » »	٨١	١٤٠
» » » » » إلى أبى العيناء	٨٢	١٤١
» » » » » فى الاعتذار	٨٣	١٤٥
» » » » » آخر	٨٤	١٤٦
» » » » » » » » » »	٨٥	١٤٧
كتابه إلى على بن يحيى	٨٦	١٤٨
كتاب له فى الصفح	٨٧	١٤٩
فصول لأبى على البصير	٨٨	١٤٩
كتاب لغسان بن عمرو الباهلى فى الذم	٨٩	١٥٠
» » » » » » » » » »	٩٠	١٥٠
» » » » » آخر له	٩١	١٥٢
كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المتوكل	٩٢	١٥٢
تحميد لإبراهيم بن العباس صدر رسالة الحميس	٩٣	١٥٢
» » » » » فى فتح إسحق بن إسماعيل	٩٤	١٥٤
من رسالة لإبراهيم بن العباس فى قتل إسحق بن إسماعيل	٩٥	١٥٤
تحميد له	٩٦	١٥٥
» » » » » فى فتح	٩٧	١٥٦

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
تحميد آخر له	٩٨	١٥٦
تحميد له	٩٩	١٥٧
» » في فتح	١٠٠	١٥٧
» » في آخر كتاب فتح	١٠١	١٥٧
كتابه إلى بعض إخوانه في شفاعته	١٠٢	١٥٨
» عن المتوكل إلى أهل حمص	١٠٣	١٥٨
» عن المتصر إلى طاهر بن عبد الله	١٠٤	١٥٩
» عن المعتز ولي العهد إلى طاهر بن عبد الله	١٠٥	١٥٩
» عن المؤيد وهو ولي عهد إلى طاهر بن عبد الله	١٠٦	١٦٠
» إلى طاهر بن عبد الله	١٠٧	١٦٠
» » » » » »	١٠٨	١٦١
» » » » » »	١٠٩	١٦٢
» » » » » »	١١٠	١٦٣
» إلى عبد الرحمن بن خاقان	١١١	١٦٣
» إلى الحسن بن رجاء	١١٢	١٦٤
» إلى محمد بن الحسن بن الفياض	١١٣	١٦٥
» إلى عامل له	١١٤	١٦٥
كتاب له في السلامة	١١٥	١٦٦
» » » » » »	١١٦	١٦٦
» آخر	١١٧	١٦٧
ومن فصوله	١١٨	١٦٨
ومن كلامه	١١٩	١٦٩
كتاب الفضل بن حباب إلى إبراهيم بن العباس	١٢٠	١٦٩
» رجل إلى المتوكل	١٢١	١٧٠
» إلى مالك بن طوق	١٢٢	١٧٠
» الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق	١٢٣	١٧١
» أحد الكتاب إلى إبراهيم وأحمد ابني المدبر	١٢٤	١٧١

رقم الرسالة	رقم الصفحة	الرسالة
١٢٥	١٧٢	كتاب عمر بن أيوب إلى أحمد بن المدبر
١٢٦	١٧٢	« أبي عباس المبرّد إلى إبراهيم بن المدبر
١٢٧	١٧٣	« إبراهيم بن المدبر إلى أبي عبد الله بن حمدون
١٢٨	١٧٥	كتابه إلى عريب
١٢٩	١٧٥	كتاب لابن المدبر
١٣٠	١٧٦	الرسالة العذراء لإبراهيم بن المدبر
١٣١	٢١٣	كتاب محمد بن مكرم إلى إبراهيم بن المدبر
١٣٢	٢١٤	« « « « إلى أحمد بن المدبر
١٣٣	٢١٤	« « « « إلى أحمد بن دينار
١٣٤	٢١٥	« « « « « « « «
١٣٥	٢١٦	« « « « « نصراني أسلم
١٣٦	٢١٦	« « « « « حاج
١٣٧	٢١٧	« « « « « بعض الرؤساء
١٣٨	٢١٧	كتابه إلى سليمان بن وهب
١٣٩	٢١٩	كتابه إلى أبي العيناء
١٤٠	٢١٩	فصول لابن مكرم
١٤١	٢٢١	كتاب سعيد بن موسى إلى أبي شراعة
١٤٢	٢٢١	رد أبي شراعة على سعيد بن موسى
١٤٣	٢٢٤	كتاب البيعة للمنتصر بالله
١٤٤	٢٢٩	كتاب المنتصر إلى محمد بن عبد الله بن طاهر
١٤٥	٢٣٠	رقعة المعتز والمؤيد في خلع أنفسهما من البيعة
١٤٦	٢٣١	كتاب المنتصر بخلع المعتز والمؤيد
١٤٧	٢٣٥	كتاب البيعة للمعتز بالله
١٤٨	٢٣٧	كتاب عن محمد بن عبد الله بن طاهر إلى أهل بغداد - كتبه سعيد بن حميد
١٤٩	٢٤٦	كتاب سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان
١٥٠	٢٤٧	« « « « « إلى صديق له
١٥١	٢٤٧	« « « « « إلى أبي العباس بن ثوابة

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب سعيد بن حميد إلى فضل الشاعر	١٥٢	٢٤٨
» » » » » » » »	١٥٣	٢٤٨
» » » » » » » »	١٥٤	٢٤٩
» » » » » إلى أبي هفان	١٥٥	٢٤٩
» » » » » إلى بعض إخوانه	١٥٦	٢٥٠
» » » » » » » »	١٥٧	٢٥١
» » » » » » » »	١٥٨	٢٥٢
» » » » » » » »	١٥٩	٢٥٢
كتاب له في السلامة	١٦٠	٢٥٢
كتاب له في الشوق	١٦١	٢٥٣
كتاب آخر	١٦٢	٢٥٣
كتاب آخر	١٦٣	٢٥٤
كتاب له في توصية	١٦٤	٢٥٤
كتاب له في الاعتذار	١٦٥	٢٥٤
كتاب تعزية له	١٦٦	٢٥٥
كتاب تعزية له إلى محمد بن عبد الله بن طاهر	١٦٧	٢٥٥
تعزية له في مثله	١٦٨	٢٥٦
كتاب له	١٦٩	٢٥٧
تحميد له في فتح	١٧٠	٢٥٧
فصول لسعيد بن حميد في المودة	١٧١	٢٥٩
كتاب سعيد بن عبد الملك إلى سعيد بن حميد	١٧٢	٢٦٠
رد سعيد بن حميد عليه	١٧٣	٢٦٠
كتاب لسعيد بن عبد الملك في السلامة	١٧٤	٢٦٠
كتاب لسعيد بن عبد الملك في سلامة الفطر	١٧٥	٢٦١
كتاب له في الاعتذار	١٧٦	٢٦٢
تعزية لسعيد بن عبد الملك	١٧٧	٢٦٢
تعزية لسعيد بن عبد الملك	١٧٨	٢٦٣

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب له في توصية	١٧٩	٢٦٣
كتاب آخر	١٨٠	٢٦٤
كتاب له في إطلاق محبوس	١٨١	٢٦٤
كتاب له	١٨٢	٢٦٤
فصول له	١٨٣	٢٦٥
كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى المعترف	١٨٤	٢٦٥
كتاب محمد بن عبد الله بن طاهر إلى عمال النواحي	١٨٥	٢٦٦
رد الأتراك على كتاب ابن طاهر	١٨٦	٢٦٧
كتاب محمد بن عباد إلى جعفر بن محمود الإسكافي	١٨٧	٢٦٩
رد جعفر على محمد بن عباد	١٨٨	٢٦٩
كتاب ابن طاهر إلى عماله	١٨٩	٢٧٠
رقعة المعترف بخلع نفسه	١٩٠	٢٧١
كتاب الموالي بالكرخ والدور إلى المهتدي	١٩١	٢٧٢
رد المهتدي عليهم	١٩٢	٢٧٢
كتاب الموالي إلى المهتدي	١٩٣	٢٧٣
كتاب المهتدي إليهم	١٩٤	٢٧٤
كتابهم إلى المهتدي	١٩٥	٢٧٤
كتابهم إلى القواد	١٩٦	٢٧٥
كتاب المهتدي إليهم	١٩٧	٢٧٦
كتاب القواد إليهم	١٩٨	٢٧٦
كتاب علي بن يحيى إلى سليمان بن وهب	١٩٩	٢٧٧
رد ابن وهب عليه	٢٠٠	٢٧٧
كتاب ابن وهب إلى سليمان بن عبد الله بن طاهر	٢٠١	٢٧٨
كتاب رجل إلى سليمان بن وهب	٢٠٢	٢٧٨
رده عليه	٢٠٣	٢٧٩
كتاب اعتذار لسليمان بن وهب	٢٠٤	٢٧٩
كتاب أبي العيناء إلى أبي الصنم لإسماعيل بن بلبل	٢٠٥	٢٧٩

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصحيفة
تعزية أخرى	٢٣٣	٣٠٧
وله تهنئة بمولود	٢٣٤	٣٠٨
فصل له في قبول عذر	٢٣٥	٣٠٨
» » في حاجة	٢٣٦	٣٠٨
» »	٢٣٧	٣٠٩
» »	٢٣٨	٣٠٩
» »	٢٣٩	٣٠٩
» »	٢٤٠	٣٠٩
» » في الشوق	٢٤١	٣١٠
وله شفاعة في شغل	٢٤٢	٣١٠
فصل له في فراق	٢٤٣	٣١٠
» »	٢٤٤	٣١١
» »	٢٤٥	٣١١
» »	٢٤٦	٣١١
وله في وصف البيان	٢٤٧	٣١٢
وله في وصف الكتاب والقلم	٢٤٨	٣١٣
كتاب أحمد بن إسماعيل إلى بعض الكتاب	٢٤٩	٣١٣
كتاب أحمد بن إسماعيل إلى صديق له	٢٥٠	٣١٤
» » » يحيى الأسدي إلى الحسين بن سعد	٢٥١	٣١٤
» » » علي المازراني إلى ابن بشر المرثدي	٢٥٢	٣١٥
فصل لعبد الله بن أحمد في الشكر	٢٥٣	٣١٦
كتاب ابن عبد كان عن أحمد بن طولون إلى ابنه العباس	٢٥٤	٣١٦
» بمذهب القرامطة	٢٥٥	٣٢٢
من كتاب عن المعتضد إلى خمارويه بن أحمد بن طولون	٢٥٦	٣٢٥
كتاب عن المعتضد بلعن معاوية بن أبي سفيان	٢٥٧	٣٢٦
» أم الشريف إلى ابن أخيها محمد بن عيسى	٢٥٨	٣٣٩
» » » إلى المعتضد	٢٥٩	٣٤٠

رقم الرسالة	رقم الرسالة	رقم المصنف
رسالة		
كتاب صاحب الشامة إلى بعض عماله	٢٦٠	٣٤٠
بعض عماله إليه	» ٢٦١	٣٤٢
محمد بن سليمان الكاتب إلى القاسم بن عبيد الله	» ٢٦٢	٣٤٤
ابن المعتز إلى القاسم بن عبيد الله	» ٢٦٣	٣٤٤
» » » » » »	» ٢٦٤	٣٤٥
إلى بعض الرؤساء	» ٢٦٥	٣٤٥
إلى عليل	» ٢٦٦	٣٤٥
إلى بعض الوزراء	» ٢٦٧	٣٤٦
رده عليه	٢٦٨	٣٤٦
كتاب قينة إلى ابن المعتز	٢٦٩	٣٤٦
رده عليها	٢٧٠	٣٤٧
كتاب ابن المعتز يصف سرّاً من رأى	٢٧١	٣٤٨
إلى أحمد بن سعيد الدمشقي	» ٢٧٢	٣٥١
آخر إليه	» ٢٧٣	٣٥١
إلى عبد الله بن شبيب من صديق له	» ٢٧٤	٣٥١
إلى محمد بن طيفور من بعض إخوانه	» ٢٧٥	٣٥٢
من بعض خاصته	» ٢٧٦	٣٥٢
رده عليه	٢٧٧	٣٥٢
كتاب صاحب البريد بالدينور	٢٧٨	٣٥٣
علي بن الفرات عن المقتدر في المواريث	» ٢٧٩	٣٥٣
الوزير ابن مقله إلى القواد والعمال	» ٢٨٠	٣٥٤
أحمد بن الضحاك إلى صديق له يصف شعب بوان	» ٢٨١	٣٥٥
عن الإخشيد إلى أرمانوس ملك الروم - كتبه النجيري	» ٢٨٢	٣٥٧
أبي الطيب المتنبّي إلى أحد إخوانه	» ٢٨٣	٣٦٥
الراضي إلى المتقي	» ٢٨٤	٣٦٦

التوقيعات في العصر العباسي الأول

رقم الصفحة	
٣٦٧	توقيعات السفاح
٣٦٨	المنصور
٣٧٢	المهدي
٣٧٤	الهادي
٣٧٤	الرشيد
٣٧٨	المأمون
٣٨١	الواثق
٣٨٢	أبي مسلم الخراساني
٣٨٢	عمرو بن عبيد
٣٨٣	أبي عبيد الله
٣٨٣	الفيض بن أبي صالح
٣٨٣	يحيى بن خالد البرمكي
٣٨٤	جعفر بن يحيى البرمكي
٣٨٧	الفضل بن يحيى
٣٨٨	الفضل بن سهل
٣٨٩	الحسن بن سهل
٣٩٠	طاهر بن الحسين
٣٩٣	عبد الله بن طاهر
٣٩٤	يوسف بن القاسم
٣٩٥	أحمد بن يوسف
٣٩٧	عمرو بن مسعدة
٣٩٧	محمد بن يزيد

توقيعات عبد الله بن محمد بن يزداد	٣٩٨
» إبراهيم بن العباس	٣٩٨
» محمد بن عبد الله بن طاهر	٣٩٩
» عبید الله بن سلمان بن وهب	٣٩٩
» عبد الله بن المعتر	٤٠٠
» علی بن عیسی	٤٠٠
<hr/>	
رسالة الإمام مالك بن أنس	٤٠٢
<hr/>	

فهرس أعلام الكتاب

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل كاتب بأرقام الصفحات التي وردت فيها رسائله

١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩	١
أبو العيناء ١٣٥ ، ١٣٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٤	إبراهيم بن العباس ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ٣٩٨
أبو مسلم الخراساني ٣٨٢	إبراهيم بن المدبر ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٦
أحمد بن أبي طاهر طيفور ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠١	إبراهيم بن المهدي ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧
أحمد بن إسماعيل ٣١٣ ، ٣١٤	ابن النوءم ٨٨
أحمد بن سليمان بن وهب ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧	ابن عبد كان ٣١٦
أحمد بن الضحاك ٣٥٥	ابن مقلة ٣٥٤
أحمد بن علي المازراني ٣١٥	أبو شراعة ١٤١
أحمد بن يحيى الأسدي ٣١٤	أبو الطيب المتنبى ٣٥٣
أحمد بن يوسف ٣٩٥	أبو العاص بن عبد الوهاب ٦٨
أم الشريف ٣٣٩ ، ٣٤٠	أبو العباس بن ثوابة ٢٨١ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦
ج	أبو العباس المبرد ١٧٢
الجاحظ ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦	أبو عبيد الله ٣٨٣
جعفر بن ثوابة ٢٩٦	أبو علي البصير ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١
جعفر بن محمود ٢٦٩	
جعفر بن يحيى ٣٨٤	

عبد الله بن الحسن الأصبهاني ١٩

عبد الله بن خاقان ١٣٧

عبد الله بن طاهر ٣٩٠

عبد الله بن محمد بن يزداد ٣٩٨

عبد الله بن المعتز ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،

٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ،

٣١٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ،

٣٤٨ ، ٣٥١

عبيد الله بن سليمان بن وهب ٢٨٢ ، ٣٩٩

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر ٢٨٢

عبيد الله بن يحيى بن خاقان ١٢٣

علي بن عيسى ٤٠٠

علي بن الفرات ٣٥٣

علي بن يحيى ٢٧٧

عمر بن أيوب ١٧٢

عمرو بن عبيد ٣٨٢

عمرو بن عثمان القيني ١٢٣

عمرو بن مسعدة ٣٩٧

غ

غسان بن عمرو الباهلي ١٥٠ ، ١٥٢

ف

الفضل بن حباب ١٦٩

الفضل بن سهل ٣٨٨

الفضل بن يحيى ٣٨٧

الفيض بن أبي صالح ٣٨٣

م

المأمون ٣٧٨

ح

الحسن بن وهب ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ،

٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ،

٣٣ ، ٣٤

الحسن بن سهل ٣٨٩

الحسين بن الحسن بن سهل ٣٥

ر

الراضي ٤٨٤

الرشيد ٣٧٤

س

سعید بن حميد ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ،

٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،

٢٥٩ ، ٢٦٠

سعید بن عبد الملك ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥

سعید بن موسى ١٤١

السفاح ٣٦٧

سليمان بن وهب ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩

ص

صاحب الشامة ٣٤٠

ط

طاهر بن الحسين ٣٩٠

ع

عبد الرحمن بن أحمد الحراني ٣٥

عبد الله بن أحمد ٣١٦

المهتدي ٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٣١٧

المهدي ٣٧٢

ميمون بن ابراهيم ٣٤

ن

النجيري ٣٥٧

هـ

الهادي ٣٧٤

و

الواثق ٣٨١

ي

يحيى بن خالد البرمكي ٣٨٣

يعقوب الكندي ١٨

يوسف بن القاسم ٣٩٤

مالك بن أنس ٤٠٢

المتوكل ١٢٤ ، ١٢٨

محمد بن سامان ٢٦٢

محمد بن طيفور ٢٥٢

محمد بن عباد ١٨٧

محمد بن عبد الله بن طاهر ١٥٢ ، ٢٦٥ ،

٢٧٠ ، ٣٩٩

محمد بن عبد الملك الزيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ،

٢٢ ، ٢٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ،

محمد بن مكرم ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ،

٢١٧ ، ٢١٩

محمد بن يزيد ٣٩٧

المعز ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٧١

المعتصم ٤ ، ٥ ، ١١

المنتصر ٢٢٧ ، ٢٣١

المنصور ٣٦٨

فهرس

بعض ماورد في الهامش من الفوائد التي قد يحتاج القارىء إلى مراجعتها

رقم الصفحة	رقم الصفحة
١١٧	٢
١٣٤	١١
١٥١	١٢
١٧٣	١٨
١٨٣	٢٠
١٨٥	٣٦
١٩٢	٤٧
١٩٢	٥١
١٩٦	٥٧
١٩٧	٦٠
٢٠٧	٦١
٢٠٧	٦٣
٢١٠	٧٩
٢١١	٨٢
٢٢٢	١٠١
٢٢٢	١٠٢
٢٤٧	١٠٥
٢٨٧	١٠٦
٢٧٥	١١٠
٣١٦	

رقم الصفحة	رقم الصفحة
٣٧١ بخل أبي جعفر المنصور	٣٢٣ ، ٣٤٠ القرامطة
٣٧٤ يابن اللخناء	٣٣٠ الشجرة الملعونة في القرآن
٣٧٥ لا أم لك	٣٣١ الحكيم طريد رسول الله
٣٨٥ حديث « يامعشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج »	٣٣٣ عمار بن ياسر
٣٩٢ بل رحمة	٣٦٨ أبو سلمة الخلال
٣٩٦ تنجيم الديون	٣٦٩ حديث « كما تكونوا يولى عليكم »
٤١٢ ساء وأساء	٣٧١ الرافضة
	٣٧١ السيد الحميرى

فهرس

الأمثال التي ورد شرحها في الهامش

رقم الصفحة	رقم الصفحة
١١٤ رب أكلة تمنع أكالات	٣٩ بلغ السكين العظم
١١٤ رب عجلة تهب ريثا	٧٣ أجود من كعب بن مامة
١١٤ تطلب أثرا بعد عين	٧٧ أسمع من لافظة
١١٥ أشأم من خوتعة	٧٨ جوع كلبك يتبعك
١١٥ أشأم من البسوس	٧٨ نعم كلب من بؤس أهله
١١٦ أشأم من عطر مَنشيم	٧٨ سمن كلبك يأكلك
١١٦ عَشَسَّ ولا تغتر	٧٩ أجوع من كلبة حومل
١١٧ إن أخا الهبيحاء من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك	٨٧ عند الصباح يحمد القوم السرى
١١٧ لم يذهب من مالك ما وعظك لا تعدم صناع ثلثة	٨٧ غمرات ثم ينجلين
١١٨ ليس لها راغ ولكن حلبة	٩٢ لا يرسل الساق إلا ممسكا ساقا
١١٩ للرمي يراش السهم	١٠٤ القيد والرثعة
١١٩ قبل الرماء يملا الكنائن	١٠٩ كتاركة بيضها بالعراء
١١٩ عند النطاح تغلب القرناء	وملبسة بيض أخرى جناحا
١١٩ عند النطاح يغلب الكيش الأجم	١٠٩ أحق من نعامة
١١٩ ليس عليك نسجه فاسحب وخرق	١١٠ إن المنبت لأرضا قطع ولا ظهرا أبقى
١٢٢ سمنك في أديمك	١١١ شر السير الحفحة
١٢٢ غثك خير من سمين غيرك	١١١ الرشف أنقع للظمان
١٨٧ أنا عذيقها المرجب وجد يلبها المحكك	١١١ ليس الرى عن التشاف
٣٧٣ قد أنصف القارة من رامها	١١١ يا عاقد اذكر حلا
	١١٢ رب لائم مليم
	١١٢ رب ملوم لا ذنب له
	١١٣ الفرار بقراب أكيس

بحمد الله تعالى تم طبع كتاب :

جمهرة رسائل العرب

بقلم الأستاذ أحمد زكي صفوت

وكيل كلية دار العلوم - جامعة القاهرة سابقاً

7